



مكتبة
الرسول المصطفى
بإشراف: محمد بن أحمد الخليلي



اسماء

بسم الله
الحمد لله

الرسول المصطفى

والتقابه ومكانه وصفاته

عبدالله بن عبدالمطلب
الحميد الثالث





تبریزیان، عباس، ۱۳۴۳.
 اسماء الرسول المصطفى ﷺ و القابه وكناه و صفاته / عباس تبریزیان.
 مشهد: سنبله، ۱۳۸۴ = ق = ۱۳۸۴.
 ج. - (موسوعة الرسول المصطفى ﷺ)
 فهرست نویسی بر اساس اطلاعات قبیا.
 ۳۰۰۰۰ ریال
 ص. ع. به انگلیسی:
Abbas Tabrizian
Names, nicknames and character traits of Prophet Mohammad
 عربی
 کتابنامه
 ج. ۳ (چاپ اول: ۱۳۸۴). (ج. ۳) ISBN: ۹۶۴-۳۹۲-۲۹۱-x
 ۱. محمد ﷺ، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ ق. - نامها، ۲. محمد ﷺ،
 پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ ق. - ۳. محمد ﷺ، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از
 هجرت - ۱۱ ق. - کلمات قصار. الف. ختمی، احمد. ب. عنوان.
 ۲۹۷/۹۳ BP ۲۴/۹/۲۴
 کتابخانه ملی ایران
 ۱۷۶۹۲-۱۱م



اسماء الرسول المصطفى ﷺ و القابه وكناه و صفاته ج ۳

عباس تبریزیان

چاپ اول ۱۳۸۴

تیراژ: ۱۰۰۰ نسخه

چاپ و صحافی: نقت

ناظر چاپ: هادی عدالتیان

شابک: X-۹۶۴-۳۹۲-۲۹۱

قیمت: ۳۰۰۰ تومان

مَدِينَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ
بَنِي إِسْرَائِيلَ

الطبعة الأولى
١٩٧١ - ١٩٧٢
مركز البحوث والدراسات الإسلامية

اسْمَاءُ

السُّورَةُ الْمُصْطَفَى
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَالْقَابِ وَكُنَاهُ وَصِفَاتُهُ

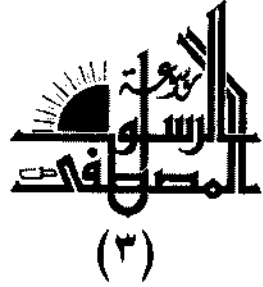
عَبَّاسُ بْنُ تَيْرِيَانُ

المجلد الثالث

هدية

مؤسسة آل البيت لإحياء التراث

بمركز البحوث والدراسات الإسلامية



العنوان البريدي في لبنان:
بيروت- القبيري ص.ب. ٢٥/١٣٨

العنوان البريدي في ايران:
مشهد - ص.ب. ٩١٣٧٥/٤٤٣٦

الفاكس: ٢٢٢٢٤٨٣ (٥١١ - ٠٠٩٨)

البريد الإلكتروني: e-mails
almawsouah@hotmail.com
almawsouah@yahoo.com

الموقع في الإنترنت:
www.almawsouah.org

كافة الحقوق محفوظة و مسجلة للنشر
الطبعة الأولى: بيروت ١٤٢٦ - ٢٠٠٥
الطبعة الثانية: مشهد ١٤٢٦ - ٢٠٠٥

حرف العين

الأسماء المصدرة بحرف العين

٦١٧ . العائل

متى ما وجدَ الإنسان شخصاً متحيراً في مفترق طرق أو رأى حيواناً ضالاً في متاهة أو مفازة، فأراد توجيهه الجهة التي يبغيها، أو إرشاده إلى الطريق التي تُوصله إلى مأمنه ومحلّه فلم يتمكن من ذلك، ولم يعرف الجهة التي يطلبها ذلك الضال، فتحير به ولا يدري ماذا يفعل معه، ولا يعلم كيف يرشده، فقد صار عائلاً به^(١).

فما أن نشأ الرسول المصطفى ﷺ حتى وجد قومه وعشيرته ضاللاً عاكفين على أحجار لا تضر ولا تنفع وهم في مفازة بعيدة عن الواقع نائية عن الحقيقة، فرغب في توجيههم وإرشادهم ولكنه لم يتعرف الجهة التي يبغيها ولا كيفية إرشادهم؛ فصار عندهما عائلاً حتى أغناه الله سبحانه وتعالى بالوحي، وأغنى الله الناس بعلم النبي ﷺ، ثم قال عز من قائل:

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾^(٢).

ومع مناسبة هذا المعنى ووروده في بعض الأخبار فقد ضلّت الآية الكريمة مفترق آراء يذهب البعض إلى أن المراد بالعائل هو الفقير، وأن المراد بقوله تعالى: ﴿فَأَغْنَى﴾ هو إغناء النبي ﷺ بأموال خديجة وباستجابة

(١) نقل هذا المعنى عن أبي زيد في الصحاح ٥ : ٥ «عيل».

(٢) الضحى ٩٣ : ٨.

دعوته بحيث لو دعا على حجر صار ذهباً، وأتاه الله سبحانه بالطعام حيث لا طعام وبالشراب حيث لا شراب، وأغاثه بالملائكة حيث لا مغيث^(١).

بينما يذهب البعض الآخر إلى إرادة الجاهل من العائل وإرادة التعليم من الإغناء، والأكثرون يذهبون إلى إرادة خصوص استجابة دعائه ﷺ^(٢).

غير أن المعنى الذي ذكرناه هو المروي، فقد روى زرارة عن أحدهما عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾. قال: «أي وجدك تعول أقواماً فأغناهم بعلمك»^(٣).

وبعد ذكر هذه الصفة للرسول ﷺ في القرآن لا يبقى مجال للمناقشة في اتصافه ﷺ بها وإطلاقها عليه وبالتالي طلب الدليل على ذلك، فقد جعل ابن شهر آشوب ذلك في عداد أسمائه ﷺ مستندلاً بالآية^(٤).

وينبغي التنبيه على أن عيلة الرسول ﷺ بدأت في أول الخلقة حينما عال الملائكة المكرمين لما صار في صدد تزويدها وتعليمها التسييح، فسبحت بتسييحه، واستغنت بتعليمه وإرشاده، وكذلك الأنبياء العظام حينما تابعوه في قول نعم عند الامتحان، ولما سألهم الله سبحانه: ألسن بربكم، فقالوا بلى. وتظل مقتبسة في كل عائل وكل مرشد لأن كل عيلة هي مشتقة من عيلته، ولولا أنه عال ما عالوا وما تكلفوا وما أرسدوا.

(١) ذكر هذا المعنى الشيخ الصدوق في معاني الأخبار: ٥٣.

(٢) انظر الاحتجاج للطبرسي ٢: ٢١٩، وتفسير الصافي ٥: ٣٤١.

(٣) تفسير القمي ٢: ٤٢٧ وقال في موضع آخر: ووجدك عائلاً فأغنى بالروحي فلا تسأل عن شيء أحداً.

(٤) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٠.

٦١٨ . العابد

العبادة لها معنيان، الأول هو الانقياد والطاعة، والثاني نهاية التذلل والتخضع والالتفات إلى الشيء، بمعنى أكثر ما ينقاد له ويطيعه فهو يعبد، وأكثر ما يتذلل له ويتخضع له وتصغر نفسه عنده فهو يعبد.

وليس كل انقياد ولا كل طاعة عبادة. ولا كل تذلل وتخضع عبادة، إنما يكون عبادة إذا كان نهاية تذلل الشخص وتوجهه وعكوفه على الشيء كلِّ بحسبه، من دون أن يكون له قدر مشخص ولا حد معلوم، بل تختلف بحسب الأشخاص، فقد يكون سكوت شخص وانصاته عبادة، بينما لا يكون صراخ شخص آخر بظاهر الخوف من الله سبحانه عبادة.

وإذا قيل للرسول المصطفى ﷺ العابد فهو بالمعنى الثاني في الغالب، أي التذلل والتخضع لأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وعفي عن الخدمة فضلاً يعبد، وكان قد بدأ العبادة قبل أن يؤمر - أعني قبل البعثة - عندما انحاز في غار حراء يتضرع ويبكي ويتذلل، وهو يقوم على أصابع قدميه، فلما بعث أشدت عبادته وشد ظهره بالسقف حتى قال الله تعالى: ﴿طه﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿١١﴾

ولما أظهر الدعوة نقل مراسم عبادته من الغار إلى البيت الحرام ينحني متذلاً ويستقط على الأرض صارعاً وإلى يمينه ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال أبو طالب لجعفر عليه السلام صل جناح ابن عمك ^(١).

وكانت آخر صلاة صلاها بالناس لما خرج متوكفاً على علي عليه السلام والعباس فنحى أبا بكر الذي أراد الصلاة بالناس بإشارة من عائشة،

(١) طه: ١.

(٢) أمالي الصدوق: ٥٩٧ ح ٨٢٥، الأوائل لنعسكري: ٧٥.

وصلى هو ﷺ بنفسه بالناس^(١).

والذي يؤيد المعنى الثاني مجيء هذا الوصف قبل بعثته ﷺ في كلام سطیح الكاهن عندما صار يذكر أوصاف النبي ﷺ لقريش، فكان فيما قال: حلو الكلام. طلق اللسان، تقي زاهد، خاشع عابد^(٢)... فهو يتكلم عن صفاته قبل بعثته.

وأخيراً نذكر على أن حقيقة العبادة لا تقف على الإنسان، فإن سير المنظومات الشمسية والسيارات في مداراتها وعدم انحرافها أو تحطيتها عنها، وكل ما يعبر عنه بالقوانين الكونية ما هي إلا أوامر الله سبحانه وتعالى التكوينية. ويكون عدم تحطيت تلك السيارات لأجل انصياعها لتلك الأوامر، وانقيادها وخضوعها أمام ربها الذي خلقها وأمرها وكذا فإن نبات الأشجار في محافا وعدم تحطيتها وانحناءها عند هبوب الرياح العاصفة ليس إلا انصياع وانقياد أمام تلك الأوامر التكوينية وخضوع أمام ربها الذي خلقها وأمرها، كما لا يكون تراقص أوراقها عند هبوب النسيم إلا ابتهافاً، آية كل ذلك قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾^(٣).

على أن سجودها مشتق من خضوع الرسول المصطفى ﷺ فإنه أول من انصاع وأطاع، فتابعه سائر الخلق المطيع، إلا أنه أطاع بعد خيار، وانقهر بعد الاختيار.

(١) انظر كتاب المناظرات في الإمامة: ٢٦٠، ومسند أحمد ٦: ١٢١، وصحيح

البخاري ١: ١٧٦، سنن ابن ماجة: ٣٨٩.

(٢) البحار ١٥: ٣١٧، نقلاً عن كتاب الأنوار.

(٣) الرحمن: ٦.

٦١٩ . العارف

العارفان هو رؤية الأسرار الإلهية ابتداءً من حقيقة هذه الدنيا الدنية ومروراً بكل ما سوى الله سبحانه حتى ينتهي إلى حقيقة التوحيد ونفي الصفات، كل ذلك بواسطة الانقطاع عن المشهودات والنظر إلى ساحة الغيب، أي تجرد العقول عن غواشي الخواس وعلائق الأبدان والخروج عن مهد الغفلة الناسوتية، إلى الحصول على نقد من الفيوضات الإلهية والإشراقات الربانية واستماع نداء الحق إلى منهج السداد في كل آن، ودعاء الرب إلى مسلك الرشاد في كل زمان، فتنفذ البصيرة إلى حقائق سر الله، وتُشاهد المعارف مشاهدة العيان، ويبلغ صاحبها بحيث لا يرد عليه أمرٌ إلا أصدره على وجهه، ولا يعرض له فرغ إلا رده إن أصله.

فلا تزلّ بعد هذه الدلالة أقدام بصيرته، ولا تضل بعد هذه الهداية أنظار فكرته، وهكذا يسير ويسعى نور عقله إلى أن يبلغ سلوكه إلى الله سبحانه، وفي الله يستغرق، في بحر التوحيد، ويغشاه نور بحيث يضمحل في ذاته وصفاته، ويغيب من كل ما سواه، فلا يرى في الوجود إلا هو.

والرسول المصطفى ﷺ هو العارف بسرمدية الانقطاع والنظر، مع قوة الناظر وحدّته، والخلو عن أي تعتميم وغفلة، أي بأكمل تلك المعاني التي عرفناها، بل هو عارف بالمعاني التي لا نعرفها؛ لعدم الإحاطة بمدى قدراته ولا حقيقة ذاته، فتبقى مثل الإشارة والتلميح.

ولما ذكر ابن شهر آشوب الحروف المقطعة في القرآن التي منها كهيعص قال: كل حرف يدل على اسم للنبي ﷺ، ومنها العين فهي تعني العارف^(١).

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣١، وكذا في البحار ١٦: ١٠٣.

٦٢٠ . العاقب

لم يكن النبي آدم ﷺ عاقباً أبداً، لعدم سبق نبي عليه، وكان النبي شيث ﷺ عاقباً لأبيه، وهكذا فكل نبي هو عاقب بالإضافة إلى الأنبياء الذين سبقوه، معقوب لمن بعده، والرسول المصطفى ﷺ هو العاقب على الإطلاق؛ لأن العاقب على الإطلاق هو العاقب لجميع الأنبياء وليس بعده نبي، فاختص ﷺ باسم العاقب من بينهم، قال: «إن لي أسماء.. وأنا العاقب والعاقب الذي لا نبي بعده»^(١) والروايات بهذا المعنى كثيرة^(٢) والمهم أن هذه الحقيقة تعطي معنى الخاتمية.

٦٢١ . العالم

كلمة العام غامضة في عين وضوحها، ولذلك يأتي السؤال عن معنى كلمة العالم، ومن هو العالم؟ فإن الملاحظ للاستعمالات العرفية يجد أن كلمة العالم تطلق على كل من له شيء من العلم ولو في جانب واحد، ويغلب فيمن له تخصص في علم من العلوم، وهو في الحقيقة عالم مضاف أو متقيد، فيكون هذا عالم بالطب وذاك عالم بالنجوم وهذا بالنحو ويطلق عليهم العالم من باب المساحة؛ لأن العالم على الإطلاق هو العالم بجميع العلوم. ولا يصدق بهذا المعنى إلا على النبي ﷺ والأئمة من بعده ﷺ، فهو ﷺ العالم الحقيقي من بين المخلوقين؛ لعدم اختصاص علمه بجانب دون آخر، فلا يقيد ولا يضاف.

وحينما سئل أمير المؤمنين ﷺ عن علم رسول الله ﷺ قال: «علم

(١) سند الحميدي ١: ٢٥٣، صحيح البخاري ٦: ٣٥٧.

(٢) انظر الخصان ٢: ٤٣٥ باب العشرة؛ وصحيح مسلم: ١٢٤، والمعجم الكبير

النبي ﷺ علم جميع النبيين، وعلم ما كان، وعلم ما هو كائن إلى قيام الساعة^(١).

هذا جانب، والجانب الآخر هو أن المسيرة العلمية للبشرية برهنت على أن العلم يزبل كثيراً من المشاق ويقتل بذن القدرة الفيزيائية حتى انتهى إلى ضغط أزرار مع تقليل فترة العمل المستغرقة.

ولكن السؤال الذي سي طرح نفسه هو أن هذا التقدم العلمي وهذا الحذف للجهود وتقليل الفترة أين ينتهي وأين يبلغ وأين يتوقف؟ فإن النظرية الإسلامية تفرض أن الغاية التي يمكن أن يبلغ إليها الإنسان في هذه الدنيا هو التناقص إلى حد البلوغ إلى كل التآرب وأصعبها بالكلمات وبالإسم الأعظم كما فعل وصي سليمان ﷺ في قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾^(٢). بينما تنتهي في عالم الآخرة إلى مجرد التمي. فإن فيها ما تشبهه الأنفس وتلد الأعين.

فإذا جاء ذلك الوصي لسليمان ﷺ بعرش بلقيس من اليمن في طرفة عين لأن له علم من الكتاب؛ فإن رسول الله ﷺ عنده علم الكتاب كله، واثنان وسبعون حرفاً من الإسم الأعظم، أي ما عدا حرف واحد، فهو يمتلك قدرة عظيمة. هي أعظم قدرة يمكن تصورها على الأرض حتى أسري به إلى بيت المقدس وعرج إلى السماء السابعة وعاد إلى بلده ظلام ليلة، فيكون معنى صفة العالم هو الفادر أيضاً.

وإذا عد ابن شهر آشوب من أسماء النبي ﷺ العالم^(٣) فهو يعني العالم

(١) بصائر الدرجات: ١٤٧، وورد مضمونة في الكافي ١: ٢٢٦، والبحار ١٤: ١١٢.

(٢) النمل: ٤٠.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٠، قال: سمه في القرآن بأربعمائة اسم: العالم ﴿وَعَلَّمَكَ

على الإطلاق كما بينا أولاً. والمالك لأعظم قدرة ممكنة كما بينا ثانياً.

٦٢٢ . العالم إذا سُئل

من الواضح أنه لا ارتباط للعلم بالسؤال، والعالم بنفسه عالم، سواء سُئل أو لم يُسأل، ولكن النبي ﷺ قال: «نحن العالمون إذا سئلوا»^(١) أراد بذلك بيان الدليل على علمهم ﷺ، فإنهم لا يتوقفون ولا يتلكنون عند طرح أي سؤال، ومهما كان ذلك السؤال.

فعلى الرغم من اختلاف مضامين الأسئلة والعلوم التي ترتبط بها، يجد السائل عند الرسول ﷺ وأوصيائه جواباً شافياً، وبرهاناً مقنعاً.

يسأفم صاحب كل تخصص عن معضلات تخصصه وما أفنى عمره في العثور على الجواب عنه، فسرعان ما يجد جواباً حاضراً وعلماً وافراً؛ ليكون دليلاً على أن الرسول المصطفى ﷺ وأوصيائه هم العالمون على الإطلاق، والسؤال هو الطريق لفهم هذه الحقيقة؛ لأن العالم مهما كان علمه إنما يجيب في حدود تخصصه وخصوص ما حصل عليه من العلوم ليكون ذلك آية على محدودية علمه وعدم إضاقه وشمله.

وعلى خلاف ذلك علم النبي ﷺ وأوصيائه فكان يُسأل عن معضلات الطب كعلة شبه الولد بأعمامه وأخواله أو عدم شبه الولد بأبويه فيجيب بدخل عروق الأجداد في صفات الأبناء، مما تم كشفه تحت عنوان الجينات الوراثية بعد ما ينيف على ألف عام، وأمثال ذلك كثير.

٦٢٣ . العبد

يُعدّ من الثابت والواقع المفعول عنه أنّ التواضع من أسباب المجد

(١) تفسير فوات: ١١٠، ١١١، البحار: ١٦: ٣٧٦.

والخلود، وليس كذلك التجبر والتكبر؛ فقد ثبت على مر التاريخ أن من تواضع لله رفعه الله، وأن مجد والعظمة والتقديس والاتباع للأنبياء وعباد الله الصالحين الذين أعرضوا عن الدنيا وزينتها بعد خضوع الدنيا لهم، وتمكنهم من زمامها، فتواضعوا مع قدرتهم، وزهدوا مع عظمتهم، وتخلد من غير الأنبياء لقمان وأصحاب الكهف وبودا وغيرهم.

وكلما اشتد تواضع المقتدر ازداد علواً، وكلما ازداد اقتداراً فتواضع، ازداد مجداً وخلوداً حتى يبلغ مرتبة العبد التي هي أعلى المراتب التي لم يطلقها الله سبحانه وتعالى إلا على الأنبياء ونظرانهم، ولم يطلقها على الأنبياء إلا بعد امتحانهم، قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْذُوبُونَ وَأَزْدُجِرَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْأَجْمَعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣).

وروي أن رسول الله ﷺ قال: «لما عرج بي إلى السماء السابعة، ومنها إلى سدرة المنتهى، ومنها إلى حجب النور ناداني ربي جل جلاله: يا محمد أنت عبدي وأنا ربك، فلي فاخضع وإياي فاعبد وعلي فتوكل وبني فتق، فإني قد رضيت بك عبداً وحبیباً ورسولاً ونبياً»^(٤) لتعلم أن

(١) ص: ٤١.

(٢) القمر: ٩.

(٣) الأنفال: ٤١.

(٤) أمالي الصدوق: ٧٣١.

..... أسماء الرسول المصطفى ﷺ

مقام العبد مقدم على مقام الخبيب والرسول والنبى، فلا يمكن معرفة كنهه ولا تحديد حدوده غير الإشارة إلى بعض علامته.

فالعبد هو المنصاع المقهور الذي له جلسة خاصة تدل على انتقاره، وله مآكل هيّن بكيفية مخصوصة تدل على هونه في نفسه، فهو يجلس على الخضيض كما ينام على الخضيض ويركب أهون المراكب، ويجلس أدنى المجلس.

مرت امرأة بذية برسول الله ﷺ وهو يأكل وهو جالس على الخضيض فقالت: يا محمد إنك لتأكل أكل العبد وتجلس جلوسه، فقال لها رسول الله ﷺ: «ويحك أي عبد أعبد مني»^(١).

٦٢٤ . عبد الأعلى

لما كانت الرياح بطبعها تتصعد إلى الأعلى وترتفع ببعض الأشياء كبخار الماء والصوت إلى أعالي السماء وفوق كل بناء وآثار، حتى الجبال الشاخنة، بل ترفع بعض الأشياء وتقذفها خارج الغلاف الجوي لتديم طريقها في الفضاء غير المتناهي.

ومهما بلغت من العلو والارتفاع وتسامت فعلوها زيف وباطل، ولا يقاس بعلو العلي الأعلى، فهو سبحانه الأعلى من كل تصور وفوق كل خيال ووهم وكل نعت ووصف، فأشادت بعلوه وصارت مظهراً لارتفاعه وأخذت تحاكي علوه وتسميه الأعلى؛ وبذلك صارت تسمى الرسول المصطفى ﷺ بـ «عبد الأعلى».

وأخيراً نذكر على أن هذا الاسم وأمثاله مما ينسب إلى غير المدركات إنما هو محاكاة صفات وبعض الإشارات إلى معانٍ غير قابلة للمدرك

(١) البحار: ١٦: ٢٢٥ ح ٣١.

والتصور، وكل ما تذكره من الوجوه فهو مجرد احتمالات لا تخرج عن رقعة المعقول غير المخالفة للأصول والقواعد الإسلامية.

وأصل ذلك أن ابن شهر آشوب لما ذكر أسماء النبي ﷺ ذكر أسماء التي يسميه بها أنواع المخلوقات فقال من جملتها: ويسميه المقربون عبد الواحد، والسفرة الأول، والبررة الآخر. والكروبيون الصادق، والروحانيون الطاهر، والأولياء القاسم، والرضوان الأكبر، والجنة عبد الملك، والخور عبد العطاء، وأهل الجنة عبد الريان، ومالك عبد المختار، وأهل الجحيم عبد النجاة، والزبانية عبد الرحيم، والجحيم عبد المتان، وعلى ساق العرش رسول الله، وعلى الكرسي نبي الله، وعلى طوبى صفي الله، وعلى لواء الحمد صفوة الله، وعلى باب الجنة خيرة الله، وعلى القمر قمر الأقمار، وعلى الشمس نور الأنوار، والشياطين عبد اهيبة، والجن عبد الحميد، والموقف الداعي، والميزان الصاحب، والحساب الداعي، والمقام محمود الخطيب، والكوثر الساقى، والعرش المفضل: والكرسي عبد الكريم، والقلم عبد الحق، وجبرئيل عبد الجبار، وميكائيل عبد انوهاب، وإسرافيل عبد الفتاح، وعزرائيل عبد التواب، والسحاب عبد السلام. والريح عبد الأعلى، والبرق عبد المنعم، والرعد عبد الوكيل، والأحجار عبد الجليل، والتراب عبد العزيز. والطيور عبد القادر، والسبع عبد العطاء، والجبل عبد الرفيع. والبحر عبد المؤمن، والحيتان عبد المهيمن: إلى آخره^(١).

ذكر كل ذلك وغيره ويبدو أنه يرويه؛ إذ يبعد استنتاج كل تلك الأسماء واستنباطها من القرآن والأخبار. مع صعوبة إيجاد الربط بين أركانها، أعني المسمى والمسمى وأجزاء الاسم.

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٢، البحار ١٦: ١٠٤.

وإنما أوردنا ذلك بكامله للاستغناء عن إيراده في العناوين اللاحقة، وذلك لإخلال تقطيعه بكيفية الاستفادة وتصديقها.

٦٢٥ . عبد التواب

ذكر ابن شهر آشوب أن الملك المكرم عزرائيل يسمي النبي المصطفى ﷺ بـ «عبد التواب»^(١)، وفي هذه التسمية عدة أقطاب، أولها: هو الله المتصف بصفة التواب التي تعني كثرة قبول التوبة على ما تقتضيه صيغة المبالغة، فهو سبحانه يتوب على عبده مهما كان الذنب ومهما عاد العبد في ذنبه ثم تاب إليه، قال تعالى: ﴿نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّبُ أَنَا الْغُفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٢).

وثانيها: هو الرسول المصطفى ﷺ الموسوم بأنه عبد التواب.

وثالثها: إضافة العبد إلى التواب، فهو ﷺ عبد من هذه الجهة، أي المنصاع والمطيع لله سبحانه من حيث هو تواب. بمعنى أنه يطيع جميع أوامره ويضام جميع مرامه سبحانه في التوبة على العباد والعفو عن المسيئين.

ورابعها: الملك عزرائيل الذي يسمي النبي بهذا الاسم، وهو ملك الموت الذي يقبض الأرواح وينزع النفوس.

وخامسها: التوبة التي هي العفو عن المسيء والتجاوز عن المخطئ بمعنى عدا إساءته وكأنها ليست إساءة.

والمهم في هذا العنوان هو إيجاد الربط بين هذه الأقطاب والسؤال عن سبب تسمية عزرائيل النبي ﷺ بهذا الاسم.

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٢، البحار ١٦: ١٠٤.

(٢) الحجر: ٤٩.

والذي يخطر ببالي في مقام الإجابة على ذلك، هو الالتفات إلى أن الملك عزرائيل هو قابض الأرواح، الذي يتجلى وجوده وفاعليته عند الموت وعند نزاع الروح، فإن أكثر ما يُقلق الإنسان ويؤذيه في هذا الحان هو ذنوبه وآثامه، عندما يجد نفسه في منحدر نحو لوازم تلك الذنوب من العذاب والسؤال والجواب، فلا يبقى أمامه في ذلك المنحدر مما يستمسك به سوى أن يعفو الله سبحانه وتعالى عنه ويتوب عليه ويقبل عذره.

فإذا كان عزرائيل يسمى النبي ﷺ بـ «عبد التواب» كما ذكره ابن شهر آشوب^(١)، فهو يعني أن النبي ﷺ يطيع أمر الله سبحانه في مجال التوبة والعفو عن المسيء، وأن توبة النبي ﷺ وعفوه عن المسيء واستغفاره للمذنب علامة على كثرة توبة الله سبحانه وسعة رحمته.

ومن المعلوم أن النبي ﷺ كان كثير العفو عن المسيئين، وأنه طالما كان يقبل عذر المعتذرين، فقد عفا عن كل من أساء إليه إلا ماندر مما كان يرتبط أصل الدين حتى أولئك الذين دبروا لقتله ليلة العقبة، كما عفا عن اليهودية التي سمته وتوفي متأثراً بذلك السم، وهو العافي عن أهل مكة بعد الفتح، وعن أولئك الذين حاربوه وأجلبوا عليه كأبي سفيان.

على أن عفوه وتوبته هو قبس من عفو الله سبحانه عن الخاطئين وتوبته على المسيئين، ودليل على سعة رحمته، فتكون تسميته بذلك مدعاة للأمن والاطمئنان حال السوق.

٦٢٦ . عبد الجبار

ذكر ابن شهر آشوب أن جبرئيل القليل يسمى النبي ﷺ، عبد الجبار^(٢).

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٢، البحار ١٦: ١٠٤.

(٢) المناقب ١: ١٣٢.

٦٢٧ . عبد الجليل

الجليل هو العظيم الكبير، والقديم الطويل العمر، ومعلوم أن الحجارة هي أطول الجمادات عمراً وأكثرها وجوداً وأعظمها حجماً، لأنها تشكّل معظم الأرض وجميع الكرات السماوية، ولكن إذا قيست إلى عظمة الله سبحانه، بطلت ولم تكن شيئاً يذكر.

فيلحظ هذه العظمة وتلك العظمة صارت الحجارة تنسب النبي ﷺ إلى ذلك العظيم وتسميه عبد الجليل على ما ذكره ابن شهر آشوب^(١)، وهو بمعنى المنصاع لله العظيم الجليل الذي يبطل عند عظمته وجلاله كل عظيم وكل جليل.

٦٢٨ . عبد الحق

لم يكتب القلم في اللوح المحفوظ عن النبي ﷺ وكل ما قدر له سوى العدل ولم يسطر عنه قبل خلقه وبعده إلا الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه.

ولأجل ذلك صار القلم يسمي الرسول المصطفى ﷺ بـ «عبد الحق» على ما نقلناه عن ابن شهر آشوب^(٢)، وهو يعني المنصاع المطيع لله الحق من جهة كونه تعالى هو الحق، أي أنه يطيع كل أوامره ومراداته التي هي حق وعدل، فكان عبد الحق.

٦٢٩ . عبد الحميد

خلقت الجن من النار، فكانت معروفة بالمشاكسة وسوء الخلق،

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٢، البحار ١٦: ١٠٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٢، البحار ١٦: ١٠٤.

وفقدانها لما يستدعي الحمد في وجودها، فهي تمجد الله سبحانه اتصافه بجميع ما يستدعي الحمد والثناء ويزيد عليه في جميع صفاته وأفعاله، بل إن الحمد كله لله سبحانه، فهو منشأ كل محمود وكل ما يحمد، وهو خالقه ومحسنه.

فيعود تسمية الجن النبي ﷺ بعبد الحميد - كما ذكره ابن شهر آشوب^(١) - إلى معنى الإطاعة والانصياع في جميع أوامر الله سبحانه التي تجلب الحمد وتستوجبه، ووجدانه لتلك المؤهلات بعد فقدان الجن لتلك الصفة وافتقارها إليها، مع الالتفات إلى وجود الصالح بينهم، وما صالح الجن كأرجاسها.

٦٢٠ . عبد الديان

الديان هو الذي يدين العباد ويجزيهم بأعمالهم، والقائم بتبليغ ما يدين الله العباد به هو النبي ﷺ، كما يقوم بتبشيرهم بالجنة والشواب العظيم، وتحذيرهم من العقاب الأليم وجامع الجزاء.

كل ذلك بأمره تعالى. ليكون عبد الله الديان المطاوع لجميع أوامره ومرامه التي تنشأ من الصفة المشار إليها.

ولما كان أهل الجنة هم الذين وصلوا إلى ذلك الشواب المبشر به وعرفوا دور الرسول ﷺ في حصولهم على الجزاء ودخول الجنة صاروا يسمونه عبد الديان كما ذكره ابن شهر آشوب^(٢).

٦٣١ . عبد الرحيم

تعينت وظيفة الملائكة المسمين بالزبانية وتحددت أعمالهم في أخذ

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٢، البحار ١٦: ١٠٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٢، البحار ١٦: ١٠٤.

المذنبين وسحبهم إلى النار، ولكنهم كلما أخذوا شخصاً إلى النار أدركته رحمة الله سبحانه وتعالى بذريعة من الذرائع ومن أجل عمل قد عمله في دنياه أو شفاعته شافع. أو حتى بعض الأذكار، فقد روي أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت رجلاً من أمتي قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فخلصه من بينهم، وجعلاه مع ملائكة الرحمة»^(١) وذكر ﷺ قبل هذا الكلام وبعده تخلص بقية الأعمال من الصدقة وعمل الخير والصوم والصلاة والحج وغيره الناس من العذاب.

وأما الأذكار، فقد روي أنه ﷺ قال: «من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، فإنها تسعة عشر حرفاً ليجمع الله كل حرف منها جنة من واحد منهم»^(٢).

وهكذا نزل الملائكة تلمس رحمة الله سبحانه وتعالى كلما أرادت أن تأخذ أحداً إلى النار فتدركه رحمة الله سبحانه وتستنقذه منها، وتبقى الملائكة متحيرة من عملها واجفة أمام سعة رحمته سبحانه وهي تلمس حقيقة تلك الرحمة، فلا يسعها أن تسمى الله سبحانه إلا بالرحيم، ويكون اسم الرسول ﷺ بضبيعة الحال هو عبد الرحيم خصوصاً مع ملاحظة انصباغه لأوامر الله سبحانه وإطاعته لها وكذلك مطاوعته لمرامه في ذلك وشفاعته بإذنه للمذنبين وتخليصهم من أيدي الزبانية. فهو ﷺ عبد الرحيم بزعم الزبانية كما ذكر ذلك ابن شهر آشوب^(٣).

٦٣٢ . عبد الرفيق

أول صفات الجبال هو ارتفاعها وشموخ شناخيتها حتى أن بعضها

(١) مشكاة الأنوار: ٤٨، مستدرك الوسائل ١٢: ١٨١ ح ١٣٨٢٤.

(٢) مستدرك الوسائل ٤: ٣٨٧ ح ٤٩٨٩.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ٣٢، البحار ١٦: ١٠٤.

يناضح السحاب وقد لا يبلغ الغمام النصف من ارتفاعه، فهو رفيع شامخ في كبد السماء، لا يرتقي إليه الطير، وينحدر عنه السيل.

غير أن الجبال مهما ارتفعت وشمخت فارتفاعها وشموخها باطل في عظمة الله سبحانه وارتفاع شأنه وعلو مجده وعظمته.

وإنما تعظم الجبال في نفوس الناس لتحكي قيساً من عظمة الله سبحانه وارتفاعه، فكأنها تسميه سبحانه بالرفيع.

ومن الطبيعي أنها تسمى العبد المطيع لله بعبد الرفيع، خصوصاً ذلك العبد المتمحض بالعبادة. الكامل الطاعة الذي لم يعص الله سبحانه ضرفة عين أبداً، ألا وهو الرسول المصطفى ﷺ كما ذكر ذلك ابن شهر آشوب^(١).

٦٢٣ . عبد العزيز

التراب يشهد للنبي ﷺ بأنه عبد العزيز، بملاحظة أنه العبد المتواضع أمام سيده غاية التواضع بحيث يعظمه أشد تعظيم ويمجده أكبر تمجيد. ولو لم يمجده كذلك لما عرفت عزته بحقها.

وإنما أخذ التراب يسميه بذلك الاسم - كما ذكره ابن شهر آشوب^(٢) - فلأن النبي طالما وضع جبهته على التراب وذرف عليه الدموع الساخنة، فتحسس التراب حرارتها واستلهم منها مدى عبوديته لربه ومدى تواضعه لإلهه المتصف بالعزة والجبروت، فسماه بذلك الاسم.

على أن وضع الجبهة على التراب يصب في ميدان امتثال أوامر الله سبحانه وتعالى المؤدية إلى العزة والهيبة، وهي التواضع أمام عظمة الله

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٢، البحار ١٦: ١٠٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٢، البحار ١٦: ١٠٤.

سبحانه وتعالى وامثال أوامره، فقد ورد: «من أراد عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فلينتقل من ذل معصية الله: إلى عز طاعته»^(١).

وقال النبي ﷺ: «إن التواضع يزيد صاحبه رفعة»^(٢).

٦٢٤ . عبد السلام

السحاب يسخره الله سبحانه وتعالى ويأمره بأمره، فيبتدر طاعته برحمة نافعة وبركة شاملة، تعم أكثر بقاع الأرض، لينتفع به الإنسان والحيوان وينتعمش به النبات والأشجار، فيأتي سليماً ويذهب سليماً من دون أن يوصل في سيره أذى، ولا يمطر مطر سوء إلا ما شذ وندر، فهو يتبع إرادة الله سبحانه وأوامره في إلقاء السلم ويحاكي صفة من صفاته، إذ أنه سبحانه السلام الذي يسلم عباده من ظلمه، ولا يعتدي على أهل مملكته.

ومن جراء ذلك صار السحاب يسمى الرسول المصطفى ﷺ بعبد السلام على ما حكاه ابن شهر آشوب^(٣)، بمعنى المطيع والمنصاع لأوامر الله سبحانه التي هي مقتضيات سلامه، والسلامة من كل مخافة ومضرة إلا ما لا يعتد به؛ لأنه يؤول إلى نفع في العاقبة.

٦٢٥ . عبد العطاء

حور العين عذراوات بيض مضمومات مخدرات في خيام الدر والياقوت والمرجان، وفي النهاية مخطوبات مزوجات، يتزوجهن المؤمنون

(١) الخصال: ١٦٩، عن الإمام الصادق عليه السلام، كفاية الأثر: ٢٢٨، أمالي الطوسي:

(٢) أمالي الشيخ المفيد: ٢٣٩، أمالي الشيخ الطوسي: ١٤.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٢، البحار ١٦: ١٠٤.

بمهور الإحسان والبذل والعطاء، بدلالة ما ورد من أن البخيل لا يدخل الجنة، وماله منهن نصيب.

ولما عرفت الحور أن أول من يدخل الجنة وأول من يوافقهن هو الرسول المصطفى ﷺ علمن أن النبي ﷺ هو المتمحضر في العطاء، أي أن كلامه عطاء، وإرشاده عطاء، وجهاده عطاء، وفعله العطاء حتى لم يبق على جسده قميص، فصارت تسميه - أي الحور العين - عبد العطاء كما ذكر ذلك ابن شهر آشوب^(١).

٦٣٦ . عبد الفتاح

إن إسرافيل الملك هو مصدر ما يفتح للناس وسائر الخلق من الخير والرحمة، فهو الذي صرف العذاب عن قوم يونس لما تابوا وعجوا إلى الله سبحانه وتعالى، وهو الذي أحيا أصحاب الكهف بأمر الله سبحانه، وكذلك أحيا جرجيس النبي، وسيكون إحياء الأموات للحشر على يديه، وهو الذي قرن برسول الله ﷺ حينما أتى له سبع وثلاثين سنة فكان يسمع الصوت ولا يرى شيئاً لمدة ثلاث سنوات، ثم قرن به جبرئيل^(٢).

وإذا حدث الرسول المصطفى ﷺ بحديث فهو يخبر عن جبرائيل عن ميكائيل عن إسرافيل الذي بين عينيه لوح، فإذا أراد الله سبحانه أن يتكلم بالوحي ضرب اللوح جبين إسرافيل^(٣)، فهو مصدر الوحي الأول

(١) مناقب آل أبي طالب ٥: ١٣٢، البحار ١٦: ١٠٤.

(٢) انظر البحار ١٤: ٣٩٧، ٤١٧، ٤٤٧. وإقبال الأعمال ٣: ٢٠٧، والاختصاص

للشيخ المفيد: ١٣٠.

(٣) الاعتقادات للشيخ المفيد: ٨١. وفي روايات أخرى أن إسرافيل يأخذ من اللوح

الذي هو ملك من الملائكة، انظر الاختصاص للشيخ المفيد أيضاً: ٤٥، وأمالي

٢٦ أسماء الرسول المصطفى ﷺ

والرسول ﷺ مصدر الوحي الآخر المنصاع لكل ما يوحى إليه مما يفتح به للناس من الرحمة، وهذا صار إسرافيل يسمي النبي ﷺ عبد الفتاح كما ذكر ذلك ابن شهر آشوب^(١).

٦٣٧ . عبد القادر

الطيور هي مظهر من مظاهر قدرة الله سبحانه وتعالى عندما تقدر على ما يعجز عنه سائر ذوي الإحساس، أعني الطيران والسير في الآفاق، فإن طيرانها وتحليقها في أعالي الجو يحكي عن قدرة الله سبحانه وتعالى الذي خلقها وسواها.

كما أنها بتحليقها وسرعة انتقالها تتطلع على عظمة الله سبحانه وبديع صنعه وعظيم قدرته أكثر مما عداها.

وبهذا صارت تسمى الله سبحانه وتعالى بالقادر، ويكون عندها اسم النبي ﷺ الذي يضع الله سبحانه وينصاع لجميع أوامره ونواهيه هو عبد القادر كما ذكره ابن شهر آشوب^(٢).

٦٣٨ . عبد الكريم

لنا كان النبي ﷺ هو الوسيلة لدخول الناس الجنة، كما كان الذريعة لقبول توبة الأنبياء. وذلك بالتوسل باسمه وأسماء أهل بيته وأيضاً هو الشفيع المشفع الذي بشفاعته يعفى عن المسيء ويرحم المخطئون الذين

الشيخ الطوسي: ٣٥٣ ح ٧٢٦، وعيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٤٦، وتوحيد الصدوق: ٢٦٤.

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٢، البحار ١٦: ١٠٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٢، البحار ١٦: ١٠٤.

خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

وبالنظر إلى أن أهل الجنة هم أكثر من يشاهد كرم الله سبحانه وتعالى وعظيم إحسانه الذي لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر، وكل ما تشتهي الأنفس وتلذذ الأعين وتظهر على وجوههم نضارة نعم الله آثار كرمه؛ فلا يجري على لسانهم من أسماء الله سبحانه سوى الكريم، ولا تظالغ في وجوههم سوى كرمه، فلا يسعهم أن يسمون الذريعة والوسيلة للوصول إلى تلك النعم الصافية - أي الرسول المصطفى ﷺ - سوى عبد الكريم، أي المنصاع والمطيع لأوامر الله سبحانه التي تنتهي بوصول تلك النعم إليهم، ذكر ذلك ابن شهر آشوب في عداد أسماء النبي ﷺ^(١).

٦٣٩ . عبد الله

ليست العبودية لله سبحانه وتعالى بالمعنى المفهوم المؤلف للعبودية إذا كان المؤلف في الأذهان منها هو التسخير والخدمة مع نوع من السخط والأنزجار والإحساس بالخفة والمهانة، وإنما العبودية لله تكون بمعنى الفناء المطلق الذي يكون أول محوض فيه هو دائرة الفكر والإدراك التي تستولي عليها عظمة الخالق حتى يراه العبد في كل جهة وكل طرف ومع كل شيء، فأينما يولي فثم وجه الله، ويظل يلحظ مرآتية الأشياء دون ذواتها، ويلحظ صانعها قبل حقيقتها.

ثم ينعكس هذا المعنى على جميع سلوكه وفعاله فتنقهر بأجمعها تحت ذلك الانبهار فلا يستطيع أن يرفع يده إلا إذا علم إرادة الله سبحانه لذلك، ولا يضع شيئاً ولا يأخذ ولا يعطي ولا يتعامل إلا بإشارته وملاحظة غبطته حتى ينسى معه كل ما سواه.

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٢، البحار ١٦: ١٠٤.

ولم يبلغ هذا المعنى سوى الرسول المصطفى ﷺ الذي غفل عما سواه حتى عبوديته فكان لا يعرفها حتى إذا عرج به إلى السماء السابعة ناداه جل جلاله: يا محمد أنت عبدي وأنا ربك^(١)، فلما نزل إلى الأرض ونزل عليه جبرئيل بمفاتيح خزائن الأرض قال: أكون نبياً عبداً^(٢)، وقال لامرأة قالت له: إنك تجلس جلسة العبد قال: ويحك وأي عبد أعبد مني وقد مرت هذه القصة مراراً^(٣).

ثم إن هذا الاسم هو أحد أسماء النبي ﷺ في القرآن وقد بينها أبو عبد الله ﷺ للكلي بعدما سأله وقال له: كم محمد اسم في القرآن؟ فقال: اسمان أو ثلاث، فقال: يا كلي عشرة أسماء: وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، ومباشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، ولما قام عبد الله كادوا يكونون عليه لبداً...^(٤).

٦٤٠ . عبد المؤمن

لو عدلنا عن معنى الأمن في خضم اسم المؤمن الذي هو من أسماء الله سبحانه، وصرنا إلى معنى الإيمان، وإرادة أن الله سبحانه قد آمن بنفسه قبل إيمان خلقه به وقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ...﴾^(٥) والمعنى أن الله سبحانه وتعالى بين خلقه توحيدَه وإهيته بما أقام لهم من الدلائل التي أهمها تجليته عند سقوط جميع المرتكزات وانعدام جميع

(١) أمالي الصدوق: ٣٧٥، البحار: ٢٣: ١٢٨.

(٢) انظر الكافي ٢: ١٢٢ ح ٥٥، وأمالي الصدوق: ٥٣٥.

(٣) حلية الأبرار ١: ٣٤٥.

(٤) بصائر الدرجات: ٥٣٢ ح ٢٦.

(٥) آل عمران: ١٨.

الوسائل والذرائع إذا ركب الإنسان البحر في يوم عاصف، فعندها يرى الله سبحانه دون من عداه ودعا الله مخلصاً له الدين وتحسس وجوهه ولمس قدرته.

والدليل الآخر هو وجود النبي ﷺ الذي يفوق ركوب الفلك في توليد الاعتقاد الخالص في أذهان أتباعه. وذلك بطرق متعددة معقدة داخلية في مجال الاستجابة لأوامر الله سبحانه وإرشاداته في مقام هداية الخلق.

وبذلك البيان يقرب من الذهن وجه تسمية البحر للنبي ﷺ بعد المؤمن على ما ذكره ابن شهر آشوب^(١).

٦٤١ . العيد المؤيد

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنُصْرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) وقد ظهرت ولاحت تأييداته وتوفيقاته للعيان، وقد عد ابن شهر آشوب هذه الصفة في عداد أسمائه ﷺ^(٣)

٦٤٢ . عبد المختار

المقرر هو ورود جميع الخلائق في النار ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾^(٤).

ويكون لملائكة العذاب وخصوصاً مالك خازن النار وظائف تتلخص في أخذ الكفرة الجاحدين وأنواع المذنبين والعاصين وفق ما تقرر من إدخال العاصي النار والمطيع الجنة. غير أن رحمة الله سبحانه وتعالى

(١) مناقب آل أبي طالب ١ : ١٣٢ ، البحار ١٦ : ١٠٤ .

(٢) الأنفال : ٦٢ .

(٣) مناقب آل أبي طالب ١ : ١٣٣ .

(٤) مريم : ٧١ .

تتدارك الكثير من المذنبين الخاطئين بشفاعة النبي ﷺ .

فكلما أراد مالك وأعوانه أن يأخذوا عبداً إلى النار أدركته رحمة وشفاعة فينجو على خلاف ما تقرر وخلاف ما أمروا به، ليستلهم مالك من ذلك أن الله سبحانه وتعالى لا يحكمه شيء تقرر، بل هو مختار تام الاختيار، ويجد أن الرسول المصطفى ﷺ هو المنفذ لأوامر الله سبحانه في مجال الشفاعة للمذنبين والخاطئين؛ وهو عبده في اختياره، بل هو عبد المختار كما يسميه مالك خازن النار برواية ابن شهر آشوب^(١).

٦٤٣ . عبد الملك

عندما يُمنح الرسول ﷺ أعلى غرف الجنة وأعظمها منزلاً، مع ملاحظة شدة تحركه وسعيه في تمشية أمور تلك المملكة العظيمة وتعيين مراتب الخلائق فيها ومنازلهم؛ كل ذلك بأمر من الله سبحانه وتعالى واستجابة لإرادته؛ فإن تلك المنزلة الرفيعة التي يحى بها النبي ﷺ وذلك السعي والطاعة يحكي عن مقام سام للنبي ﷺ تجتمع فيه العبودية والملك الذي لا نهاية له، أي أنه عبد الملك على الإطلاق الذي عبر عنه ابن شهر آشوب^(٢) بأن الجنة تسمى النبي ﷺ بعبد الملك.

٦٤٤ . عبد المنان

عندما تمتلئ الجحيم وتكتظ بالمعاندين والعاصين من الجنة والناس أجمعين ثم يتقرر خروج البعض اليسير بمن الله سبحانه وتعالى ثم يزداد عدد الخارجين ويتعاضم بشفاعة النبي ﷺ التي يملكها بإذن الله سبحانه، بل

(١) مناقب آل أبي طالب ١ : ١٣٢، البحار ١٦ : ١٠٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١ : ١٣٢، البحار ١٦ : ١٠٤.

أمره بالتجاوز عن المخطئين والامتنان عليهم بالعفو حتى تكاد تخلو الجحيم وتصبح موحشة من كثرة الخارجين منها فلا يفسر ذلك الحدث سوى من الله سبحانه وعفوه، ويكون توسط النبي ﷺ في لجاتهم الذي هو تنفيذ لأوامر الله سبحانه في تلك المرحلة وموافقة لإرادته. بل هو انصياع النبي ﷺ لمطالبه سبحانه النابعة من امتنانه ويكون آية تسميته بعيد المنان، وكان الجحيم هي التي تسميه بذلك الاسم كما ذكر ذلك ابن شهر آشوب^(١).

٦٤٥ . عيد المنعم

إن البرق والوميض الذي يخرج من السحاب المتراكم أو المتصادم وإن كان مخوفاً مهيباً، خصوصاً إذا أعقبه صوت الرعد المهول الذي يستحوذ على القلوب غير أنه بشارة بقرب نزول المطر الذي ينزوله يعم الخير ونغدى النعم على أهل ذلك الصقع، وذلك من الله المنعم على عباده في كل الأحوال ومهما كان اعتقادهم وعملهم.

فالبرق هو آية نعمة الله سبحانه ويحكي صفة من صفاته وهي صفة المنعم، وبالالتفات إلى ذلك يعدو من الطبيعي جداً تسمية الرسول المصطفى ﷺ العبد الحقيقي لله باسم عيد المنعم، وكان البرق هو الذي يسميه عيد المنعم على ما ذكره ابن شهر آشوب^(٢).

٦٤٦ . عيد المهيمن

المهيمن من أسماء الله سبحانه وتعالى بمعنى المؤمن الذي آمن غيره من الخوف، ويرجع أصل كلمة المهيمن إلى كلمة المؤيمن ثم قلبت الهمزة

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٢، البحار ١٦: ١٠٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٢، البحار ١٦: ١٠٤.

هأءاً. أو يكون معنى المهيمن بمعنى المؤمن أو الشاهد والقائم على خلقه على ما ذكروا من معانيها.

والمعروف أن الحيتان رغم كبر حجمها وعظم جشثها لا تتعرض لسائر الحيوان ولا تتغذى إلا على موجودات دقيقة جداً، فيأمن غيرها من الخوف منها وتكون مرآة تعكس هيمنة الله سبحانه رغم عظمته، أي أنه يأمن خلقه من ظلمه وجوره واعتدائه، بل يأمنوا من الخوف.

فكأن الحيتان بهذه الحكاية تسمى الله سبحانه بالمهيمن ويكون اسم الرسول المصطفى ﷺ الذي هو عبده عبد المهيمن كما ذكره ابن شهر آشوب^(١).

٦٤٧ . عبد النجاة

لما كان همّ الرسول ﷺ الأول هو استنقاذ الناس من عذاب النار وتخليصهم من لهب الجحيم اللافح صارت الشفاعة للمذنبين في رأس أعماله وأولى مهامه في الآخرة، حتى يعرف أهل الجحيم أنّ نجاتهم لا تتيسر إلا بواسطته.

وإنما صاروا ينظرون تمحض نجاتهم في وجوده وعلى يده بعدما رأوا تمحضه في الإنجاء، ولذلك يسميه أهل الجحيم عبد النجاة كما نقل ذلك ابن شهر آشوب^(٢)، وهو يعني أنه ﷺ لا يحركه شيء سوى قصد نجات المتورطين.

٦٤٨ . عبد الهيبة

فوجئت الشياطين عندما مُتعت من التصعد في السماء لاستراق

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٢، البحار ١٦: ١٠٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٢، البحار ١٦: ١٠٤.

الأخبار وسماع حديث الملائكة فأجأهم إلى الفحص عن أسباب ذلك المنع وعمّا حدث وتجدّد مما سبّب ذلك الخوف وكل ذلك التشديد وامتلاء السماء بالحرس والشهب لما حكى تعالى قولهم: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مَلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾^(١).

وبعد تفحص مضمّن وتجنّس دائب علموا أن السبب هو ولادة آخر الأنبياء واقتراب موعد الرّسالة الخاتمة.

فكانت ولادته ﷺ ملازمة لكل تلك التمهيدات والتشريفات مما زرع الهيبة والروع في قلوب الشياطين حتى رأت في النبي ﷺ أنه قد تمحّض في المهابة والعظمة، وصاروا يسمونه عبد الهيبة على ما ذكره ابن شهر آشوب^(٢).

٦٤٩ . عبد الواحد

التأليه هو النظر إلى الأعلى، والخلاتق ينظرون إلى متعدد قد يرون وحدانية الإله في ذروة الوجود وقد لا يرونها فهم مشركون حتى يصل الفرض إلى ساحة المقربين من الله سبحانه والذين لا يرون سوى الله ولا ينظرون تعدداً، ولا يشهدون إلا إلهاً واحداً متفرداً تغلب صفة وحدانيته عندهم على سائر صفاته فهم يسمونه الواحد كما ذكره ابن شهر آشوب^(٣).

ومن الطبيعي جداً أن يكون اسم النبي ﷺ عندهم هو عبد الواحد، على أنه أفضل الموحدين، ذاك الذي لا يدخل في إيمانه شرك وظلم مهما

(١) الجن: ٨.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٢، البحار ١٦: ١٠٤.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٢، البحار ١٦: ١٠٤.

خفي ودق، وما زال يعبد رباً واحداً فرداً في أرض تكاد تطبق على الشرك وهو لا تحركه سوى أوامر الله سبحانه وإرادته، ولا يطيع هوى ولا شيطاناً ولا سلطاناً ولا زوجة، فهو عبد الواحد حقاً.

٦٥٠ . عبد الوكيل

الوكيل في أسماء الله بمعنى الرازق الكافي، يخبر عن وصول رزقه وحلول بركته صوت الرعد ويحكي عن صفة الوكيل من أسماء الله سبحانه بمعنى الرازق والكافي فكانه يسميه الوكيل ويكون اسم النبي ﷺ عنده هو عبد الوكيل كما ذكر ذلك ابن شهر آشوب^(١).

٦٥١ . عبد الوهاب

المنقول المعروف أن الملك ميكائيل ينزل بالبشر دائماً والسرور والرخاء، فقد هبط إلى النبي ﷺ وقال له: يا محمد عش ملكاً متنعماً وهذه خزائن الأرض معك، وتسير معك جبالها ذهباً وفضة، ولا ينقص مما ادخر لك في الآخرة شيء، ولكن النبي ﷺ تواضع وقال: «أعيش نبياً عبداً أكل يوماً ولا أكل يومين، وألحق باخواني من الأنبياء»^(٢).

ومنه يعلم أن الملك ميكائيل هو الذي ينزل بالهبات الإلهية والعطاء والنعم، غير أن الملاحظ أن كلمة الهبة تغلب في القرآن في هبة الذرية قال تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثَاءً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾^(٤).

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٢، البحار ١٦: ١٠٤.

(٢) حلية الأبرار ١: ٢٤٥.

(٣) الشورى: ٤٩.

(٤) الأنعام: ٨٤.

فيأتي دور الملك المكرم ميكائيل في هبة الذرية عندما نزل على النبي ﷺ ومعه طبق من رطب الجنة فأكل منه النبي ﷺ وواقع النبي ﷺ خديجة فحملت بفاطمة عليها السلام^(١).

وهكذا له دور خاص في تولد سائر الذرية الظاهرة، لأن النبي ﷺ قال: «إن ميكائيل هو الموكل بأرحام أهل بيتي»^(٢) فهو الذي ينفخ فيها.

ومع علم ميكائيل بكثرة ذرية النبي ﷺ التي آتتها ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُؤُوسَ﴾^(٣) وأن الله سبحانه وتعالى سيهب للنبي ﷺ ذرية كثيرة كما هو مشهود اليوم، فهو يسمي الله سبحانه وتعالى: بالوهاب، ويختار هذه الصفة من صفاته، فيكون اسم النبي ﷺ عنده هو عبد الوهاب كما ذكر ذلك ابن شهر آشوب^(٤).

٦٥٢ . العدل

روي عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ أنه قال: «العدل هو محمد والإحسان هو علي»^(٥).

٦٥٣ . العربي

المروي أن الله سبحانه وتعالى نسب النبي ﷺ إلى العرب وسماه

(١) البحار ١٦ : ٧٩ .

(٢) الخرائج والجرائح ٢ : ٨٤٥ .

(٣) الكوثر : ١ .

(٤) مناقب آل أبي طالب ١ : ١٣٢ ، البحار ١٦ : ١٠٤ .

(٥) تفسير العياشي ٢ : ٢٦٧ ، والآية في سورة النحل : ٩٠ .

العربي^(١)، وكذلك جبرائيل^(٢) والأئمة من أهل البيت^(٣) وسطيح الكاهن^(٤)، والنبي نفسه ﷺ قد ينتسب إليهم في بعض المقامات.

هل جاء هذا الانتساب لتحديد القوم الذين يظهر منهم النبي ﷺ وتعيين موطنه فقط، أو هناك ميزة وفضيلة للعرب تفوق بها على سائر الأمم؟

لا يمكن الجزم بذلك والعرب كانت تند البنات، وتأكل بالسيف، وتقتل النفس، وهي تخضع لجهل مطبق وبدوية صرفة، بعيدة عن معالم الحضارة.

نعم جاءت الأخبار بوجود امتياز للعرب على الجوس بعد مقايسة بينهما من جهات عديدة^(٥)، غير أن وجود اخضارة الرومية واليونانية

(١) كان فيما وعظ الله تبارك وتعالى عيسى بن مريم عليه السلام أن قال له: يا عيسى أنا ربك ورب آبائك... ثم إنني أوصيك يا بن مريم البكر البتول بسيد المرسلين.. العربي الأمي. أمالي الصدوق: ٦١٢.

(٢) قال جبرئيل مخاطباً الله سبحانه وتعالى: إن آخر من بلغته رسالتك ووحيك وحكمتك وعلمك وكتابك وكلامك محمد بن عبد الله العربي. البحار: ٧: ٢٨١.

(٣) قال الصادق عليه السلام: إن الله لما بعث موسى بن عمران عليه السلام ثم من بعده الأنبياء إلى بني إسرائيل لم يكن فيهم قوم إلا أخذوا عليهم العهود والمواثيق ليؤمنن بمحمد العربي الأمي. معاني الأخبار: ١١، ١٢، البحار: ١٠: ١٥.

(٤) قال سطيح في رسالة إلى الزرقاء: ... وقد تعلمين ما أنذي يحل بنا من الدمار والهلاك من خروج النبي... العربي تحف العقول: ٤٩٩، تاريخ دمشق ٦١: ١١٧، البداية والنهاية ٣: ٢٠، سير أعلام النبلاء ١: ٢٤٥.

(٥) الاحتجاج ٢: ٢٣٧. قال ابن أبي العوجاء: فلخبرني عن الجوس كانوا أقرب إلى الصواب في دهرهم، أم العرب؟ قال الصادق عليه السلام: العرب في الجاهلية كانت

وأتباعهم لآخر الديانات السماوية في الجملة يصعب معه تفوق العرب على سائر الأمم.

ومهما يكن من ذلك فالمسلم هو وجود ثلاثة امتيازات للعرب قد تفوق جميع الامتيازات، أحدها: الكرم والضيافة والبذل والعطاء، فهذا مما يحبه الله سبحانه ولا يدخل صاحبه النار ولا يبخل الكريم على الكريم.

وثانيها: حفظ الأنساب ومعرفة القرابات ومساعدتهم والتودد إليهم، بصحبة الغيرة على النساء للمنع من اختلاط المياه وضياع الأنساب.

وثالثها: وهو الأهم توفر الأهلية في النفس العربية لقبول دعوة السماء والاستجابة لمطالب الوحي وقبول منطق القرآن الصائب، الذي لو أنزل على غيرهم ما قبلوه ولا استقبلوه.

أقرب إلى الدين الخيفي من الجوس وذلك أن الجوس كفرت بكل الأنبياء، ووجدت كتبهم، وأنكرت براهينهم، ولم تأخذ بشيء من سننهم، وآثارهم. وأن كيخسرو ملك الجوس في الدهر الأول قتل ثلاثمائة نبي، وكانت الجوس لا تغتسل من الجنابة، والعرب كانت تغتسل والاعتسال من خالص شرائع الخيفية، وكانت الجوس لا تحتتن، وهو من سنن الأنبياء، وأول من فعل ذلك إبراهيم خليل الله، وكانت الجوس لا تغسل موتاهم ولا تكفنها، وكانت العرب تفعل ذلك، وكانت الجوس ترمي الموتى في الصحاري والنواويس، والعرب تواربها في قبورها وتلحدها، وكذلك السنة على الرسل، إن أول من حفر له قبر آدم أبو البشر، وألحد له ألحد، وكانت الجوس تأتي الأمهات وتنكح البنات والأخوات، وحرمت ذلك العرب، وأنكرت الجوس بيت الله الحرام وسمته بيت الشيطان، والعرب كانت تحجه وتعظمه، وتقول: بيت ربنا، وتقرب بالتوراة والإنجيل، وتساأل أهل الكتب وتأخذ، وكانت العرب في كل الأسباب أقرب إلى الدين الخيفية من الجوس.

ومع هذا الوصف لا يُستبعد انتساب النبي ﷺ إلى العرب لامتيازهم وتفوقهم، فلا يكون مجرد تحديد موطن وتعيين أمة، كما يحتمل انتسابه ﷺ باعتبار ما سيؤون إليه أمر الأمة العربية من الجِدِّ وبنائها من العظمة والفخر بعد قبول الإسلام وانتشار المعارف وبسط السيطرة على مساحات من العالم.

٦٥٤ . العروة الوثقى

لو كانت عندك جرة مملوءة بالعقود الثمينة والجواهر الغالية تخاف عليها من الضياع، وفيها عرى قوية لا تنفصم ولا تنفصل، عاد التمسك بتلك العرى أو العروة أنجح سبيل للمحافظة عليها وعدم فقدانها وبالتالي الإستمتاع بها.

وإنما مثل الإسلام كمثل تلك الجرة، وجواهره هي أحكامه وعقوده هي اعتقاداته الصادقة ومطالبه الحقّة، فيعود السبيل الأفضل للحفاظ عليه هو الاستمسك بالنبي ﷺ وأهل بيته الطيّبين والأخذ بهديهم وإرشادهم وبيانهم في مجاز امتلاك الصفات الحسنة والاعتقادات الصادقة يتلوه التحفظ عليها من الضياع والالتئاذ بها ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

فهذا المعنى قد يفسر قول النبي ﷺ: «لحن العروة الوثقى»^(٢) حيث إن العروة كانت تستعمل في زمان النبي ﷺ في عروة الإناء والجرة وعرى الحامل، وإن كانت إرادة العروة التي يتمسك بها الساقط والمتمسك والمتعلق وفتح الباب محتملة، ولكن الغلبة للأولى.

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) تفسير فوات: ١١٠، ١١١. الخصال ٢: ٥١، ٥٢. البحار ١٦: ٣٧٦، وج ٢٦:

ويحتاج الكلام في وجه كونهم هم العروة الوثقى وكيف يكون التمسك بهم ومودتهم وتوليهم مما يوصل إلى تلك انكرامات غير المتناهية إلى فضاء أوسع من هذا الكتاب.

٦٥٥ . عريض الجبهة

تقدم في عنوان أوسع الناس جبهة وعنوان داني الجبهة وعنوان صلت الجبين بعض الكلام عن سعة جبهة النبي ﷺ وعريض جبهته فراجع، ويبقى الكلام فيمن وصف النبي ﷺ بتلك الصفة وبخصوص هذا اللفظ. يدلنا على ذلك ما رواه الصادق عليه السلام عن آبائه من «أن ملك الروم عرض على الحسن بن علي عليه السلام صور بعض الأنبياء، فعرض عليه صنماً يلوح، فلما نظر إليه بكى بكاءً شديداً، فقال له الملك ما يبكيك؟ فقال: هذه صفة جدي محمد ﷺ... عريض الجبهة»^(١).

٦٥٦ . عريض الصدر

من صفات النبي ﷺ التي تقدم الكلام عنها أنه بعيد ما بين المنكبين فهو يحكي عن سعة صدره وكذلك المفسر به عنوان سواء البطن والصدر المتقدم وهو داخل في تمامية خلقتة وكماها مما جاء في وصف الإمام الحسن عليه السلام النبي ﷺ لملك الروم المتقدم في العنوان المنار.

٦٥٧ . العزيز

ذكر ابن شهر آشوب أن أحد أسماء النبي ﷺ هو العزيز لقوله تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾^(٢).

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ٥٩٨، البحار: ١٦: ١٤٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ١، ١٣٠، تنويه: ١٢٨.

٦٥٨ . العزيز على الله

ورد في بعض زيارات النبي ﷺ : السلام عليك يا أبا القاسم ورحمة الله وبركاته أشهد أنك العزيز على الله...^(١).

٦٥٩ . عصبة ولد فاطمة

روي أن رسول الله ﷺ قال: «إن لكل بني آدم عصبة ينتمون إليها إلا ولد فاطمة، فأنا وليهم، وأنا عصبتهم»^(٢)، وفي مجمع الزوائد أنه قال: «كل بني آدم عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فأنا عصبتهم»^(٣).

٦٦٠ . عصمة الأرامل

لقول أبي طالب العتيق:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل^(٤)

أي يمنعهن من الحاجة والضياع، والأرامل جمع أرملة وهي المرأة التي مات زوجها وهي فقيرة محتاجة، وقد تقدم الكلام في ذلك تحت عنوان (أبو الأرامل).

ويذكر أن فاطمة العتيق لما حضرت الرسول الوفاء أكتبت تنظر في وجهه وتندبه وتبكي وتقول:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

(١) البحار ٩٧ : ١٧٥ .

(٢) المعجم الكبير للطبراني : ٣ : ٤٤ .

(٣) مجمع الزوائد ٦ : ٣٠١ .

(٤) الإرشاد ١ : ١٨٦ .

ففتح رسول الله ﷺ عينيه وقال بصوت ضئيل: «يا بنية هذا قول عمك أبي طالب»^(١).

٦٦١ . عظيم الخلق

ما زال الرسول المصطفى ﷺ يلقى الناس مبتسماً ويتركهم يبشر ويبدأ كل من لقيه بالسلام، فيأخذ يده يصافحه ولا يرسل يده ولا ينزع يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده، وبظل يفاوضه ويحادثه لا ينصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف، وينازعه الحديث حتى يكون هو الذي يسكت.

فيجده الملاقى ليناً هشاً بشاً سهلاً سمحاً، ولا يرى منه غلظة ولا يسمع منه صخباً ولا ما يؤلم على الإطلاق، ولا يسمع منه إلا ما يرضيه ويريجه، فيعذره إذا اعتذر، ويستغفر له إذا تعسف واستكبر، ويهون عليه إذا غضب، ويسمع له إذا تكلم فأطال الكلام، وهو يسمع من كل أحد ويقبل من كل أحد حتى قيل إنه أذن.

وإذا كان للقدام حاجة يهب لمساعدته حراً كان أو عبداً ولا يتركه حتى يقضيها له، وبظل يتلطف ويسعى في طريقه بكل من يمر به، ويسلم على الصبيان والنساء المسنة. وهو يمشي مشياً يعرف أنه ليس بمشي عاجز ولا بكسلان، وإذا مشى مع جماعة يمشي آخر الناس ومشى أصحابه أمامه.

حتى إذا دخل مجلساً لم يقوموا له لما يعرفون بكراهيته لذلك، فيجلس بين ظهراني الناس حيث ينتهي به المجلس. فيجئ الغريب فلا يدري أين هو حتى يسأل عنه، على أن جلوسه يكون كجلوس العبد وهو أن ينصب ساقيه ولا يجلس متكئاً، فيأخذ مع القوم في الحديث فإذا كان في

مَكْتَبَةُ الْجَوَاهِرِ الْعِلْمِيَّةِ
بُيُوتُ رِيسَالِ كِتَابَةِ الْمَدِينَةِ الْمَدِينَةِ

(١) الإرشاد: ١٨٦

ذكر الأخرة أخذ معهم، وإذا أخذوا في ذكر الدنيا أخذ معهم، وهو في هذا الحال أشد حياءً من العذراء في خدرها يرخي عينيه ينظر إلى الأرض ولا يثبت بصره في وجه أحد، ويعرف غضبه في وجهه باحمراره، وإذا سره أمر استنار وجهه كأنه دائرة القمر.

لا يزال يتفقد أصحابه، فإذا لم يجد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فإذا كان غائباً دعا له، وإن كان شاهداً زاره، وإن كان مريضاً عاده..

وإذا جلس إليه أحد وهو يصلي خفف صلاته وأقبل عليه وقال: ألك حاجة، فإذا كان سائلاً أعضاه وإن لم يكن عنده شيء اقترض له أرقال ابتاع علينا حتى قيل إنه ما سئل شيئاً فقال لا، ولا يسأل شيئاً إلا أعطاه حتى القميص عليه واللقمة في فمه، فهو أسخى الناس لا يثبت عنده دينار ولا درهم، فإن فضل عنده شيء ولم يجد من يعطيه ويحبه الليل لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه، ولا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من يسير ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله ثم يعود إلى قوت عامه فيؤثر منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأتته شيء، فكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع، ومات ودرعه مرهونة.

والعجيب في كل ذلك تواضعه مع توفير جميع دواعي الاعتزاز والرفعة فيه حيث كان ملكاً قوياً املك وعالمياً لا أعلم منه وقادراً لا أقدر منه، تُعينه الملائكة ويسير الرعب أمامه شهراً وهو أوسط الناس نسباً وأوفرهم حسباً وأسخاهم وأشجعهم وأزكاهم وأفصحهم لكنه مع ذلك كان أشد الناس تواضعاً يخفف النعل بيده ويركب الحمار مؤكفاً ويعلف الناصح ويحلب العنز ويطحن مع الخادم إذا أعيأ ويجلس على الأرض ويأكل على الحضيض وينام على التراب ويجالس الفقراء ويؤاكل المساكين ويناولهم بيده، ما شتم خادماً بشتمه ولا لعنه بلعنة، بل إذا لام الآخرون

أحدًا قال دعوه، وجاءه رجل يكلمه فارعد، فقال: هوّن عليك، فلست بملك إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القد^(١).

وفي داخل الدار يحيط ثوبه بيده ويخصف نعله ويبتسم ويضحك مع أهله، فإذا دخل عليه داخل أكرمه وآثره بالوسادة التي تحته وربما بسط ثوبه تحته، كل ذلك في الأحوال الاعتيادية والظروف الطبيعية.

ولكن إذا داهم المدينة عدو أو حصل خطر تجده أول الناس خروجاً إليه وآخرهم رجوعاً عنه، حتى إذا خرج في قتال أو سفر يمشي أخريات الناس يزجي الضعيف ويردف المنكسر به، حتى إذا واجه العدو كان أقربهم إليه، بل الشجاع من اقترب منه. فلم يفر أبداً، صمد في معركة أحد عندما هرب المسلمون وبعث ناقته صوب العدو لما فر جميع المسلمين في معركة حنين.

لم تكن حربته إلا لله، وما انتصر لنفسه من مظلمة حتى تنتهك محارم الله فيكون حينئذٍ غضبه لله تبارك وتعالى، ومع ذلك لا يبدأ عدواً بقتال، ويحاول جهد الإمكان دفع ذلك بالدعوة إلى الصلح ونبذ القتال.

ودليل ذلك أنه كان يعفو عمن أساء إليه وحاربه وأراد شخصه كاليهودية التي سمته وتوفي متأثراً بذلك انسم؛ فإنه عفا عنها لما اعتذرت، وعفا عن أولئك الذين دبسوا لقتله من المنافقين ليلة العقبة وكذلك غيرهم مما لا يحصى.

هذه قطرة من مكارم أخلاقه ﷺ مما يندل على أنه كان عظيم الخلق كما وصفه ابن شهر آشوب^(٢).

(١) مكارم الأخلاق: ١٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٦، البحار ١٦: ١٨١.

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنْتَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾^(١).

٦٦٢ . عظيم الهامة

روي عن الحسن بن علي التميمي أنه سأل خاله هند بن أبي هالة عن صفة رسول الله ﷺ فقال كان رسول الله ﷺ فحماً مفخماً يتلألاً وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربع وأقصر من المشذب، عظيم الهامة رجل الشعر^(٢).

وروي عن علي بن أبي طالب التميمي أنه كان إذا وصف النبي ﷺ قال: كان عظيم الهامة رجل الشعر^(٣).

والمعلوم أن الهامة هي الرأس، فيكون رأسه ﷺ كبيراً متناسباً مع بدنه التام الخلقة، وقيل: كان عظيماً معظماً في الصدور، ولم تكن خلقتة في جسمه الضخامة وكثرة اللحم^(٤).

٦٦٣ . العقبة

روي عن الصادقين عليهما السلام: في قول الله عز وجل: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾^(٥)، أي النبي ﷺ والأئمة.

(١) انقلم: ٤.

(٢) عيون أخبار الرضا ﷺ: ١٧٦، معاني الأخبار: ٨٠، مكارم الأخلاق: ١١، البحار: ١٦: ١٤٩.

(٣) صحيح ابن حبان: ١٤: ٢١٦.

(٤) نقله في معاني الأخبار: ٨٠ عن أبي هلال العسكري.

(٥) شواهد التنزيل: ٢: ٤٣١، والآية في سورة البلد: ١٦.

٦٦٤ . العقل الأول

قال الحكماء: أول ما صدر عن الواجب تعالى جوهر مجرد أي غير جسماني ولا متعلق بجسم وهو مدرك عاقل وسموه العقل الأول، أما عقلاً فلكونه مدركاً أما كونه أول فلأنه أول موجود صدر عن الواجب، ثم إن بعض العلماء كصدر المتألمين والعلامة المجلسي (رحمهما الله) حملوا العقل الأول على نور خاتم الأنبياء ﷺ^(١)، وأخذوا يسمون النبي ﷺ بالعقل الأول.

ويؤيد ذلك ما ورد في الأخبار أن أول ما خلق الله العقل^(٢) إذا ضممنه إلى ما ورد من أن النبي هو أول مخلوق^(٣) كما مر.

٦٦٥ . عقيقي الشفتين

ذكر أبو الحسن البكري أن ورقة بن نوفل قال لخديجة: يا خديجة ألا أعلمك بحديث غريب وأمر عجيب؟ قالت: وما هو يا عم؟ قال: عندي كتاب من عهد عيسى عليه السلام فيه طلاس وعزائم أعزم بها على ماء وتأخذينه وتغسلين به، ثم أكتب كتاباً فيه كلمات من الزبور وكلمات من الانجيل، فتضعينه تحت رأسك عند النوم وأنت على فراشك ملتفة بشياك؛ فإن الذي يكون زوجك يأتيك في منامك حتى تعرفيه باسمه وكنيته، فقالت افعل يا عم، قال: حياً وكرامة، وكتب الكتاب وأعطاهما إياه، وفعلت ما أمرها به ونامت، فرأت كأن قد جاء إليها رجل لا بالطويل الشاهق ولا بالقصير اللازق، أدعج العينين، أزج الحاجبين، أحور المقلتين، عقيقي

(١) انظر شرح أصول الكافي ٤: ٢٢٧.

(٢) عوالي الثاني ٤: ٩٨ ح ١٤١، وقال في حديث آخر أنه ﷺ قال: أول ما خلق الله

نوري.

(٣) الكافي ١: ٤٤٢ ح ١٠.

الشفيتين، مورد الخدين، أزهر اللون و...

فذكرت من صفات خلقتة ما هو موجود في باقي الأخبار الواصفة للنبي ﷺ والزيادة الوحيدة هي قولها عقيقي الشفتين، والمراد أن لون شفتيه كلون العقيق، وقد يوضح السبب في هذه الزيادة من خديجة هو ما جاء في آخر الخبر المار من أنها لما رأته خديجة ضمته إلى صدرها، وأجلسته في حجرها^(١).

٦٦٦ . على رأسه عمامة

قال سطح الكاهن يصف النبي ﷺ : بين كتفيه علامة على رأسه عمامة^(٢).

٦٦٧ . علم الإحسان

ورد في بعض زيارات النبي ﷺ القول: السلام عليك يا منهج دين الإسلام والإيمان وصاحب القبلة والفرقان وعلم الصدق والحق والإحسان^(٣).

والظاهر أن المراد بالعلمية في هذا العنوان هو الارتفاع والظهور اللتان هما صفتان مشخصتان نلعلم، بيد أن إحسان الرسول ﷺ لا يقاس به إحسان آخر من جميع البشر كماً وكيفاً وشمولاً وتشعباً واستمراراً ودواماً، بل كلما تقدم الزمان يلتمس المسلمون وغير المسلمين الآثار والبركة والفضل والإحسان الذي صنعه النبي ﷺ للبشرية جمعاء.

(١) البحار ١٦ : ٢٣ .

(٢) البحار ١٥ : ٣٠٧ .

(٣) البحار ٩٧ : ١٧٥ .

٦٦٨ . علم الأتقياء

ورد في بعض زيارات النبي ﷺ: السلام عليك يا صفوة الأنبياء وعلم الأتقياء ومشهور الذكر في الأرض والسمااء^(١). والمقصود أنه ﷺ العلامة التي عُرف بها الأتقياء، حيث إن الأتقياء يعرفون بمتابعتهم له ومشيهم خلفه وسيرهم على خطاه، كما يُعرف أتباع كل راية وعلم مرفوع بالسير خلفها ومتابعتها، وإلا كيف تمكن معرفة الأتقياء إذا لم يعلمنا الرسول ما هو الخير والصلاح وما هو الشر والباطل، ولولا مضيئه في طريق السعادة لم يعرف طريقها.

٦٦٩ . علم الحق

ورد في بعض زيارات النبي ﷺ القول: السلام عليك يا منوح دين الإسلام والإيمان وصاحب القسبة والفرقان وعلم الصدق والحق والإحسان^(٢).

ولا شك أن الحق ليس واضحاً في أغلب الأحيان وتحتاج معرفته إلى دليل وبرهان وبيان من جانب الحق المطلق وإلا فالأغلب يعتقد أن أغلب ما بفعله هو حق حتى من يئد البينات فإنك إذا كلمته في ذلك جاءك بألف دليل وبرهان.

وبذلك كان الرسول المبعوث من قبل الله في حقيقته هو علم الحق الذي يعرف الحق من فعالة وأقواله ويكون جميع ذلك علامة على الحق خصوصاً وأنه لا ينطق عن أهوى وكل ما يقوئه بوحى من الله الحق وكل ما يفعله بأمر منه.

(١) البحار ٩٧ : ١٧٥ .

(٢) البحار ٩٧ : ١٧٥ .

٦٧٠ . العلم الزاهر

كلمة العَلْم تحاكي معنى الارتفاع والسمو والسيادة، لأنها تطلق على الراية والجبل وسيد القوم وما يتميز به الشيء، بينما كلمة الزاهر تعني المنير والوضاء مما يحاكي معنى الظهور والبروز.

فهذا الوصف للنبي ﷺ يعني اجتماع الارتفاع في وجود النبي ﷺ . ولا شك ولا شبهة أنه ﷺ عَلم هذه الأمة الذي ارتفع وتميزت به، وهو المنير الوضاء الذي لم يخفَ على أحد في العالم، ولا أضن أن أحداً يجهله ﷺ ولا يعرفه.

وإذا أراد أحد أن يجد الرسول ﷺ ببعض صفاته فلا شك أن هذه الصفة ستبادر إلى ذهنه، ولذا جاء في زيارته والتسليم عليه: السلام على الطهر الطاهر: السلام على العلم الزاهر، السلام على المنصور المؤيد، السلام على أبي القاسم محمد ورحمة الله وبركاته^(١).

٦٧١ . عَلم الساعة

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الله جعل محمداً عَلماً للساعة، ومبشراً بالجنة، ومنذراً بالعقوبة»^(٢).

العَلم بالتحريك العلامة، يعني أن بعثته دليل على قرب الساعة حيث لا نبي بعده، وأمانة على متاخة زمانه لزمانها وقربه من حلولها، تلك الساعة التي وعد بها الخلائق مما لا ريب فيها، وإنما ينتظر بأول ميت موت آخر إنسان: لينقضي دور البشر على الأرض ويبعث الجميع من قبورهم للحساب يوم القيامة، وهي الساعة التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وليس

(١) المزار للمشهدي: ٢٠٦، إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس ٣: ١٣٠.

(٢) نهج البلاغة ١: ٣١١، ٣١٥، البحار ١٦: ٢٨٥، مستدرک الوسائل ٢١: ٥٥.

علم الغيب سوى العلم بالساعة ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾^(١) وقال علي عليه السلام: «وإنما علم الغيب علم الساعة»^(٢).

والنتيجة أن بعثة النبي صلى الله عليه وآله أسفرت عن وجه الساعة، وأظهرت العلامة لتوسمها.

٦٧٢ . علم الصدق

الدعاوي كثيرة والاعتقادات مختلفة ومتشعبة والنظريات متضاربة للغاية ولا تكاد تحصى مخاريق كل أمة وزوائف معتقداتها وليس هنالك ما يميز الصائب منها من غير الصائب ولا المطابق للواقع من غير المطابق وليس هناك علامة على الصدق والصحة سوى المبعوث من جانب الحق المعصوم من الخطأ والغفلة والاشتباه المتمثل بوجود النبي المبارك.

فنحن نعرض كل ما سمعناه وشاهدناه عنى أقوائه وأفعاله فما طابقتها كان صائباً وما خالفها كان زائفاً لأنه علم الصدق وعلامته كما جاء في بعض زياراته صلى الله عليه وآله المأثورة فإن فيها: السلام عليك يا منهج دين الإسلام والإيمان وصاحب القبلة والفرقان وعلم الصدق والحق والإحسان^(٣).

ولم تغفل عن ارتفاع ميزان صدقه وأمانته وصدق لهجته ووضوح كل ذلك في الجاهلية عندما كان يسمى بالصادق الأمين، وفي الإسلام عندما عرف بأنه أصدق الناس لهجة كما مر.

٦٧٣ . العينان

هنالك حقائق خطيرة ومشاهد ضرورية للغاية تُعتبر مصيرية بالنسبة

(١) لقمان: ٣٤.

(٢) نهج البلاغة ٢: ١٠.

(٣) البحار ٩٧: ١٧٥.

للإنسان لأنها تفصل بين السعادة والشقاء، منها النظر إلى حقيقة الدنيا وخستها، وحقيقة الرسول والرسالة وحقيقة الإنسان وارتباطه بحالقه، إنما شاهده النبي ﷺ بتوفيق من الله سبحانه وتزويده بوسائل المشاهدة التي منها تامة العقل وشدة الفطنة والبصيرة والحكمة، وآخرها الإسراء به إلى السماء ليرى الآيات الكبرى، غير أن إيصال تلك الحقائق والتعبير عنها في وسط ينفذ غبار جاهلية والثنية عسير جداً، ولذا صار المعبر عنها أمير المؤمنين بعد اجتياز مسافة في حريم الإسلام لتمر بالحسين ﷺ لأنهما أول من استلهم وساعد في التعبير عن تلك الحقائق عملاً وقولاً لتنتقل إلى بعض العقول الجالغة التي لم يسوسها الشرك والغطوسة العربية من أرباب العقائد الصادقة بين أوساط الشيعة الإمامية.

ليكون الرسول المصطفى ﷺ كالعينين لهم شاهد ما شاهد ونقل ما شاهد لعلي ﷺ الذي عبر عنه بفعله وقوله لتتمه الشفتان أعني الحسين.

ذكر ذلك أبو جعفر ﷺ على ما يروى في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ *وَكِسَانًا وَشَفَتَيْنِ*^(١) قال: «العينان رسول الله ﷺ واللسان أمير المؤمنين ﷺ، والشفتان الحسن والحسين ﷺ»^(٢).

٦٧٤ . عين الله في عباده

إذا كان جميع أعمال الإنسان خالصة وفي سبيل الله تعالى، وكذا جميع ما يفكر فيه وجميع ما ينظر إليه ويتكلم فيه فهو موجود رباني يكون لسانه لسان الله؛ لأنه يعبر عما أراد الله، وعينه عين الله سبحانه؛ لأنه ينظر ما

(١) البلد: ٩٨.

(٢) كنز الفوائد: ٣٣٨، البحار: ٣٤ : ٢٨٠، وانظر تفسير علي بن إبراهيم: ٢.

أراد الله سبحانه.

وما زال الرسول المصطفى ﷺ يرقب أعمال العباد، وينظر تحركاتهم؛ ليرشد الضال ويهديه السبيل أو يردعه حسب ما أراد الله، ويشوق المهتدي ويعظمه أو يثيبه كما أراد الله سبحانه وتعالى.

فهو ينظر ما أراد الله أن ينظر إليه؛ لأن الله سبحانه إذا أراد أن ينظر إلى عباده فهو ينظر أعمالهم وإحسانهم وإساءتهم ليثيب المحسن ويشوقه ويعاقب المسيء، ويرشده، والنتيجة أن الرسول ﷺ هو وجه الله في عباده وعينه في عباده ترعى الخلائق أجمعين.

فقد روي أن أبا عبد الله عليه السلام سئل عن قول الله عز وجل ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ قال: «دينه، وكان رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام دين الله ووجهه وعينه في عباده»^(١).

(١) التوحيد: ١٤٠، ١٤١، البحار: ٧: ٧.

حرف الغين

الأسماء المصدرة بحرف الفين

٦٧٥ . الغائص

قال علي بن الحسين عليه السلام: «اللهم صلِّ على آدم بديع فطرتك، ويكر حجتك... وصل على ابنه الخالص من صفوتك والفاحص عن معرفتك والغائص المأمون على مكنون سريرتك»^(١). يعني الغائص في لغة بحر أحذية الله سبحانه وتعالى وظمضام يسم وحدانيته ليستخرج لثالي شريعته المتمثلة بأحكامه وحكمه وبراهينه.

٦٧٦ . الغالب

يروى أن الله سبحانه وتعالى خاطب موسى عليه السلام في النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا موسى إنه أُمِّي، فمُرْ ظَلَمَةَ بني إسرائيل أن لا يدرسوا اسمه. ولا يخذلوه، وإنهم لفاعلون، وحبه لي حسنة فأنا معه، وأنا من حزبه، وهو من حزبي، وحزبهم الغالبون، فتمت كسلماتي لأظهرن دينه على الأديان كلها، ولأعبدن بكل مكان^(٢).

أراد بالمعية في قوله أنا معه هي المعية المعنوية الروحانية، فهو معه ولكن ليس معية مكانية أو زمانية، وهو سبحانه وتعالى من حزبه في الإعانة والنصرة، وهو صلى الله عليه وآله من حزب الله سبحانه في النصرة لدينه

(١) الصحيفة السجادية (أبوظبي): ٥٢٨.

(٢) الكافي ٨: ٤٣.

والطاعة لأمره، وحزبهم الغالبون على الأعداء بالخجة والنصرة، أي حزب محمد ﷺ.

فتتلخص غلبته بعدم وصول أعدائه إليه مع الظفر بهم وهلاكهم على يديه، وظهور دينه ودعوته على سائر الأديان، قال تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(١)، وبذلك كان هو الغالب، ولكن استدل ابن شهر آشوب على تسمية النبي ﷺ بالغالب بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٢).

٦٧٧ . غَايَةُ الْغَايَةِ

ذكر المجلسي أنه جاء في التوراة: ومن إسماعيل أسمعك أني باركت إياه وأوفرت إياه وأكثرته إياه في غايَةِ الغايَةِ اثني عشر رؤساء يولدون، ووهبته قوماً عظيماً.

ثم قال: المراد بغايَةِ الغايَةِ هو النبي ﷺ لأنه في غايَةِ الغايَةِ من الكمال^(٣).

٦٧٨ . الْغَيْثُ

يهطل الغيث في الصحاري الجرداء المنهوكة عطشاً لتتنفس الصعداء وتشير أريجاً وتفوح عبيراً ساحراً مهيجاً، وتغمر البذور المتناثرة فتخضر

(١) التوبة: ٣٣ الصف: ٣.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ١: ١٣٠، وعنه في البحار: ١٦: ١٠٢، والآية في سورة الصافات: ١٧٣.

(٣) البحار: ٣٦: ٢١٤.

الأرض مكللة بالزهور الزاهية وتعود صالحة نافعة يعم نفعها الشاء
ووحوش الأرض وطيور السماء. ويهطل في البساتين العامرة ليزيدها
نضارة وروعة وتثمر ثماراً يانعة يستفيد منها العموم.

يرشدنا كل ذلك إلى اتصاف الغيث بصفتين أساسيتين هما النفع
وعمومه مما هو مشهود في صفات الرسول المصطفى ﷺ. فهو الغيث الذي
نفع وعم نفعه لما بعث في الجزيرة الجرداء الخالية من العلم والآداب،
فاعشوشبت وتريعت وثبت العلم في قلوب أهلها، ووصلت علوم النبي ﷺ
إلى شرق الأرض وغربها من البقاع العامرة بالعلم فزادتها عمراناً وروعة
أخرى.

ويتلو تينك الصفتان مجيء الغيث بعد القنوط في أكثر الموارد،
كذلك الرسول ﷺ جاء بعد القنوط عندما كاد الشرك والجهل يطبق ويعم
كل صقع.

ولا يبعد عن ساحة الاحتمال إرادة أنه ﷺ سبب الغيث لما كانت
قريش تستسقي بغرته حتى قال عمه أبو طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ومن أجل ذلك وأمثاله جعل ابن شهر آشوب أحد أسماء النبي ﷺ
هو الغيث^(١) عندما عدد أسماءه ﷺ، وكذا من الصلوات الواردة عليه:
اللهم صل على السراج الوهاج والغيث الشجاع المكرم ليلة المعراج
الداعي إلى أفضل شرع ومنهاج...^(٢).

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣١.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ٢٦٧.

٦٧٩ . الغيور

تطلق كلمة الغيور على كل من له حمية وأنفة بحيث يتغير قلبه وتهيج حفيظته بسبب هتك الحرم ولكن الرسول المصطفى ﷺ يصف نفسه بأنه غيور بمرتبة عالية حينما يقول: «كان إبراهيم الخليل غيوراً وأنا غيور وجدع الله أنف من لا يغار»^(١) فقد جعل نفسه بمثابة النبي إبراهيم الخليل وقصته في الغيرة معروفة عندما تحمل بماشيته وماله وعمل تابوتاً وجعل فيه سارة وشدَّ عليها الأغلاق غيرة منه عليها ومضى حتى خرج من سلطان ثرود وصار إلى سلطان رجل من القبط يقال له: عرارة فمر بعاشر^(٢) له، فاعترضه العاشر ليعشر ما معه، فلما انتهى إلى العاشر وسعه التابوت، قال العاشر لإبراهيم الخليل: افتح هذا التابوت حتى نعشر ما فيه، فقال إبراهيم الخليل: قل ما شئت فيه من ذهب أو فضة حتى نعطي عشره ولا نفتح. قال: فأبى العاشر إلا فتحه، فغضب إبراهيم على فتحه، فلما بدت له سارة وكانت موصوفة بالحسن والجَمال قال له العاشر: ما هذه المرأة منك؟ قال إبراهيم الخليل: هي حرمتي وابنة خالتي، فقال له العاشر: فما دعاك إلى أن خبيتها في هذا التابوت؟ فقال إبراهيم الخليل: الغيرة عليها أن يراها أحد، فقال العاشر: لست أدعك تبرح حتى أعلم الملك حالها وحالك، فبعث رسولاً إلى الملك فأعلمه، فبعث الملك رسولاً من قبله ليأتوه بالتابوت، فأتوا ليذهبوا به فقال إبراهيم الخليل: إني لست أفارق التابوت حتى تفارق روحي جسدي، فاخبروا الملك بذلك فأرسل الملك أن يحملوه والتابوت معه، فحملوا إبراهيم الخليل والتابوت وجميع ما كان معه حتى أدخل على الملك فقال له الملك: افتح التابوت، فقال إبراهيم الخليل: أيها الملك إن فيه حرمتي وابنة خالتي وأنا مفتد فتحه بجميع ما معي،

(١) اخسان ١: ١١٥.

(٢) العاشر: الذي يأخذ ضريبة العشر.

فغضب الملك وأجبر إبراهيم عليه السلام على فتحه، فلما رأى سارة لم يملك حلمه سقفه أن مد يده إليها، فأعرض إبراهيم عليه السلام بوجهه عنها وعنه غيرة منه، وقال: اللهم احبس يده عن حرمتي وابنة خالتي، فلم تصل يده إليها ولم ترجع إليه.

فقال له الملك: إن إهلك الذي فعل بي هذا؟ فقال له: نعم إن الهي غيور يكره الحرام وهو الذي حال بينك وبين ما أردت من الحرام. فقال له الملك: فادع إهلك يرد عليّ يدي فإن أجابك فلم أعرض لها، فقال إبراهيم عليه السلام: إلهي رد عليه يده ليكف عن حرمتي، فرد الله عز وجل عليه يده، فأقبل الملك نحوها ببصره ثم أعاد يده نحوها، فأعرض إبراهيم عليه السلام عنه بوجهه غيرة منه وقال: اللهم احبس يده عنها. فبيست يده ولم تصل إليها، فقال الملك لإبراهيم عليه السلام: إن إهلك لغيور وإنك لغيور فادع إهلك يرد عليّ يدي فإنه إن فعل لم أعد، فقال له إبراهيم عليه السلام أسأله ذلك على أنك إن عدت لم تسألني أن أسأله، فقال الملك: نعم. فقال إبراهيم عليه السلام اللهم إن كان صادقاً فرد عليه يده، فرجعت إليه يده. فلما رأى ذلك الملك من الغيرة ما رأى ورأى الآية في يده عظم إبراهيم عليه السلام وهابه وأكرمه واتقاه، وقال له: قد أمنت من أن أعرض لها أو نشيء مما معك، فانصت حيث شئت، ولكن لي إليك حاجة، فقال إبراهيم عليه السلام ما هي؟ فقال له: أحب أن تأذن لي أن أخدمها قبطية عندي جميلة عاقلة تكون لها خادماً، فأذن له إبراهيم عليه السلام فدعا بها فوهبها لسارة وهي هاجر أم اسماعيل عليه السلام ^(١).

وهنا ينبغي الالتفات إلى أن الغيرة لا تمتد إلى المباح، إذ لم تمنع إبراهيم من الزواج بهاجر ولا ينبغي التماذي فيها بحيث تبلغ الحرام حينما قال سعد بن عبادة: يارسول الله صلى الله عليه وسلم لو وجدت مع أهلي رجلاً لم أمسه

حتى آتي بأربعة شهداء؟ قال رسول الله: نعم قال: كلا والذي بعثك بالحق إن كنت لأعجله بالسيف قبل ذلك، قال رسول الله ﷺ: «اسمعوا إلى ما يقول سيدكم إنه لغيور، وأنا أغير منه والله أغير مني»^(١).

بل إن الغيرة في غير محلها تعطي نتائج معكوسة، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إياك والتغاير في غير موضع الغيرة فإن ذلك يدعو الصحيحة منهن إلى السقم، ولكن احكم أمرهن فإن رأيت عيباً فعجل النكير على الصغير والكبير، فإن تعينت منهن إلى ريب فيعظم الذنب ويهون العتب»^(٢).

(١) الطرائف لابن طاووس: ٢٢٢ ح ٣٢٤.

(٢) الكافي ٥: ٥٣٧.

حرف الفاء

الأسماء المصدرة بحرف الفاء

٦٨٠ . فئة المسلمين

يحرم الفرار من الزحف وتولية العدو الأدبار في ميادين القتال إلا من كان متحيزاً إلى فئة، ليست أي فئة وإنما الفئة التي في ميدان القتال يجوز التحيز إليها دون غيرها، غير أن هناك فئة لا يختلف فيها الحال ويصح التحيز إليها على الدوام وفي كل الأحوال وهي رسول الله ﷺ فقد ورد في بعض الأخبار عن بعض الصحابة قال: كنا في جيش بعثنا رسول الله ﷺ فحاص الناس حيصة فانهزمنا وكنا نفرأ، فقلنا: نهرب في الأرض ولا نأتي رسول الله ﷺ حياءً مما صنعنا. ثم قال بعضنا: لو أتينا المدينة فامترنا منها وتجهزنا. فلما دخلنا المدينة قلنا لو عرضنا أنفسنا على النبي ﷺ فإن كانت لت توبة وإلا ذهبنا، فأبينه قبل صلاة الغداة، فلما أخرج رسول الله ﷺ قلنا يا رسول الله نحن الفرارون، فقال رسول الله ﷺ: بل أنتم الكرارون أنا فئة المسلمين^(١).

٦٨١ . القاتل عن اللحاق

بعد أن تزودنا بكل تلك المواصفات وكل تلك الصفات نعلم بوضوح أن البلوغ إلى ساحة النبي ﷺ واللاحق بموضعه وشرفه مما لا يحظر ببال أحد، فهو القاتل عن اللحاق، ولا بد من الاعتراف بذلك والإذعان

(١) مسند أبي يعلى ١٠ : ١٥٨ ، البداية والنهاية ٤ : ٢٨٣ .

به كما عَلَّمنا في زيارته أن نقول: السلام عليك يا محمد، السلام عليك يا أحمد، السلام عليك يا حجة الله على الأولين والآخرين؛ والسابق في طاعة رب العالمين، والمهيمن على رسله وإخاتم أنبيائه والشاهد على خلقه والشفيع إليه والمكين لديه، والمطاع في ملكوته، الأحمَد من الأوصاف، المحمَد لسائر الأشراف، الكريم عند الرب، والمكلم من وراء الحجب، الفائز بالسباق والفائز عن اللحاق^(١).

٦٨٢ . الفائز بالسباق

أكثر السباقات والرهانات التي تجري في العالم هي سباقات إلى أهداف فرضية لا حقيقية، حتى تلکم السباقات التي قد يعتقد البعض أنها حقيقية كالتي تجري في أسواق التجارة العالمية وغيرها؛ فإن الثروة المالية لا تزيد على كونها أمانة وقتية يسترجعها أو يفقدها المالك لها بعد أعوام، أو محبة من لذيد العيش يلفظها بعد حين. وحتى السباقات الجارية في السوح السياسية لا تعدو أن تكون سراياً وحلماً يفیق منه بعد ساعة وقد فقد كل شيء.

فيبقى السباق الحقيقي هو السباق إلى رضوان من الله أكبر وحصول الزلفة لديه بدخول جنة الخلد التي وعد بها المؤمنون العاملون المخلصون.

ولا شك أن الفائز في حلبة هذا الميدان هو الرسول المصطفى ﷺ إذا لاحظنا جميع المؤهلات والاستعدادات وأنواع التدبير والتحليل لبلوغ تلك المرتبة.

فبعد أدنى مقايسة يجب أن نذعن بأن الرسول ﷺ هو الفائز بذلك السباق كما ورد التسليم عليه بذلك في الزيارة السابقة.

(١) إقبال الأعمال ٣ : ١٢٤ ، البحار ٩٧ : ١٨٤ .

٦٨٣ . الفاتح

الفتح إنما يكون للمغالق، التي أولها أبواب التوحيد التي كانت مغلوقة في زمان ظهوره وقبله بانظماس البشرية في ورطة الشرك الناشطة عن ظلمة الجهل والانحراف التدريجي الذي طال الأديان التوحيدية حتى قالوا بالإينية وغلو في بعض المخلوقات الموجودة أو الاسطورية إلى مرتبة الربوبية.

فصار دون الوصول إلى حقيقة التوحيد سور من الأوهام والخرافات والجهل مغلق عليه من كل جانب، حتى إذا جاء الرسول المصطفى ﷺ وفتح باب الإيمان بنفي جميع تلك الموهومات عندما قال: «لا إله» ثم عقبه بقول: «إلا الله» بطل معه كل شيء في الوجود، وكان كما قال الشاعر:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل^(١)

والمغلق الآخر الذي فتحه النبي ﷺ هو أبواب العلم خصوصاً في الجزيرة العربية وما يحيط بها، وذلك بالحث على طلب العلم وفتح الأبواب أمام طالبه حتى قال علي بن أبي طالب عليه السلام: «علمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم فانفتح لي من كل باب ألف باب»^(٢) فظلت تلك الباب مفتوحة وتفتح منها أبواب حتى حصل كل التطور والتقدم الموجود في العالم.

ومن المغالق أبواب العدالة الاجتماعية، التي فتحها بسنّ القضاء العادل والقوانين الناجحة.

قال الأربلي: ومن أسمائه ﷺ الفاتح لفتح أبواب الإيمان المنسدة،

(١) رسائل المرتضى ٢: ٢٢١، الكافي ٥: ٤٩٥، والشعر للبيد بن ربيعة.

(٢) كشف الغمة ١: ١٣٠.

وإنارتته الظلم المسودة، قال الله تعالى في قصة من قال: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾^(١) أي احكم، فسمي ﷺ فاتحاً لأن الله سبحانه حكمه في خلقه يحملهم على المحجة البيضاء، ويجوز أن يكون من فتحه ما استغلق من العلم، وكذا روي عن علي رضي الله عنه أنه كان يقول: في صفته: الفاتح لما استغلق، والوجهان متقاربان^(٢).

كما روي عن أبي جعفر رضي الله عنه قال: «إن لرسول الله ﷺ عشرة أسماء خمسة منها في القرآن وخمسة ليست في القرآن... وأما التي ليست في القرآن فالفاتح و...»^(٣).

هذا هو الأرجح في معنى الفاتح وإن كان معنى الفاتح يغلب في فتح الأمصار والتغلب العسكري على صقع من البلدان وشتى الحصون والقلاع، فلا يعدم النبي ﷺ هذا المعنى خصوصاً بعد فتح خيبر ومكة وغيرها من البلاد، وكذا ما أعقبه من الفتوحات الإسلامية التي مهد لها.

٦٨٤ . فاتح الخير

ومن المغالقات قلاع الخير، أعني خير الدنيا والآخرة، حال دونها المعتقدات الفاسدة والجهالة والسفاهة وأنواع التعصب والتكالب والتصارع والتناحر القبلي وغيره وكل النزوات والشهوات الوقتية التي يعقبها أنواع الحرمان والعذاب.

فإن الخير كل الخير في تبشير الرسول ﷺ ودعوته التي انتهت إلى صناعة أمة إسلامية واحدة ونشطة باتجاه تضمين حياة أمنة واقتصاد أكثر

(١) الأعراف: ٨٩.

(٢) كشف الغمة ١: ١١.

(٣) إخصال ٢: ٣٢٦.

استقراراً بعد زوال الفواصل الطبقيّة الفاحشة والرفع بالمستوى المعيشي للفقير البائس بالأخذ من أموال الأغنياء ووضعها بين الفقراء، بإزاء استتباب الأمن وحصول الاستقرار النفسي لطبقة الأغنياء.

كما أن الخير كل الخير في نزع المخاوف وحصول الاطمئنان المفقود في كل أنحاء الأرض بالتطلع إلى مستقبل مبهم وعدم تفسير صحيح للحياة والمات والأرزاق بينما ينعم المسلمون بالاطمئنان الذي لا يوفره سوى ذكر الله سبحانه والاعتقاد الحقّ بالأخرة وتقدير الأرزاق مع تسخيف الحياة الذي يعني عن كثير من العناء والتشويش والاضطراب.

وليس الخير فقط أن يكثر مال الإنسان وولده وممتلكاته، ولكن الخير هو أن يكثر علم الإنسان ويعظم حلمه، ويباهي الناس بعبادة ربه، ويكون على حال إذا أحسن حمد الله وإذا أساء استغفر الله.

ولا خير في الدنيا إلا لرجلين رجل أذنب ذنباً فهو يتداركها بالتوبة، ورجل يسارع في الخيرات وينظر فيعتبر، ويسكت فيتفكر، ويتكلم فيذكر الله سبحانه والنتيجة أن الخير هو ثواب الله سبحانه الذي دل الناس عليه الأنبياء وخصوصاً الرسول المصطفى ﷺ الذي سبق إلى كل خير فاقتدى به الآخرون من الملائكة والنبیین والمؤمنين من أمته، وكذا فقد بين ﷺ وجوه الخير فأقبل عليها الناس، وأشار إلى طرقه فسلكوها وحصلوا على نتائج مرضية.

كل ذلك حتم علينا أن نقول عند زيارته: السلام عليك يا سيد المرسلين، السلام عليك يا قائماً بالقسط، السلام عليك يا فاتح الخير، كما جاء في كتب المزار^(١).

(١) إقبال الأعمال ٣: ١٢٣، المزار للشهيد الأول: ١١.

٦٨٥. الفاتح لما استقبل

هكذا نجد في زيارات النبي ﷺ والسلام عليه:

السلام على أمين الله على وحيه وعزائم أمره والخاتم لما سبق
والفاتح لما استقبل والمهيمن على ذلك كله^(١).

يذهب كل واحد إلى تفسير «الخاتم لما سبق والفاتح لما استقبل» إلى
مذهب، فالبعض يفسره بحتمه لما سبق من المعارف وفتح ما استقبل من
الحكم والحقائق والمعارف، بينما يفسره الآخر بحتمه لمن سبق من الأنبياء
وفتحه لمن بعده من الحجج، وثالث يفسره بما سبق من الرسل وما استقبل
من الدعوة.

والذي ينطوي عليه النظر هو إشارة هاتين الجملتين إلى أن بعثة
النبي ﷺ هي منعطف جاء في مسيرة البشرية بحيث يشطرها ويقسمها إلى
قسمين، قسم ما قبل بعثة النبي ﷺ وقسم ما بعدها، لينبئ أن المنحى
الذي عاشته البشرية قبل بعثته مغاير لمنحاهما بعد بعثته، لأنه ﷺ جاء
لينهي تلك الحالة وليستأنف تاريخاً جديداً يتلخص في دخول الدين
والاعتقاد في جميع مناحي الحياة بعد ما كان طقوساً محدودة ومحصورة في
أماكن خاصة، وذلك متزامناً مع تشديد المدنية والإعداد لدين يتعامل مع
المصنع كما يتعامل مع المزرعة ويتعامل كدولة قائمة كما يتعامل مع الفرد.
وكذلك جاء ليترك أتباعه شيئاً فشيئاً إلى أن يستقلوا بأعباء الرسالة
الدينية التوحيدية من دون وجود مرشد سماوي ولا رادع قهري، وذلك
بالإشارة إلى ملاكات الأحكام ومناطقها التي تفتح الآفاق أمام المفكرين أو
يلازم تعقلها حتى لا تبقى تعبدًا محضاً كما كان في سالف الأيام، وغير
ذلك مما يحتاج بسط الكلام فيه إلى فضاء أوسع.

(١) الكافي ٤: ٥٧٢ ح ١، التهذيب ٦: ٥٧.

٦٨٦ . الفاتح لما انغلق

تقدم الكلام في المغالقة التي فتحها النبي ﷺ تحت عنوان الفاتح، ويبقى أن أول من ذكر هذا الوصف الآخر هو الإمام علي رضي الله عنه قال: اجعل شرائف صلواتك، ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك، الخاتم لما سبق، والفاتح لما انغلق^(١).

٦٨٧ . الفاتق

روي عن أمير المؤمنين رضي الله عنه: «وصلى الله على طيب المرسلين محمد بن عبد الله المنتجب الفاتق الراجح»^(٢)، لأنه فتق الكلام في التوحيد وفتح مغالقه ورتق ما كان فيه من الخلل كما فتق العقول المظلمة ليدخل فيها نور الإيمان وحقيقة التوحيد وشق عصا جماعة الكفر وفرق جمعهم ليتوغل فيهم الإسلام فكان ﷺ فاتقاً.

وهو الفاتق للأجواء والشاق للأقطار يوم عرج به إلى السماء.

٦٨٨ . فاتق كل رتق

جاء في دعاء يوم الخامس والعشرين من ذي القعدة: «اللهم داحي الكعبة وفالق الحبة وصارف اللزبة وكاشف الكرتة، أسألك في هذا اليوم، من أيامك التي أعظمت حقها وقدمت سبقها، وجعلتها عند المؤمنين وديعة، وإليك ذريعة. وبرحمتك الوسيعة أن تصلي على محمد، المنتجب في الميثاق، القريب يوم التلاق، فاتق كل رتق، وداع إلى كل حق»^(٣) فقد فتق

(١) نهج البلاغة ١: ١٣٠.

(٢) التهذيب ٣: ٨٣.

(٣) إقبال الأعمال ٢: ٢٨.

الرسول ﷺ للناس رتقاً عظيماً وهو رتق حواشي جنون حديق عيوب القلوب حتى تنظر إلى تدابير حكمة الله وشواهد حجج بيناته.

كما فتق كل ما رتقه الشياطين وأعاونهم من الكافرين وكل ما أبرموه من الكفر والجحود والسواتر العظيمة التي غطت عيون قلوب المتفكرين عن إدراك حقائق الأمور.

٦٨٩ . الفاحص عن معرفة الله

يقال: فحصت عن الأمور إذا أكثرت المسألة عنها والنظر فيها حتى تصير منها على أن تنكشف لك إلى ما تقع به وتطمئن إليه.

وإنما بعث الرسول ﷺ في الأربعين من العمر، فماذا كان يعمل قبل ذلك؟ لاشك أنه كان يفحص عن معرفة الله سبحانه، ويطلبه بشدة خلال كل شيء، وما أظن أن المعرفة كانت عنده اضطرارية، ولا بلغ مرتبة النبوة عفواً، وإنما بلغها بشدة الطلب والمسألة والنظر حتى صار إلى حيث انكشف له إلى ما يقع به ويطمئن إليه.

ويقال أيضاً إن الفحص هو إزالة التراب بحثاً عن الشيء، فالدجاجة تفحص برجلها في التراب تتخذ مفحصاً.

والرسول المصطفى ﷺ أزال تراب الشرك وغيار الإخاد لتتجلى معرفة الله سبحانه وتمهد الأرضية لاستقرار التوحيد وسيادته.

ولذا جاء في بعض الزيارات: السلام عليك أيها المحلل لحلال الله والمحرّم لحرام الله، والداعي إلى دين الله، والمعلن لأحكام الله، والفاحص عن معرفة الله^(١). وهل هناك منافاة بين هذا الكلام وبين ما تعرضنا له أكثر من مرة من الخلقة النورية والنبوة المبكرة والبعثة في الذر وعالم

الأظلة والسبق في الإجابة بنعم على سؤال أَلست بربكم؟

فنحن بين أن تنكر هذه الأحاديث أو نهمل تلك الأحاديث السابقة واللاحقة، وبين أن نلتزم بعدم المنافاة للفرق بين القوة والفعل ويكون سبيله سبيل جوابنا نحن بنعم على سؤال أَلست بربكم الذي لا نعلم اليوم منه شيئاً ولا علامة عليه سوى الفطرة السليمة، فيكون الباقي من تلك السوابق في ذهن النبي ﷺ مرتكزات وهموم وخواطر وإحساس عميق، ولا نجزم بوجود الحزاة في التزام ذلك وأمثاله، بل نعتقد بحسنه وجماله، ولا أظن أن شدة اعتقادنا بالنبي ﷺ ستدعونا إلى الجزم بعلم النبي بجميع ذلك وهو في المهد أو حتى قبل ذلك.

٦٩٠. الضارق

هو اسمه في الزبور^(١)، ومعناه أنه يفرق بين الحق والباطل، وبين الحلال والحرام والشك واليقين المعبر عنه بهداية السبيل ليختار الإنسان، إما شاكراً أو كفوراً.

فهو في الحقيقة يفرق الناس سماطين: سماط إلى النار وسماط إلى الجنة باعتبار أعمالهم وأفعالهم ونواياهم.

٦٩١. الضارقليط

جاء في الإنجيل في نسخة واطس: وأنا أطلب من الأب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لن يطيق العالم أن يقبله لأنه ليس يراه ولا يعرفه، وأنتم تعرفونه لأنه مقيم عندكم وهو ثابت فيكم... والفرارقليط روح القدس الذي يرسله الأب باسمي هو

(١) البحار ١٦: ١١٤، وانظر أعلام النور: ٦، وسبيل الهدى والرشاد ١: ٤٩٣.

يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم كل ما قلته لكم^(١).

وفي موضع آخر: فأما إذا جاء الفارقليط روح الحق الذي أرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من الأب ينبثق وهو يشهد لأجلي وأنتم تشهدون لأنكم معي من الابتداء^(٢).

وفي موضع ثالث: أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق لأني إن لم انطلق لم يأتكم الفارقليط، فأما إن انطلقت أرسلته إليكم، فإذا جاء ذاك فيوتخ العالم على خطية وعلى بر وعلى حكم... وإذا جاء روح الحق ذاك فهو يعلمكم جميع الحق، لأنه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما سأتى^(٣).

ومهما يكن من ذلك فإن في كتاب الإنجيل بشارة بالفارقليط في مواضع مع التأكيد على أكملية رسالته وأنه يعلم كل شيء وجميع الحق وكذلك خاتميتها وأنه يثبت مع الناس إلى الأبد والفارقليط كلمة يونانية معناها الذي يذكره الناس بأخير وهو مرادف لمحمد أو أحمد^(٤).

٦٩٢ . فارق ليطا

ذكر بعض أهل اللغة أن اسم النبي ﷺ في الكتب السالفة فارق ليطا وذكروا في معناه أنه يفرق بين الحق والباطل^(٥).

والعجب كل العجب من اليهود والنصارى أما ينظرون ويتأملون

(١) إنجيل يوحنا الإصحاح الرابع عشر ١٦ : ١٧ و ٢٦ نسخة واطس.

(٢) إنجيل يوحنا الإصحاح الرابع عشر ١٥ : ٢٦ و ٢٧.

(٣) إنجيل يوحنا الإصحاح الرابع عشر ١٦ : ٧ و ٩ و ١٣.

(٤) انظر إقبال الأعمال ٢ : ٣٢٨، وتاج العروس ٧ : ٤٨.

(٥) النهاية لابن الأثير ٣ : ٤٣٤، لسان العرب ١٠ : ٣٠٧. تاج العروس ٧ : ٤٨.

وينظرون بما يجيئون إذا وقفوا بين يدي الله حيارى سكارى وناداهم: يا عباد السوء يا قليلي الخياء، يا قليلي الوفاء، لم لا أطعمتم عبدي علة الإيجاد وسيد العباد محمد المختار الذي خلقت نوره قبل جميع الأنوار، وقد بشرت به الأنبياء السابقون، فإن لم تعرفوه، فيما عرفتم نبوة عبدي نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم ممن تقدم من الأنبياء؟ فإن أجابوا بدلالة المعاجز والآيات، وجاءهم الجواب من رب الأرباب: إن معاجز عبدي محمد أولى من معاجز عبدي الأنبياء السابقين، وأولى بالاتباع؛ لأنها أقرب عهداً وتلك أبعد، على حد تعبير الشيخ جعفر كاشف الغطاء^(١).

٦٩٢ . الفاروق

قال ابن شهر آشوب اسمه في الزبور قليظا مثل أبي القاسم فقالوا بلقيظا وقالوا: فاروق^(٢). وما ذلك إلا لأنه عليه السلام فرق بين الحق والباطل.

٦٩٤ . الفتى

إن أعرابياً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج عليه في رداء ممشق - يعني أحر - فقال: يا محمد لقد خرجت إليّ كأنك فتى فقال صلى الله عليه وسلم: «نعم يا أعرابي أنا الفتى ابن الفتى أخو الفتى».

فقال: يا محمد، أما الفتى فنعم، فكيف ابن الفتى وأخو الفتى؟

فقال صلى الله عليه وسلم: «أما سمعت الله عزوجل يقول ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾، فأنا ابن إبراهيم، وأما أخو الفتى، فإن منادياً نادى من السماء يوم أحد لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي،

(١) كاشف الغطاء ٤ : ٣٢٤ .

(٢) المناقب ١ : ١٣١ .

فعلي أخي وأنا أخوه»^(١).

وقد تقدم الكلام في معنى الفتى في عنواني ابن الفتى وأخو الفتى فراجع.

٦٩٥ . الفجر

ذكر البعض في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرُ*وَلَيْسَ الْعَشْرُ﴾^(٢) أن الفجر هو محمد ﷺ لأن منه تفجر الإيمان^(٣)، وعد ابن شهر آشوب من أسماء النبي ﷺ الفجر مستدلاً بتلك الآية^(٤).

ولا شك أن الفجر هو النور الذي يندلع وينفجر ليقتحم الظلماء ويبيدها شيئاً فشيئاً، والرسول المصطفى ﷺ هو النور الذي تفجر واندلع ليقتحم ظلمة الشرك والجور وأخذ يبيدها شيئاً فشيئاً.

٦٩٦ . فحماً مضحماً

في رواية قال الحسن بن علي رضي الله عنه: «سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله ﷺ وكان وصافاً للنبي ﷺ فقال: كان رسول الله ﷺ فحماً مضحماً...»^(٥).

قال الصدوق رحمه الله: سألت أبا أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري رضي الله عنه عن تفسير هذا الخبر فقال: قوله كان رسول الله ﷺ فحماً

(١) معاني الأخبار: ١١٩، أمالي الصدوق: ١٧٧.

(٢) الفجر: ١.

(٣) نقله عن ابن عطاء في الشفاء: ١: ٣٤.

(٤) مناقب آل أبي طالب: ١: ١٣١.

(٥) عيون أخبار الرضا رضي الله عنه: ١٧٦، ١٧٨، البحار: ١٦: ١٤٩.

مفخماً معناه كان عظيماً معظماً في الصدور والعيون؛ ولم تكن خلقته في جسمه الضخامة وكثرة اللحم^(١).

٦٩٧. فرط الأمة على الحوض

ما يرويه جميع فرق المسلمين قول النبي ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض»^(٢) وهو يعني التقدم، أي متقدمكم إليه، يقال فرط إذا تقدم وسبق القوم ليرتاد لهم الماء، ومنه الدعاء للسقط أو الطفل إذا مات: «اللهم اجعله لنا فرطاً» أي أجراً يتقدمنا^(٣).

والمهم في هذا التصريح وهذا التقدم ليس هو نفس التقدم وإنما هو ما يترتب عليه من السؤال والجواب والسقي والخرمان؛ فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إني فرطكم على الحوض فأسألکم حين تلقوني عن الثقلين كيف خلفتموني فيهما»^(٤).

فهذا يعدّ ثاني استجواب بعد الموت، وأول استجواب بعد الحشر والنشر الذي يميز الناس بين ظامئ وراوي، فالظامئ الذي ظلم العترة أو هجر القرآن، فأولئك المختلج بهم، فقد روي أن رسول الله ﷺ قال: «أنا فرطكم على الحوض ليرفعن إليّ رجال منكم حتى إذا هويت لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول أي رب أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك»^(٥).

(١) معاني الأخبار: ٣٠، ٣٢، البحار ١٦: ١٥٥.

(٢) مسند أحمد ٣: ٣٤٥، صحيح البخاري ٨: ٨٧، البحار ٢: ٣١.

(٣) مستدرک الوسائل ٢: ٣٩٨ ح ٢٢٩٢.

(٤) البحار ٢٣: ١٠٩.

(٥) صحيح البخاري ٨: ٨٧.

٦٩٨ . فصيح اللسان

عرض ملك الروم على الحسن بن علي عليه السلام صور الأنبياء، فعرض عليه صنماً يلوح فلما نظر إليه بكى بكاءً شديداً، فقال له الملك ما يبكيك؟ فقال: «هذه صفة جدي رسول الله ﷺ كثيف اللحية، عريض الصدر... فصيح اللسان»^(١).

وقد تقدم الكلام في فصاحة النبي ﷺ مفصلاً تحت عنوان أفصح العرب، وعنوان أعرب العرب وغيرها فراجع.

٦٩٩ . الفضل

ذكر ابن شهر آشوب أن أحد أسماء النبي ﷺ هو الفضل مستدلاً بقوله تعالى ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾^(٢).

٧٠٠ . فضل الله

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(٣) فقد روي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «فضل الله رسول الله ﷺ ورحمته علي بن أبي طالب عليه السلام»^(٤) وهو منقول عن ابن عباس في تفسير الآية^(٥).

(١) تفسير القمي: ٥٩٨، مدينة المعاجز ٣: ٣٥٢، البحار ١٦: ١٤٦.

(٢) انشاقب ١: ١٣١، والآية في سورة يونس ٥٨.

(٣) يونس: ٥٨.

(٤) مجمع البيان ٥: ١١٧، البحار ٩: ١٠٢، وح ٣٥: ٤٢٧.

(٥) الدر المنثور ٣: ٣٠٨، تفسير أبي حمزة الثمالي: ١٩٨.

غير أن أكثر الروايات أكدت على أن فضل الله سبحانه هو نبوة النبي ﷺ والرحمة هي ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام^(١).

فيكون المراد كما هو مروى عن أبي جعفر عليه السلام أيضاً أن الإقرار بنبوة محمد والايتمام بأمر المؤمنين عليهم السلام هو خير مما يجمع هؤلاء في دنياهم^(٢).

٧٠١ . فعم الأوصال

جاء في وصف النبي ﷺ أنه فعم الأوصال^(٣)، وهو يعني أنه ممتلئ الأعضاء يقال: فعمت الإناء وأفعمته إذا بالغت في ملئه.

ويمكن أن يكون المراد بالأوصال مجتمع العظام فقط وليس جميع الأعضاء، لأن الأوصال المفاصل والواحد وصل، ولكن الأول هو الأشهر عند أهل اللغة^(٤).

(١) الكافي ١: ٤٢٣ ح ٥٥، أمالي الصدوق: ٥٣٨.

(٢) تفسير العياشي ٢: ١٢٤ ح ٢٩.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٦، البحار ١٦: ١٨١.

(٤) انظر النهاية لابن الأثير: لسان العرب ١١: ٧٢٥، تاج العروس ٨: ١٥٥.

حرف القاف

الأسماء المصدرة بحرف القاف

٧٠٢ . القائد

روي أن رسول الله ﷺ قال: إن الله أعطاني في علي أنه متكئ بين يدي يوم الشفاعة، وأعطاني في علي لأخرتني أنه صاحب مفاتيحي يوم أفتح أبواب الجنة، وأعطاني في علي لأخرتني أنني أعطى يوم القيامة أربعة ألوية: فلواء الحمد بيدي، وأدفع لواء التهليل لعلي وأوجهه في أول فوج وهم الذين يحاسبون حساباً يسيراً ويدخلون الجنة بغير حساب عليهم، وأدفع لواء التكبير إلى حمزة وأوجهه في الفوج الثاني، وأدفع لواء التسبيح إلى جعفر وأوجهه في الفوج الثالث، ثم اقيم على أمي حتى أشفع لهم، ثم أكون أنا القائد وإبراهيم السائق حتى أدخل أمي الجنة^(١).

٧٠٣ . قائد الخير

يقال قاد الدابة مشى أمامها آخذاً بقيادها، والقائد من يقود الجيش والجنود.

فقد مثل الخير بالدابة أو الجيش لأن للخير مصاديق كثيرة ومتعددة بحيث يشمل كل ما فيه نفع عائد إلى الناس من الأخلاق الرفيعة، والأحكام التابعة للمصالح، والأموال الحلال، وأواصر المحبة والرحمة.

فالرسول المصطفى ﷺ يحرم وراءه كل ذلك الخير أينما حلّ وأينما

(١) تفسير فوات: ٥٤٨.

ذهب، وأينما بلغت دعوته حتى جاء في بعض زيارته: «السلام عليك يا قائد الخير...»^(١).

٧٠٤ . قائد الغر المحجلين

الغر جمع الأغر من الغرة والبياض الذي يكون في وجه الخيل، والمجل من الخيل الذي يرتفع البياض في قوائمه إلى موضع القيد ويجاوز الأرساغ، ولا يجاوز الركبتين، ولا يكون التحجيل باليد واليدين ما لم يكن معها رجل أو رجلان، ثم استعير لذوي الشرف من الناس في العلم والعمل والصلاح وكرم الذات.

ولما كانت أكثر الروايات التي ورد فيها هذا الوصف مقيداً بيوم القيامة أو إلى جنات النعيم، وبالالتفات إلى ما روي عن النبي ﷺ: «أمي الغر المحجلون»^(٢) أي بيضاء مواضع وضوؤهم من الوجه والأيدي والأقدام، استعار أثر الرضوء في الوجه واليدين والرجلين للإنسان من البياض الذي يكون في وجه الفرس ويديه ورجليه.

فهو ﷺ قائدهم يوم القيامة. والماشي أمامهم كما وصفه ﷺ بذلك الكثير الذين منهم الإمام علي بن الحسين عليهما السلام حيث يقول: «اللهم صل على محمد سيد المرسلين... وقائد الغر المحجلين»^(٣).

٧٠٥ . قائد المرسلين

القائد خلاف السائق، فالقائد يكون له تقدم، وهو يمشي أمام

(١) المزار للمشهدى: ٥٩، إعانة الطالبين للذمياطى ٢: ١٠٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث ١: ٣٣٣.

(٣) الصحيفة السجادية (الأبضحي): ٢٩١.

المقود، والسائق يسوقه من خلفه، فيأتي السؤال أنه كيف كان للرسول كل ذلك التقدم والسبق وهو آخر الأنبياء وخاتمهم، وصار هذا السؤال يطرح على رسول الله ﷺ كراراً وهو يجيب.

فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أن بعض قريش قال لرسول الله ﷺ: بأي شيء سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ قال: «إني كنت أول من آمن بربي، وأول من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيين، وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم، فكنت أنا أول نبي قال بلى، فسبقتهم بالإقرار بالله عز وجل»^(١).

٧٠٦. القائم بأمر الله

القيام أساساً هو الوقوف والانتصاب، ويقال: قام بالأمر ويراد به الكناية عن الاعتناء بالشيء والاهتمام به وبذل الجهد والتجهد فيه، بمعنى تسمير الساعد لأجله والنهوض لإنجازه وتدييره وتحقيق مستلزماته من غير فتور.

ولا شك أن الرسول المصطفى ﷺ هو القائم بأمر الله وذلك بشدة الاعتناء به وكثرة الاهتمام ونهاية بذل الجهد والتجهد فيه، حتى صرف كل حياته ولم يترك ساعة واحدة في مجال الجد والسعي في تحقيق كل ما أراد الله سبحانه وتعالى وكل ما هو مرتبط به وكل ما أمر به.

فهو كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق... قائماً بأمرك، مستوفراً في مرضاتك، غير ناكل عن قدم، ولا واهٍ في عزم»^(٢).

(١) البحار ١٦: ٣٥٣ ح ٣٦.

(٢) نهج البلاغة ١: ١٣٠، البحار ١٦: ٣٧٨.

٧٠٧ . قابل الهدية

مما ينقل في قصة إيمان سلمان الفارسي أنه كان على دين الجوسية حتى مر يوماً بكنيسة من الكنائس المسيحية وكانوا يصلون، فأعجبه ما رأى من دينهم ووجهه خيراً من دينه الذي هو عليه، فاعتنقه، وسأل عن أصله ومركزه حتى أخبروه أنه بالشام.

وظل يترصد وينتظر قدوم ركبٍ من الشام ليسافر معهم إلى أن جاء جماعة من التجار منها فخرج معهم حتى قدم الشام وصار يسأل عمن هو أفضل هذا الدين فيدلّوه على أسقف فيتبين أنه فاسق مرة، ويدلّوه على آخر فيتبين أنه من الرهبان المتعبدين، وما زان ينصحه راهب ويوصيه بالذهاب إلى راهب آخر بعد وفاته حتى انتهى إلى راهب بعمورية فأقام عنده وكان خير رجل، فما لبث عنده حتى نزل به الموت، فقال له سلمان على عادته: إلى من توصي بي وما تأمرني؟ فقال الراهب: أي بني والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس أمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم؛ يخرج بأرض العرب، مهاجرة إلى أرض بين حرتين بينهما نخل، به علامات لا تخفى، يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل، ثم مات وغيب في الشرى، ومكث سلمان بعمورية فترة حتى مر به تجار من كلب، فقال لهم: تحملوني إلى أرض العرب وأعطيكم كذا؛ قالوا: نعم، فحملوه معهم حتى إذا أتوا به وادي القرى ظلموه وباعوه من رجل من اليهود عبداً، فكان عنده حتى قدم على اليهودي ابن عم له من المدينة من بني قريضة فابتاعه منه وحمله إلى المدينة. فما أن رآها حتى عرفها بالوصف الذي وصفه له صاحبه الراهب، فأقام بها وبعث رسول الله ﷺ بمكة ثم هاجر إلى المدينة.

يقول سلمان: إني لفي رأس عذق لسيدي أعمل فيه بعض العمل

وسيدي جالس إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال: يا فلان، قاتل الله بني قبيلة والله إنهم مجتمعتهم ببقاء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي!! فلما سمعته أخذتني العروراء حتى ظننت أنني سأسقط على سيدي، ونزلت عن السخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول: ماذا تقول؟ فغضب سيدي فلكنني لكمة شديدة ثم قال: مالك ولهذا؟! أقبل على عملك، قلت: لا شيء، إنما أردت أن استثبت عما قال. وقد كان عندي شيء جمعته، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو ببقاء، فدخلت عليه فقلت له: إنه بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم، فقربته إليه، فقال رسول الله ﷺ: «كلوا» وأمسك يده فلم يأكل، فقلت في نفسي: هذه واحدة، ثم انصرفت عنه، فجمعت شيئاً، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئت به، فقلت: إنني رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتك بها، فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه فأكلوا معه، فقلت في نفسي: هاتان اثنتان.

ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقية الغرقد وقد تبع جنازة رجل من أصحابه عليه شملتان له وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه، ثم استدرت انظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصفه لي صاحبي، فلما رأني ﷺ استدرت عرف أنني استثبت في شيء وصف لي. فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فانكبت عليه أقبله وأبكي، ثم ذكر كيفية استخلافه من الرق وحضوره معركة الخندق^(١).

ولما عرض ابن شهر آشوب لصفات النبي ﷺ عد منها: راكب الجمل، أكل الذراع، قابل الهدية. محرم الميتة، حامل الهراوة، حاتم النبوة^(٢).

(١) انظر سيرة ابن هشام ١: ١٤٠ ط. القاهرة ١٩٦٣ م.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٤، وانظر البحار ١٦: ١٠٧.

وقد عرفت أن هذه الصفة - أعني قابل الهدية - مما عرفت له من سابق الزمان كما وصفها الراهب بعمورية لسلمان، ولعله أخذها ممن سبقه حتى تنتهي إلى الأنبياء ﷺ.

٧٠٨ . القارئ

ذكر ابن شهر آشوب أن أحد أسماء النبي ﷺ هو القارئ واستدل بقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(١)، والمراد هو قراءة القرآن مفتتحاً باسمه تعالى ومستعيناً به.

٧٠٩ . القاسم

من الأمور التي نَجدها ونشاهدُها وهي سنة الحياة الدنيا كي تمتلئ بالفعالية والحَيوية والأمل وتحدث العلاقة بين الإنسان وخالقه المدير له هي أن المياه تكثر في بعض الأراضي إلى حد الإفساد، وتعز في أراضي أخرى حتى تموت عطشاً، لتتحرك اليد البشرية الفردية والجماعية وتنقل المياه من محال تكاثرها إلى الأرض الجرداء لتحييها وتحبي عليها وتعيش معها في هالة من الأمل والرجاء.

وكذا الأرزاق والأموال التي يكون مسارها الأول كمسار المياه بحيث تملأ بعض المتمولين إلى حد الفساد والطغيان، بينما يظل البعض الآخر في حسرة ما يتقوت به ويسد جوعته. فهي الأخرى تحتاج إلى إحداث النقل والانتقال.

غير أن هناك تفاوتاً بين المياه والأموال، بيد أن النقل في الأولى يتحقق من دون حاجة إلى سلطة سياسية أو قدرة معنوية، بينما الثاني لا

(١) المناقب ١: ١٣٣ والآية في سورة القلم: ١.

يتحقق في الغالب إلا بيد مراكز القدرة المعنوية أو السلطة السياسية، التي تحدث ذلك النقل والانتقال وتقوم بتقسيم الثروة من أجل التغلب على الفقر والجوع الذي يبتني عليه انعدام الأمن؛ لأن الجائع يفعل كل شيء.

فإذا ضمن له القانون بعض رزقه وسد جوعته صار يحترم القانون بحسب الغالب، وإذا كانت القدرات المعنوية والمراكز الدينية هي التي تضمن له ذلك صار يحترم الدين بما ينطوي عليه من تعاليم أخلاقية؛ لأن النفس مجبولة على حب من أحسن إليها.

وهنا يظهر الفرق بين الحال الأول والثاني، بيد أن القوانين الوضعية والمقررات الحكومية ناقصة ومن صنع البشر القاصر بحسب طبيعه، إلا ما اقتبسه من التعاليم السماوية؛ فتجيء النتائج النهائية غير مرضية في الغالب، بينما التعاليم السماوية التي تكون بإيعاز من خالق البشر تجيء تامة؛ لأن خالقهم أعلم بما ينفعهم ويضرهم حالاً ومآلاً.

ولما كان الرسول المصطفى ﷺ يذهب إلى إدغام الزعامة الدينية والسلطة السياسية، صاحب ذلك الإدغام ضمانات للاستيفاء والتقسيم السالم أكثر مما عداه بما امتلكه من سلطة معنوية تضمن نقل وانتقال الدفائن والكنوز وسلطة سياسية تضمن نقل وانتقال ما ظهر على وجه الأرض من الأنعام والزرع؛ فإن هذه المعادلة المستجدة سرعان ما قلبت الوجهة الرأسمالية الحاكمة في الجزيرة العربية آنذاك بأبشع أنواعها إلى حياة يتأمل الجميع فيها الوصول إلى الرفاه الذي لم يكن يحلم به واحد قبل ذلك، وسرعان ما تزايدت الأموال وشاع الغنى بين الطبقات المسحوقة، كما ضمن الأمن للطبقات المرفهة بحيث كاد أن يبلغ حد السرقة إلى أقل القليل فالمطالع لحياة الرسول ﷺ يجد بوضوح أنه أعطى القسمة العادلة بين الناس أكبر الأهمية، بل يجد أنها أحد مهامه الأساسية التي تولاهما بحزم

في كل فرصة سنحت له وعند الحصول على أموال وأي مورد للثروة التي غلبت آنذاك في الصدقات الواجبة والمستحبة والأخماس والغنائم والخراج والأنفال، وقد جاء في القرآن الكريم مصارف تلك الأموال، وتقسيماتها الكلية، ليتولى الرسول ﷺ مباشرة ذلك التقسيم بعد التحقق من مصاديقه، ولا أقل من الإشراف على التقسيم والتأكد من وصوله إلى مستحقيه ورعاية العدل والإنصاف، فقال ﷺ: «إنا أنا قاسم، بعثت أقسم بينكم»^(١) وفي رواية أخرى: «إنا جعلت قاسماً أقسم بينكم»^(٢).

٧١٠. قاصم الأوثان

لسنا بصدد استعراض الأسباب التي أدت إلى تزايد أعداد الأصنام التي كانت بفساد الكعبة بعد وجود دوافع الأثانية التي تجعل كل قبيلة وطائفة أن يكون لها صنم خاص تعظمه وتعبده، بالإضافة إلى الدوافع الاقتصادية والأموال التي يحصل عليها صانعو الأوثان من هذا السبيل، مما يدفعهم إلى ترغيب الطوائف وحتى العوائل بأن يحتفظ كل بيت منهم بصنم، أو يكون لهم أصنام بعدد أيام السنة.

ومهما يكن من ذلك فقد ضاقت الكعبة بالأصنام التي وضعت فيها وعليها وفي فنائها وحواليها، حتى شكّلت كياناً عظيماً، يجعل التفكير في إزالة جميع تلك الأوثان وتحطيمها بعد رفع جميع الحواجز المانعة من الوصول إليها والحائلة دون التعرض لها وكسر إرادة جميع المعتقدين بها

(١) السنن الكبرى ٩ : ٣٠٨.

(٢) صحيح مسلم كتاب الآداب ح ٣١٣٣، سنن ابن ماجة الأدب ح ٣٧٣٦، مسند

أحمد ٣ : ٣٠١، ٣٠٣، ٣١٣، ٣٦٩، ٣٨٥، صحيح البخاري ١ : ١٤١ كتاب

وجميع المنتفعين بسببها، واستخراجها من البيوت والمخازن بعد إخراجها من القلوب، كل ذلك مما يعدُّ مستحيلاً عادةً أو شبه المستحيل.

ولذا يجب أن نعطي الحق لكل من علم بظهور رجل يتغلب على ذلك الكيان القائم ويقصم ظهره ويهدمه، ويتمكن من تحطيم جميع الأصنام بعد إزالة هيبتها من القلوب أن ينظر إليه بمنتهى الإجلال والعظمة، وكما نعطيه الحق في أن يسميه قاصم الأوثان.

الأمر الذي سنح لبعض الكهان الذين اطلعوا على أوان ظهور نبي يقوم بهذه المهمة الصعبة مثل سطوح الكاهن حينما أرسل إليه بنو هاشم يسألوه عما يتحدث الناس عن تنبئه بظهور نبي من بينهم فقال قبل أن يستدوه بالسؤال: أرسلتم إليّ تسألوني عن الحال الظاهر، وعن أمر النبي الطاهر، صاحب البرهان، وقاصم الأوثان^(١).

وإذا قطعنا عين النظر عما صنعه النبي الأكرم ﷺ في المدينة المنورة في مجال تحطيم الأصنام وكسرها وقصرنا النظر على مركز الأوثان أعني مكة وحوالي الكعبة، فأول ما صنعه النبي ﷺ بعد دخول البيت، أنه وجد في الحجر أصناماً مصفوفة حوله ثلاثمائة وستين صنماً، صنم كل قوم بحياهم، وكانت بيده مخرصة، فجعل يأتي الصنم فيقطع في عينه أو بطنه ثم يقول: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، فجعل الصنم ينكب لوجهه إذا قال رسول الله ﷺ ذلك، وجعل أهل مكة يتعجبون ويقولون فيما بينهم: ما رأينا رجلاً أسحر من محمد^(٢).

وكان على البيت صنم طويل يقال له هبل، ومادته من النحاس مؤتداً بأوتاد من حديد إلى الأرض فقال ﷺ لعليّ عليه السلام: قم بنا إلى الصنم

(١) البحار ١٥ : ٣١١.

(٢) البحار ٢١ : ١١٠ ح ١، ٤، ١١.

الذي في أعلى الكعبة لنكسره، فقاما جميعاً، فلما أتياه قال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: قم على عاتقي حتى أرفعك إليه، ثم رفعه فوضعه رسول الله ﷺ على عاتقه، ثم رفعه حتى وضعه على البيت، فأخذ علي عليه السلام الصنم فرمى به من فوق الكعبة^(١).

وبذلك قال السيد المرتضى قدس الله روحه:

ولنا من البيت المحرم كلما طافت به في موسم أقدامه
وبجدنا وبصنوه دحيت عن البيت الحرام وزعزعت أصنامه
وهما علينا أطلعا شمس الهدى حتى استنار حلاله وحرامه^(٢)

٧١١. القاضي

ذكر ابن شهر آشوب أن أحد أسماء النبي ﷺ القاضي مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(٣)، وهذا يعني أن الرسول إذا اختار للأمة شخصاً أو أمر بشيء لم يجز لهم الاختيار بأهوائهم ولا يقبل منهم إلا اتباع أمره واجتناب نهيه، فمن أطاعه رشد ومن عصاه ضلَّ وغوى ولزمته الحجة بما ملكه من الاستطاعة باتباع أمره واجتناب نهيه، فالتقضاء هنا بمعنى الاختيار والانتخاب والأمر والنهي.

٧١٢. القانت

عد ابن شهر آشوب أسماء النبي ﷺ فقال: القانت ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ

(١) انظر نهج الإيمان: ٦٠٧.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٢: ١٥٦.

(٣) المناقب ١: ١٣٣ والآية في سورة الأحزاب ٣٦.

اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ ﴿١﴾.

وأصل القنوت هو الدوام؛ وإن كان المراد هنا طول قيام الليل ومداومته، وقيل المراد صلاة الليل، أو خصوص الدعاء آخر الوتر.

ومهما يكن من ذلك فالذي ينفعنا من هذا الحديث هو الوقوف على أهمية المداومة على عمل الخير والطاعة بصورة كلية، هذا ما نستفيد من موارد كثيرة ولحزم به بعد التتبع والتأمل في مطالبات الشارع وآثار تلك الأعمال الدنيوية والأخروية، فقليل يدوم خير من كثير لا يدوم، وصدقة قليلة دائمة خير من كثيرة لا تدوم، ودعاء وقراءة قرآن يدوم خير من دعاء طويل منقطع، أو قراءة لا تدوم.

وهنا يصف الله سبحانه وتعالى أوليائه وفي طليعتهم الرسول المصطفى ﷺ بأنه قانت آناء الليل، ويشهد له في موضع آخر بطول القيام ودوامه فيقول: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَبَصَفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ (٢).

٧١٣. قاهر أعداء الله

لا يلزم أن يكون القهر بالتفوق العسكري والغلبة الفيزيائية، بيد أن الغلبة الساحقة والدائمة هي الغلبة الخلقية، فالرسول ﷺ قهر أعداءه بأخلاقه في الغالب رغم خوضه المعارك الضارية؛ لأنه كان يحارب عند الضعف ويعفو عند القدرة ويقابل الجفاء بالعطاء لما روي أنه أعطى أبا سفيان مائة من الإبل بعدما جمع له الجموع وحشد له الحشود، فهو قاهر

(١) الزمر: ٩، المناقب: ١: ١٣٠.

(٢) المزمل: ٢٠.

لأعداء الله بالغلبة العسكرية أولاً ثم بعظيم أخلاقه وقد أشار إلى الغلبة العسكرية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، دعا إلى طاعته، وقاهر أعدائه جهاداً عن دينه»^(١).

٧١٤. القتال

لا شك أن الصهانية الذين يقتلون الأطفال بدوافع أكيدة، ويسعون في خراب الديار والحرث والنسل من دون أقل حياء قد سلّبت الرحمة من قلوبهم وصار القتل والفتك لهم عادة إذا امتلكوا الأسلحة القوية المدمرة والمعدات الحربية المتنوعة ومن ورائهم القوى العظمى التي تدعمهم أشد الدعم المادي والمعنوي، ولا ينقصهم شيء من أساليب المكر والخديعة والقهر والفتك والغلبة، كيف يمكن التخلص منهم، واستنقاذ الأطفال من أيديهم، ومن يتمكن من ذلك سوى القائد الصبور الذي يوحد الصفوف ويقاوم حين لا يتصور القتال ويفاجئهم من حيث لا يحتسبون، فيصنع المستحيل بإصراره على قتال أولئك الأشرار وتمهّره في ضرب تلك الرؤوس المتغطرسة ذلك الشجاع القتال.

وكذا أولئك الذين يدفنون البنات وهن أحياء بأدونها، ويستعبدون الضعفاء، ويستحقرون النساء من طواغيت قريش والأعراب، والخونة اليهود آباء الصهانية الفعليين مع امتلاكهم للعدد والعُدَد والأموال والحلفاء، فلا يتمكن من استنقاذهم ولا استنقاذ الأطفال والبنات من أيديهم وتخليص الضعفاء والمسحوقين من مخالبهم سوى ذلك القتال الذي يصبر في قتالهم، ويقاومهم حين لا يحسبون للقتال حساب، ولا يفتر عن ذلك حتى لو بقي وحده كما حدث ذلك في معركة أحد وحنين.

فإن ذلك القتل هو مجرد استنقاذ، وذلك القتال هو المنقذ الوحيد،

(١) نهج البلاغة ١: ٣٧٢، البحار ١٨: ٢٢٣.

خصوصاً إذا لم يرد القتال لأجل القتل وإنما يريد له لأجل الإصلاح وأخذ من الفساد وإحلال الأمن والسلام.

فهل يحمل الأمن مادام الصهاينة الغاصبون في أرض فلسطين، وهل يحمل الأمن في زمان النبي ﷺ ما دامت الغطرسة القرشية والقبائل الأخرى الحاكمة في ربوع الجزيرة العربية. ويهود قريظة والنضير وقينقاع، الذين أخبرهم الرسول على ما يروى - عندما جاؤوه وسألوه فقالوا: يا محمد إلى ما تدعوا؟ قال ﷺ: «إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وأني الذي... أخبركم عالم منكم جلهكم من الشام فقال: هو الضحوك القتال»^(١) لتتم بذلك الحجة عليهم. ولا يكون لهم أي عذر بعد سماعهم ذلك الحديث من الشامي وتأكيد الرسول على هذه النقطة: فلا يبقى لهم عذر في الغدر والخيانة بالمسلمين وضربهم من الخلف يوم الأحزاب. لكي يرجع الرسول إلى قريظة الغدر فعرضهم على العانات فمن وجده أنبت قتله، ومن لم يجده أنبت ألحقه بالذراري، فلما دعا بكعب بن أسد رئيس بني قريظة نظر إليه رسول الله ﷺ فقال له: يا كعب أما نفعك وصية ابن حواش الخير الذي أقبل من الشام، فقال تركت الخمر والخمير، وجئت إلى البؤس والتمور لسني يبعث، هذا أوان خروجه يكون مخرجه بمكة وهذه دار هجرته، وهو الضحوك القتال، يجتزي بالكسيرات والتمرات، ويركب الحمار العاري، في عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوة، يضع سيفه على عاتقه ولا يبالي بمن لاقى، يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر؟! قال كعب: قد كان ذلك يا محمد، ولولا أن اليهود تعيرني أنني جئنت عند القتل لأمنت بك وصدقتك، ولكني على دين اليهودية، عليه أحيى وعليه أموت، فقال رسول الله ﷺ: «قدموه واضربوا عنقه» فقدم وضرب عنقه^(٢).

(١) إعلام البورى: ٤٧٢٤٢.

(٢) كمال الدين: ١٩٨.

هذا كله على فرض انطباق صفة القتال على الرسول المصطفى ﷺ ، غير أن انطباق ذلك بعد عفو عن أهل مكة وعفو عن كل من قاتله وجمع له مثل أبي سفيان.

وحتى التي سمته من اليهود وغيرها، وعدم إجهازه على فار ولا على جريح وعدم قتله من لم يبلغ الحلم وأنساء مع توصيته على الدوام بالإحسان إلى الأسراء وغيرهم، يشكل استساغة ذلك.

ولا يعدو أن يكون من تبليغ اليهود الهادف إلى إخماد تلك الجذوة بواسطة خلق القصص المرعبة وإعطاء الصورة المخيفة والمشوهة عن كل من يعادونه، مثل قصة المحارق الهتلرية التي يقوى فيها احتمال الخلق والوضع والخداع الهادف إلى ستر الوجه الحقيقي البشع للصهاينة واليهود المتطرفين واستعطاف الدول الأوروبية وعامة العالم المنتفر من أفعال النازية.

نعم لا ننكر مقاومة الرسول ﷺ واستقامته أمام المهاجم والمحتال، وحرصه على الجهاد، ومسارعته إلى القراع، وثباته حتى لو بقي وحده وعدم إحجامه عن الزحف عند هجوم العدو، ولذلك قال علي عليه السلام: كنا إذا أحرر البأس اتقيناه برسول الله، لم يكن منا أحد أقرب إلى العدو منه^(١)، إذا كان ذلك يفي في تسميته بالقتال وإلا فلا.

٧١٥ . القثم

روي أن رسول الله ﷺ قال: أتاني ملك وقال: «أنت قثم وخلقك قيم»^(٢) واختلفت التفسير حول هذه الكلمة وتراوحت بين المجتمع، أو

(١) البحار ١٦: ١٧، النهاية لابن الأثر ١٦: ٧٩، السيرة الذهبية ١: ٣٢، المواهب

للقسطلاني ٢: ١٦، كشف الغمة ١: ٩.

(٢) النهاية لابن كثير ١٦: ٧٣، البحار ١٦: ١٨٠.

الجامع الكامل، وبين المعطاء وكثير العطاء، أو الجُموع للخير.

وقال الإربلي: ومن أسماء القُثم وله معنيان أحدهما من القُثم وهو الإِعطاء، لأنه كان أجود بالخير من الريح الهابة، يعطي فلا يبخل، ويمنع فلا يمنع، وقال الأعرابي الذي سأله: إن محمداً يعطي عطاء من لا يخاف الفقر، وروي أنه أعطى يوم هوازن من العطايا ما قَوِّمَ بمِئَةِ ألف ألف وغير ذلك لا يحصى، والوجه الآخر: أنه من القُثم وهو الجمع، يقال للرجل الجُموع للخير قثوم وقثم كذا حدث به الخليل، فإن كان هذا الاسم من هذا فلم تبق منقبه رفيعة ولا خلة جليلة ولا فضيلة نبيلة إلا وكان لها جامعاً، وقال ابن فارس: والأول أصح وأقرب^(١).

٧١٦. قدم صدق

يتم التعبير بالقدم عن السعي والسبق كما يكون التعبير باليد عن النعمة والعطاء ولذلك صار الناس يسمون السعة الجميلة والسابقة الحسنة قدماً، ومع إضافتها إلى الصدق تدل على زيادة فضل وأنه من السوابق العظيمة.

ولو مزج سبق مع السعي الحسن صارت القدم هي الشيء تقدّمه قدامك ليكون عُدّة لك حتى تقديم عليه، فكل من ساهم في تحقيق أهداف النبوة أو ألصق نفسه بذلك المقام الشامخ يكون صاحب ذلك المقام، أعني الرسول المصطفى ﷺ قدم صدق له، أي ستكون مساعيه في ذلك السبيل أجراً حسناً ومنزلة رفيعة وينال السعادة بشفاعته ﷺ يوم القيامة.

وبذلك قد نتعرف على الوجه فيما روي عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ فقل عليه السلام:

(١) كشف الغمة ١: ١٠، البحار ١٦: ١٣٠.

«هو رسول الله ﷺ» (١).

٧١٧. القرشي

هل إن نسبة النبي ﷺ أو انتسابه إلى قريش وتلقيبه بالقرشي ناشئ من فضل سابق لهذه القبيلة وامتياز لها على غيرها من قبائل العرب وغيرهم، أم أنه مجرد بيان أن النبي ﷺ ينتمي إلى قبيلة قريش. فاللحن يبدو في الأخبار متضارباً جداً ويتردد بين الاعتزاز الأكيد، والذم المستند.

ومع قطع النظر عن الأحاديث وعمل مقايسة بين صنوف البشر وقبائلهم نحكم في أول وهلة على قبيلة قريش بمنتهى التخلف الحضاري والجهل والسفاهة، بدليل عبادتها للأصنام والأحجار إذا ما قيس إلى عبادة الله أو السماء أو الشمس والقمر والنار وما شابه ذلك.

وإذا وضعناها في ميزان نقد أخلاقي فسينكسر الميزان من جراء خشونتتها في التعامل وصخبها وإسراعها إلى الشر وإراقة الدماء وقتل النفس واستعباد الضعفاء واحتقار النساء وواد البنات بما لم يشهد له التاريخ من الأخلاق السامية، نعم قد يكون لقريش - امتيازات بين قبائل العرب الأكثر تخلفاً والأبعد عن مراكز الحضارة، وما يزال التخلف والغلظة هي الحاكمة على مثل مكة والمدينة إلى يومنا هذا، بحيث يتحسس كل زائر.

ولم تتخلل قريش عن تلكم الهمجية بعد بعثة الرسول ﷺ، بل أسرعت إلى الاستهزاء به وإيذائه لما دعاهم إلى مكارم الأخلاق واحترام

(١) الكافي ٨: ٣٦٤ ح ٥٥٤، وانظر تفسير القمي: ٢٨٦، وتفسير العياشي ٢:

العلم وأهله وعبادة الله دون عبادة الأصنام؛ حتى أقصوه وأصحابه في شعب أبي طالب بعد أن أخفقوا به أشد أنواع الأذى وفرضوا عليه المقاطعة الاقتصادية الصارمة واخصار القاسي؛ ولم يتركوا أن اجتمعت كلمتهم على قتله ﷺ وتبييته في منزله. فهرب منهم إلى المدينة لما علم بذلك.

فليس إجماع قبيلة بجميع بطونها على قتل خير إنسان بل خير مخلوق إلا وهو دليل على أنها شرّ القبائل وأشنعها.

وليس ذلك مجرد رأي ولا حكم غيبي وإنما هذه شهادة من النبي ﷺ ومن يلوذ به بذلك، مشفوع بكل ما عرفنا التاريخ من تفاصيل الوقائع والحروب التي دارت بين النبي ﷺ وبين قريش.

فقد روي أن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «فأراد قومنا قتل نبينا، واجتياح أصلنا، وهموا بنا المموم، وفعلوا بنا الأفاعيل، ومنعونا العذب، واحلسونا الخوف، واضطرونا إلى جبل وعر، وأوقدوا لنا نار الحرب»^(١).

وقال عليه السلام: «وقام لواؤه - يعني النبي ﷺ - في خير دار وشر جيران، نومهم سهود، وكحلهم دموع، بأرض عاتها منجم، وجاهلها مكرم»^(٢).

واستمرت بهم تلك الشيمة وذلك العناء الظاهر حتى بعد إسلام الكثير منهم ليكونوا هذه المرة منافقين يحذر منهم القرآن والنبي ﷺ حتى إذا توفي النبي ﷺ انقلبوا عن ظاهرهم واخرجوا مخزون قلوبهم من السفاق، فعمدوا إلى دار ابنته ليحرقوها، وإلى وصيه ليقتلوه مهجوراً ويقصى عن محله حتى كان يكرر ويقول: اللهم إني أستعينك على قريش ومن أعانهم فإنهم قطعوا رحمي.

(١) نهج البلاغة ٣ : ٨ .

(٢) نهج البلاغة ١ : ٢٩ .

ومع كل ذلك الوصف فقد روي أن رسول الله ﷺ قال: «أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق فجعلني من خير خلقه، وجعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة، وجعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً، فأنا خيركم بيتاً، وأنا خيركم نفساً»^(١).

وفي رواية أخرى قال ﷺ: «إن الله عز وجل اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»^(٢).

فكيف يجتمع ذلك الذم مع الاصطفاء والوصف بأنها خير القبائل؟ أمر يعجز عنه الفكر، ويحير فيه اللب، ولا يمكن اليث فيه لولا ما روي أن الحارث النصري قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ قال: «ما تقولون في ذلك؟» قلت: نقول هم الأفجران من قريش بنو أمية وبنو المغيرة، قال: ثم قال «هي والله قريش قاطبة، إن الله تبارك وتعالى خاطب نبيه ﷺ فقال: إني فضلت قريشاً على العرب وأتممت عليهم نعمتي وبعثت إليهم رسولاً، فبدلوا نعمتي كُفْرًا، وأحلوا قومهم دار البوار»^(٣).

ومنه يعلم أن المدح هو تفضيل قريش ببعث الرسول إليهم، والذم لتبديلهم النعمة كُفْرًا، فالتفضيل حصل باختيار قريش موضعاً للرسالة والدعوة، والذم لتبديلهم نعمة الله كُفْرًا.

(١) ذخائر العقبى للطبري: ١٠، الدر المنثور: ٣: ٢٩٥.

(٢) البحار: ١٥: ١٢٠.

(٣) الكافي: ٨: ١٠٣ ح ٧٧.

والأفضل من جميع ذلك جعل القرشي نسبة إلى جده النظر بن خزيمه بن مدركة بن إلياس النبي وهو قريش؛ وسمي النظر لأن الله تعالى اختاره، فالنبي قرشي نسبة إلى ذلك المختار، لا انتساباً إلى عامة قبيلة قريش التي عرفت حالها ولعله المراد من كلمة قريش في الأخبار المارة، وهو المصطفى والمختار دون عامة قبيلة قريش.

وهذا هو المناسب لمقام جبرئيل حينما قال لربه: «إن آخر من بلغته رسالتك ووحيك وحكمتك وعلمك وكتابك وكلامك محمد بن عبد الله... القرشي»^(١).

وهو المناسب لأن يتوسل به زين العابدين عليه السلام ويدعوه ربه قائلاً: «اللهم بدمة الإسلام أتوسل إليك وبجرمة القرآن أعتمد عليك، وبجبي للنبي الأمي القرشي الهاشمي العربي التهامي المكي المدني أرجو الزلفة لديك»^(٢).

٧١٨. القريب

يرى ابن شهر آشوب وآخرون أن «ق» في قوله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ هو اسم من أسماء النبي صلى الله عليه وآله وهو القريب^(٣). ولا غرو أن المراد به ليس هو القرب المكاني، ولا الزماني، ولا القرابة في النسب وإنما هو مجرد الأُنس والعطف أي الإنسان الذي تتحسسه قريباً منك، فإن المشاهد هو تحسس كل شخص لقرب بعض الأفراد إليه وشدة أنسه بهم ووجود التعاطف فيما بينه وبينهم وإن لم يكونوا قرابة في النسب، كما يتحسس

(١) البحار ٧: ٢٨١.

(٢) الصحيفة السجادية: ٢٤٤.

(٣) مناقب ١: ١٩٥، البحار ١٦: ١٠٢، والآية في سورة ق: ٢١.

بُعد بعض قرابته لأجل الجفاء والكدورة، ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام:
«القريب من قرْبته الموقَّة وإن بعد نسبه، والتبعيد من باعدته الموقَّة وإن قرب
نسبه، لا شيء أقرب من يد إلى جسد، وإن اليد تفل فتقطع وتحسم»^(١).

فالقريب صفة حسنة للشخص إذا كان بمثابة يتحسسه الآخرون
كذلك، ويأمنون به ويركنون إليه. ويودونه ويودهم، ولذا روي أن رسول
الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غداً؟» قالوا: بلى يا رسول
الله، قال: «الهيِّن القريب اللين السهل»^(٢) وفي نقل آخر عنه عليه السلام: «حرمت
النار على الهين اللين، السهل القريب»^(٣).

وهكذا كان الرسول المصطفى ﷺ يتحسس القرب منه كل عدو
وصديق، ألا ترى أن أهل مكة حينما سأهم بعد فتح مكة عما سيفعل بهم
بعد ظفره قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، جازمين بذلك، لتحسسهم قربه
وليونته وسهولته رغم عدائهم وقتلهم أصحابه وإخراجهم من ديارهم
وتعذيبهم، ولعل المطالع لحياة الرسول ﷺ يجد أمثلة كثيرة تدل على
ذلك.

٧١٩. القريب يوم التلاق

جاء في بعض الأدعية المأثورة: «اللهم داحي الكعبة، وخالق الحبة،
وصارف اللزبة، وكاشف كل كربة. أسألك في هذا اليوم من أيامك التي
أعظمت حقها، وأقدمت سبقها، وجعلتها عند المؤمنين وديعة وإليك
ذريعة، وبرحمتك الوسيعة أن تصلي على محمد وآل محمد عبدك الخبيب في

(١) تحف العقول: ٢٣٤، البحار: ٧٥: ١٠٥.

(٢) أمالي الصدوق: ٣٧٩ ح ٥١١.

(٣) البحار: ٦٤: ٣٥٧.

الميثاق، القريب يوم التلاق...»^(١).

ينبغي إرادة يوم هام بهم جميع البشر بتقرينة ما قبله من الإجابة يوم الميثاق الذي أخذه الله سبحانه وتعالى على جميع ذرية آدم عليه السلام بعد حشرهم وسؤالهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾^(٢).

فيوم التلاق هو يوم الحشر الآخر - أعني يوم القيامة - ليخبرهم كم كان وفاؤهم بذلك الميثاق والعهد المأخوذ، فلا يكون القرب فيه بمعنى الأُنس المار؛ وإنما هو منزلة ومقام سام وقرب من رب الأرباب لأنه ﷻ أول من أجاب يوم الميثاق، وأتم من وفى وعمل به.

٧٢٠. قصر مشيد

القصر ما ارتفع من المنازل وعلا وشيد أي ضلي بالشيد وهو الجص وكل ما يحسن الظاهر ويصبغه.

فالذي يكمن في معنى القصر هو التميز والارتفاع على سائر المنازل بحيث يُدهش الناظر ويأخذ بنفس المشاهد، فيقول في نفسه: ما هذا القصر الفاخر، فإذا عطف نظره إلى معالم الحياة والسكنى فرأى شدة الاعتناء به وكثرة زخرفته وتعاهده وتحسين ظاهره قال: هذا قصر مشيد، أي مطلي بالجص وكل ما يزينه.

ولا شك أن الرسول المصطفى ﷺ كذلك يدهش كل من يتطلع إلى فضائل أخلاقه ومحاسن صفاته وجميل فعاله حتى يجد له ارتفاع وتميز على سائر البشر.

(١) مصباح المتعجد: ٦٦٩، إقبال الأعمال ٢: ٢٨.

(٢) الأعراف: ١٧٢.

وإذا شاهد اهتمام عامة المسلمين به وحرصهم على ذكر فضائله ومناقبه والمداومة على ذكره على المنائر في الأذان وغيره والصلاة عليه كلما ذكروه أو ذكره ذاكر، والتزام تناقل أقواله مع نوع من التحفظ في نقلها وإعطائها القداسة الكبرى، مع إبداء نوع من الصلابة والتعصب في نفي القبائح والخسائس وكل ما يشين عنه وعن ساحته، قال: هذا قصر مشيد. كل ذلك بخلاف أمير المؤمنين عليه السلام علي بن أبي طالب الذي قامت الرسالة بسيفه وجهوده فإنه لم يلق إلا الجفاء والصدود، وأهجر حتى قال لسلمان: «قال الله تعالى في كتابه العزيز في نبوة محمد ﷺ وفي ولايتي: ﴿وَسِرِّ مُعَطَّلَةٌ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ فالقصر محمد. والبئر المعطلة ولايتي عطّلوها وجحدوها»^(١).

٧٢١. قصير الحنك

ذُكر في وصف بدن رسول الله ﷺ أنه كان عريض الصدر كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، سائل الأطراف، منهوس العقب، قصير الحنك، داني الجبهة^(٢) والحنك هو الأسفل من طرف مقدم اللحيين.

٧٢٢. ققط الشعر

روي عن الصادق عليه السلام عن آبائه أن ملك الروم عرض على الحسن بن علي عليه السلام صور الأنبياء فعرض عليه صنماً يلدج، فلما نظر إليه بكى بكاءً شديداً، فقال له الملك: ما يبكيك؟ فقال: «هذه صفة جدي محمد ﷺ... ققط الشعر...»^(٣) ورجل ققط الشعر جعسه، فهل إن شعر رسول الله ﷺ كان

(١) البحار ٢٦: ٣، والآية في سورة الحج: ٤٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ١٠٧، البحار ١٦: ١٨١.

(٣) تفسير القمي: ٥٩٨، البحار ١٦: ١٤٦.

جعداً وقصيراً تقدم الكلام في ذلك في عنوان رجل الشعر وسبط الشعر وغيرهما فراجع.

٧٢٣ . قليطا

ذكر ابن شهر آشوب أن اسم الرسول ﷺ في الزبور: قليطا، وهو مثل أبي القاسم وقالوا فاروق^(١).

٧٢٤ . قليل الأولاد

جاء التأكيد في الأحاديث التي تنقل خطابات الله سبحانه وتعالى لأنبيائه خصوصاً النبي موسى ﷺ والنبي عيسى ﷺ على قلة بنات الرسول المصطفى ﷺ وعدم بقاء أولاده. فكان فيما وعظ الله تبارك وتعالى به عيسى بن مريم ﷺ أن قال له: محمد رسول الله إلى الناس... قليل الأولاد^(٢).

وقد تقدم نظائره في عنوان ذي النسل القليل.

وإنما جاء هذا التأكيد لأن هذه الصفة إحدى الصفات المشخصة لرسول ﷺ والتي تميزه وتعيّنه لمن أراد أن يعرفه أو يتعرف على صدق دعوته بحيث لا يبقى مجال للترديد والشك.

بعد ما كان اقلاع أرباب الديانات عن معتقداتهم ودياناتهم وما وجدوا عليه آباءهم في غاية الصعوبة ونهاية العسر، فإن من التدبير الحكيم أن تكون في الرسول الجديد صفات متميزة مسموعة ومنقولة على مر الأعصار بحيث يعود تصادقها وانضاباتها واحدة تلو الأخرى محفزاً لقبول

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣١، البحار ١٦: ١٠٣.

(٢) الكافي ٨: ١٣٩، أمالي الصدوق: ٦١٢، البحار ١٤: ٢٩٧.

رسالته الجديدة، خصوصاً أولئك المالكين لأهلية قبول الحق، مهما كان ذلك الحق وأين ظهر.

ومن ناحية أخرى فإن نفس قلة أولاده عليه السلام أو عدم بقائهم سوى واحدة مباركة هو تدبير آخر لصرف إمامة الأمة إلى محلها المطلوب، أعني وصيه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ويكون أبعد من الفتنة والتباس الأمر الذي يفرضه الواقع وطبيعة الساحة السياسية السائدة في جميع العالم القائمة على أساس توارث الملك وإمامة الناس وكما شهدناه في مثل الدولة الأموية والدولة العباسية.

٧٢٥. قمر الآخرة

إذا قامت القيامة وتبدلت الأرض غير الأرض اختلفت بعض الموازين وظهر ما بدا متشابهاً في ظروف الأرض بمظهر متفاوت وصور مختلفة أشد اختلاف وأبعده حتى يكون الأنبياء كنجوم السماء لأهل الأرض، ويكون الرسول المصطفى ﷺ قمر الآخرة، الذي يضيء ويزهر في كبد الظلماء وهو يملك جمالاً أنيقاً وسحراً خلافاً عندما يعجز الواصف أن يصف جمال محبوبه قال كالقمر.

وهذا مثل بدیع وجامع لمنح أعمال الرسول ﷺ وصفاته قوة التأثير وكثرة النفع في ذلك اليوم بحيث تكون كضياء القمر للسانر، والغاية القصوى للمتغزل والواصف.

حتى إذا قعد النبي ﷺ يوماً عند عين نزل جبرئيل في ذلك الموضع وميكائيل وإسرافيل ودرداييل. فقال جبرئيل: السلام عليك يا محمد... السلام عليك يا قمر الآخرة^(١).

(١) الفضائل: ٣١، ٥٢، البحار: ١٥، ٣٥١.

٧٢٦. قمر الأقمار

إذا خلّق الخلق في عالم الخيال، وصار يرسم في ذهنه أسماء لأفضل مخلوق على كل شيء يتخيله كالزهور والنجوم والحقول حتى بلغ القمر، فهل يرسم اسماً لذلك الأفضل غير اسم قمر الأقمار، بيد أنه يملك جميع المحاسن حتى صار حسن الأشياء - ومنها القمر - يحكي محاسنه تلك ويشير إلى تأكدها فيه.

الأمر النبي ذكره ابن شهر آشوب عند عد أسماء الرسول ﷺ المرتسمة على الأشياء فقال: على ساق العرش رسول الله، وعلى الكرسي نبي الله، وعلى طوبى صفي الله، وعلى لواء الحمد صفوة الله، وعلى باب الجنة خيرة الله، وعلى القمر قمر الأقمار^(١).

٧٢٧. القمر المستنير

المراد هذه المرة هو القمر المستنير في الأذهان على مر العصور بما يمتلكه من ضياء العلم ونور الوجه وإتراق الروح المنحدر إلى التجلي في ظلمات آفاق الأذهان من اليوم الأول لخلق الإنسان حتى آخر يوم من عمر الدنيا على أنه أفضل إنسان وأفضل مخلوق.

فكلما لاحظ الذهن الأطراف وأشخص بصره في عميق الأفاق لم ير ذلك النور حتى يبلغ وجود الرسول ﷺ المقدس حيث تحيضة هائلة من الضياء ويبدو قمراً مستنيراً ومتألّقاً يستمد نوره من نور عظمة الله سبحانه، وضياؤه من ضياه لأنه خير رسله وحببيه من خلقه، ووسيلته فدايتهم في طرق الحياة الوعرة ومتاهات السعادة الأبدية بما منحه من العلم الوفير والقدرة المتكاملة على إضاءة الدرب للسائرين.

(١) المناقب ١: ١٣٢، البحار ١٦: ١٠٤.

حتى إذا أقبل سطيح الكاهن إلى مكة، قالوا: يا سطيح ما قدمت إلا لأمر عظيم، ألك حاجة فتقضى، فقال لهم: أردت أفضل قريش من بني عبد مناف، فأنالهم المبشر بالبشير والنذير والقمر المستنير^(١).

٧٢٨ . القوي

تتيمماً للمباحث التي طويناها في عنوان «ذو القوة» المتقدم نشر هنا إلى صفحة خلفية أخرى نظري على سر من أسرار قوة الرسول المصطفى ﷺ وهو حديث امتلاكه لعلم الكتاب والاسم الأعظم الذي كان عند صاحب النبي سليمان ﷺ قبساً منه فظهرت قوته عندما دار الكلام حول إحضار عرش بلقيس وقال عفريت من الجن: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مجلسك فقال الذي عنده علم من الكتاب: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك.

فإذا كان صاحب سليمان ﷺ يمتلك هذه القدرة والقوة فلا شك أن سليمان يمتلك قدرة أكبر وقوة أعظم. كما لا شك أن النبي محمد ﷺ وهو أفضل النبيين وأعلمهم يمتلك قوة أعظم بكثير من تلك التي يمتلكها صاحب سلمان النبي ﷺ أو سئمان نفسه.

ومهما كان الاسم الأعظم أو علم الكتاب فهو أمر يجعل من صاحبه قادراً على التصرف في مادة هذا العالم، وخصوصاً الأرض وما عليها، بل حتى الكرات الأخرى مثل القمر الذي أشار إليه النبي ﷺ فانشق وصار فرقتين ﴿اقتربت الساعةُ واشتقَّ القمرُ﴾^(٢) ولا تتأتى هذه القدرة والقوة في شيء من الحسابات ولا تحتملها مرونة عالم الخيال وغيره.

(١) البحار ١٥ : ٣٠٥.

(٢) القمر: ١.

بعد كل ذلك نقل ابن شهر آشوب أن أحد أسماء النبي ﷺ هو القوي مستدلاً بقوله تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾^(١).

٧٢٩. القيم

إنما يكون للشيء قيمة إذا كانت له صفات محسنة وآثار طيبة وفوائد ومنافع ترفع احتياجات البشر المتوخاة في دورة حياتهم على الأرض، ولا شك أن الرسول المصطفى ﷺ يمتلك للصفات المحسنة وما ينبغي فعله من الأخلاق الكريمة والآثار الطيبة، وقد ترتب على وجوده الفوائد العظيمة، مع توفيره احتياجات الأمة الأساسية وغيرها المتمثلة في توفير الأمن والصحة العامة وتقوية أواصر المجتمع بجميع زواياه مع تقريب الفواصل الطبقيّة المنتهي إلى حفظ كرامة الإنسان على الأرض، والأهم من جميع ذلك الفلاح فيما بعد الموت والفوز بالسعادة الأبدية.

عنده يعلم السر في قول الرسول ﷺ: «أنا القيم الكامل الجامع»^(٢) أي ذو قيمة عالية، وإن كان احتمل إرادة القائم على الشيء ومتولي الأمر موجوداً، لكن القرائن كلها تشهد بالمعنى الأول.

(١) مناقب أبي طالب ١: ١٣١، البحار ١٦: ١٠٢، والآية في سورة التكويد:

(٢) الخصال: ٤٢٥.

حرف الكاف

الأسماء المصدرة بحرف الكاف

٧٣٠ . الكافي

الكفاية هي تيام الشخص مقام آخر في إتيان ما يريد وقضاء حوائجه فيكفيه مؤونته، والكافي هو القائم مقامه في الأمر، وقد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ قوله: «نحن الكفاة»^(١) يعني هو وأهل بيته، فيصير معناه هو قيام الرسول ﷺ مقام أمته ومقام أتباعه وأتباع أهل بيته ﷺ في أمورهم وما يهمهم من المهام التي أهمها التخلص من عذاب النار وغضب الجبار، وذلك بالشفاعة لهم عند الله سبحانه وتعالى والتوسل إلى الله سبحانه وطلب المغفرة لهم وانعفو عنهم.

وكذلك يقوم مقامهم في مجال تنفيذ مطالبهم وحوائجهم في الدنيا وفتح مغائق أمورهم بالسعي والدعاء والطلب من الله تعالى.

٧٣١ . الكامل

الكمال هو التحلي بالفضائل والخلو عن النقائص سواء كان هذا النقص في البدن أو العمل أو الصفات، فقد تقدم أن النبي ﷺ تام الخلقة متناسق الأعضاء ضيب الريح نير الوجه، يرى نوره في الليلة الظلماء، فهو خال من النواقص التي تتصور كالتشويه في الخلقة أو نقص بعض

(١) الخصال ٢: ٤٢٦ ب ١٠، البحار ٢٥: ٢٣، جمال الأسبوع: ٢٩٤، البحار ٨٧:

الأعضاء وتن الرريح وكدر اللون وحتى النقص الطبيعي في البشر، كنتن العذرة وتخليفها على الأرض، إذ لم يكن كذلك؛ لأن الأرض تبتلع الأخيشين منه، قالت مرضعته حليلة: لا شممت ورب السماء من محمد رائحة ننتة قط، ولا شممت منه شيئاً أبداً، بل كان يفوح منه رائحة المسك والكافور... ما رأيت ما يخرج منه البنت؛ لأن الأرض تبتلع ما يخرج منه^(١).

وكان لعرقه رائحة طيبة وبريق ولمعان يشبه اللؤلؤ، بالإضافة إلى تحذر النبي ﷺ حتى من التهمة بشيء من ذلك، حتى أن عائشة وحفصة تأمرتاه عليه لما كان يمكث عند بعض أزواجه يشرب عندها العسل فقالتا: نحن نشم منك رائحة المغافير، وهو صمغ شجرة العرفط وله رائحة ننتة. فترك شرب العسل ونهاه الله سبحانه عن ذلك لم تحرم ما أحل الله لك^(٢).

وأما أفعاله فهي التي تقتضيها الفطرة السليمة والجبلة المستقيمة من الكرم والضيافة وإعانة الضعفاء ومساعدة الفقراء والشجاعة والصبر والاحتمال.

ومن صفاته الكمالية أنه محمود الشمائل والخلال ورفيع الحسب وباذخ الشرف مع الفطرة النقية والنفس المرضية ما لم يتهاى لغيره من البشر.

تحذر من أكرم المناسب، وانتهى إلى أطيب الأعراق، فأباؤهم هم أمراء مكة وبنو هاشم كما وصفهم الجاحظ هم ملح الأرض وزينة الدنيا وحلي العالم والسنام الأضخم والكهل الأعظم.

(١) الفضائل لسانان: ٢٩.

(٢) سنن أبي داود: ٢: ١٩١ ح ٢٧١٤. مستدرک الحاکم: ٤: ١٠٥.

واختص من بين الأنبياء بأولية الخلق والأعلمية والرجحان في جميع خصال الكمال والأقربية من الله سبحانه وتعالى.

فهذه الصفة المظاهرة للكمال غير أن الكمال الحقيقي هو امتثال أوامر الله سبحانه وتعالى حتى الاستحبابية وترك مناهيه حتى التنزيهية وكل ما كان تركه أولى، والفناء في الله سبحانه والقرب منه، والبلوغ إلى مرتبة يوكل إليه أمر الخلق، فهذا هو الكمال غاية الكمال الذي أخبر عنه النبي ﷺ وقال «... وأنا القيم الكامل الجامع»^(١).

٧٣٢. كث اللحية

اتفقت الأخبار الواصفة لرسول الله ﷺ على أنه «كث اللحية»^(٢) بمعنى أن لحيته غير دقيقة ولا طويلة، اجتمع شعرها وكثف وجعد من غير طول، والجامع أنها كثيرة الشعر. وهذا هو المتصور في عامة الأنبياء، وهو المعهود من رجال الدين في أغلب الديانات السماوية، وكأن هناك علاقة بين التقديس وكثافة اللحية.

بينما هناك علاقة أخرى بين خفة اللحية وحدة الذكاء، أو الدهاء والمكر ولكل قاعدة شذوذ واستثناءات.

(١) علل الشرائع ١: ١٢٨، الخصال: ٤٢٥. معاني الأخبار: ٥١.

(٢) انظر مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٥، وعميون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٨٢،

والخصال: ٥٩٨، ومعاني الأخبار: ٨٠. ومناقب أمير المؤمنين للكوفي ١: ١٨،

٣٠٢، وأمالي الطوسي: ٢١٧، ٣٤١، وتفسير علي ابن إبراهيم: ٥٩٨،

ومكارم الأخلاق: ١٢، وذخائر العقبى: ١٢٧، والسيحار ٦: ١٤٦. ونيل

الأوطار للشوكاني ١: ١٨٤، ومسند أحمد ١: ٨٩، وسنن النسائي ٨: ١٨٣.

٧٣٣. كثير الأزواج

نعم الرسول المصطفى ﷺ كان كثير الأزواج، بينما لم يتزوج النبي عيسى (عليه السلام) حتى رفعه الله سبحانه وتعالى، فاختار بعض أتباعه - خصوصاً الرهبان منهم - تلك الطريقة في الحياة. وترك عامة أتباعه اختيار أكثر من زوجة، ولعله محرم عندهم. ومع ذلك فقد تزايد عدد المسيحيين بفضاعة، ولو لم يمنعوا عن ذلك وكان عيسى قد تزوج أو اختار عدة زوجات لملاّ المسيحيون العالم، ولم يبق هناك أي فرصة للشريعة اللاحقة، أعني الإسلام. بل لم يكن لأي شرع متنفس ولا في الأرض متسع.

ولكن لما كان المقدر للإسلام أن يكون هو الشريعة الخاتمة التي ستحكم الأرض في نهاية انقضاء كل الأزواج، كان تزايد عدد المسلمين وانتشارهم في جميع أقطار الأرض هو المطلوب، ليكون الدين كله لله، ويتضاءل أمامه حجم الشرائع الأخرى شيئاً فشيئاً. ولعل هذا هو بعض السر في اختيار الرسول ﷺ زوجات كثيرة ليقتدي به المسلمون وتتزايد جموعهم ويتحقق ذلك الهدف المنشود.

هذا بصورة كلية تابعة للحكمة الإلهية. وأما لو أنقينا نظرة على كيفية اختيار النبي للزوجات ومتى كان ذلك منه ﷺ وما ترتب عليه من الآثار، فإن إشكال شهوانية الرسول ﷺ الذي قد يطرحه البعض وأنه كالملوك ينكح ويغزو، سيرتفع ولا يكون له أي توجيه.

فإن المعروف أن النبي ﷺ لم يختَر أي زوجة إلى أن بلغ من العمر خمسة وعشرين سنة، بل لم تمس يده امرأة ولم يثبت نظره في وجه امرأة قط.

ولما بلغ من العمر خمسة وعشرين سنة تزوج بخديجة بنت خويلد التي تكبره بالسن، وقد أمضى معها زهرة شبابه وصفوة عمره ولم يتزوج غيرها قبل موتها.

ولم يبدأ بالزواج وتعدده إلا بعد أن أصبح الزواج ضرورة من ضروريات الدعوة، وذلك بعد هجرته إلى المدينة المنورة وقد بلغ سنه الشريف الثالثة والخمسين، وهو سن الشيخوخة الذي لا يتصور فيه الحاجة إلى الزواج بمن تزوج من النساء بعد خديجة الكبرى رضي الله عنها لولا حرصه على الدعوة الإسلامية. وقد رغبه هذا الحرص في مصاهرة من تقوى بهم شوكة الإسلام.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى عطفه وحنانه ورحمته، باللإني تزوج بهن من الأرامل والثيبات ضحايا الحروب التي خاضها العرب قبل وبعد الإسلام، أو نتيجة لاحتقار العرب للمرأة وامتهانها وطلاقها بأدنى ذريعة، فكان اختيار النبي صلى الله عليه وسلم للمتعدد في تلك الظروف باعثاً على ترغيب المسلمين في الزواج بالأرامل واستنفاذهن من العناء، ثم الحيلولة دون شيوع الفاحشة والفساد.

ولو كان الرسول صلى الله عليه وسلم شهوانياً لاختار ذلك في عنفوان الشباب حيث لم يكن هناك أي مانع ولا رادع، وهو أمر طبيعي عند العرب حتى كان لبعضهم عشر زوجات أو أكثر، والرسول ممن يرغب في تزويجه الجميع لما شاع من مكارم أخلاقه، أو لاختار ذلك يوم عرض عليه سادات قريش ذلك عند شروع الدعوة.

ولو كان شهوانياً لاختار الأباكار - وإخل أن الجميع يتشرف بتزويجه - ولم يختار الثيبات والأرامل والعجائز، ولكن أهداف النبي صلى الله عليه وسلم تختلف كل الاختلاف عن أهداف أكثر الناس وأعرافهم، فإنك تجده لم يلتفت إلى سن أو جمال أو مال بل هي الأهداف السامية التي جعلت من ذلك الزواج بركة على الإسلام، وكان له أثراً عظيمة أدى إلى قوة شوكة المسلمين واستقرار قواعده.

ولما كان بين ترك عيسى عليه السلام الزواج بتاتاً وبين اختيار الرسول

الأكرم ﷺ للعديد من الزوجات مما يصعب الجمع بينه على المسيحيين الذين هم أيضاً مدعوون للدخول في الإسلام عادًة من التدبير الإلهي ومن أجل تلافي ذلك الإشكال أن وعظ عيسى عليه السلام فقال له: «محمد رسول الله ﷺ على الناس... كثير الأزواج»^(١).

٧٣٤ . كثير السكوت

روى القاضي عياض عن جابر بن سمرة يصف النبي ﷺ قوله: كان - يعني النبي ﷺ - كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة، يُعرض عمّن تكلم بغير جميل، وكان ضحكه تبسماً وكلامه فصلاً لا فضول فيه ولا تقصير، وكان ضحك أصحابه عنده التبسّم توقيراً له واقتداءً به، مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن^(٢) فيه الحرم، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير^(٣)، ذكرنا هذا الخبر بطوله لما فيه من ذكر مجلس رسول الله ﷺ وما يذكر فيه وما لا يذكر، وما يجري ويدور فيه بصورة عامة.

وقد تقدم في عنوان طويل الصمت بيان مواضع صمته ومواضع كلامه ونزيد هنا في فضيلة السكوت ما وصف به أمير المؤمنين الرجل المثالي فقال: «كان لي فيما مضى أخ في الله وكان يعظمه في عيني صغر الدنيا في عينه... وكان إذا غلب على الكلام لم يغلب على السكوت، وكان على ما يسمع أحرص منه على أن يتكلم»^(٤).

(١) الكافي ٨ : ١٣٩ ، أمالي الصدوق : ٦١٢ ، البحار ١٤ : ٢٩٧ .

(٢) ويؤبن : يعني يذكر بقبیح ، وفي ذكر مجلسه ﷺ لا تؤبن فيه الحرم أي لا يذكر بسوء ، الصحاح ٥ : ٢٠٦٦ .

(٣) الشفاء ١ : ١٣٨ .

(٤) نهج البلاغة ١٤ : ٦٩ خطبة ٢٨٩ ، الكافي ٢ : ٢٣٧ ح ٢٦ .

٧٣٥. الكريم

ذكر ابن شهر آشوب من أسماء النبي ﷺ الكريم^(١) استناداً إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾^(٢) بناءً على أن المراد هو رسول الله ﷺ كما جاء في التوقيع الخارج عن النحبة المقدسة^(٣)، وروى أنه جبرائيل عليه السلام^(٤)، والأول هو الأنسب لعدة قرائن وشواهد^(٥).

فيكون معنى الكريم هو ما يقابل اللثيم، بمعنى الشريف في قومه، أو كريم المفعال والأخلاق، أو الكريم على الله سبحانه وتعالى.

٧٣٦. كريم الميلاد

أي ميلادٍ أكرم وأشرف من مولد سيد البشر، أم كيف لا يكون كريماً وقد صاحبه صنوف المعجز وشتى عجائب الخوادث والآيات، فثمة برقة لمعت، وكواكب سطعت ثم سيرت، وامتلأت السماء حرساً شديداً وشهباً مانعة من تصعد الشياطين. وهبضت الملائكة بنشيش أجنحتها يقودها جبرائيل، وهاتف يهتف من الكعبة أن جاء البشير النذير، جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

فستط النبي ﷺ متقياً الأرض بيديه، ثم رفع رأسه إلى السماء ينظر إليها فظهر منه نور أضواء حدود فارس وقصور بصرى: غاضت معه بحيرة

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٠.

(٢) التكوير: ١٩.

(٣) الاحتجاج ٢: ٣٠٣.

(٤) الكافي ١: ٤٣٣.

(٥) منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾

وما ورد من تفسيره. انظر الغيبة: ٣٧٨، والبحار ٩٠: ٩٨.

ساواة، بينما ففاض بالماء وادي السماوة. وخذت نيران فارس التي كانوا يعبدونها ولم تزل مشتعلة من ألف عام، وارتح إيوان كسرى واهتز طاقه وانفصم وسقطت منه أربعة عشر شرفة، وغير ذلك من الآيات والدلائل التي تشيد بكرم ولادته ﷺ وشرفها كما أخبر بذلك أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «إني أن بعث الله محمداً لإحجاز عدته، وتسام نبوته، مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهورة سماته كريماً ميلاده»^(١).

٧٣٧ . كلمة التقوى

قام رسول الله ﷺ خطيباً فكان فيما قال: «لحن كلمة التقوى وسبيل الهدى»^(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾^(٣) على أن المروي في تفسيرها متعدد^(٤)، والأقوال في توجيه كونهم ﷺ كلمة التقوى متعددة أيضاً، فقول: هم كلمة أهل التقوى، وإطلاقها عليهم إما باعتبار أنهم ﷺ كلمات الله يعبرون عن مراد الله، كما أن الكلمات تعبر عن مراد المتكلم وما في ضميره، أو باعتبار أن ولايتهم والقول بإمامتهم سبب للاتقاء من النار فيستدعي تقدير مضاف، أي ذو كلمة التقوى^(٥)، وقيل: المعنى أن ولايتهم هي الكلمة التي بها يتقى من النار^(٦).

(١) نهج البلاغة ١١: ٣٧، البحار ١١: ٢١٦.

(٢) تفسير فوات الكوفي: ١١٠، إحصال: ٢: ٥١، البحار ١١٦: ٣٧٦، وح ٢٦: ٢٤٤.

(٣) الفتح: ٢٦.

(٤) روي في الكافي ٢: ١٥ أن كلمة التقوى هي الإيمان، وروي في العلل ١: ٢٥١

أنها لا إله إلا الله، وروي في معاني الأخبار: ١٦٥ ما مضمونه أنها علي عليه السلام،

وروي في كتاب اليقين: ٢٩١ أنها ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٥) انظر البحار ٢٣: ٣٥.

(٦) البحار ٢٦: ٢٤٤.

ولبيان ذلك لا بد من معرفة أن هذه الكلمة من صدرت أو تصدر وهي كلمة من، فإذا كانت هي كلمة الناس، فقد يتوجه إرادة كونهم كلمة أهل التقوى، وأما إذا كانت هذه الكلمة هي كلمة الله سبحانه وتعالى فهي تعني خلق وتحقق المصداق والوجود خارجي للتقوى؛ لأن الله سبحانه إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون^(١). مع ما روي من أن الله سبحانه وتعالى تكلم بكلمة فصارت نوراً فخلق منه محمداً^(٢).

فيكون المعنى أنهم عليه السلام تعبير الله سبحانه وتعالى عن التقوى وبيان حقيقة التقوى وما هو مراده وما يأمر به وينهى عنه. إذ أن عملهم وقولهم وكل وجودهم عليه السلام تعبير عما أراد الله سبحانه وتعالى كما أن كلمة الإنسان هي تعبير عن الضمير والمعنى والمتصور.

٧٢٨. كلمة الله

عظماً على ما مضى في العنوان السابق يكون معنى أن النبي وأهل بيته عليهم السلام هم «كلمة الله» أنهم المعبّرون عن مراد الله سبحانه وتعالى بأقوالهم وأفعالهم وكل وجودهم كما أن الكلمات تعبر عما في الضمير ولذلك صار النظر إليهم يذكر بالله سبحانه وعبادته له.

وكذا فإن كلمة الله سبحانه وتعالى هي خلقه كما تحدثنا عنه مسبقاً، فهم خلق الله سبحانه قد تحقق وجودهم في مرحلة من المراحل بنوع من المباشرة بعيداً عن الطرق العادية. أي كما خلق آدم عليه السلام وعيسى عليه السلام الذي هو كلمة بلا ريب. وإنما تكون العبرة بخلق أنوارهم وأرواحهم دون أجسادهم؛ لأن الله سبحانه أول ما خلق نور حبيبه محمد ابتدعه من نوره

(١) يس: ٧٢.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٣٢، الفضائل لشاذان: ١٢٩، البحار: ١٥: ١٠.

١٢٠..... أسماء الرسول المصطفى ﷺ

واشتقه من جلال عظمته، كما حدث بذلك النبي ﷺ نفسه وقال بعده:
«ولحن كلمة الله»^(١).

غير أنه يمكننا العدول إلى معنى آخر مقتبس من النسخ في مريم ﷺ أعني كلمة الله التي أحلها في جسد مريم فصارت إنساناً وصار له حياة، فإن النبي ﷺ وأهل بيته وولايتهم ومحبتهم إذا دخلت جسد إنسان وروحه وعظمه صار له حياة.

فإن روح البصر روح الحياة - الذي لا ينفع إيمان إلا به - مع كلمة الله والتصديق بها - أي النبي وأهل بيته لأنهم الكلمة - والكلمة من الروح والروح من النور، والنور هو الله سبحانه وتعالى.

فيكون المعنى روح الإيمان الذي يكون مع المؤمن وبه يكون بصيراً وحيّاً لا يكون إلا مع كلمة الله أي إمام هدى، فالكلمة من الروح أي معه، أو هو آخذ من الروح أي روح القدس، والروح يأخذ من النور، والنور هو الله سبحانه، وهو سبب أثر الله به المؤمنين، وخصر ص الشيعة الخجين خصهم الله به نعمة عليهم.

وهناك تفاصيل أخرى في «كلمة الله» سبحانه لا يسعها هذا المختصر.

٧٣٩. كهيعص

﴿كهيعص﴾ *ذَكَرْ رَحْمَةَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا*^(٢) الذي سأل ربه أن يعلمه أسماء الخمسة، فأهبط عليه جبرئيل عليه السلام فعلمه إياها، فكان زكريا إذا ذكر محمداً ﷺ وعلياً وفاطمة والحسن عليهم السلام سرى عنه همه

(١) البحار ٢٥: ٣٢.

(٢) مريم: ١٠.

والجلى كربيه، وإذا ذكر اسم الحسين عليه السلام خنقته العبرة ووقعت عليه البهرة فقال عليه السلام ذات يوم: إهي ما بالي إذا ذكرت أربعة منهم تسليت بأسمائهم من همومي، وإذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثور زفرتي؟ فأنبأه الله تبارك وتعالى عن قصته فقال: كهيعص فالكاف كربلاء وإهاء هلاك العترة، والياء يزيد وهو ظالم، والعين عطشه، والصاد صبره، فلما سمع زكريا عليه السلام ذلك لم يفارق مسجده ثلاثة أيام ومنع فيها الناس من الدخول عليه، وأقبل على البكاء والنحيب...

هكذا جاء في تفسير كهيعص في الأخبار^(١)، وقد تفسر باسماء الله الكافي والهادي^(٢)...

ويبقى الوجه في تسمية النبي صلى الله عليه وآله بذلك.

والظاهر أن زكريا بعد أن ذكر له الله ذلك صار يعرف خاتمة الشرائع بهذا الاسم وصار عنده اسماً للنبي صلى الله عليه وآله، ومتى ما ذكر كهيعص فكأنما ذكر اسم النبي صلى الله عليه وآله، ونحن لا نستبعد ذلك بعد ما قال النبي صلى الله عليه وآله: «حسين مني وأنا من حسين»^(٣) كما يحتمل أن تكون كهيعص واحدة من أسماء النبي صلى الله عليه وآله مثل طه ويس بالإضافة على تلك التفسير كما ذكر ذلك ابن شهر آشوب^(٤) وهو الأولى إن صح النقل.

(١) كمال الدين: ٤٦١.

(٢) الاحتجاج ٢: ٢٧٢، البحار ١٤: ١٧٨. وهذا مني على معرفة الأنبياء باللغة

العربية، أو الهاء مثلاً أول كلمة في لغة زكريا تعني هلاك العترة. وهكذا.

(٣) معاني الأخبار: ٢٢.

(٤) كمال الزيارات: ١١٦، شرح الأخبار ٣: ٨٨، أوائل المثالات للمفيد: ١٧٨، البحار

ويؤيده ما جاء في دعاء للحسن رضي الله عنه، «يا رب النبيين كلهم أجمعين
ويا رب كهيعص وظه وطنس ويس...»^(١).

(١) الفرج بعد الشدة للتبرخي: ٤٨.

حرف اللام

الأسماء المصدرة بحرف اللام

٧٤٠ . اللبنة

روي أن رسول الله ﷺ قال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون ويعجبون له ويقولون: هلاً وضعت هذه اللبنة قال: أنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»^(١).

ولو صححت هذه الرواية فهي تحكي عن ظاهر الخال وظاهر البناء النبوي من آدم إلى النبي الخاتم بناء يشتمل على مائة وأربعة وعشرين ألف لبنة أي نبي، وإلا فحسبقة النبي ﷺ ودوره بين جميع الأنبياء يزيد على نصف البناء الحقيقي؛ لأن النبي مبعوث إلى ما يعادل نصف عدد البشرية من يوم وجودها على الأرض نظراً لفترة نبوته وكثرة الناس، ولكن الرواية ضعيفة جداً.

على أن الشريعة التي جاء بها هي الشريعة الكاملة التي تساوق كل التقدم العلمي وتسبق عليه وتماشى شتى العصور والثقافات المختلفة فلا يعقل أن تكون موضع لبنة، إلا إذا أريد من تلك اللبنة المتممة عالمية الدين الإلهي الذي لم يقدر لعامة الشرائع السماوية سوى الدين الإسلامي آخر المطاف عند ظهور المهدي المنتظر ﷺ آخر أوصياء الرسول المصطفى ﷺ فإنه سيحكم العالم ويكون الدين واحداً، فهذه لبنة لم تتم ولكن أي لبنة.

(١) البخاري ٤: ١٦٣، مناقب ابن شهر آشوب ١: ١٢٩.

٧٤١ . لسان الله

السنة الناس ثلاثة:

الأول: هو لسان الهوى، وهو لسان الإنسان الذي ينطق عن الهوى وما اشتتهته نفسه ونازعتة إليه.

والثاني: لسان الشيطان، وهو لسان من اتخذ الشيطان لأمره ملاكاً واتخذ له أشراكاً، فباض وفرخ في صدره، ودب ودرج في حجره، فنظر بعينه ونطق بلسانه وركب به الزلل، وزين له الخطل، فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه ونطق بالباطل على لسانه، هذا مضمون ما ورد في نهج البلاغة^(١).

والثالث: لسان الله، لسان من يعبد الله ولا يتكلم إلا في طاعته وطلب مرضاته، فهو يعبر عن الله سبحانه ويبين حلاله وحرامه ويفصح عن أوامره ومراداته وسائر معارفه وما يريد بيانه خلقه، وقد يكون حال الشخص وصفاته وجميع أفعاله هي المعبرة عما يريد الله سبحانه والمبينة لما يرتضيه ويطلبه، عندها يكون جميعه لسان الله وليس خصوص لسانه، ولا يكون كذلك سوى الأئمة المعصومين من آل بيت رسول الله ﷺ، وفوق أولئك الذي أنبا عنه الله سبحانه وتعالى وقال: ﴿وَمَا يَسْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢) فمن الطبيعي جداً أن يكون لسانه هو لسان الله سبحانه، وكان كما قال أبو عبد الله عليه السلام: «وكان رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ووجهه، وعينه على عباده، ولسانه الذي ينطق به»^(٣).

(١) نهج البلاغة ١: ٤٢ خطبة ٧.

(٢) النجم: ٣.

(٣) التوحيد: ١٥١، البحار ٤: ٧.

٧٤٢ . لطيف الخلق

رووا صفة النبي ﷺ : أنه كان فحماً فمخماً في العيون معظماً وفي القلوب مكرماً، يتلألاً وجهه تالئاً القمر ليلة البدر، أزهر منور اللون، مشرباً بحمرة، لم تزر به مقلعة، ولم تبعه ثجلة، أغر أبلج، أحور أدعج، أكحل أزج، عظيم أهامة، رشيق القامة، مقصداً واسع الجبين، أقنى العينين، أشكل العينين، مقرون الحاجبين، سهل الخدين صلتهما، طويل الزندين، شبح الذراعين، عظيم مشاشة المنكبين، طويل ما بينهما، شن الكفين، ضخم القدمين، عاري الثديين، خمسان الأخصمين، مخطوط المتنتين، أهدب الأشفار، كث اللحية، ذا وفرة، وافر السبلة، أخضر الشمط، ضليع الفم، أشم أشنب، مفلج الأسنان، سبط الشعر، دقيق المسربة، معتدل الخلق، مفاض البطن، عريض الصدر، كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، سائل الأطراف، منهوس العقب، قصير الخنك، داني الجبهة، ضرب اللحم بين الرجلين، كان في خاصرته انفتاق، فعم الأوصال، لم يكن بالطويل البائن، ولا بالقصير الشائن، ولا بالطويل المنمط، ولا بالقصير المتردد، ولا بالجدع القطط، ولا بالسبط، ولا بالطهيم، ولا بالكلثم، ولا بالأبيض الأمهق، ضخم الكراديس، جليل المشاش، كنوز المنخر، لم يكن في بطنه ولا في صدره شعر إلا موصل ما بين اللبة إلى السرة، كالخط، جليل الكتد، أجرد ذا مسربة، وكان أكثر شبيه في فودي رأسه، وكان كفه كف عطار مسها بضيبي، رجب الراحة، سبط القصب، وكان إذا رضي وسر فكان وجهه المرأة، وكان فيه شيء من صور، يخطوا تكفواً ويمشي الهويناء، يبدو القدم إذا ساروا إلى خير، وإذا مشى كأنما ينحدر في صيب، إذا تبسم يتبسم عن مثل المنحدر عن بطون الغمام، وإذا افتراً افتراً عن سنا البرق إذا تلالاً، لطيف الخلق، لين الجانب إذا ضلع بوجهه على الناس رأوا جبينه كأنه ضوء السراج المتوقد، كأن عرقه في وجهه اللؤلؤ، وريح عرقه أظيب من ريح المسك الأذفر، بين كتفيه

خاتم النبوة^(١).

هذه غالب صفاته التي رويت بما فيها العنوان المبحوث عنه الذي يراد به لطيف الخلق لا الخلق وبقرينة قوله بعده: «عظيم الخلق» وقد دلت هذه الرواية على لطيف خلقته وجميل صفاته بما فيه الكفاية على أن تفسير أكثر هذه الصفات تقدم ويأتي فلا حاجة لبيانه.

٧٤٣. لئین الجانب

لئین الجانب هو الرفق والرافة وترك العنف والغلظة في الأفعال والأقوال على الخلق سواء صدر عنهم بالنسبة إليه خلاف الأدب أو لم يصدر، مع وجود اختلاف بين الخلم والرفق واللين وإن كانت متقاربة في المعنى فالخلم هو ترك مكافأة من يسيئ والسخوت في مقابل المتسفه، بينما الرفق هو اللطف والشفقة والإحسان إلى العباد، ولين الجانب هو ترك الخشونة في التعامل والغلظة على الناس وإضرار الخلق.

فقد ورد عن هند بن أبي هالة أن رسول الله ﷺ كان دائم البشر سهلاً الخلق لئین الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صحاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي فلا يؤيس منه ولا يحجب فيه مؤمليه، قد ترك نفسه من ثلاث: المرء والإكثار ومما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً ولا يعيره ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، إذا تكلم أظرق جلساؤه... يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه وسؤاله، حتى أن كان أصحابه ليستجلبونهم، وهو يقول: إذا رأيت طالب الحاجة يطلبها فارقدوه، ولا يقبل الثناء إلا عن مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه

(١) انظر مناقب آل أبي طالب ١: ١٠٧، والبحار ١٦: ١٨١.

حتى يجوز فيقطعه بانتهاء أو قيام، فهذا الحديث دليل لينه وتفسيره^(١).

أمره الله سبحانه وتعالى بكل ذلك وقال: ﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ
لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) كناية عن استعمال لين الجانب وحسن الأخلاق، ثم شهد
سبحانه له وقال: ﴿وَكُوكُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفِصُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٣)
وقد تقدم من القصص ما يدل على لينه وعدم غلظته في عنوان آية الناس
عريكة وغيره.

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٨٤، معاني الأخبار: ٨٣، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام

للنكوفي ١: ٢٥، مكارم الأخلاق: ١٤، البحار: ١٦: ١٥٣.

(٢) الحجر: ٨٨.

(٣) آل عمران: ١٥٩.

حرف الميم

الأسماء المصدرة بحرف الميم

٧٤٤ . الأخوذ على النبيين ميثاقه

قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه: بعث الله سبحانه محمداً لإنجاز عده، وتمام نبوته، مأخوذاً على النبيين ميثاقه^(١).

٧٤٥ . مؤذ مؤذ

قال محمد بن إسحاق: قد ذكر لي بعض أهل العلم أنه وجد عند حبر من أحبار اليهود عهداً من كتاب إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام فيه مؤذ مؤذ، فقال: أنشدك الله ما هذان الحرفان؟

قال: اللهم غمز من ذكر محمد عليه السلام^(٢)، وهذا يدل على أن اسم النبي ليس بمجموع الكلمتين، ولكن قال الشيخ الطبرسي في كتاب إعلام الوري: إن أسماءه في كتب الله السالفة كثيرة منها: مؤذ مؤذ بالعبرية في التوراة^(٣)، وبين الروايتين بون بعيد، فواحدة تنسبه إلى إبراهيم والأخرى تنسبه إلى التوراة، ولا يتحقق الجمع بين الحقين إلا إذا كانت لغة إبراهيم وموسى واحدة أو متقاربة، وما هو بعيد؛ لأن موسى من أحفاد إبراهيم.

(١) نهج البلاغة: ١: ٢٧.

(٢) دلائل النبوة للأصبهاني: ١٥٦.

(٣) إعلام الوري: ١: ٤٩، البحار: ١٦: ١١٤.

٧٤٦ . المؤذن

سأل عمر بن عتبة وفي خبر آخر حارث بن النعمان الفهري فقال: يا محمد أسألك عن ثلاث مسائل: فقال: «سل عما بدا لك» فقال: أخبرني عن شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، أم منك أم من ربك؟ قال النبي ﷺ: «أوحى إلي من الله والسفير جبرائيل والمؤذن أنا، وما أذنت إلا من أمر ربي»^(١).

والأذان هنا بمعنى الإعلام، فهو ﷺ أعلم الأمة بشهادة التوحيد والنبوة بإذن من الله سبحانه وتعالى وبأمر منه فكان هو المعلم والمعلن والمؤذن.

٧٤٧ . المؤمل للنجاة

لم يعتمد العدالة والمساواة سوى المعصومين من الأنبياء والأئمة وبعض الصلحاء، وهي التي ينتصها عامة البشر ولا ينتفع بها يوم القيامة أحد، لكفاية ذنب واحد في استحقاق العذاب الأليم، لأنه تمرد وطغيان على رب الأرباب مع بناء العقلاء على استحقاق المتمرد على السلطان الدنيوي وكل ذي قدرة السجن والقتل بالتمرد والعصيان ولو مرة واحدة. كما أن الكل يعلم من حال نفسه وزيفه أكثر مما يحتاج إلى الحكم بالعدل والقضاء بالمساواة، وعدم توجه أي دفاع ونقاش.

فلا بد أن يفقد الإنسان الأمل بالكلية، خصوصاً بعد يقينه بورود الجميع النار ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّنَا حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾^(٢) ولا بد أن يصتق صعوبة التخلص منها والخروج عنها المعبر عنه ﴿فَمَنْ زُجِرَ

(١) جامع الأخبار: ١٠، ١٣، البحار: ٣٧: ١٦٧.

(٢) مريم: ٧١.

عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَعَدُوًّا فَازًا»^(١).

فلا مؤمل للنجاة سوى شفاعة الشافعين، وإنما تكون الشفاعة العظمى للرسول المصطفى ﷺ وأهل بيته كما مر في مباحث سابقة.

وكذا فإن النبي ﷺ كان هو المؤمل للنجاة قبل بعثته عند طالبي الحق في الجزيرة والعالم ينتظرونه لما بشرت به الرسل ليستنقذ المسحوقين الضعفاء بإعطائهم المكانة العالية واستنقاذهم من التيه والضلال ببياناته ومواعظه وتعليمه، كما ننتظر اليوم الإمام المهدي ﷺ للنجاة والانتقام.

فالرسول المصطفى ﷺ هو المؤمل للنجاة في الدنيا والآخرة، وقد دُكر ذلك في الصلوات الواردة: «اللهم صلّ على محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين... المؤمل للنجاة المرتجى للشفاعة»^(٢).

٧٤٨. المؤمن

ذكر ابن شهر آشوب أن أحد أسماء النبي ﷺ هو المؤمن مستدلاً لقوله تعالى: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ﴾^(٣)، والمروي أن الرسول ﷺ لما عرج به إلى السماء السابعة حتى كان قاب قوسين أو أدنى فرفعت الحجب له ورأى كل شيء فمشى فنودي: يا محمد إنك لتمشي في مكان ما مشى عليه بشر قبلك، فكلمه الله عز وجل وقال: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ قال ﷺ: «نعم يا رب المؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله»^(٤).

(١) آل عمران: ١٨٥.

(٢) دلائل الإمامة: ٥٤٩.

(٣) المناقب ١: ١٣٣ والآية في سورة البقرة ٢٨٥.

(٤) روضة الواعظين: ٥٩.

٧٤٩. المأمون

ليس مستساغاً أن يذهب البعض إلى فقدان أي حركة سياسية مطلقة أو سياسية دينية للأسرار التي لا يطلع عليها العام والنائي.

وأشنع من ذلك تحيّل فقدان الرسائل السماوية التي حكمت أو لم تحكم للأسرار التي تظل في مطاوي الكتمان أو التي لا تتجاوز الخواص وأهل السر.

وخصوصاً الدين الإسلامي المخطط لولادته وبقائه وتوسعه ليشمل جميع الأرض مع دوام الاتصال بالسماء وشمول علم النبي ﷺ لما يجري في خلد أصحابه وما يحدث من بعده وما يحدثون بعد وفاته.

فمن أمثلة ما لا يعلمه إلا الخواص - أعني الشيعة الإمامية - أن القرآن لما تكلم كثيراً عن المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويلامزون النبي ﷺ ويكتمون الكفر والعناد ويقومون بالتخطيط لهدم الدين وحرف مسيرته الصحيحة عاد من الأسرار معرفة المصاديق ومن هؤلاء المنافقين الذين ما زالوا يدبرون للنبي ﷺ وللإسلام ويظهرون الإيمان والدعم.

وكذا حينما تحدث القرآن عن ظهور الإسلام على الدين كله وحكومة الذين استضعفوا في الأرض ظلت كيفية ذلك وزمانه وتطبيق مصداقه من الأسرار الخفية.

وكذا علم النبي ﷺ بتسلط الأشرار من بني أمية وغيرهم على هذه الأمة وهم ضعفاء منبوذون بين يديه يمكنه إزاحتهم ودفعهم عن ذلك، صار سبب تركهم من الأسرار.

وكذا علمه بانقلاب الأمة وبإخبار القرآن وسوء من يخلفه بحيث تؤدي خلافتهم إلى وصول الخلافة إلى مثل يزيد بن معاوية الطاغية، بل

توغّل الكفار في الصفوف الأولى للمسلمين، ودخول الأفاعي إلى داخل بيته ﷺ لتتكز بأهل بيته في حياته وبعد مماته وحكمة قبول النبي ﷺ لتلك الأحوال وما يترتب عليه من الآثار، كل ذلك من الأسرار.

بالإضافة إلى أسرار السماء وخالص الشريعة وروحها وهو المطلوب الحقيقي من الإنسان مما تُفتح به أبواب الجنان، كل ذلك وغيره من الأسرار التي يؤدي إظهارها وابدائها إلى هدم الإسلام وتشتت الجماعات وانفضاض المسلمين من حول الرسول ﷺ.

فيعود التعامل لمدة طويلة مع كل أولئك المنافقين بحسب ظاهر حالهم مع الإمام بما يجري في قلوبهم من الصعب جداً مما يطفح به كل قدر ولا يؤمن معه كل كاتم هذا بعد امتلاك الرسول ﷺ لأعظم القوى التي لو ظهر جانب منها لأدى إلى عبادته والشرك بالله من جديد، فمع كل تلك القوى والقدرات يعود الصبر والاحتمال وستر تلك القوى عن الناس رغم كل الأذى الذي وصل إليه والاستهزاء أمر لا يطاق.

فإذا قيل عن الرسول ﷺ بأنه المأمون فهو يعني المأمون على مكنون سريرة الله بما أولاه من النعمة كما جاء في بعض الأدعية^(١)، وهو يعني أشد مراتب التأمين وأعلى الضمانات لحفظ الأسرار التي لم يطلع عليها سوى الخواص، أو لم يطلع عليها حتى الخواص.

ويحتاج درك مثل ذلك إلى علم وافر لا يحتمله إلا وصي، ولذا جاء هذا الوصف في لسان أمير المؤمنين عليه السلام وهو يصف النبي ﷺ قائلاً: «فهو أمينك المأمون وخازن علمك المخزون»^(٢).

(١) المزار للمشهدى: ٣٠٠.

(٢) نهج البلاغة ١: ١٢٢.

٧٥٠. المأمون على مكنون سريرة الله

قال علي بن الحسين عليه السلام في دعاء: أسألك... أن تصلي على آدم... وصل على ابنه الخالص من صفوتك والفاحص عن معرفتك والغائص المأمون على مكنون سريرتك^(١).

٧٥١. مئيد مئيد

حكى العلامة المجلسي القول بأن اسم النبي عليه السلام في التوراة مئيد مئيد^(٢).

٧٥٢. المؤيد

النبي عليه السلام مؤيد من قبل الله سبحانه وتعالى ذلك التأيد الذي أتاح له أن ينشر الدعوة وتظل تتسع رقعتها على مر العصور لتشمل بالتالي جميع العالم، ولكن لا بد من الإشارة إلى وجه التأيد وهي أمور.

١ - التأيد بأول المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بحيث لم يؤيد النبي عليه السلام بأمنع منه وأقوى، لأجل ملازمته نلرسول عليه السلام من اليوم الأول إلى آخر لحظة من عمر النبي عليه السلام وحتى في أخطر المواقف وأشدّها، وحتى بعد وفاة الرسول عليه السلام باقتفاء أثره وصيانة دعوته عن تحريف المنحرفين، فقد روي أن النبي عليه السلام قال له: «يا علي إني رأيت اسمك مقروناً باسمي في أربعة مواطن فأنتست بالنظر إليه: إني لما بلغت بيت المقدس في معراجي إلى السماء وجدت على صخرتها مكتوباً لا إله الا الله محمد رسول الله، أيدته بوزيره ونصرته بوزيره، فقلت لجبرئيل: من وزيري؟ فقال: علي بن

(١) الصحيفة السجادية: ٥٢٨.

(٢) البحار: ١٦: ١٣٠.

أبي طالب، فلما...»^(١).

٢ - التأييد بعامية المؤمنين ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) الذين لم يتركوه عند الامتحان وأصعب الظروف، وإلا فمن تخلف أو فرّ وانهزم وترك الرسول ﷺ في الميدان لم يكن منهم لأن فراره يكشف عن عدم إيمانه، ولا يعقل أن يكون فراره تأييداً ونصرة.

٣ - التأييد بالنصر ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٣) ولما انتصر المسلمون في معركة بدر، أدى ذلك إلى قوة المسلمين وارتفاع معنوياتهم، فهو تأييد له ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^(٤).

٤ - التأييد باللائكة ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ﴾^(٥) غير أنني لا أتحمق كيفية التأييد بالملائكة، وهل كانت الملائكة تقاتل مع المؤمنين، أو كان دعمها معنوياً فقط، فالمروي عن ابن عباس أن الملائكة لم تقاتل إلا يوم بدر وكانوا في غيره من الأيام عدة ومدداً^(٦).

وأظن أن تأييدهم يرتبط بالصبر وحصول الاطمئنان في قلوب المؤمنين، بقريته قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا

(١) الخصال: ٢٠٧، وروي ذلك عن أبي هريرة في الأمالي: ٢٨٤.

(٢) الأنفال: ٦٢.

(٣) آل عمران: ١٣.

(٤) آل عمران: ١٢٤.

(٥) آل عمران: ١٢٤.

(٦) البحار: ١٩: ٢٠٨.

يُمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين* وما جعله الله إلا بشئى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم^(١).

٥ - التأييد بنزول السكينة على قلب النبي ﷺ ومنه على قلوب المؤمنين، وهي تعني بحسب الظاهر حصول حالة خاصة مطلوبة من الوقار واستقرار الأعضاء وطمانيتها، وقد تقدم تفصيل ذلك في عنوان صاحب السكينة.

٦ - التأييد بروح القدس، وهي روح يتطلع النبي ﷺ بواسطتها على جميع ما يجري في أنحاء الأرض وورد: «أن رسول الله ﷺ كان مسدداً موقفاً مؤيداً بروح القدس لا يزل ولا يخطأ في شيء مما يوسوس به الخلق»^(٢).

وروي أنه ﷺ: «كان مؤيداً بروح واحدة وهي روح القدس فبه كان يعبد الله»^(٣) وقد تقدم تفصيل ذلك في عنوان روح القدس.

٧ - التأييد بنور العلم والحكمة، فإن العلم كما بينا مراراً يذلل الصعاب ويقرب البعيد. فقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ يعني إماماً مؤيداً بنور العلم والحكمة في أثر إمام، وذلك من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة^(٤).

٨ - التأييد بالخواطر الصادقة، فقد يخطر في ذهن الإنسان أمر خاطئ يؤدي إلى هلاكه أو ضلاله وقد يخطر في ذهنه ما يؤدي إلى ترفيقه ويكون

(١) آل عمران: ١٢٤، ١٢٥.

(٢) الكافي ١: ٢٦٦.

(٣) انكافي ١: ٤٤٢.

(٤) التوحيد للصدوق: ١٥٨.

صادقاً، فكل ما يخطر في ذهن النبي ﷺ هو من الخواطر الصادقة التي يمد الله تعالى بها.

ذكر ذلك الشيخ الصدوق في شرح بعض الأخبار وقال: فأراد الله أن يخلق أنبياءه وحججه فخلق قبلهم الروح القدس وهو الذي يجرسهم به من كيد الشيطان ووساوسه ويسددهم ويوفقهم ويمدهم بالخواطر الصادقة^(١).

هذا كله بالإضافة إلى التأييد بجبرائيل والوحي والرؤى الصادقة وكل ما يؤيد به عامة الناس كالعقل الذي منه الفطنة والفهم والحفظ والعلم، وبالعقل يكمل وهو دليله ومبصره ومفتاح أمره، فإذا كان تأييد عقله من النور كان عالماً حافظاً ذاكراً ذكياً فطناً فهماً كما جاء في بعض الأخبار^(٢)، وهو على أمته في النبي ﷺ.

٧٥٣. المؤيد بالقرآن

ومن أهم تأييدات النبي ﷺ هو تأييده بالقرآن المجيد.

ذاك التحدي المستمر المنادي ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾^(٣) مما حرص عنده كل بليغ، وقرر عنده كل نبوغ، ما زان ولم يزل يتقدم الزمن في كل المناحي، وتظل تتزايد عظمته كلما تقدم العلم، وتطور البشر.

بالإضافة إلى الفضائل الثابتة له بمجموعه أو لأحد سورته، أو مفردات آياته، كشفاء الأمراض ورفع المخوف ودفع الشرور واستجلاب النعم مما يجمعه كتب الفضائل التي دونت في هذا المجال.

(١) التوحيد: ١٢٩.

(٢) انكافي ١: ٢٥ ح ٢٣، علل الشرائع ١: ١٠٣.

(٣) البقرة: ٢٣.

ومع الالتفات إلى الفوائد المرحلية التي تخص زمان النزول كالإخبار بالمغيبات، وما يجري حول الرسول وما يختلج في أذهان المنافقين والفسقة، وإفشاء مكايدهم ومكاييد الكفار مما يجمعه عنون شأن نزول كل سورة وكل آية. ولذا جاء في بعض زيارات أولاد النبي ﷺ: «السلام عليك يا بن المؤيد بالقرآن، السلام عليك يا بن المرسل إلى الإنس والجان»^(١).

٧٥٤. المؤيد بالنور المضيئ

قال علي بن الحسين عليه السلام: أشهد أن محمداً نبيه المرسل ووليه المفضل وشهيدته المعدل والمؤيد بالنور المضيئ والمسدد بالأمر الرضي^(٢).

٧٥٥. منيد منيد

ذكر العلامة المجلسي أن اسم النبي ﷺ في التوراة منيد منيد^(٣)

٧٥٦. ماح

روي أن رسول الله ﷺ قال: «وجعل اسمي في الزبور ماح، مح الله عز وجل بي من الأرض عبادة الأوثان»^(٤) وفي رواية أخرى بعد ذكر أسمائه: «وأما ماح فإن الله ماح به سيئات من اتبعه»^(٥).

ولكن في كتاب الروضة في المعجزات رواية عن بعض الرهبان الذي

(١) المزار للمشهدى: ٩١، البحار ٧٩: ٢١٨.

(٢) الصحيفة السجادية: ٤٣٨.

(٣) البحار ١٦: ١٠٣.

(٤) معاني الأخبار: ٥١.

(٥) مستدرک الحاكم ٤: ٢٧٣.

أخبر النبي ﷺ بأسمائه المذكورة في الكتب، فكان فيما قال: «واسمك في الزبور ماح ماح»^(١). قد يكون المراد بكل ماح معنى، فواحدة تعني محو عبادة الأوثان، وواحدة تعني محو سيئات الاتباع.

كما يحتمل أن يكون الموجود في الزبور هو ترجمة ماح وليس نفسه لاختلاف اللغة.

وأخيراً نذكر على أن المراد هو محوه لعبادة الأوثان ابتداءً حينما بعث ﷺ، ومالاً على يد أتباعه؛ إذ أن دينه وأتباعه سيمحون ما تبقى في الأرض من عبادة الأوثان كما ينقل من وجود بقاياها اليوم في الهند وغيرها.

٧٥٧. الماحي

قال رسول الله ﷺ: «إن لي أسماء أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر»^(٢).

وقيل: تمحى به سيئات من اتبعه، ويجوز أن يمحي به الكفر وسيئات تابعيه^(٣).

وفي حديث عن الباقر عليه السلام: «إن اسم النبي ﷺ في صحف إبراهيم الماحي» قال: «الماحي صورة الأصنام، وماحي الأوثان والأزلام، وكل معبود دون الرحمن»^(٤).

(١) الروضة في المعجزات: ١٥٨، البحار ٣٨: ٥٦ ح ٩.

(٢) كشف الغمة ١: ٨، مسند أحمد ٤: ٨٠، ٢٨٤ صحيح مسلم ٧: ١٨٩، صحيح البخاري ٢: ٢٧٠.

(٣) كشف الغمة ١: ٨.

(٤) الفقيه ٤: ١٧٧ ح ٥٤٠٣، أمالي الصدوق: ٢٩، البحار ١١: ٣٩.

وإنما ذكرنا هذا الاسم للتعبد بصورة الألفاظ في عالم الأسماء، ولاختلاف الكتاب المذكور فيه هذا الاسم، لأن الاسم السابق مذكور في زبور داود، وهذا الأخير اسمه ﷺ في صحف إبراهيم.

٧٥٨. ماذا ماذا

ومن أسماء النبي ﷺ في الكتب السالفة ماذا ماذا ومعناه طيب طيب، رواه ثعلب^(١).

وفي كتاب البداية والنهاية لابن كثير خطاباً من الرب لإبراهيم: «وأما ولدك إسماعيل فإني باركته وعظمته وكثرت ذريته، وجعلت من ذريته ماذا ماذا - يعني محمداً ﷺ - وجعلت في ذريته اثني عشر إماماً، وتكون له أمة عظيمة»^(٢).

وفي كتاب سبل الهدى والرشاد يروي مؤلفه عن لفظ التوراة التي يقرأها مؤمنو أهل الكتاب أن فيها عند ذكر إسماعيل بماذا بماذا، ويذكر بعده: أنه سيلد اثني عشر عظيماً منهم عظيم اسمه ماذا ماذا^(٣).

٧٥٩. الماسك بحبل الشرف

جاء في دعاء الصباح المأثور عن أمير المؤمنين عليه السلام: صل اللهم على الدليل إليك في الليل الأليل والماسك من أسبابك بحبل الشرف الأطول^(٤).

(١) الشفاء للقاضي عياض ١: ٢٣٤، البحار ١٦: ١٣٠. سبل الهدى والرشاد ١: ٥٠٢.

(٢) البداية والنهاية ٦: ١٩٩.

(٣) سبل الهدى والرشاد ١: ٤١٨.

(٤) البحار ١٩: ٣٤٣، وج ٤٨: ٣٤٠.

٧٦٠. الماضي على نفاذ أمر الله

لا يعقل تطرق الشك إلى مضي إرادة الله سبحانه وتعالى ونفوذ قدرته، وإنما مضي النبي ﷺ وسيره على ما فيه نفاذ أمر الله سبحانه وتعالى كما يفرضه هذا العنوان إنما هو في الأوامر التشريعية بمعنى تحركه في مجال طاعة الله سبحانه وامتنثال تلك الأوامر، دون التكوينية، أو يكون جامع تحركه وسيره وعامة أفعاله أسباباً لتحقيق ما أمر الله به وحصول مراده؛ لأن الله سبحانه يجري الأمور بأسبابها.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يعلم الناس الصلاة على نبي الله ﷺ ويقول: «اللهم داحي المدحوات... اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك... كما حمل فاضطلع بأمرك... ماضياً على نفاذ أمرك»^(١).

وأخذها عنه ابن عقيل فقال في مقدمته: وأسألك المزيد من صلواتك وسلامك على مصدر الفضائل الذي ظل ماضياً على نفاذ أمرك حتى أضاء الطريق للخبايط^(٢).

٧٦١. المبارك

لما ولد النبي ﷺ قدمت حليلة بنت أبي ذؤيب في نسوة من بني سعد بن بكر تلتمس الرضعاء^(٣) بمكة، قالت: فخرجت معهن على أتان^(٤)

(١) نهج البلاغة ١: ١٣٠، ١٣٣، البحار ١٦: ٣٧٨، مجمع الزوائد للهيتمي ١٠:

١٦٣.

(٢) شرح ابن عقيل ١: ٥.

(٣) الرضعاء جمع رضيع.

(٤) الأتان الأثنى من الحمارة.

ومعي زوجي، ومعنا شارف^(١) لنا ما تبض^(٢) بقطرة من لبن، ومعني ولد ما يجد في ثديي ما نعلله به وما ننام ليلنا جوعاً. فلما قدمنا مكة لم تبق منا امرأة إلا عرض عليها محمد ﷺ فكرهناه وقتلنا: يتيم وإثما يكرم الظئر^(٣) الوالد. فكل صواحي أخذن رضيعاً ولم آخذ شيئاً، فلما لم أجد غيره رجعت إليه فأخذته، فأثيت به الرحل، فأمسيت وأقبل ثدياي باللبن حتى أرويته وأرويت ولدي أيضاً، وقام زوجي إلى شارفنا تلك يلمسها بيده فإذا هي حافل^(٤)، فحلبها فأرواني من لبنها، وروى الغلمان فقال: يا حليمة لقد أصبنا نسمة مباركة. فبتنا بخير.

ورجعنا فركبت أتانني ثم حملت محمداً ﷺ معي، فوالذي نفس حليمة بيده لقد طفت بالركب حتى أن النسوة يقلن: يا حليمة امسكي علينا، أهذه أتانك التي خرجت عليها؟!

قلت: نعم.

قلن: ما شأنها؟

قلت: حملت غلاماً مباركاً.

ويزيدنا الله كل يوم وليلة خيراً حتى والبلاد قحط، والرعاة يسرحون ثم يريحون، فتروح أغنام بني سعد جياً، وتروح غنمي شباعاً بضاناً حفاً. فنحلب ونشرب. روى ذلك الراوندي في الخرائج والجرائع^(٥)، وقد نقلنا

(١) الشارف: الناقة المسنة.

(٢) تبض الماء ساء قليلاً.

(٣) الظئر: المرضعة.

(٤) ضرع حافل أي ممتلئ كثير اللبن.

(٥) الخرائج والجرائع ١: ٨١.

القصة بنحو آخر فيما مضى غير أن هذه أقرب إلى التصديق على ما يبدو. ومع العلم أن بركة الرسول ﷺ وكثرة خيره لم تقتصر على ذلك وإنما كانت قبل ذلك وبعده واستمرت بعد حياته لتشمل جميع العالم إن شاء الله، فكان فيما وعظ الله به عيسى ان قال له في النبي ﷺ: «وأبارك فيما وضع يده عليه»^(١). والمعلوم أن وضع اليد كناية عما يهمه.

بينما يروى أن أبا عبد الله التيمي علم ابناً له دعاءً ذكر فيه النبي ﷺ، فلما قرأه الصبي ووصل إلى اسم النبي ﷺ زاد في وصفه من تلقاء نفسه «الطيب المبارك» فقال أبو عبد الله التيمي: «نعم يا بني الطيب المبارك»^(٢).

٧٦٢. المبشر

المبشر هو الجائي بالخير السار، فما هذا الخير السار الذي جاء به الرسول ﷺ؟

لا شك أن الرسول ﷺ جاء بأخبار سارة كثيرة، كتبشير المسلمين بفتح بلاد فارس وغيرها وانتشار الإسلام. وحكومة المستضعفين ووراثتهم للأرض بهلاك الظالمين، وعموم الرخاء والخير واستتباب الأمن وتحرير العبيد والرفع بالانسان بأصنافه إلى المستوى اللائق وحفظ كرامته، وبعدهما النجاة من عذاب الله سبحانه إذا أطاعوه واتبعوه.

والأهم من كل ذلك التبشير بالجنة وهدفية المسيرة الإنسانية وعدم ختمها بالموت، بل إن الحرمان والصبر عند الشدائد وإطاعة الله سبحانه في أيام هذه الدنيا يعقبه الخلود في الجنة التي فيها ما لا أذن سمعت ولا عين رأت، بلى وفيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذذ الأعين ورضوان من الله أكبر.

(١) الكافي ٨: ١٣٩، أمالي الصدوق: ٦١٢، البحار ١٤: ٢٩٧.

(٢) الكافي ٢: ٥٣٧ ح ٨.

فأي خبر أسر من هذا الخبر، وكيف لا يكون الرسول ﷺ بعد هذا مبشراً، وهي إحدى وظائفه الأساسية التي ندبه الله سبحانه إليها فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾^(١).

وأخبر الله سبحانه وتعالى بذلك رسله من قبل وذكر صفته ووظائفه في التوراة بما وصفه به في القرآن، على ما يرويه عطاء بن يسار قال لقيت عبدالله بن عمرو فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، فقال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً^(٢).

٧٦٣. المبشر بالجنة

قال أمير المؤمنين عليه السلام كما في النهج: فإن الله جعل محمداً ﷺ علماً للنساعة، ومبشراً بالجنة، ومنذراً بالعقوبة^(٣).

٧٦٤. المبشر به

جاء في بعض الأخبار: أنه ما من رسول سلف ولا نبي مضى إلا وقد كان مخبراً أمته بالمرسل الوارد من بعده ومبشراً برسول الله ﷺ وموصياً قومه باتباعه، ومحلياً عند قومه ليعرفوه بصفته وليتبعوه على شريعته، ولثلاً يضلوا فيه من بعده، فيكون من هلك وضل بعد وقوع الإعدار والإنذار عن بيته وتعيين حجة، فكانت الأمم في رجاء من الرسل وورود من الأنبياء، ولئن أصيبت بفقد نبي على عظم مصائبهم وفجائعها بهم

(١) الأحزاب: ٤٥.

(٢) مسند أحمد ٢: ١٧٤، صحيح البخاري ٣: ٢١.

(٣) نهج البلاغة ٢: ٦٠ خطبة ١٦٠.

فقد كانت على سعة من الأمل بمجيء رسول بعده، ولذا كانت المصيبة برسول الله ﷺ أعظم مصيبة^(١).

ولم تنزل الأنبياء تبشراً بمحمد ﷺ حتى بعث الله تبارك وتعالى المسيح عيسى بن مريم فبشر بمحمد ﷺ وذلك قوله تعالى: ﴿يَجِدُونَهُ - يَعْنِي الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى - مَكْتُوبًا - يَعْنِي صِفَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ - عِنْدَهُمْ - يَعْنِي بِهِ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ - يَأْتُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وهو قول الله عز وجل يخبر عن عيسى: ومبشراً بمحمد ﷺ كما بشر الأنبياء ﷺ بعضهم ببعض^(٢).

حتى أن بعض الأخبار جعلت أصحاب المشامة هم اليهود والنصارى و عامة أهل الكتاب الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾* الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُكْتُمِينَ ﴿ عرفوا رسول الله ﷺ والوصي من بعده وكنتموا ما عرفوا من الحق بغياً وحسداً فسلبهم روح الإيمان وجعل لهم ثلاثة أرواح: روح القوة، وروح الشهوة، وروح البدن، ثم أضافهم إلى الأنعام فقال: ﴿إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٣).

(١) انظر الكافي في ٨: ٢٥٠.

(٢) انظر الكافي ٨: ١١٧. والآية الأولى في سورة الأعراف: ١٥٧، والثانية في سورة الصف: ٦.

(٣) بصائر الدرجات: ٤٦٨، الكافي ٢: ٢٨١، ج ١٦، تحف العقول: ١٩٠، والآية في سورة الفرقان: ٤٤.

وينقل أن عثمان قال لابن سلام: نزل على محمد: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ
الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾^(١) فكيف هذه؟

قال: يعرف نبي الله بالنعته الذي نعته الله لنا، إذا رأيناه فيكم كما
يعرف أحدنا ابنه إذا رآه بين الغلمان، وأيم الله لأنا بمحمد أشد معرفة مني
بابي؛ لأنني عرفته بما نعته الله في كتابنا، وأما ابني فإني لا أدري ما أحدث
أمه^(٢).

٧٦٥. مبطل عبادة الأوثان

يروى أن النبي ﷺ قعد عند عين فنزل عليه جبرئيل قال: السلام
عليك يا مبطل عبادة الأوثان^(٣).

٧٦٦. المبعوث

ذكر ابن شهر آشوب أن أحد أسماء النبي هو المبعوث واستدل بقوله
تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا﴾^(٤)، بعثه الله سبحانه وتعالى
بعد ما وعد الأنبياء والأسم السابقين بإرسال النبي محمد ﷺ كما وعد
بإرسال وحيه لأنبيائه فكانت بعثة النبي ﷺ لإحجاز موعدة وإتمام للنبوته التي
لم يكدها أن تتم إلا ببعثته وإنما بعثه نذيراً للعالمين وأميناً على التنزيل
فساق الناس حتى بوأهم محلتهم وبلغهم منجاتهم بعثه والناس ضلال
حيارى يتخبطون في الفتنة وقد استهوتهم الأهواء وأدى الكبرياء بهم إلى

(١) الفرقان: ٤٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ٤٧ وفي البحار ١٥: ١٨٠ ح ٢ عن عمر.

(٣) الفضائل: ٣٣، ٢٥.

(٤) المناقب ١: ١٣٣ والآية في سورة الجمعة: ٢.

الزلزل والسقوط في المضار وطاشت بهم الجاهلية. ويذكر أن الله سبحانه وتعالى بعث النبي ﷺ وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ولا يحمل نبوة ولا ينزل عليه الوحي فبادر بهم الساعة قبل أن تنزل بهم، بعثه نذيراً وبشيراً وهادياً ودليلاً.

٧٦٧. المبعوث إلى الجن

قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ أنه ﷺ كان مبعوثاً إلى الجن^(١).

٧٦٨. المبعوث إلى كافة الورى

جاء في زيارات بعض الأئمة عليهم السلام: السلام عليك يابن المبعوث إلى كافة الورى^(٢).

٧٦٩. المبعوث حين الفترة

ورد في بعض زيارات النبي ﷺ: أشهد أنك رسول الله العزيز على الله والنبي المصطفى والحبيب المحببى والأمين المرتضى والشفيع المرتجى المبعوث حين الفترة ودروس الدين^(٣).

وقد تقدم في عنوان قابل الهدية قول آخر الرهبان الذين خدمهم الصحابي العظيم سلمان الفارسي من عدم بقاء إنسان على المسيحية الصحيحة وأخبره بأنه قد أطله زمان نبي هو آخر نبي يبعثه الله في حين فترة

(١) تفسير مجمع البيان ٩: ١٥٧، تفسير القرطبي ١٦: ٢١٧، والآية في سورة الجن: ١.

(٢) المزار للمشهدى: ٩١.

(٣) البحار ٩٧: ١٧٦.

من الرسل إذ كان بينه وبين آخر الأنبياء الذين سبقوه ما يناهز ستمائة سنة بعدما كانت الأنبياء التي سبقت النبي عيسى عليه السلام ترى يخلف بعضهم بعضاً ويتزامن الكثير منهم.

٧٧٠. المبعوث في آخر الزمان

كان اليهود يعرفون النبي ﷺ بالمبعوث في آخر الزمان ويستفتحون ويتوسلون بهذه الصفة من صفاته.

فقد ورد عن ابن عباس: أن اليهود كانوا يستنصرون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله تعالى من العرب دون بني إسرائيل كفروا به.

فقال لهم بشر بن معرور ومعاذ بن جبل: اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد، ونحن أهل الشرك، وتذكرون أنه مبعوث.

فقال سلام بن مسلم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالنبي كنا نذكر لكم، فنزل: **وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ - إِلَى قَوْلِهِ - وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴿١﴾ الآية.

وكانت اليهود إذا أصابتهم شدة من الكفار يقولون: اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعمته في التوراة، فلما قرب وقت خروجه ﷺ قالوا: قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا، فلما جاءهم ما عرفوا، كفروا به فلعنة الله على الكافرين، وهو المروي عن الصادق، وكان الأحبار من اليهود يعرفونه فحرفوا صفة النبي ﷺ في التوراة من المباح

إلى المقايح، فلما قالت عامة اليهود: كأن محمداً هو المبعوث في آخر الزمان، قالت الأحبار: كلا وحاشا وهذه صفته في التوراة^(١).

ويبدو أن تقسيم الزمان بمنظار الشرائع بحسب فترات الأنبياء، وفترة آخر الأنبياء هي آخر الفترات وآخر الزمان؛ لأنها تنتهي بانتهاء عمر الدنيا، ولا يعني ذلك قصر تلك الفترة أو قلة سنينها، فقد تكون هذه الفترة خمس عمر البشر على الأرض إذا كان مجموعها ما يناهز عشرة آلاف سنة، فقد تكون فترة النبي محمد ﷺ ما يقرب من ألفي عام أو أكثر، ولكن الذي يجعلها آخر الزمان هو انتهائها بانتهائه.

٧٧١. المبلغ

أمر الله عز وجل رسوله بولاية علي وأنزل عليه إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وفرض ولاية أولي الأمر، فلم يدروا ما هي، فأمر الله محمداً ﷺ أن يفسر لهم الولاية كما فسر لهم الصلاة والزكاة والصوم والحج، فلما أتاه ذلك من الله ضاق بذلك صدر رسول الله ﷺ وتخوف أن يرتدوا عن دينهم وأن يكذبوه فضاق صدره وراجع ربه عز وجل فأوحى الله عز وجل إليه يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس فصدع بأمر الله تعالى ذكره فقام بولاية علي عليه السلام يوم غدِير خُم، فنادى الصلاة جامعة وأمر الناس أن يبلغ الشاهد الغائب.

وكانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى وكانت الولاية آخر الفرائض، فأنزل الله عز وجل اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي^(٢).

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ٤٧، البحار ٢٢: ٦٣.

(٢) انظر الكافي ١: ٢٨٩.

وإن كان تبليغ الرسول ﷺ لا يقتصر على ذلك وله أطراف مترامية ولكن جاء التأكيد في هذا الجانب بالخصوص والذي ظهر فيه تخوف الرسول ﷺ من عدم حصول الاستقبال كما يظهر من قوله ﷺ: «أنا مبلغ والله يهدي»^(١).

٧٧٢. المبلغ عن الله

جاء في بعض زيارات النبي ﷺ: السلام عليك يا مبلغاً عن الله^(٢).

٧٧٣. مبيد كل وثن وصنم

تنبأ بذلك سطيح الكاهن قبل بعثة النبي ﷺ لما كانت كل المؤشرات التي وصل علمها إلى الكهان تشير إلى انتهاء أمد الوثنية وعبادة الأوثان على يد آخر مبعوث وآخر رسول.

فلما دنت منه أمنة وعرفها قال: ألسنت حاملمة؟ قالت: نعم، فالتفت إلى قريش وقال: الآن شهد قلبي، وثبت لبي، وصدقني صاحباي، هذه سيدة العرب والعجم، وهي اخامل بأفضل الأمم، ومبيد كل وثن وصنم^(٣).

والمقصود بصاحبيه هما صاحباي من الجن اللذان يقعدان مقاعد للسمع فيسترقون أخبار السماء حتى منعوا من التصعد إليها بعد ولادة النبي ﷺ وهو مصداق قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا... وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا

(١) الفردوس للدليمي ١: ٤٢.

(٢) إقبال الأعمال ٣: ١٢٣، المزار للشهيد الأول: ١١.

(٣) البحار ١٥: ٣١٢.

مَقَاعِدِ لِلسَّمْعِ فَعَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ بَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ﴿١١﴾ .

فيبقى الفرق بين الوثن والصنم كما يشعر به هذا العنوان وقد وقع فيه اختلاف شديد أظن أن الصحيح هو الخصوصية والعمرمية، فالصنم هو ما يعبد العموم كالتي كانت منصوبة على الكعبة إذ لا شبهة في إطلاق الأصنام عليها، وأما الأوثان فهي الأصنام الصغيرة التي كان يحتفظ بها كل عائلة في بيوتهم يقدسونها ويلوذون بها، وقيل: الصنم هو الصورة بلا جثة، والوثن ماله جثة، وقيل غير ذلك لا نطيل به.

على أن إبادته لأوثان العرب وأصنامها صار واضحاً للجميع عندما باشر النبي ﷺ بهدمها أو أمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه بذلك وسائر الأصحاب فقام الجميع بكسر ما في أيديهم من الأوثان، لتخرج بعده من القلوب الذي هو الإباداة الحقيقية.

ويتبعه إبادة فلولها من جميع العالم بعدما ينتشر الإسلام ويبلغ جميع الأطراف.

٧٧٤ . المبين

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه أن يفصح عن هذه الصفة من صفاته ﷺ فقال: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾^(١) وتلاه بقوله: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾* الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٣﴾ فأشكل ربط هذا الكلام بسابقه على الناس، فسألوا أهل البيت عن ذلك وقالوا: كيف يليق

(١) الجن: ٦ . ٩

(٢) الحجر: ١٥

(٣) الحجر: ٨٩

أحد الكلامين بالآخر والحال أن لفظ كما يأتي لتشبيه شيء بشيء تقدم ذكره، ولم يتقدم في أول الكلام ما يشبه به ما تأخر عنه؟!

فجاء الجواب: إن القرآن نزل على لسان العرب وفيه حذف وإيماء ووحى وإشارة فقله: ﴿أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ فيه حذف كأنه قال: أنا النذير المبين عذاباً مثلما أنزل على المقتسمين، فحذف العذاب إذ كان الإنذار يدل عليه^(١).

ومهما يكن من ذلك فإن الله سبحانه وتعالى قل لنفسه: ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾^(٢) ولنبيه ﴿إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ وله أيضاً: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^(٣) أراد بالنذير المبين - كما ذكره المفسرون - إنذارهم ببيان وبرهان أن عذاب الله نازل بهم، ويبين لهم ما يجب عليهم العمل به وما أرسل به إليهم وكل ما يحتاجون إليه^(٤).

٧٧٥ . متبع مواضع الغفلة

قال أمير المؤمنين عليه السلام: طيب دوار بظبه... متبع بدوانه مواضع الغفلة ومواطن الخيرة^(٥).

(١) الخرائج والجرائح ٣: ١٠١٢.

(٢) النور: ٢٥.

(٣) يس: ١٢.

(٤) انظر تفسير التبيان ٦: ٣٥٣، ومجمع البيان ٦: ١٣٠، وجوامع الجامع ٢: ٣١١،

وتفسير الصافي ٣: ١٢١.

(٥) نهج البلاغة ١: ٢٠٧.

٧٧٦ . متبع مواطن الحيرة

هذا العنوان مستفاد من كلام أمير المؤمنين عليه السلام السابق.

٧٧٧ . المتقي

جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ يعني أنت وأصحابك يا محمد^(١)، وقد تقدم بعض الكلام في تقوى النبي صلى الله عليه وآله تحت عنوان إمام المتقين فراجع.

٧٧٨ . المتكرم

باعترادي أن التكرم ومطلق صيغ التفعّل تعني تشعب مواضع الفعل وتكثرها، وقد يعني زيادة المراتب والمراحل التي يستغرقها، مما يحكي عن سعة محاولات النبي صلى الله عليه وآله في سبيل نيل الكرامة وكثرة كرمه وانتشاره، بحيث لم يترك شيئاً من المحاسن والمحامد تكريماً.

حتى كان فيما وعظ الله تبارك وتعالى به عيسى بن مريم أن قال له: ثم إنني أوصيك يا بن مريم البكر البتول بسيد المرسلين... الحبي المتكرم^(٢).

٧٧٩ . المتهجّد

ذكر ابن شهر آشوب أن أحد أسماء النبي صلى الله عليه وآله هو المتهجّد مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ﴾^(٣)، فقد دلت هذه الآية على وجوب صلاة الليل

(١) تفسير القمي ١: ٢٧٧، البحار ٩: ٢١١، وج ١٩: ٣٧، تفسير الصافي ٢: ٢٩٨.

(٢) الكافي ٨: ١٣٩، أمالي الصدوق: ٦١١، البحار ١٤: ٢٩٤.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣١ والآية في سورة الإسراء: ٧٩.

وهي مفروضة عليه دون سائر الناس وهي من مختصاته ولا شك أن الرسول المصطفى ﷺ مشهودة مقاماته الحميمة في التهجد بحسن الخشوع في ظلمات الليالي والتضرع إلى الله في الشدة والرخاء ويقوم الليل للعبادة ويترك قليل نومه من أجل مرضاة الله، كيف وقد شهد الله له فقال عز من قائل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَصَفَهُ وَتُلَاسِمُهُ﴾^(١).

٢٨٠. متواصل الأحزان

يشير هذا العنوان إلى استمرار أحزان الرسول ﷺ من دون انقطاع، وهي بطبيعة الحال تعود - بعد مطلوبة الحزن لأنه من لوازم الإيمان وصفات المؤمن حزنه في قلبه وبشره في وجهه والله لا يحب الفرحين - إلى أسباب كثيرة وعلل متنوعة قد تتاب كل إنسان في حدود معينة وتكون على أشدها بالنسبة للرسول، وتتزايد معاناته باحتدام تلك العلل والأسباب ابتداءً من يتمه وفقدان أبويه وفقره، لتشتد بعد دعوته عندما كذبه قومه أشد تكذيب، وحاربوه أشد محاربة تهون كلها عند شتم إلهه كما صرح به ﷺ.

ويستلها أعمال المنافقين وأذى بعض أزواجه وفقدان بعض الأحبة وخوض المعارك الدامية.

غير أن جميع ذلك وأمثاله قد لا يكون هو السبب الرئيس في تواصل حزن النبي ﷺ بما هو نبي، فقد يشاركه غيره في بعض أنواع تلك المصائب أو كلها، وإنما السبب الذي نقض ظهر النبي ﷺ وقوض أركانه وأدام حزنه هو سبب واحد يتلخص في عدم استقامة أصحابه بل عدم إيمانهم مع حرصه الشديد على ذلك حتى قال تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ

حَسْرَاتٍ ﴿^(١) مع تكرر هذا المعنى في القرآن.

فما زال أصحابه يتفلتون من الدين وتزيغ قلوبهم فينحرفون عن الطريقة المرسومة ويفضلون الإباق عن طاعة رب العالمين متزامناً مع ترغيبه ﷺ باستقامتهم وطلب الباري منه تقويمهم عندما قل تعالى: ﴿فَاسْتَقِمُّ كَمَا أُمِرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ ^(٢) في سورة هود، مما يبدو أن النبي ﷺ أعجزه إجاز ذلك في عامة من معه، فقل: «شيبتي سورة هود» ^(٣).

والحقيقة أن القوم كانوا حديثي عهد بشرك لم يسعهم الإيمان بل غاية ما أمكنهم هو الإسلام، أما الإيمان والاستقاد الجازم فلم يجد السبيل إلى قلوبهم، على خلاف ما يدعون أو يدعى لهم، حتى قل تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ﴾ ^(٤) ويستثنى من ذلك النزر اليسير.

مما يعبر عن حقيقة خطيرة مع الالتفات إلى أن الخطاب للمجموع ممن كان ينتحل الشرك ثم أسلم، بحيث أكاد أعتقد أن الأصل هو عدم الإيمان حتى يثبت الناقل ويقوم الدليل على تجاوز الامتحان الصعب بنجاح، والبناء على العهدكأبي ذر الغفاري والمقداد ومن استشهد بين يدي الرسول من المهاجرين والأنصار ومن لم يفر في معركة أحد ولا غيرها، خصوصاً بعد ملاحظة قوله

(١) فاطر: ٨.

(٢) هود: ١١٢.

(٣) سنن الترمذي ٥: ٧٦، مستدرک الحاکم ٢: ٣٤٣، شرح مسلم للنووي ٢: ٩،

مجمع الزوائد للهيتمي ٧: ٣٧، الخصال: ١٩٥، أمالي الصدوق: ٣٠٤،

إجازات النبوية: ١٦٠.

(٤) المائدة: ٦١.

تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾^(١).

فتكون أصالة الإيمان جارية فيمن نشأ على ذلك ولم يشرك بالله طرفة عين كعلي بن أبي طالب عليه السلام ومن جاء من أولاد المسلمين ومن كان على شرع سماوي قبل تلك الفترة كسلمان.

ويبقى كل من كان مشركاً ثم أسلم داخلاً في الأصل الأول في واقع الحال يستبطن بعضهم نفاقاً ويظهر ذلك على فلتات لسانهم بين الفترة والأخرى، فهذا يبكي على قتلى بدر من المشركين^(٢)، وذاك يقول: ما شككت برسول الله ﷺ كشكي يوم الحديبية^(٣)، وهم ممن يعتقد بهم المسلمون ويعدونهم من المؤمنين الأوائل، مما يحكي عن عمق الفجوة واستفحال الأمر وخطورة الموقف بحيث يجسد قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْمَاتُ أَوْ قَتَلَ انْتَقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾^(٤) وقول رسول الله ﷺ: «ستفترق أمتي ثلاثة وسبعون فرقة اثنتان وسبعون فرقة في النار وواحدة في الجنة»^(٥).

(١) النساء: ٢٨.

(٢) قال أبو بكر:

تحببني أم بكر بالسلام وهل لي بعد قومك من سلام
كأني بالقليب قليب بدر من الفتيان والعرب الكرام
أيوعدني ابن كبشة أن سنجيا وكيف حياة أصداء وهام

ونقل نظيرها عن عمر. انظر الإصابة ٤: ٢٢، ونوادير الأصول: ٦٦، وفتح القدير ١

: ٤٧٢، والصحيح من السيرة ٥: ٣٠٤.

(٣) رواه عن عمر في صحيح مسلم ١: ٩٤.

(٤) صحيح ابن حبان ١١: ٢٢٤.

(٥) مجمع الزوائد: ٦: ٢٣٣، وانظر مسند أحمد ٣: ١٤٥.

والحصيلة أن محاولة الرسول ﷺ تعود محاولة صعبة للغاية ويتولد منها حزن مستمر حقيقي بحيث يشيب منه رسول الله ﷺ ، ولولا وجود تلك الحقيقة وصدقها لما كان هناك داعٍ للشيب، على أن هذه هي القاعدة الكلية ولكل قاعدة شواذ.

ونختم القول بأن وصف الرسول ﷺ بأنه متواصل الأحران مما ورد في كتب الفريقين^(١).

٧٨١. المتوج بالأنوار

إذا كان التاج هو علامة وميزة يتميز بها الملك والسلطان والسيد بل وبها يمتاز عمن سواه، فنور الرسول ﷺ هو تاجه وعلامته وميزته التي يمتاز بها على من سواه، حتى قيل إن وجهه كان يتلألأ لتلؤلؤ القمر ليلة البدر وبين عينيه غرة ونور، وأيضاً له نور يتجلى ويضيء في الأذهان، ويأتي يوم القيامة وعليه نور^(٢)، فهو المتوج بالأنوار كما نقل ذلك سطوح الكاهن قائلاً: لقد تواترت الأخبار أنه يبعث في هذه الأعصار رسول الملك الجبار المتوج بالأنوار^(٣).

وقال حمزة بن عبد المطلب يوم زواج الرسول ﷺ بحديجة: قد جاءكم

(١) مناقب أمير المؤمنين للمكوفي ١: ٢٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١:

١٩٣، نظم درر السمطين: ٦٤، فيض القدير ٥: ٢٤٣.

(٢) تقدم بعض الكلام عن ذلك في العناوين: بين عينيه غرة، وصاحب النور

الساطع، وصاحب النور والضياء. وصاحب الوجه الأنور، وأشير هناك إلى

منابعها فراجع.

(٣) البحار ١٥: ٣١٠، وج ١٦: ٦٧.

صاحب الزمان محمد المختار من الملك اجبار المتوج بالأنوار^(١)، وقد تقدم بعض التفصيل.

٧٨٢. المتوج بتاج الكرامة

يبدو أن الرسول المصطفى ﷺ كان يعرف بهذا العنوان في الأمم السابقة، حتى أن الراهب فيلق بن يونان بن عبد الصليب، وكان يكن أباخير وقد قرأ الإنجيل على الرهبان، وعندما وصل إلى صفات النبي ﷺ بكى وقال: يا أولادي متى تبشروني بقدوم البشير النذير الذي يبعثه الله من تهامة، متوجاً بتاج الكرامة^(٢).

ورأت خديجة في منامها رجلاً صفة كذا وكذا وأخبرت به ورقة بن نوفل فقال: يا خديجة إن صدقت رؤياك تسعدين وترشدين، فإن الذي رأيته متوج بتاج الكرامة... محمد بن عبد الله، الخبر^(٣).

والسبب من هذا التوصيف مع ورود تنويح آخرين بتاج الكرامة في الأخبار، كمحب علي عليه السلام^(٤)، والشاب المؤمن الذي يواظب على قراءة القرآن^(٥)، والوالدين اللذين يعلمان ولدهما القرآن^(٦)، يجب أن يعود إلى ملاحظة أن التاج هو علامة على السيادة والتميز كما يكون للملك، فالشاب القارئ للقرآن يمتاز على أقرانه بقراءته للقرآن ويميزه الله سبحانه

(١) البحار ١٦ : ٦٤.

(٢) البحار ١٦ : ٣٩.

(٣) البحار ١٦ : ٢٤.

(٤) البحار ٣٩ : ٢٧٨.

(٥) الكافي ٢ : ٦٠٣.

(٦) البحار ٧ : ٣٠٦.

بهذا التاج.

والرسول ﷺ يمتاز على جميع أقرانه الذين هم الأنبياء، وله منزلة وكرامة على الله سبحانه وتعالى فيميزه الله سبحانه بهذا التاج على جميع الأنبياء، فهو سلطان الأنبياء، وكل نبي سلطان أمته.

وورد أن هذا التاج لم ير مثله الراؤون ولم يسمع بمثله السامعون، ولم يتفكر في مثله المتفكرون^(١).

ويضيف للمتوج به جمالاً وأي جمال فقد روي أن الرسول ﷺ قال: أنا أول من تنشق الأرض عنه عند يوم القيامة، وأخرج ويكسوني جبرئيل سبع حلال من حلال الجنة طول كل حلة ما بين المشرق والمغرب، ويضع على رأسي تاج الكرامة، ورداء الجمال^(٢)...

٧٨٣ . المتوسم

معلوم أن التفكير والاستخبار والتحليل والتجربة توصل الإنسان إلى بعض الخبايا وما غاب عن الحس. فإذا جدَّ في متابعة العلائم والآثار وصار يعرف المخفيات من دون تجربة سمي المتفرس وعلمه هو الفراسة التي تغلب في معرفة مضمرة الآخرين من لون الوجه وحالته ووضع أعضاء البدن وقسمات الوجه. فقد ورد: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، وما من مؤمن إلا وله فراسة ينظر بنور الله على قدر إيمانه ومبلغ استبصاره وعلمه^(٣).

والتوسم مرتبة أعلى من الفراسة، بحيث يتمكن المتوسم من معرفة

(١) البحار ٧: ٣٠٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٥.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢١٦.

حقائق الأشياء وأسباب الحوادث وآثارها، وعلامات نزول العذاب وما يصيب الناس من البلاء وما يحيط بهم، كما يمكنه معرفة أعمال الناس السابقة واللاحقة في العلانية والخفاء وكل ما يخطر في قلوبهم، ومن هو المؤمن الحقيقي منهم والكافر، حتى أن المتوسم يرى من خلفه كما يرى من أمامه.

قال علي عليه السلام فيما روي عنه في قول الله عز وجل ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾: «كان رسول الله ﷺ يعرف الخلق بسيماهم، وأنا بعده المتوسم والأئمة من ذريتي المتوسمون إلى يوم القيامة»^(١).

ولما أخبر أمير المؤمنين عليه السلام امرأة بما تخفي عن الناس وعن زوجها، قال عمرو بن الحارث له: فيما نقول، ما نعرفك بالكهانة؟ قال له: «يا عمرو وبيك إنها ليس بالكهانة شيء، ولكن الله خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام، فلما ركب الأرواح في أبدانها كتب بين أعينهم مؤمن أم كافر وما هم به مبتلون وما هم عليه من سيئ أعمالهم وحسنه وفي قدر أذن الفأرة، ثم أنزل بذلك قرآناً على نبيه فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾. وكان رسول الله ﷺ هو المتوسم ثم أنا من بعده، والأئمة من ذريتي من بعدي هم المتوسمون، فلما تأملتها عرفت ما عليها بسيماها»^(٢).

وفي خبر آخر: «إن الإمام إذا نظر إلى الرجل عرفه وعرف لونه، وإن سمع كلامه من خلف حائط عرفه وعرف ما هو إن الله يقول: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَأْنِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾»^(٣).

(١) بصائر الدرجات: ٣٧٧، والآية في سورة الحجر: ٧٥.

(٢) بصائر الدرجات: ٣٧٥.

(٣) بصائر الدرجات: ٤٠٧، والآية في سورة الروم: ٢٢.

٧٨٤. المتوكل

قد لا يعرف الإنسان كيف يواجه تقلبات الدهور ومصاعب الأيام ومخاوف المستقبل المظلم وما تنطوي عليه الأيام القادمة وما تخفيه له مخالب الدهور العvisية من المصاعب الفادحة والحاجات الملحة، فما تزان تلك المخاوف تساوره والأوهام تستولي عليه حتى تعجزه وتقهره.

ومهما كابد من تلك الأزمان الحادة فقد يظل جاهلاً بما يصلح حاله وما يستنقذه من تلك المخاوف والأوهام، ولا يعرف المؤمن ولا الدواء الحاسم.

هذا وقد عالج الإسلام كل تلك الشدائد والمخاوف والأوهام بدواء التوكل على الله سبحانه وتعالى والاعتماد على تقديره وتدبيره والثقة به بعدما أبان رجوع الحكم في كل ذلك إلى الله سبحانه وهو المتولي لجميع الأمور والمدير لها على ما تقتضيه المصلحة وإن جهلها العباد، وهو لا يألو عبده خيراً ولا فضلاً.

وجاء جبرئيل - على ما يروى - إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى أرسلني إليك بهدية لم يعطها أحداً قبلك.

قال رسول الله ﷺ: «قلت: وما هي؟ قال: الصبر وأحسن منه. قلت: وما هو؟ قال: الرضا وأحسن منه. قلت: وما هو يا جبرائيل؟ قال: إن مدرجة ذلك التوكل على الله عز وجل. فقلت: وما التوكل على الله عز وجل؟ فقال: العلم بأن المخلوق لا يضر ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، واستعمال اليأس من الخلق، فإذا كان العبد كذلك لم يعمل لأحد سوى الله، ولم يرج ولم يخف سوى الله، ولم يطمع في أحد سوى الله فهذا

هو التوكل»^(١) فقد جعل التوكل سلماً للرضا والصبر.

ومن ظريف ما ينقل في التوكل أن بعض المتوكلين قدم على بعض الأئمة عليهم السلام فقال له: اعطف عليّ بجواب مسألة في التوكل؛ والإمام عليه السلام كان يعرف الرجل بحسن التوكل ونفيس الورع، وأشرف على صدقه فيما سأل عنه من قبل إبدائه إياه، فقال له: «ف مكانك وانظرنى ساعة» فبينما هو مطرق لجوابه إذ اجتاز بهما فقير، فأدخل الإمام عليه السلام يده في جيبه وأخرج شيئاً فناوله الفقير، ثم أقبل على السائل فقال له: هات وسل عما بدا لك. فقال السائل: أيها الإمام، كنت أعرفك قادراً متمكناً من جواب مسألتى قبل أن استنظرتني، فما شأنك في إبطائك عني؟ فقال الإمام عليه السلام: «لتعتبر المعنى قبل كلامي إذا لم أكن أراني ساهياً بسري وربي مصلح علي أن أتكلم بعلم التوكل وفي جيبى دائق ثم لم يحل ذلك إلا بعد إثاره فافهم» فشهِق السائل شهقة، وحلف أن لا يأوي عمرانياً ولا يأنس ببشر ما عاش^(٢).

ومن ذلك وأمثاله تعلم السبب في عدم دخول الرسول ﷺ داره وعدم إيوائه إلى فراش نومه قبل أن ينفق جميع ما عنده^(٣)، بل ويستقرض حتى يعطي السائل^(٤)، ويأتيه السائل بالعشي فيقول: «والذي بعث محمداً بالحق ما أمسى في آل محمد صاع من شعير ولا صاع من بر ولا درهم ولا دينار»^(٥).

وكذلك تعلم السبب فيما ورد من تسمية الله سبحانه وتعالى النبي ﷺ

(١) معاني الأخبار: ٢٦٠.

(٢) مصباح السريعة: ١٦٤، مستدرک الوسائل ١١: ٢١٩.

(٣) كشف الغطاء: ٢: ٣٨٧، صحيح مسلم ٧: ٧٤.

(٤) مكارم الأخلاق: ١٨.

(٥) الاحتجاج: ١: ٣٣٥.

بالتوكل في التوراة وأن فيها: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأمينين، وأنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل»^(١).

وفي كشف الغمة: من أسماء ﷺ المتوكل، وهو الذي يكبل أمره إلى الله، فإذا أمره الله بشيء نهض به غير هيب ولا ضرع؛ وكان إذا دهمه أمر عظيم أو نزلت به ملمة راجعاً إلى الله عز وجل غير متوكل على حول نفسه وقوتها^(٢).

وأخيراً فإن التوكل كأس مختوم بحتام الله عز وجل فلا يشرب بها ولا ينفذ ختامها إلا المتوكلون كما قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾^(٣) وقال عز وجل: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٤).

جعل الله التوكل مفتاح الإيمان، والإيمان قفل التوكل، وحقيقة التوكل الإيثارة، وأصل الإيثارة تقديم الشيء بحقه، ولا ينفك المتوكل في توكله من إثبات أحد الإيثارين، فإن أثر المعلول وهو الكون حجب به، وإن أثر المعلل علة التوكل وهو الباري سبحانه بقي معه. وإن أردت أن تكون متوكلاً لا متعللاً فكبر على روحك خمسة تكبيرات، وودع أمانيك كلها توديع الموت للحية، وليس أدنى حد التوكل ألا تسابق مقدومك بالهمة، ولا تطالع مقسومك، ولا تستشرف معدومك فتنتقض بأحدها عقد إيمانك وأنت لا تشعر، كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام^(٥).

(١) مسند أحمد ٢: ١٧٤.

(٢) كشف الغمة ١: ١٠. والهيوب: الخائف والضرع: الضعيف.

(٣) إبراهيم: ١٢.

(٤) المائدة: ٢٣.

(٥) مصباح الشريعة: ١٦٤.

٧٨٥. المثل الأعلى

يروى أن رسول الله ﷺ قام خطيباً فكان فيما قال: «نحن كلمة التقوى، وسبيل الهدى، والمثل الأعلى، والحجة العظمى، والعروة الوثقى»^(١).

وهذا ما يعني أنه ﷺ المثل الأعلى في التنزه عن الشيطان ومن غلبة الشهوة، والمثل الأعلى في الحكم والحلم والعلم والنبوة والسماحة والشجاعة والصدق والصدق والطهر والعفاف والشرف وسائر الصفات العليا.

ودلالته أن وجود كل شيء ناقص يلك على وجود كامل يكون هو الأصل، كالممكن والواجب وفي كل صفة ينتهي ما بالعرض إلى ما بالذات.

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ يقول: «رب المثل الأعلى عما به مثله، والله المثل الأعلى الذي لا يشبهه شيء ولا يوصف ولا يتوهم، فذلك المثل الأعلى»^(٢) ويظهر منه أن المثل الأعلى هو العرش وهو اسم علم وقدرة، وأنه نور الولاية، وحيث إن النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام حملة العرش، أطلق عليهم المثل الأعلى باعتبار الحال واغل مبالغة، فهم حملة العلم والقدرة، وفي العرش تمثال ما خلق الله تعالى، فيعلمون كل ما خلق الله من النظام الخاص المتعين بإرادة الله ومشيته وقدره وما كان وما يكون فهذا وجه آخر في كونهم عليهم السلام المثل الأعلى.

٧٨٦. المجاهد

ما زال التدرج في الحب الإلهي حتى يستعد السالك لبذل غاية الجهد في الوصول إليه وينتهي للفناء في سبيله، إذ لم يرتض الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة حباً هادئاً في غاية الدعة والسرور؛ بيد أنه لا يفند مخاطر الزينغ

(١) تفسير فرات: ١١٠، الخصال ٣: ٥١، ٥٢. البحار ١٦: ٣٧٦.

(٢) مستدرک سفینه البحار للنمازي ٩: ٣٢٠.

والخيانة، ريثما أن الإنسان إذا جاهد وبذل كل ما بوسعه، ووفر كل ما يملك في خزائنه ترسخ الحب الإلهي في قلبه، وكفته بارقة السيوف من الفتنة وكفى بها امتحاناً ومحنة.

ولم تنته ثمرات الجهاد في تلك الدائرة، إذ أنه شرع ليظهر به الدين ويرث المسلمون معاقل المجد والشرف، وتندفع به شرور أعدائه الألداء، وبه اشترى الله سبحانه وتعالى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم على أن لهم الجنة، بيعاً مفلحاً منجحاً، اشترط عليهم فيه حفظ الحدود التي منها الدعوة إلى طاعة الله من طاعة العباد، وعبادة الله من عبادة العباد.

على أن الجهاد الذي جاء به الرسول الخاتم ﷺ على نوعين، أحدهما أكبر والآخر أصغر، والأكبر هو جهاد النفس والوقوف أمام رغباتها غير المشروعة مما ينافي المصلحة العامة والخاصة، ويؤدي إلى تضييع الحقوق وسيادة الظلم وكل ما فيه مفسدة كالتكبر والتجبر المحرّمين، يليه حب الدنيا والحرص عليها والضجر والكسل والطمع والخرق وإساءة الخلق والشحة والفحش والبذاء وقذف الآخرين بالموبقات والبيغي، والافتخار وقسوة القلب، وجامع الظلم ومعونة الظالم، واتباع الهوى.

وذلك بالتفكر فيما يوجب الاعتبار والعمل، والتخلق بكمكارم الأخلاق، واليقين بالله في الرزق والعمر والنفع والضرر، وطاعة العقل ومخالفة الجهل، بل وغلبة العقل على الشهوة، والاعتصام بالله، والتوكل عليه، وتعليق الأمل والرجاء عليه، مع الجمع بينه وبين الخوف، وكثرة اليكأ من خشية الله، مع حسن الظن به وطاعته، كل ذلك مع ذم النفس وتأديبها والصبر على طاعة الله. وتقواه والورع والعفة واجتناب المحارم وأداء الفرائض، والحلم والرفق في الأمور، والتواضع خصوصاً عند تجدد النعم، وفي الأكل والشرب، وبالتالي إثارة رضا الله على هوى النفس، وتدبير العواقب قبل كل عمل، وإنصاف الناس ولو من النفس، مع محبة

المؤمنين وحب الخير لهم، والاشتغال بعيوب النفس دون عيوبهم، واعتماد العدل وإصلاح النفس عند ميلها إلى الشر، واجتناب الخطايا والذنوب والمعاصي، والشهوات واللذات المحرمة وحتى المحقرات من الذنوب فضلاً عن الكبائر التي منها كفران النعمة، والتجنن بالتوبة والاستغفار عند ارتكاب شيء منها وإخفاؤه إن الله لا يحب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

وأما الجهاد الأصغر فهو الذي تكلمنا عنه أولاً، أعني جهاد الأعداء الذي كلف به بعض الأنبياء كموسى وداود وسليمان، ولا يكاد يبلغ جهاد واحد من الأنبياء جهاد الرسول المصطفى ﷺ الذي غزا بنفسه حوالي ٢٦ غزوة، فجرح وكسرت رباعيته، بعدما تحمل في شروع الدعوة صدمات شديدة صبر فيها كي لا تنفض وتضمحل وتشتت جماعاتها.

جعل كل ذلك وأمثاله اسم الجهاد مما لا ينافسه فيه أحد من الأنبياء، ولا يتقلد أحدهم هذا الوسام دونه.

ولا يخفى التدبير فيما وعظ الله تبارك وتعالى به عيسى بن مريم أن قال له: يا عيسى أنا ربك ورب آبائك... ثم إني أوصيك يا بن مريم البكر البتول بسيد المرسلين... المجاهد للمشركين ببدنه عن ديني^(١).

٧٨٧. المجتبي

الاجتباء هو اختيار بعد خيار^(٢)، إذا أحب الله عبداً ابتلاه، فإذا صبر اجتبه، وإن رضي اصطفاه^(٣)، وإذا اجتبه تاب عليه وهداه إلى صراط

(١) أمالي الصدوق: ٦١٢، البحار: ١٤٥: ٢٩٤، تحف العقول: ٤٩٩.

(٢) جاء في عيون الحكم للبيهي انواسطي: ٤٦٥، من أطاع الله اجتبه.

(٣) مسكن الفؤاد: ٨٠، مستدرک الوسائل ٢: ٤٢٧.

مستقيم وعصمه وأخلصه لنفسه فلا يكون للشيطان عليه سبيل^(١)؛ لأن أصل الاجتباء هو إخلاص الشيء للنفس.

هذا مع الاحتفاظ بنسبية الاجتباء ومراتبه وتدرجه حتى يبلغ مرتبة الرسول ﷺ العظيمة الذي اختاره الله سبحانه وتعالى قبل أن يرسله وسماه قبل أن يجتبيه واصطفاه قبل أن يبتعثه، فكان كما انتجبه سيد من خلقه وصفوة من اصطفاه، وأفضل من اجتبى، عندما اجتبه عنواناً لصحيفة أحيائه وخاتمة لدفتر أنبيائه، فهو الاجتباء الحقيقي.

حتى قال علي عليه السلام: شهادة: أشهد أن لا إله إلا الله غير معدول به ولا مشكوك فيه، ولا مكفور دينه، ولا مجحود تكوينه، شهادة من صدقت نيته وصفت دخلته، وخلص يقينه، وثقلت موازينه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المجتبي من خلائقه^(٢).

فيكون اجتباؤه بمعنى اختياره واصطفائه كأفضل مخلوق فأعطاه أعلى المناصب وأرفع المراتب من بين جميع الخلائق.

٧٨٨. المجيب في الميثاق

جاء في بعض الأدعية الماثورة عن الأئمة عليهم السلام: ... أن تصلي على محمد وآل محمد عبدك المجيب في الميثاق، القريب يوم التلاق^(٣)، وقد تكرر

(١) قل تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۖ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَوَدَّٰهُ﴾ على أن ذلك كان من الصفات الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم، فلما اجتباه الله تعالى وجعله نبياً كان معصوماً لا يذنب صغيرة ولا كبيرة. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٧٤.

(٢) نهج البلاغة ٢: ٩٨. والذخنة الباطن.

(٣) مصباح المتعجد: ٦٩٩.

الكلام عن الميثاق فلا نعيد.

٧٨٩ . المحب

ذكر ابن شهر آشوب أن اسم المحب من أسماء النبي ﷺ ورد في سبع مواضع من القرآن وهي مواضع ﴿حمر﴾^(١).

٧٩٠ . المحبوب

قال ابن شهر آشوب في عداد أسماء النبي ﷺ الواردة في القرآن: الحبيب، والمحب، والمحبوب في سبع مواضع ﴿حمر﴾^(٢)، فيبدو أنه رحمه الله يرى أن حم هو اختصار لكلمتي الحبيب المحبوب وكلمتي الحبيب المحب.

٧٩١ . المحدث

ذكر ابن شهر آشوب اسم المحدث من أسماء النبي ﷺ مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(٣)، وبذلك يكون المعنى هو التحديث بنعم الله والمروي هو التحديث بما أنعم الله عليه من دينه^(٤).

٧٩٢ . محلّ قدس الله

معاني كلمة القدس تتراوح بين الطهارة والظهور والنزاهة والبركة، بينما حظيرة القدس هي الجنة، وروح القدس روح يصير بها الإنسان نبياً

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٠.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣١ والآية في سورة الضحى: ١١.

(٤) اغناسن ١: ٢١٨.

أو إماماً فيحيط بجميع ما يجري على الأرض كما مر.

وما يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام من أن الله نهرًا دون عرشه ودون النهر الذي دون عرشه نور من نوره، وأن على حافتي النهر روحين مخلوقين: روح القدس وروح من أمره. ثم قال: ما من نبي ولا ملك من بعده جبّله إلا نفخ فيه من الروحين^(١) قد يفسر هذا العنوان، ويكون المعنى هو كون النبي صلى الله عليه وآله محل حلول روح القدس.

ولكن الأنسب إرادة البركة التي محلها الأول هو النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته البيض الذين يستسقى بهم الغمام في سني الجذب والحرمات، بالإضافة إلى بركة الرسول المعروفة التي تناقلوها جميع أعضاء بدنه، فما يمر ببشر جافة إلا وأغدفت، ولا مس ضرعاً محصرأً إلا ودرراً لبناً، ولا قعد تحت شجرة يابسة إلا وأورقت، وإذا لم تثمر أثمرت. وما بارك على شيء إلا شهدت له الآثار الطيبة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أول ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره واشتقته من جلال عظمته... فنحن الأولون... ومعنى التأويل، وفي أبياتنا هبط جبرئيل، ونحن محال قدس الله، ونحن مصابيح الحكمة، ونحن مفاتيح الرحمة»^(٢).

٧٩٢. محرم الخيانت

إن نتائج الاكتشافات الحديثة المعلنة وغير المعلنة وكل التقدم العلمي يزحف باتجاه إثبات الحقيقة القائلة بأن الأحكام التي جاء بها النبي صلى الله عليه وآله تابعة للمصالح والمناسد.

(١) الكافي ١: ٣٨٩، بصائر الدرجات: ٣٩.

(٢) البحار ٢٥: ٢٣.

فكل ما أحل الله تبارك وتعالى ففيه صلاح العباد وبقاؤهم، وهم إليه الحاجة التي لا يستغنون عنها، وأن اغرم من الأشياء لا حاجة للعباد إليه، ووجدناه مفسداً داعياً إلى الفناء واهلاك، مثل السموم والميتة والدم ولحم الخنزير، وذي ناب من السباع، ومخلب من الطير، ومالا قانصة له منها، ومثل البيض إذا استوى طرفاه، والسملك الذي لا فلس له إلا عند الضرورة.

فإن الله تبارك وتعالى لم يجرم ذلك على عباده وأحل لهم ما سواه من رغبة منه فيما حرم عليهم، ولا زهد فيما أحل لهم، ولكنه خلق الخلق فعلم ما تقوم به أبدانهم وما يصلحهم، فأحل لهم وأباحه، تفضلاً منه عليهم به نصلحتهم، وعلم ما يضرهم فنهاهم عنه وحرمه عليهم، ثم أحله للمضطر كما جاء في الأخبار^(١).

يجمعه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾؛ ولذلك عد ابن شهر آشوب من ألقاب النبي ﷺ محرم الخبائث^(٢).

٧٩٤ . محرم الميتة

ينبغي أن لا يقتصر تحريم الميتة على هذه الشريعة والأديان شرع واحد مع ما في الميتة من المفسد العظيمة والمضار الشديدة التي تجعل الحرمة هي الحكم الطبيعي لها؛ إلا أن يكون اتصاف النبي ﷺ بتلك الصفة من بين الأنبياء وبشريته دون غيرها من الشرائع لأجل عروض

(١) المحاسن ٢: ٣٣٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٢.

آفات التحريف على الشرائع السابقة بحيث أدت إلى نسيان هذا الحكم أو تناسيه مع أن بقاء معظم الشريعة الإسلامية وعدم تحريفها ببقاء القرآن التي منها حرمة الميتة يجعل من عنوان محرم الميتة صفة طبيعية للرسول ﷺ كما ذكره في البحار^(١).

وقد تعرضنا في كتاب الضب إلى أضرار الميتة التي منها ضعف البدن وانقطاع النسل وموت الفجأة والقسوة وغيرها.

٧٩٥ . محلل الحيات

لو تتبعنا أطعمة الأمم وغذاءها لوجدت أن أطيب الطعام هو طعام المسلمين، فإن طعامهم مما يختاره أكثر أهل الأرض بل عامتهم مما كان من أنخص الأطعمة وأطيبها وأطهرها.

وباقى الأمم بين من يأكل الدم والميتة ولحم الخنزير والضفادع والحيات والخنافس والديدان والسرطان والضب وأنواع السباع وما قدر طعامه وكل أسماك البحر من دون تمييز وتخصيص والأصداف والسلاحف وحتى لحوم البشر.

بينما لا يأكل المسلمون ولا يحمل لهم سوى ما يكون من بهيمة الأنعام، ولا يأكلون كل ذي ناب ومخلب أو غيرها من السباع والمسوخ، ويتنزهون عما يحيض كما تحيض النساء كالأرنب. ولا يأكلون من الأسماك إلا ما كان عليه فلس ومن الضيور ما دف، ومن شاء التفصيل فليراجع أحكام الأطعمة والأشربة.

فالمراد بالطيب هو ما كان طيباً يستسيغه عامة البشر مما فيه النفع وقوام البدن ومن دون إضرار بالطعام حسب علم الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا

أَحِلَّ لَهُمْ قُلُوحُ أَحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ^(١).

بعد كل ذلك يعد ابن شهر آشوب من ألقاب النبي ﷺ عنوان محلل الطيبات^(٢).

٧٩٦ . محمد ﷺ

هذا هو الاسم العلم الذي سمته به أمه آمنة بنت وهب، التي كانت تحدّث وتقول: أتاني آت حين مرّ بي من حملي ستة أشهر في المنام وقال لي: يا آمنة إنك حملت بحير العالمين، فإذا ولدته فسميه محمداً... واكتمي شأنك^(٣).

وهو الاسم الذي عرفه به كثير من الأنبياء كالنبي آدم ﷺ الذي رآه على العرش واللوح المحفوظ وعلى صفح السماوات وأبواب الجنان^(٤).

والنبي نوح ﷺ لما ركب السفينة كتبه كأول اسم من الأسماء الخمسة على لوحة تم العثور عليها أخيراً كما أشرنا مراراً.

وأوحى إلى داود في الزبور: يا داود إنه سيأتي من بعدك نبي يسمى أحمد ومحمد^(٥).

وكان نقش خاتم سليمان بن داود ﷺ في رواية: لا إله إلا الله محمد

(١) المائدة: ٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٢، البحار ١٦: ١٠٤.

(٣) السيرة الحلبية: ٥١، ٨٧.

(٤) تفسير الإمام العسكري ﷺ: ٢٢٥، قصص الأنبياء لابن كثير ١: ٢٩، ينابيع المودة ١: ٦٦.

(٥) البداية والنهاية لابن كثير ٦: ٦٢، مستدرک الحاكم ٢: ٤٠٨.

رسول الله^(١).

وقال سطيح الكاهن يصف النبي ﷺ: اسمه في السماء أحمد وفي الأرض محمد^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: إن لي أسماء أنا محمد^(٣).

وقعد عند عين فنزل عليه جبرئيل وميكائيل وإسرافيل ودردائيل، فقال جبرئيل: السلام عليك يا محمد^(٤).

ومهما يكن من ذلك فإن هذا الاسم هو أشهر أسمائه ﷺ وقد نطق به القرآن المجيد وهو اسم سورة من سوره، وإنما كان اشتقاقه من الحمد الذي هو بمعنى ثناء الناس عليه مع التعجب والتعظيم للممدوح وخضوع المادح له، ويكون في الغالب في مقابلة إحسان يصل إلى الحامد، فيجيء هذا الاسم كرد فعل طبيعي وحقيقي لإحسان النبي ﷺ العميم إلى الناس في الدنيا والآخرة.

قال ﷺ: «سماني محمداً وهو محمود، وجعل اسمي في القرآن محمداً، فأنا محمود في جميع القيامة في فصل القضه، لا يشفع أحد غيري»^(٥).

٧٩٧ . محيائا

قيل: اسمه في الزبور محيائا، وقيل هو بلقيطا أو قليطا، وقيل

(١) كنز العمال ١١ : ٤٩٨ ح ٣٢٣٣٧ .

(٢) البحار ١٥ : ٣٠٧ .

(٣) طبقات ابن سعد ١ : ١٠٥ ، مسند أحمد ٤ : ٨٠ .

(٤) الفضائل : ٣١ ، ٥٢ .

(٥) الخصال ٢ : ٤٢٥ .

فاروق^(١)، فلا يبعد أن يكون معنى معيائاً هو الفاروق الذي يفرق بين الحق الباطل.

٧٩٨ . المختار

لا زال اختيار الفاعلين في أطر الرسائل التبشيرية يعتمد على علم الله سبحانه وتعالى بجميع مميزات البشر وامتيازاتهم ومدى قدراتهم واستعدادهم من أجل تحمل تلك الرسائل والقيام بأعبائها، فلا تفاوت في المختار من هذه الجهة، وإنما التفاوت من جهة المرسل به.

ولا يزال يتفاوت الاختيار وكفاءة المختار باختلاف المهمة التي ينتدب إليها حتى تنتهي بأكبر مهمة وأعظم رسالة، وهي الرسالة الخاتمة التي هي أكمل الرسائل السماوية، وكذا فهي الرسالة الباقية ببقاء الدنيا، مع تنفيذها لجميع بقايا الرسائل السالفة التي اختار لها الله سبحانه أرجح الرسل وأفضل الخلائق متناسباً مع أهميتها ومصيريتها.

ويخلص ذلك إلى تحمل هذا الاختيار والانتخاب للكثير من المعاني التي قد تخطر على البال والمعاني التي لا تخطر على بال أحد من المميزات والصفات السامية التي يتخلق بها هذا الوجود المبارك.

مما يجعل من اسم المختار اسماً هاماً يحمل في طياته معانٍ عظيمة جداً، قد يستشعر بعضه من قول أمير المؤمنين وهو يذكر النبي ﷺ: «اختاره من شجرة الأنبياء، ومشكاة الضياء، وذؤابة العلياء، وسرة البطحاء، ومصابيح الظلمة، ونبابيح الحكمة»^(٢) فهو يفرض له شرفاً وسؤدداً ونورانية قبل الاختيار والانتخاب، ويضيف حديث آخر إلى ذلك توفيق الله سبحانه لهذا

(١) انظر مناقب آل أبي طالب ١: ١٣١، والبحار ١٦: ١٠٣.

(٢) نهج البلاغة ١: ٢٠٦.

الوجود المبارك ووجود كل أمام حيث يقول عليه السلام: «اصطنعه على عينه في الدر حين ذراه، وفي البرية حين برأه ظلاً قبل خلق نسمة عن يمين عرشه، محبواً بالحكمة، اختاره بعلمه، وانتجبه لظهره، بقية من آدم وخيرة من ذرية نوح، ومصطفى من آل إبراهيم، وسلالة من إسماعيل إلى أن قال - لم يزل مرعياً بعين الله يحفظه ويكلؤه»^(١).

هذا جميع ما يسبق الاختيار، وأما ما يعقبه، فقد ورد: «أن العبد إذا اختاره الله عزوجل لأمر عباده شرح صدره لذلك، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألممه العلم إلهاماً، فلم يعي بعده مجواب، ولا يحير فيه عن الصواب، فهو معصوم مؤيد، موفق مسدد، قد أمن من الخطايا، والزلل والعثار، يخصه الله بذلك ليكون حجته على عباده، وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتیه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»^(٢).

ومع ذلك يبقى في اختيار الرسول صلى الله عليه وآله لأصعب مهمة وأعظمها من الأسرار والامتيازات التي لا يفي بها جميع ما جاء في هذا الكتاب وأمثاله، غير أننا نعلم شيئاً واحداً وهو أرجحية الرسول صلى الله عليه وآله على جميع الرسل، قال صلى الله عليه وآله معبراً عن ذلك: «إن الله اختار من الناس الأنبياء، واختار من الأنبياء الرسل، واختارني من الرسل»^(٣).

ولا يقتصر اختياره على الدنيا، بل هو المختار في الآخرة، بيد أنه اختيار آخر يعتمد على مميزات أخرى ومقامات عليا، قال صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: «إن الله اختار من أهل الجنة رجلين أحدهما أباك والآخر زوجك»^(٤).

(١) الكافي ١: ٢٠٤.

(٢) الكافي ١: ٢٠٣، الأمالي: ٧٧٨.

(٣) الغيبة للشيخ الطوسي: ١٤٢ دلائل الإمامة: ٤٥٤.

(٤) مجمع الزوائد للهيتمي ٩: ١١٢، كنز العمال ٣: ١٠٨.

١٨٠..... أسماء الرسول المصطفى ﷺ

ولعل أول من نطق بهذه الصفة - أعني المختار - عم الرسول ﷺ حمزة يوم زواجه ﷺ من خديجة حيث قال: يا أهل مكة الزموا الأدب وقللوا الكلام... فإنه قد جاءكم صاحب الزمان، محمد المختار^(١).

يحكي هذا الوصف وغيره من الأوصاف التي جاءت في هذه الرواية ونقلناها متفرقة في هذا الكتاب عن مدى درك حمزة لحقيقة الرسول ﷺ ومقاماته ومناصبه، وأنه ما استحق المرتبة التي استوفاهما إلا عن علم وافر وإيمان عميق سابق على إعلامه.

٧٩٩. المختار للرسالة

طبقاً للتحديدات السابقة المتعلقة بالاختيار تعرّفنا على أن الرسالة هي أحد أركان الاختيار الثلاثة، أعني الذي يختار والمختار والمختار له، فالرسالة هي الركن الثالث، وليس ثمة اختيار محض، وإنما هو اختيار لمهمة أو مقام أو منزلة، والمهمة التي اختير لها الرسول ﷺ هي الرسالة المعهودة، أعني أكمل الرسالات وأتمها وآخرها وأدومها، ولذا جعل ابن شهر آشوب أحد ألقاب الرسول هو المختار للرسالة^(٢).

٨٠٠. مختلف الملائكة

يعني محل اختلافهم وورود كل واحدٍ منهم أو كل فوج من أفواجهم بعد آخر، فيكون الثاني وكأنه خلف الأول.

يفترض هذا المعنى وجود عالم مثالي منسجم وثابت، وذلك أن القصة والحكاية تحتاج إلى إعادة التذكير بأن الملائكة ليست هي وجودات

(١) البحار ١٦: ٦٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٣، البحار ١٦: ١٠٦.

لها أجنحة كأجنحة الطيور، ولا هي نوع واحد، بل هي كل القوى الكونية التي يكون لها فاعلية في جهة الخير وحفظ النظم مما يعبر عنه بقوانين الطبيعة أو على الأقل يكون سنخ منها كذلك، ويقابله القوى الهدامة السائرة في طريق التشويش والتهديم والإخلال التي تسمى الشياطين.

ويعود السر في قوة الملائكة إلى العلم كما بينا سابقاً بأن القدرة الحقيقية هي العلم، فهو الذي قلل جهد السفر ومكّن من المستحيل وحقق التطور المشهود وغيره.

فإن العلم سيصل إلى تخفيف القدرة المبذولة في سبيل تحقيق المآرب والأعمال العظيمة حتى يتلفظ كلمات فقط، بينما يبلغ إلى مجرد التمني في عالم الآخرة.

ولما كانت حقيقة تلك القوى الخيرة علمية في الغالب فهي لا تجد سنخية إلا مع حملة العلم المستلهمين له، أعني النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام، فإنهم حملة العرش وحملة العلم، وذلك بدليل ما ورد عن أبي الحسن عليه السلام: «ما من ملك يهبطه الله في أمر، ما يهبطه إلا بدأ بالإمام فعرض ذلك عليه، وإن مختلف الملائكة من عند الله تبارك وتعالى إلى صاحب هذا الأمر»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «إنا أهل بيت الرحمة وشجرة النبوة وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة»^(٢).

٨٠١. المختون

سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن خلق الله تعالى من الأنبياء مختوناً فقال: خلق آدم مختوناً وولد شيث مختوناً وأدريس ونوح وإبراهيم وداود وسليمان

(١) الكافي ١: ٣٩٤، بصائر الدرجات: ١١٥.

(٢) بصائر الدرجات: ١٧، البحار ٢٦: ٢٤٥.

ولوط وإسماعيل وعيسى وموسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين^(١).

٨٠٢. مخطوط المتنتين

بين الفترة والأخرى تعترضنا بعض صفات الرسول ﷺ البدنية التي منها مخطوط المتنتين، الوصف الذي يعني استطالة المتنتين واستقامتهما، والمتنتان هما اللحمتان المعصوبتان المكتنفتان بصلب الظهر المعلوتان بعقب، وتسميان جنبتا الظهر، وبعبارة أوضح هو ما يمتد إلى جانبي العمود الفقري من اللحم والعصب من أعلى الظهر إلى أسفل المعبر عنهما مجبل الظهر.

ولما كان الخط يعني الطريقة المستطيلة في الشيء، صار وصف الرسول ﷺ بأنه مخطوط المتنتين دليلاً على استقامة ظهره ﷺ وعدم انحرافه واعوجاجه كما هو مشاهد في أغلب الناس مما يدخل في كمال بدنه واستقامته وتناسقه، كما أنه كناية عن قوته وصلابة بدنه الشريف في مقابل نوائب الدهور وعدم انحنائه أمام مكر الأعداء وتدبيرهم وهرجهم ولغظهم وسهام ألسنتهم.

ثم إن ابن شهر آشوب عندما يذكر صفات النبي ﷺ البدنية، يذكر منها هذه الصفة إلا أن الموجود في المطبوع المتيتين بدل المتنتين^(٢) والذي يبدو أن فيه تصحيحاً كما أشار إلى أصل التصحيف المجلسي في البحار، واحتمل أن الصحيح هو الليتين الذي يعني صفحتا العنق كما احتمل أنه تصحيف المتنتين^(٣)، ولكن ما أثبتناه هو أقرب الكلمات رسماً، بيد أن

(١) علل الشرائع ٢: ٥٩٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٥.

(٣) البحار ١٦: ١٨٣.

التصحييف في السقاط مألوف، وهو أنسيها معنى لعدم تصور الانحراف والاعوجاج في العنق إلا نادراً.

٨٠٣ . مخلف الثقلين

قال رسول الله ﷺ: «إني رسول الله إليكم وإني مخلف فيكم الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما كتاب الله وعترتي»^(١).

والحديث في تخليف الرسول ﷺ طويل إنما نشير هنا إلى حقيقة العرضية واصطلاح التخليف، حيث يجعل هذا الخبر المعروف والمشهور العترة في عرض كلام الله المجيد مما يعني أن العترة لها آثار موازية لآثار القرآن، ولهم تأثير مواز لتأثير القرآن، ولهم قداسة وخطر يوازي خطر القرآن وقداسته.

وليس هذا التخليف مجرد اقتراح وإنما هو إلزام بالرعاية والتعاهد بدليل قوله ﷺ: فانظروا كيف تخلفوني فيهما، مما يعني بوضوح عدم رضاه ﷺ حتى بهجرهما وعدم الرجوع إليهما باعتبارهما أثرا النبي ﷺ الباقيين بعده.

ثم إن اصطلاح التخليف لا يقصر عن أداء معنى الخلافة والحكومة إذ لم يتركهما ليُنظر إليهما فقط، بل هما خليفتا رسول الله ﷺ على أن يكون القرآن هو القانون الساري المفعول والعترة هم المفسرون له والقوة اجرية لذلك القانون وبهذا يتأتى التصريح بأن خلفاء الرسول ﷺ هم عترته لمن يتعبد بلفظ الخلافة ولا يقنع بمثل من كنت مولاه فهذا علي مولاه وأمثاله.

(١) شرح نهج البلاغة ١٠: ٢٧٠، نور العين للاسفرائيني: ٣٥، البحار ١٦: ١٨٠،

وانظر مسند أحمد ٣: ١٧، وطبقات ابن سعد ٢: ١٩٤، ومستدرک الحاكم ٣:

ولا أدري كيف صار هذا وذاك خليفة المسلمين ولم يصدر من النبي ﷺ بحقه ما يشعر بذلك، أم كيف تُعزل العترة مع تصريح النبي ﷺ بأنهم خلفاؤه وهم من يخلفه ويكون الحكم لهم وبأرائهم دون سائر البشر.

وإذا أردت أن تعرف أن العامة كيف أخلفت النبي ﷺ بهما ناهيك عن القتل والتشريد والأذى الذي يوصلونه لعترة النبي ﷺ ومحبيهم وشيعتهم، فإن من لم يفعل ذلك منهم تجده لا يعرف حديثاً واحداً يرويه عن الإمام الصادق عليه السلام أو الإمام الباقر أو غيرهما من العترة، هكذا أخلفوه فيهما.

٨٠٤. المدثر

قال أبو عبد الله عليه السلام للكلي: «كم محمد اسم في القرآن؟» فقال: اسمان أو ثلاث، فقال: يا كلي له عشرة أسماء: «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل... ويا أيها المدثر قم فأذر...»^(١).

والمدثر هو المتغطّي بشيابه لأجل النوم، جاء هذا الخطاب في القرآن من باب التأنيس والملاطفة عندما كان النبي ﷺ متغطياً بشيابه للنوم، ويمكن إرادة معنى المستريح أو القاصد للاستراحة والفراغ، وإنما أراد بذلك الكناية وإخباره بانقضاء زمن الراحة وإقبال زمان المتاعب والتكاليف الصعبة وهداية الناس. وقيل: إن النبي ﷺ لما نزل عليه الوحي ورآه أصابه الرعب فرجع إلى داره وقال: دثروني دثروني، فأنزل الله عزوجل يا أيها المدثر قم فأذر، ولكنها رواية ضعيفة^(٢) يصعب قبولها.

(١) بصائر الدرجات: ٥٣٢ ح ٢٦.

(٢) مسند أحمد ٢: ٣٧٧.

٨٠٥. المدني

صارت المدينة - باعتقادي - أفضل الأمصار بعد حلول الرسول المصطفى ﷺ وأهل بيته الطيبين فيها، فهي في الحقيقة شُرِّفت به ﷺ وبأهل بيته الطيبين وبالشهداء وصالحى الصحابة، بذلك كان شرفها بالعرض لا بالذات، كما هو الحال بالنسبة لمكة المكرمة التي نالت الكرامة بولادة الرسول ﷺ فيها ولأنها مقام إبراهيم الخليل وغيره من النبيين الطيبين ومسكن آدم وإسماعيل عليهما السلام.

فليس نسبة الرسول ﷺ إلى المدينة مما يزيد في علو قدره، ولا هو شرف له.

فإذا روينا أن الإمام علي بن الحسين الطيبين كان يقول في بعض أدعيته: «اللهم بذمة الإسلام أتوسل إليك، وبجرمة القرآن أعتمد عليك، وبحبي للنبي الأسي القرشي الهاشمي العربي التهامي المكي المدني أرجو الزلفة لديك»^(١) لا يعني سوى أن النبي ﷺ كان يسكن المدينة ويتوسطها ويشرفها وإنما هو مدني بمعنى مشرف المدينة كما يقال هذا موجود إلهي وعالم رباني.

وأوضح من ذلك ما جاء في كلام سطیح الكاهن الذي بعث به إلى زرقاء اليمامة حيث يقول: «أما بعد فإنني كتبت إليك كتابي وأنا في هموم وسكرات وغموم وخطرات، وقد تعلمين ما الذي يحلّ بنا من الدمار واهلاك من خروج... المدني»^(٢).

وإنما صار اسمها المدينة بعد ما كانت تسمى يثرب فلأنها ثاني مدن الحجاز بحسب الأهمية بعد مدينة مكة، والمألوف هو إضافة كلمة المدينة إلى كل البلدان الكبيرة كمدينة إصفهان ومدينة السلام، وبهذا صارت تسمى

(١) الصحيفة السجادية (الأبطحي): ٢٢٤.

(٢) البحار ١٥: ٣٠٣.

مدينة يثرب، وقيل: أول ما سميت به مع الإضافة هو مدينة الرسول ﷺ ثم غلب عليها اسم المدينة، والأول أقرب لما جاء في شعر الأنصار: «جئت شرفت المدينة» الذي يترجح فيه الاسم على الجنسية المشتقة من قولهم مَدَنَ في المكان أي أقام به وسكن فيه، فكل بلد وكل أرض مسكونة هي مدينة، ولكن احتمال الاسم أقوى.

وقيل: إن للمدينة أسماء عديدة قد تبلغ تسعة وعشرين اسماً والمعروف منها ثلاثة: المدينة، ويثرب، وطيبة^(١).

والمهم أن أهلها الأوائل هم الأوس والخزرج وغيرهما الذين عرفوا بعد قدوم النبي ﷺ بالأنصار لنصرتهم لرسول الله ﷺ بعد ما خذله أهل مكة الجفاة، وصلحوا بعض الشيء مدة إقامة رسول الله ﷺ عندهم، ثم انقلب الكثير منهم على أعقابهم وتابعوا طغاة قريش في نبذ العترة وإقصاء الموصى به، فلما زرتها في عام ١٤٢٤ هـ وجدت مع الأسف الشديد - أن الغالب على أهلها الشدة والقسوة في التعامل مع الحجاج والتعالي عليهم حيث يعتنون ضيوف الرسول ﷺ ويستملحون الصخب ويسرعون إلى التهمة بالشرك والفسق، ولو كان المحيطون بقبره ﷺ اليوم هم أبناء الخيطين به في حياته لعرفنا وجه السر في قوله ﷺ: «ما أودى نبي مثل ما أوديت»^(٢).

٨٠٦. مدوّرة الهامة

تكهنَ سطيح الكاهن بظهور نبي بين أوساط قريش، فأشار إلى عبد الله وقال: ليعثن من هذا عن قريب الأمد، نبي يهدي إلى عبادة الله الأحد، فقالوا له: يا شيخ نحب أن تصف لنا هذا النبي وتبين لنا نعته، فقال:

(١) معجم البلدان ٥ : ٩٨ .

(٢) مناقب أن أبي طالب ٣ : ٤٢ ، التمهيد : ٤ ، البحار ٣٩ : ٥٦ .

اسمعوا مني كلاماً صحيحاً، سيظهر منكم عن قليل شخص نبيل، وهو رسول الملك الجليل، وإن لسان سطيح عنه لكليل، وهو رجل لا بالقصير اللاصق، ولا بالطويل الشاهق، حسن القامة، مدور الهامة، بين كتفيه علامة^(١)....

ولم تأت هذه الصفة بهذا اللفظ في كلام الآخرين من وصف النبي ﷺ، نعم جاء في وصف أمير المؤمنين عليه السلام: «أنه كان في الوجه تدوير»^(٢). بينما الهامة هي الرأس، فيكون التدوير في مجموع الرأس، ومن جملة الوجه، ويدخل في كمال خلقته، إذ لم يكن أفتح الرأس ولا مستطيله.

٨٠٧. مدينة الحكمة

عندما لاحظنا ما أضيف إلى كلمة الحكمة في أخبار الرسول ﷺ والأئمة من أهل البيت عليهم السلام وجدنا أن للحكمة أجزاء وأعضاء ومقومات للحياة والحركة^(٣) والنقل والانتقال^(٤)، وأنواع الأعمال والأفعال^(٥) وما يقع

(١) البحار ١٥:.

(٢) البحار ١٦: ١٤٧ ح ٣.

(٣) قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له: «وإنما ذلك بمنزلة الحكمة التي هي حياة للقلب الميت، وبصر للعين العمياء، وسمع للأذن الصماء. وري للظمان، وفيها الغنى كله والسلامة» نهج البلاغة ٢: ١٦.

(٤) قال أمير المؤمنين عليه السلام «خذ الحكمة أي كانت: فإن الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجج في صدره حتى تخرج فتسكن إلى صواحبها في صدر المؤمن» نهج البلاغة ٤: ١٨.

(٥) انظر الكلمات التالية المقتطفة من الأخبار: تغيض فيها الحكمة نهج البلاغة ٢: ٣٨، نبئت له الحكمة نهج البلاغة ٤: ٨. تلجج في صدر المنافق، تخرج

عليها^(١)، بل إن لها غوراً وسبلاً وطرقاً ودوراً وبيوتاً ولها خزانة وأبواباً ومفاتيح وأضواء ومصابيح ونبابيع ومزارعاً وزهوراً ومناهل وكؤوساً^(٢)، ولها أهل وورثة ولباس وخطيب وداع وزارع وحاصد^(٣)، بل هي مدينة اجتمع فيها كل مقومات أي مدينة بكاملها واجتمع فيها جميع الحكم، ولهذا المدينة باب وداخل وخارج.

وتسكن في صدر المؤمن، جرى ينباع الحكمة اغناسن ١ : ٦١، أنطق الله الحكمة على لسانه اغناسن ٢ : ٥٤٨، تعمر الحكمة الكافي ١٩ : ٣٧، زرعت الحكمة في صدورهم الصحيفة السجادية: ٦٠٦، نعم الحكمة كمال الدين: ٤، الحكمة تبكي فرقاً مني الكافي ٨ : ١٣٩.

(١) انظر الكلمات التالية: «ومن يؤت الحكمة» البقرة: ٢٦٩، خذوا الحكمة، اغناسن ١ : ٢٣٠، تأول الحكمة، الكافي ٢ : ٥١، حامل الحكمة، كمال الدين: ٥٩٣.

(٢) غور الحكمة، الكافي ١ : ٢٨، دار الحكمة، أمالي الصدوق: ٤٣٤، بيت الحكمة، أمالي الصدوق: ٧٧، خزانة الحكمة أمالي الصدوق: ٤٥٣، الصمت من أبواب الحكمة، قرب الإسناد: ٣٦٩، اغناسن ١ : ١٩٩، مفاتيح الحكمة، بصائر الدرجات: ٧٧، أضواء الحكمة، نهج البلاغة ١ : ٢٠٧، مصابيح الحكمة، قرب الإسناد: ١٥٨، ينباع الحكمة، نهج البلاغة ١ : ٢٠٧، زرعت الحكمة في صدورهم، الكافي ٦ : ٥٠٧، زهرة اخكمة، الخصال: ٢٣١، كأس الحكمة، نهج البلاغة ٢ : ٣٩.

(٣) أهل الحكمة، كمال الدين: ٦٠١، ورثة الحكمة الصحيفة السجادية: ٥٢٢، مدارع الحكمة الصحيفة السجادية: ٤٩٦، خطيب اخكمة، نهج البلاغة ١ : ٤، دعا إلى الحكمة، نهج البلاغة ١ : ٨٨٦، فزرع فيها الحكمة زارعها وحاصدها، قرب الإسناد: ٣٥.

ولما كانت المدينة هي البلدة المسكونة والبقعة المستوطنة، فليس بجميع الحكيم مسكن سوى الرسول المصطفى ﷺ الذي أنزل عليه القرآن الجامع، وأوحى إليه جميع الخير وعلم جميع الحكم التي سكنت صدور الأنبياء السابقين، فهو مدينة الحكمة كما روي عنه ﷺ أنه قال: «أنا مدينة الحكمة وعلي بن أبي طالب بابها، ولن تؤتى المدينة إلا من قبل الباب»^(١).

٨٠٨. مدينة العلم

حينما يقول الرسول ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب»^(٢)، يريد بذلك بيان سعة علومه ﷺ واجتماع جميع صنوف العلم عنده وسكونتها فيه؛ بيد أن علمه علم جميع الأنبياء والمرسلين وعلم ما كان وعلم ما يكون كما مر مراراً، لكن المهم في هذا الحديث بيان وجود حصانة لهذا العلم ولتلك المدينة وحقيقة العلوم النبوية المحرم الوصول إليها والنقوذ فيها لمن جاء بعده إلا من طريق واحد، وهو بابها علي بن أبي طالب عليه السلام بحيث لا يمكن لأحد أن ينفذ من طريق آخر، وأنه لو جهل الطريق ونفذ من غير الباب وحصل على بعض العلوم فهو غاصب لا يملكها ملكاً حقيقياً ولا يحق له أن ينتفع بها، بل يكون ملكه مجازياً غير نافع، بخلاف ما إذا عرف الطريق وأخذ من بابه فإنه سينتفع به ويكون ملكاً حقيقياً له.

(١) أمالي الصدوق: ١١١، كمال الدين: ٢٤١، ينابيع المودة: ١: ٣٩٠.

(٢) مستدرک الحاكم: ٣: ١٢٦، مجمع الزوائد: ٩: ١١٤، تهذيب تاريخ دمشق: ٣: ٣٨.

، الفردوس: ١: ٤٣، تاريخ بغداد: ٢: ٣٧٧، وج: ٤: ٣٤٨، وج: ٧: ١٧٣، وج:

١١: ٨، ٢٠٤، الإتحاف: ٤: ٢٤٤، كشف الخفاء: ١: ٢٣٥، ميزان الاعتدال

عندها نعلم أن التركيز في هذا الحديث على الحصانة، رغم أن الإشارة إلى سعة علوم النبي ﷺ وتنوعها واجتماعها بجميع أنواعها له بالغ الأهمية.

ومع ذلك البيان يعلم أن ما أضافه بعض مرتزقة الأمويين من أن فلاناً حيطانها وفلاناً سقفها لا يعدو أن يكون سخافة محضة، لعدم وجود معنى لإتيان الجدران والسقف سوى التسلل والسرقة.

٨٠٩. المذكر

يتأرجح معنى الذكر بين إرادة كل ما جرى على اللسان فهو ما يذكره وهو ذكر، وبين تذكرة ما أنسي، فقد يغلب الثاني في باب التفعيل، ويكون المراد بقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾^(١) هو تذكير الناس بما نسوه من نعم الله سبحانه وتعالى على الناس، وأياديه الجميلة وما يحكم به كل عقل من لزوم شكر المنعم وعبادته، وكذا التذكير بأيام الله سبحانه وتعالى، وحتى مثل العهد الذي أخذه الله سبحانه على الناس يوم خلقهم ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمُ الْأَسْتِ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾^(٢) مما رسخ في سليم فطرتهم.

كما يمكن أن يكون المراد هو كل ما يجري على لسانه ﷺ من آيات الله سبحانه وتعالى وحججه الباهرة والقرآن العظيم والأحكام الإلهية والواجبات الشرعية وكل ما يجب فعله ويحرم عليهم ركوبه وما يندب إليه من مكارم الأخلاق السامية والحكم المترقية وإن لم يكونوا عرفوه من قبل ولا سمعوا به، ولا هو مرتكز في أذهانهم وصحيح فطرتهم.

(١) الغاشية: ٢١.

(٢) الأعراف: ١٧٢.

وإن كان هناك من يدعي أن الجميع داخل في باب التذكرة بعد النسيان، بيد أن الإنسان علم كل شيء حين تجردّه، وإنما عرض النسيان بعد حلول الروح في البدن وعندما اختلط العقل مع الشهوات وامتزج بالذنوب، وإلا فأحكام الشرع مما تقتضيها الفطرة السليمة والجملة المستقيمة لا يعدو تبليغها من أن يكون مجرد تذكرة.

ولما أحصى ابن شهر آشوب أسماء النبي ﷺ في القرآن عد منها المذكور مستدلاً بالآية السابقة^(١).

٨١٠. مدّن الكهان

لا يصبر البشر بحسب طبيعه عما يحدث في المستقبل ولا ينتظر الاطلاع على الأمور بعد حصولها، بل يحاول على الدوام التعرف على ما سيحدث قبل حدوثه والتنبؤ بما هو كائن وصائر إليه على أمل الخلاص من الخال التي يعيشها أو مجرد حب الاطلاع.

وبذلك السبب صار تنبؤ الآخرين مما ينفت نظره على الدوام ولا يترك أن يصغي إلى كل إخبار عن المستقبل فيعطيه بالغ الأهمية وينظر إلى المتنبئ والمخبر بعين المهابة والاحترام.

فلم يترك الأنبياء والرسل هذه الوسيلة لإلفات الأنظار وجذب الناس والتمهيد لما سيكون في المستقبل على أن إخبارات الرسل مما فيها الكفاية عادة بحيث يغني عن السماع ممن عداهم خصوصاً وأن إخباراتهم تكون عن طريق الوحي والإلهام الصادق على الدوام.

وفي الفترة ما بين رسول ورسول يحصل فراغ في هذا المجال وتحدث التساؤلات والتكهنات عن المستقبل ويزيد الطلب؛ فيستعين البعض بقوة

(١) المناقب ١: ١٣٠.

النفس بعد تهيجها بحركة نفسانية أو جسمانية وقطع إلتفاتها عن مألوفاتها وتوجيهها برمتها نحو المطلوب فينكشف له بعض الحقائق.

أو بواسطة الاتصال بالعوالم الأخرى كعالم الجن والاستعانة ببعضهم أو تطويعهم في مجال الحصول على أخبار السماء التي يسترقها الجن والشياطين الذين يتصعدون إلى السماء ويقعدون مقاعد للسمع فيأتي صاحبه من الإنس ويتراءى له ويخبره بما سمع وحصل عليه ولذلك سمي هذا التابع من الجن بالرئي، ويسمى المتصل بالجن والمنكشف له بالكاهن.

وما زالت الكهانة لها الصدارة والمكانة في الجاهلية حتى ولد الرسول ﷺ فمنعت الجن عن أخبار السماء وبطلت الكهانة إلا ما ندر من أخبار تدور حول ما يحدث على الأرض مما غاب علمه عن الكاهن.

ولما سأل ابن أبي العوجاء أبا عبد الله عليه السلام وقال: من أين الكهانة ومن أين يخبر الناس بما يحدث؟ فأجاب: «إن الكهانة في الجاهلية في كل حين فترة من الرسل، كان الكاهن بمنزلة الحاكم يحتكمون إليه فيما يشبه عليهم من الأمور بينهم، فيخبرهم عن أشياء تحدث، وذلك من وجوه شتى: فراسة العين، وذكاء القلب، ووسوسة النفس، وفطنة الروح، مع قذف في قلبه؛ لأن ما يحدث في الأرض من الحوادث الظاهرة فذلك يعلمه الشيطان ويؤديه إلى الكاهن، ويخبره بما يحدث في المنازل والأطراف؛ وأما أخبار السماء فإن الشياطين كانت تقعد مقاعد استراق السمع إذ ذاك وهي لا تحجب ولا ترحم بالنجوم، وإنما منعت من استراق السمع لئلا يقع في الأرض سبب يشاكل الوحي من خبر السماء، فيليس على أهل الأرض ما جاءهم عن الله لإثبات الحجة ونفي الشبهة، وكان الشيطان يسترق الكلمة الواحدة من خبر السماء بما يحدث من الله في خلقه فيختطفها ثم يهبط بها إلى الأرض فيقذفها إلى الكاهن، فإذا زاد كلمات من عنده فيخلط الحق بالباطل، فما أصاب الكاهن من خبر مما كان يخبر به فهو ما أداه إليه

الشیطان لما سمعه، وما أخطأ فيه فهو باطل ما زاد فيه، فمنذ منعت الشیاطین عن استراق السمع انقطعت الكهانة، والیوم إنما تؤدي الشیاطین إلى كهانها أخباراً للناس بما يتحدثون به وما يحدثونه، والشیاطین تؤدي إلى الشیاطین ما يحدث في البعد من الحوادث، من سارق سرق، ومن قاتل قتل، ومن غائب غاب، وهم بمنزلة الناس أيضاً صدوق وكذوب»^(١).

ويؤكد هذا المعنى ويزينه بعض التفاصيل ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، إذ رمي نجم فاستضاء، فقال رسول الله ﷺ للقوم: ما كنتم تقولون في وقت الجاهلية إذا رأيت مثل هذا؟ قالوا: كنا نقول: مات عظيم وولد عظيم، فقال: فإنه لا يرمى بها لموت أحد ولا حياة أحد، ولكن ربنا إذا قضى أمراً سبَّح حملة العرش فقالوا: قضى ربنا بكذا، فيسمع ذلك أهل السماء التي تليهم فيقولون ذلك حتى يبلغ ذلك أهل سماء الدنيا، فتسرق الشیاطین السمع، وربما اعتقلوا شيئاً فأتوا به الكهنة، فيزيدون وينقصون، فتخطى الكهنة وتصيب، ثم إن الله منع السماء بهنـه النجوم، فانقطعت الكهانة، فلا كهانة وتلا قول الله عز وجل: ﴿إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ وقوله جل ثناؤه: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾^(٢).

ويبدو أن الكهان كانوا عالمين بما سيصيبهم على أثر مجيء الرسول المصطفى ﷺ وأن كهانتهم ستبطل ويصيبهم الذل ويتركهم الناس، لما نقل أنه كان بأرض السيمامة كاهنان عظيمان فاقا على أهل زمانهما في الكهانة، ويتحدث الناس بهما في كل مكان، وكان أحدهما اسمه ربيعة بن مازن ويعرف بسطيح وهو أعلم الكهان، والآخر اسمه وشق بن باهلة

(١) الاحتجاج للطبرسي ٢: ٨١.

(٢) دعائم الإسلام ٢: ١٤٢، والآيتان في سورة الحجر: ١٨، وسورة الجن: ٩.

اليمني، فأما سطوح فإن الله تعالى قد خلقه قطعة لحم بلا عظم ولا عصب سوى جمجمة رأسه وكان يطوى كما يطوى الثوب وينشر ويجعل على وضمة كما يجعل اللحم على وضمة القصاب، ولا ينام من الليل إلا اليسير يقلب طرفه إلى السماء، وينظر إلى النجوم الزاهرات والأفلاك الدائرات والبروق اللامعات، ويحمل على وضمة إلى الأمصار، ويرفع إلى الملوك في تلك الأعصار، يسألونه عن غوامض الأخبار، وينبئهم بما في قلوبهم من الأسرار، ويخبر بما يحدث في الزمان من العجائب وهو ملقى على ظهره شاخص ببصره لا يتحرك منه غير عينيه ولسانه، وقد لبث دهرًا طويلًا على هذه الحالة، فبينما هو كذلك ذات ليلة شاخصًا إلى السماء، إذ لاحت برقعة مما يلي مكة ملأت الأقطار، ثم قد رأى الكواكب قد علا منها النيران، فظهر بها دخان، وتصادم بعضها ببعض، واحد بعد واحد حتى غابت في الشرى، فلم ير لها نوراً ولا ضياء^(١)، فلما نظر سطوح إلى ذلك دهش وحر وأيقن بالهلاك والدمار، وقال: كواكب تظهر بالنهار، وبرق يلمع بالأنوار، يدل على عجائب وأخبار، وظل يومه ذلك حتى انقضى النهار، فلما أدركه الليل أمر غلمانه أن يحملونه إلى موضع فيه جبل هناك وكان شاخاً في الجبال، فأمرهم أن يرفعوه عليه، فجعل يقلب طرفه يميناً وشمالاً، فإذا هو بنور ساطع وضياء لامع قد علا على الأنوار، وأحاط على الأقطار وملأ الأفاق، فقال لغلمانه: أنزلوني فإن عقلي قد طار، ولي قد حار من أجل هذه الأنوار، وإني أرى أمراً جليلاً، وقد دنا مني الرحيل بلا شك عن قليل، قالوا له: وكيف ظهر لك ذلك يا سطوح؟ قال: ويلكم إني رأيت أنواراً قد نزلت من السماء إلى الأرض، وأرى له الكواكب قد تساقطت إلى الأرض وتهافتت، وإني أظن أن خروج الهاشمي قد دنا، فإن

(١) هذه إشارة إلى منشأ الشهب التي هي أجزاء بعض الأجرام السماوية التي تنفجر

كان الأمر كذلك فالسلام على الوطن من أهل الأمصار واليمن إلى آخر الزمن، فحار غلمانته من كلامه وأنزلوه وقد أرق تلك الليلة أرقاً وأصبح قلقاً لم يتهنأ بمرقاد، ولم يوطأ له مهاده، كثير الفكر والسهاده، وجمع قومه وعشيرته وقال لهم: إني أرى أمراً عظيماً وخطباً جسيماً، وقد غاب عني خبره، وخفي علي أثره، وسأبعث إلى جميع إخواني من الكهان، فكتب إلى سائر البلدان، وكتب إلى وشق يخبره عن الحال، ويشرح له المقال، فرد عليه الجواب: قد ظهر عندي بعض الذي ذكرت، وسيظهر نور الذي وصفت، غير أنني لا علم لي فيه، ولا أعرف شيئاً من دواعيه، فعند ذلك كتب إلى الزرقاء وكانت من أعظم الكهنة والسحرة قد ملكت قومها بشرها وسحرها وكانت حادة البصر عظيمة الخطر.

ثم إن سطيحاً كتب إليها كتاباً يقول فيه: باسمك اللهم من سطيح، صاحب القول الفصيح، إلى فتاة اليمامة المنعوتة بالشهامة، من سطيح الغساني الذي ليس له في عصره ثاني، أما بعد، فإني كتبت إليك كتابي وأنا في هموم وسكرات، وغموم وخطرات، وقد تعلمين ما الذي يجلب بنا من الدمار والهلاك من خروج التهامي الهاشمي الأبطحي العربي المكي المدني السفاك للدماء وقد رأيت برقة لمعت وكواكب سطعت، وإني أظن ذلك من علاماته، ولا شك أنه قرب أوانه.

فكتبت في جوابه: أما بعد فإنه ورد كتابك علي، وقدم رسولك لدي تذكر أمراً عظيماً قد هجس بقلبك واختلج بلبك، أما نزول الكواكب فكأنك بآيات الهاشمي قد قربت، فإذا قرأت كتابي فأيقظ نفسك، واحذر من الغفلة والتقصير، وبادر إلى التشمير والمسير لنتقي بمكة، فإني راحلة إليها لأعرف هذا الأمر على حقيقته، فلعلنا نتساعد على هذا المولود فنعمل فيه الحيلة عسى أن نظفر بهلاكه، ونحمد نوره قبل إشراقه، فلما قرأ كتابها انتحب وبكى بكاءً شديداً ثم أخذ أهبة السفر وخرج من ساعته إلى مكة.

وبعد دخوله مكة وصار يخبر بها عن النبي ﷺ وآياته أرسل إليه أبو طالب فجاءهم وقال: أرسلتم إليّ تسألوني عن الحال الظاهر، وعن أمر النبي الطاهر، صاحب البرهان، وقاصم الأوثان، ومذلّ الكهان، وأيم الله ما فرحنا بظهوره؛ لأن الكهانة عند ولادته تزول، ولكني أقول: إذا كان ذلك فلا خير لسطيح في الحياة، وعندها يتمنى الوفاة^(١).

٨١١. المرتجى للشفاعة

إذا لم يكن اليتيم الذي يهتز لبكائه العرش هو المرتجى للشفاعة فمن هو المرتجى للشفاعة، وإذا لم يكن المولود المبارك الذي تحمل البركة أينما حلّ هو المرتجى للشفاعة فمن هو المرتجى للشفاعة، وإذا لم يكن ذلك الإنسان الذي ما نشأ وترعرع إلا وعُرف بالصادق الأمين هو المرتجى للشفاعة فمن عساه يكون المرتجى للشفاعة، وإذا لم يكن المنحاز في غار حراء يقلب طرفه في آفاق السماوات ويكي ويتضرع ويعبد الله سبحانه وتعالى في بلاد أطبقت على الشرك والكفر، تعبد الأصنام هو المرتجى للشفاعة فمن المرتجى للشفاعة، وإذا لم يكن المنذر الداعي إلى الله سبحانه وتعالى وإلى التوحيد الذي أنذر عشيرته الأقربين هو المرتجى للشفاعة فمن المرتجى للشفاعة، وإذا لم يكن الصادق بالحق والمعلن للتوحيد في أوساط لا ترضى سوى الشرك وهي سريعة إلى الشر وسفك الدماء وقتل الموحدين وتعذيب الضعفاء هو المرتجى للشفاعة فمن المرتجى للشفاعة، وإذا لم يكن المحاصر في الشعب لأنه قال لا إله إلا الله ومن معه من المؤمنين حتى أنهكهم الجوع وفاضت أرواح أعزته كزوجته وعمه هو المرتجى للشفاعة فمن المرتجى لها، وإذا لم يكن المهاجر في سبيل الله المتغرب هو وأصحابه في البلاد هو المرتجى للشفاعة فمن المرتجى للشفاعة، وإذا لم يكن الخائض

غمار الحروب الضارية مع قلة العدد والعُدَد حتى كسرت رباعيته وشجت جبهته في سبيل إعلاء كلمة الله هو المرتجى للشفاعة فمن هو المرتجى للشفاعة، وإذا لم يكن المكلف بأن يقاتل وحده وإن خذله جميع العالمين هو المرتجى للشفاعة فمن المرتجى للشفاعة، وإذا لم يكن ذلك المتحمل لهموم الضعفاء والفقراء يكدّ لهم ما استطاع كي يشبع بطوناً غرثى ويكسي جنوباً عارية هو المرتجى للشفاعة فمن المرتجى للشفاعة، وإذا لم يكن الجامع لمكارم الأخلاق وعظيم الآداب، والساعي في إحلال السلام والأمن في الجزيرة العربية وغيرها هو المرتجى للشفاعة فمن المرتجى للشفاعة، وإذا لم يكن كافل الأيتام وكهف الأراامل هو المرتجى للشفاعة فمن المرتجى للشفاعة، وإذا لم يكن المتخشع المنتسك الذي يقوم لله أدنى من ثلثي الليل أو نصفه هو المرتجى للشفاعة فمن المرتجى للشفاعة، وإذا لم يكن العافي لمن استغفاه والتارك للحقد على أعداءه حتى عفى عن تلك اليهودية التي سمته ومات متأثراً بسمها لما استعفته هو المرتجى للشفاعة فمن المرتجى للشفاعة.

على أن الكلام في الشفاعة وحقيقتها طويل قد تقدم بعض الكلام عنه في عناوين الشافع والشفيع وخصوصاً عنوان صاحب الشفاعة المتقدم^(١) مما يعطي فكرة واضحة عن التوسل بهذه الصفة كما خرج في الدعاء المأثور: «اللهم صل على سيد المرسلين وخاتم النبيين، وحجة رب العالمين، المنتخب في الميثاق، المصطفى في الضلال، المطهر من كل آفة، السبريء من كل عيب، المؤمل للنجاة، المرتجى للشفاعة، المفوض إليه دين الله...»^(٢).

(١) أسماء الرسول المصطفى ﷺ ٢ : ٣٧٩ .

(٢) دلائل الإمامة : ٥٤٩ ، أنوار للمشهدى : ٦٦٧ ، جمال الأسبوع لابن طاووس :

٨١٢. المرتضى

لعل أهم استراتيجية في كل دعوة إلى التغيير وكل حركة يُقصد بها إقامة نظام عادل يحو آثار الظلم والجور، ويهيئ مناخاً آمناً يُصرف فيه الظالم عن ظلمه ويصل فيه المظلوم إلى حقه هي استراتيجية اختيار القائم بتلك الدعوة والقائد لتلك الحركة واختيار كل من يتصدى لتولي مهمة قيادية تُصب في سبيل إقامة النظام وبسط العدل، ويتردد هذا الاختيار والانتخاب بين أن يكون اصطفاء واختياراً من العالي مثل اختيار الله محمداً ﷺ لقيادة الأمة أي الله سبحانه وتعالى والرسول - أو يكون اختياراً وانتخاباً من الداني كالشعب والمجتمع ومثل اختيار الناس لأبي جهل أو أبي سفيان لزعامة قريش، أو حتى قد يكون بالقهر والغلبة.

وهنا تكمن نقطة الفرق الأساسية بين الأنظمة السماوية والأنظمة الوضعية، لأن الأولى تقوم على أساس الاصطفاء والارتضاء، والثانية تقوم على أساس الانتخاب والاقتراع.

والاصطفاء هو اختيار القائد والداعي من قبل الله سبحانه وتعالى، وخلع لباس الإمامة عليه وتأييده بالمعجز، وفيما سوى القائد الأول الذي هو الرسول عادة، يكون الاصطفاء والارتضاء لمثل الوزير وقائد الجيش والمبلغ عن الرسول ﷺ من قبل الله سبحانه وتعالى وتبليغ الرسول والقائد الأول أي الرسول، بينما يُترك الاختيار في أفضل الأنظمة الوضعية السائدة اليوم للشعب والأمة، ويتعين من يختاره الأغلب مهما كان معنى الأغلبية.

وإذا كان الاعتماد والارتضاء للمهام الخطيرة بصورة كلية - غير المهمة الأولى - لله سبحانه وتعالى في الأنظمة السماوية، فإنه يكون الانتصاب واختيار المتولي لتلك المهمة مختلفاً في الأنظمة الوضعية، فقد يترك فيه الخيار للقائد والرئيس وقد يكون بالانتخاب والاقتراع كرؤساء البلديات.

وبهذا يتضح بعض الشيء معالم الفرق بين الاصطفاء والارتضاء، فإن الاصطفاء إنما يكون لأعلى المراتب كالأصطفاء للوحي والنبوة الذي يأتي الكلام عنه، بينما يكون الارتضاء للمراتب الأخرى كالاختيار للوزارة وحفظ السر والعلم والإعلام وقيادة الجيش والفتوة والقتال.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا* إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ﴾^(١) وجاء في كتاب المناقب: محمد خير البشر، المختار للرسالة، الموضح للدلالة، المصطفى للوحي والنبوة، المرتضى للعلم والفتوة والمعجزات والأدلة^(٢).

ومهما يكن من ذلك فقد روي أن أبا جعفر عليه السلام قال: «كان والله محمد ممن ارتضاه»^(٣).

ويبقى الكلام في الأصلح للناس والأمة من بين الخيارين المارين سيأتي الكلام عنه في عنوان المصطفى.

٨١٣. المرتضى للعلم والفتوة

تقدم هذا العنوان في رواية المناقب في عنوان المرتضى.

٨١٤. المرتضى للمعجزات والأدلة

وحاله حال العنوان السابق.

٨١٥. المرسل

المأنوس في الذهن البشري من ألفاظ المرسل والرسول والمرسل إليه

(١) الجن: ٢٦، ٢٧.

(٢) المناقب: ١، ١٣٣.

(٣) الكافي: ٢٥٦.

والرسالة هي عملية إيصال المفاهيم بالقول والفعل أو إيصال مجرد ألفاظ، أو هما معاً، أو حتى أشياء وأمور لا يتمكن المرسل من مباشرة إيصالها إلى المرسل إليه أو لا يرى الصلاح في مباشرة ذلك، فيتحمل الرسول تلك الأمور إما تحملاً فيزيائياً كما في الكتب والرسائل والأشياء، وإما تحملاً ذهنياً بأن تحضر صور تلك المفاهيم في ذهنه وتنطبع ثم يقوم الرسول بنقل مكاني أو رتبي أو اعتباري بأن يحمل تلك الرسالة ويذهب بها إلى دار المرسل إليه ويسلمها له، أو يلقيها إليه ويؤديها بالألفاظ وغيرها لتنطبع في ذهنه، وقد يكون لتلك الألفاظ معنى أشمل بحيث تشمل النقل الإلكتروني وما شابهه.

والذي يتلخص من ذلك - بعد حذف بعض الخصوصيات التي يقتضيها طبع الإنسان المحتاج إلى الزمان والمكان والنقل والانتقال - أن حقيقة عمل المرسل هو حضوره عند المرسل ثم حضوره عند المرسل إليه والتوسط في عملية النقل مهما كان المنقول وكيفية النقل.

فهي بهذا المعنى العام قد تشمل الرسالة السماوية مع نوع من الجاز والعناية، بيد أننا كيف نفسر حضور الرسول ﷺ لدى الله سبحانه وتعالى مع أن كل شيء حاضر لديه من يوم خلقه، فلا بد من إرادة التقرب المعنوي والارتفاع الروحي إلى مرتبة النظر والمشاهدة والسماع من الحقيقة النورية الناشئة من كثرة التأمل والتفكير في عظمة الله سبحانه ودوام ذكره وخطابه مع تصفية النفس وتجربة الرياضات الشاقة والانقطاع عن الدنيا وما يحدث فيها والإعراض عنها بالزهد وغيره مما لا نتعقله بالإضافة إلى التأهيل من جانب المرسل بتنزيه ظاهر الرسول وباطنه وخلع اللباس الفاخر والزينة والحلي عليه بما يناسب حال المرسل وما يليق بشأنه، وكذا تهيئة الإمكانيات والمعدات اللازمة في تنفيذ المهمة.

ثم تكون المهمة الأصعب هي تواضع ذلك الرسول الذي ارتفع إلى

أرقى المراتب التي تؤهله لتلقي الرسالة من الرب وسماع الوحي وتنزله إلى طبقة المرسل إليهم ومخالطتهم ليكون كواحد منهم يعي ما يفكرون فيه ويتكلم بما يحتملونه من الكلام، ويخالطهم بلسانهم السائد المؤلف لهم وفهمهم القاصر، أمر يذكر باللسان وهو أصعب ما يكون.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(١).

ثم يبقى الكلام في المرسل والمرسل إليهم والرسالة.

فالمرسل هو الله الواحد الأحد الحي الفاعل المختار، وهو الخالق والمدير الذي لا شك في وجوده ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢) كما لا شك أن الرسول ﷺ مبعوث من قبله؛ لما جاء به من المعجز الخارقة والعلوم التي تقصر عنها عقول البشر، ولا تكون إلا من خالقهم العالم بدقائق أحوالهم وخيرهم وصلاحهم.

كما ولا يعقل أن يدعي مخلوق كذباً أنه رسول من قبل الله سبحانه وتعالى ويكون له كل ذلك التوفيق والانتشار مع قدرة الله غير المتناهية على رده ومنعه وإهلاكه، فهو يتكلم عنه ويأمر وينهى عنه، ويحارب ويقتل ويعذب ويثيب ويعاقب باسمه، فكيف يعقل سكوته سبحانه وتعالى عليه مع تسببه كل ذلك الخسران على مخلوقاته التي يجبها لا محالة.

وأما المرسل إليهم فهم الثقلان، أي كافة الناس الأحمر والأسود والأبيض، ذكرهم وأنثاهم والجن أو الجان، وهم المخلوقات العاقلة القابلة لتحمل الأمانة مما استجن واختفى ولا يرى بالعين المجردة.

والرسالة هي الإسلام بما ينطوي عليه من أحكام وقوانين وأخلاق

(١) البقرة: ٢٥٢.

(٢) إبراهيم: ١٠.

وتعاليم، فقد روي أن النبي ﷺ قال: «أنا النبي المرسل إلى العباد كافة أدعوهم إلى الإسلام، وأمرهم بحقن الدماء وصللة الأرحام وعبادة الله ورفض الأصنام وحج البيت وصيام شهر رمضان من اثني عشر شهراً فمن أجاب فله الجنة، ومن عصى فله النار»^(١).

وأما المعدات التي منحها إياه فهي المعجزات والقرآن الحكيم، والحجج الكافية والمواعظ الشافية والنور المضيء والبرهان الجلي، وظهور الفلج وإيضاح المنهج وغير ذلك مما لا يمكن حصره وتحديده في هذا المختصر.

٨١٦. المرفوع

المشاهد أن بعض أبناء البشر يرتفع على الآخرين ويصير له صيتاً وشهرة بين أبناء قومه أو محلته أو مدينته أو دولته أو أمته أو دول العالم أجمع أو في أكثر من عصر أو في جميع العصور، وليس هذا شيء ينكر ولا يشكك فيه على أن الارتفاع والشهرة مما يرغب فيه الكثير من الناس ولا ييغضه سوى النادر الذي يحب الانزواء والعزلة وخمول الذكر.

وقد تشتد الرغبة عند البعض بحيث تدفعه إلى التهور والمخاطرة بالنفس والمال من أجل كسب شيء من المعروفة، كل ذلك بدوافع شهوة الاشتهار التي هي إحدى الشهوات والغرائز البشرية التي قد تغلب على سائر الشهوات وتظهر على فعال الشخص وتصرفاته، وقد تغلب عليها إحدى الشهوات الأخرى فتجعلها كامنة خافية.

كما أن الملاحظ أن الشهرة تنقسم إلى ثلاثة أقسام، فثمة شهرة بمعنى المعروفة والإشارة إلى الشخص أو الجماعة بالبنان ليس أكثر، وقد

(١) كنز القوائد: ٩٣، مجمع الزوائد: ٨: ٢٤٤، دلائل النبوة: ١٢٢.

تكون الشهرة هي الإشادة والمعروفية بالخير والثناء عليه وتحسين أعماله، وقد تكون الشهرة هي المعروفية بالشر وسوء السريرة وقبح العمل.

وإذا خرجنا من عالم الفرض والسبر والتقسيم فإن ساحة الواقع العملي قد تؤدي إلى اشتهاار من لا يحب الشهرة، ولا يرغب فيها، أو الاشتهاار بشيء يرغب الفرد الاشتهار بضده، ومعلوم أن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن، على أن الشهرة الناشئة من حب الاشتهار والرغبة تكون في الغالب وقتية ومحدودة في إطار معين.

وإذا فرضنا أن هناك سياسة يتبعها الفرد للحصول على الشهرة العالمية أو الأعصارية فهي تحتاج إلى عبقرية فذة وسياسة نادرة وصعبة مع عوامل كثيرة يلزم توفرها لتحقيق هذا الأمر.

وليست سياسة المشتهر وعبقريته وحدها والتي تحقق الاشتهار. بل يجب أن تنضم إليها عوامل مساعدة وظروف مناسبة مما هو خارج عن طاقة الشخص وقدراته واختياراته، بل لا تكون من فعله ولا تدبيره وهي التي يسميها البعض بالصدفة أو الحظ، وسميها الآخر بالتوفيق والإرادة الإلهية.

ولو تأملت في أسباب اشتهاار المشهورين وعوامله فإنك ستقف على مدى تنوع الأسباب وتفاوتها كاشتهاار آدم أبي البشر عليه السلام لأنه أبو البشر، واشتهاار قابيل أول قاتل وجان، وهابيل أول مظلوم ومقتول، وكذا اشتهاار الأنبياء والملوك والفراعنة والعلماء والقواد والمصلحين والأشرار، فإن التفاوت ملحوظ جداً وإن أمكن حصرها في عناوين كلية منها العمل السياسي، ومنها الأولية والأسبقية إلى عمل قبيح أو حسن، ولكن الغالب في تخليد الأعمال والأشخاص يتناسب مع الذين يتعامل معهم ويقصدهم، فإذا كان العمل للأمة خلّده الأمة، وإذا كان العمل للإنسان خلّده الإنسان، حتى ينتهي إلى الله سبحانه وتعالى. فإذا كان العمل لله سبحانه فإنه هو الذي سيخلّده.

ومهما يكن من ذلك فالملحوظ عدم تحقق اشتهاار الشخص بمهارته وحدها ولا هي سياسة متبعة، بل إنه في الغالب يهدف إلى شيء ويتحقق شيء آخر.

فرب ساع في طلب المعاش لا يريد وراء ذلك شيئاً ولا يقصد غير لقمة العيش تجده يبتكر ما يشتهر به ويذيع صيته، ورب مشهور يشتهر بموته وفنائه كهابيل وبعض المضحين في سبيل الإنسانية أو الأمة أو الوطن.

ومع كل ذلك فالأسباب في اشتهاار الأنبياء تنفاوت تفاوتاً كلياً مع من سواهم بحيث نلمس ذلك منهم بوضوح، وهو في الغالب يعتمد على المعاجز التي تظهر على أيديهم والآيات الباهرة التي تصاحب دعوتهم بالإضافة إلى نصيحتهم للبشر ونشر التعاليم السماوية وارتباطهم بالله القادر.

ولا يخرج شيء من ذلك عن إرادة الله سبحانه وتعالى فيكون في الحقيقة هو الرافع لهم، ومن أجل ذلك صار الرسول المصطفى ﷺ هو المرفوع الذي رفع الله سبحانه له ذكره فقال: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾^(١)، وعد ابن شهر آشوب من أسماء المرفوع لأجل ذلك^(٢).

ولعل أهم ما يشهر الأنبياء هو اقتران أسمائهم وألقابهم باسم الله سبحانه وتعالى بأن يقال فلان نبي الله أو رسول الله أو ولي الله...

وأما في خصوص الرسول المصطفى ﷺ فالأمر في ذلك أبلغ بكثير، لأن المسلمين يشهدون له بالرسالة على المآذن كل يوم ثلاث مرات على

(١) الشرح: ٤.

(٢) الاحتجاج: ٣٤٩.

الأقل وفي صلواتهم تسع مرات على الأقل، وهم يكثر من الصلاة عليه كلما ذكر أو ذكره ذاكر.

على أن المطالع الجاهل لحقيقة هذا الاقتران يحسبه سياسة من النبي ﷺ في سبيل تحقيق مآرب دنيوية؛ بينما المؤمن يراه بأمر الله سبحانه وتعالى وتدييره من أجل استمرار حياة الدين وحرارته في القلوب.

ولذا روي عن ابن عباس أنه قال: والله ما كان أبو سفيان إلا منافقاً، ولقد كنت في محفل فيه أبو سفيان وقد كفت بصره وفينا علي ﷺ فأذن المؤذن فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله ﷺ قال: ههنا من يحتشم؟ قال واحد من القوم: لا، فقال: لله در أخي هاشم انظروا أين وضع اسمه، فقال علي ﷺ: أسخن الله عينك يا أبا سفيان، الله فعل ذلك بقوله عز من قائل: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ فقال أبو سفيان: أسخن الله عين من قال: ليس ههنا من يحتشم^(١).

٨١٧. مرقوف

ذكر ابن شهر آشوب أن اسم النبي ﷺ في التوراة: ميذ ميذ، أي غفور رحيم، وقيل: ميذ ميذ أي محمد، وفي نقل مود مود، وفي حكاية أن اسمه فيها مرقوف، أي المحمود^(٢).

٨١٨. المزكى

الرسول ﷺ هو المزكى من غير ترديد فإن المراد من التزكية هو التطهير من الدنس ونفي المعاييب والنواقص المتسالم عليها وكل ما يعلق

(١) البحار ١٨: ١٠٨.

(٢) المناقب ١: ١٣١.

من الشوائب والنجاسات بل كل رجس ورجز.

ولما كان باعتقادنا أن الرسول ﷺ معصوم من الزلل ومطهر من الدنس منذ البداية، وليس هو من يطرأ عليه الدنس مرة والظهارة أخرى ولا من يصدأ مرة ويجلو أخرى، بل هو ﷺ غير قابل لعروض ذلك عليه؛ لأن الله سبحانه وتعالى أراد له ذلك، فهو في مرتبة عالية من الطهارة والتزكية.

ولسنا بصدد الكلام عن تلکم الطهارة المثالية والنزاهة الذاتية المتحققة بإرادة الله سبحانه وتعالى، لعدم تيسر العلم بمحدودها وكنه حقيقتها، وإنما نحن بصدد دراسة المشهود الظاهر، والمعاین عبر التاريخ.

بيد أن الرسول ﷺ وكل مصلح لا محالة يكون له أعداء ومناوؤن يتحينون به الفرصة ويطلبون له الكبوة سواء كان العداء عقائدياً كعداء اليهود والمشركين للرسول ﷺ أو كان العداء مصلحياً مثل أولئك الذين ضربت مصالحهم من الرؤساء وأصحاب المطامع والتطلعات السياسية والاقتصادية التي انهارت أو صارت مهددة بصعود الدعوة الجديدة.

كل ذلك وأمثاله يولد العداء السافر والبغض الشديد الذي يعمي عن مشاهدة الحق، وتتولد عنه ردود فعل شديدة تصب جميعها في مجال تهديم ما بناه وأسسها وأخذ من انتشار دعوته مهما أمكن، وهي في الغالب إعلامية في المرحلة الأولى وفي المرحلة اللاحقة تكون عسكرية وسياسية.

فأقل ما يفعله المناوئ هو الطعن بالنبي ﷺ والمس من كرامته بالصاق أنواع التهم به وتعمد الافتراء عليه، ولا أقل من تفسير كل عمل من أعماله بما يشينه ويورث التشكيك في نواياه وأهدافه.

ففي أول إحصاء لتلك التهم والملصقات بالنبي ﷺ أو باسمه الكريم يحصل التوقف لكثرتها وتنوعها.

وهنا نتجلى فاعلية التزكية ومدى أهميتها في مجال إزالة تلك الملصقات وتطهير تلك العوائل ودفعها عن ساحته ﷺ والبرهنة على عدم قابلية علوق شيء من ذلك بوجوده المبارك.

ولا يمكن حصر القوائم بتلك المهمة بواحد أو جهة معينة ولا إخضاعها لظروف خاصة وعوامل مساعدة معينة بل هي أسباب وعلل مختلفة وعوامل متكررة لا يخصيها إلا الله سبحانه وتعالى. ولا تجتمع وتتحقق إلا بإرادة الله سبحانه وتعالى، فهو المزكي له.

على أن لا ننسى دور الصمود الديني الفاعل في إزالة تلك العوائل والملصقات عن ساحة النبي ﷺ والجمود المتواصلة التي بذها محبوه ﷺ من يوم شروع الدعوة إلى يومنا هذا في مجال تبرئة الرسول ﷺ من تلك التهم ونفيها بتاتا اعتماداً على الخيال الديني^(١) والتمثيل الذهني، أعني صياغة الشخصية المثالية في الذهن ثم نفي النواقص عنها من دون مشاهدة شيء ولا لمسه.

فإن هذا المقدار من التعصب الديني على الرغم من عدم استناده إلى واقع ملموس أو محسوس فهو أمر ضروري في مجال مواجهة عمليات افتراضية سهلة يقوم بها المناوؤن من دون أن يكلفهم الأمر شيئاً من المؤونة، كاتهام الرسول ﷺ بإخباره عن نفسه وليس عن الله سبحانه وتعالى وأنه مشرّع علماني أو سياسي ميكافيلي، وكذا رمي أعماله بأنه إنما يهدف إلى كسب الشهرة والمقام والوصول إلى ما يتطلع إليه من الملك وإرضاء الشهوات والنزوات، أو هو ساحر أو مجنون وغير ذلك من التهم التي تمس بالعرض والشرف.

(١) أي ما ينسجه المتدين ويصوره المعتقد في ذهنه من شخصية من يعتقد به وصفاته وكماته.

ولا أدري ما هي الخصوصية في تسمية الرسول ﷺ بذلك الاسم في السماء الثالثة لما حكى ابن شهر آشوب أسماء ﷺ في السموات فقال: في السماء الدنيا المجتبي، وفي الثانية المرتضى، وفي الثالثة المزكى، وفي الرابعة المصطفى^(١)، وهكذا، لأننا لا نعرف عن السماء الثالثة وساكنيها شيئاً يذكر.

٨١٩. المزكي

إن عملية التزكية وإخلاء نفوس الأصدقاء من بعض المنطبعات والرواسب الذهنية وحذف بعض الأفعال من قائمة أفعالهم العينية أمر يقوم به كل قائد وكل رأس له أتباع وأنصار يريد إيصالهم إلى غاية معينة أو تحقيق هدف معين.

فهو يحذف من تلك التصرفات ما يمنع من تحقيق ذلك الهدف وكل ما يعيق من الوصول إليه، أو حتى مجرد إعطاء طابع مستحسن عن حركته وفكرته في المرحلة الأولى كي يكسب مكاسب أخرى وأهداف خافية هي الهدف الأسمى كالقدرة على استلام السلطة أو إيجاد التغيير المطلوب والوصول إلى المقصود.

وكلما كان الهدف أسمى وأعظم تزايدت قائمة المحذوفات، وتعاضم التغيير المحقق، مثل ما يحتاجه ويتوقف عليه قلب النظام من الرأسمالي إلى الاشتراكي أو بالعكس، أو قلبه من علماني إلى ديني ومن ديني إلى علماني، ومن دين إلى دين ومن كفر إلى إيمان ومن شرك إلى توحيد.

ولعل أصعب تغيير هو قلب الإنسان بحسب الظاهر إلى إنسان حقيقي بتمام معنى الإنسانية، لأن هذا يستلزم تخلية نفوس الأصدقاء من

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٢، البحار ١٦: ١٠٤.

ردائل العقائد وتوافه المعتقدات؛ ليحل محلها الصفات الحسنة والخلال المستقيمة وكل ما ينبغي فعله عند العقلاء بما هم عقلاء، حتى قيل إن الأنسنة من الحالات.

ولعل محاولة الرسول المصطفى ﷺ المسماة بعملية التزكية ﷺ والأنسنة والإرجاع إلى الفطرة السليمة هي أصعب ما يكون لأنها لا تجر لكل من يحاول ذلك سوى المصاعب والمصائب والريضة القهرية التي لا تحتمل ولا تطاق حتى كادت أن تقعد الرسول ﷺ بدليل قوله: شيتني سورة هود لما فيها من قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾.

على أن الرسول ﷺ لم يطلب والخال هذه سوى نسبة مئوية من ذلك، كخمسين بالمائة، أو أكثر بقليل بأن تغلب الأعمال الحسنة على السيئة فقط، بل اكتفى بما يزيد على العشر عندما جعل الحسنة بعشرة والسيئة بواحدة وطالب بزيادة الحسنات المضاعفة على السيئات، كل ذلك مما يوحى إلى صعوبة عملية التزكية والتطهير.

والدليل على أن هدف الرسول ﷺ هو الأنسنة وليس تحقيق أهداف مرحلية هو قيامه بتغيير شامل لا يصب أكثره في شيء من المصالح الدنيوية والأهداف المرحلية؛ لأنه ﷺ قام بالتشديد على ذلك بعد استقرار حكومته واستتباب الأمر.

فالمطالع لعمل الرسول ﷺ وجامع أوامره ونواهيه يلاحظ أن هم الرسول الأول هو التزكية وتطهير أصحابه من ردائل الأخلاق ليحل محلها محاسنها دائماً وتكون بعده سنة؛ ولذلك بعثه الله سبحانه وتعالى كما قال عز من قائل: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ

آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ»^(١).

وقد أفلحت محاولة الرسول ﷺ في عملية الأئسنة بمعناها الكامل دون النسبي في بعض الموارد الخاصة مثل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وابنته فاطمة الزهراء عليها السلام ومثل سلمان الفارسي وبعض المؤمنين.

ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لحن الذين بعث الله فينا رسولا يتلو علينا آياته ويذكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة»^(٢)، وبعد هذه الآية فإن اسم المزكي هو أحد احتمالي نقل ابن شهر آشوب أو إحدى نسختي الحكاية المارة في عنوان المزكي.

٨٢٠. المزمل

لا شك أن مؤونة الشخص تصغر إذا لم يتكلف إلا نفسه ولا يحاول إلا الحفاظة سوى عليها، بينما تزداد مؤونته إذا تكلف بشخص آخر وصار يعيله ويحافظ عليه، فإذا انضم إلى ذلك المعال معال آخر تزايدت المؤونة وتعاضمت. وتظل تزداد وتتعاظم كلما تزايد عدد المكفولين، كما إذا كانت مسؤولية عائلة أو قبيلة أو قرية أو مدينة أو دولة أو أمة والعالم أجمع، بل العالمين عالم الجن وعالم الإنس، فقد تبلغ كلفة المسؤولية المناطة بذلك الشخص إلى أعلى المستويات.

ثم إذا كان الشيء المتكفل به والمسؤول عنه هو بعد واحد من حياة الشخص أو الأشخاص كقوته فإن ذلك يحتاج إلى جهد محدود وعمل معين، بينما تتضاعف الجهود المطلوبة والمسؤولية كلما تعددت جهات

(١) الجمعة: ٢.

(٢) كتاب سليم بن قيس: ٤٦٥.

الكفالة حتى تبلغ الذروة والغاية إذا تكفل بكل شيء منه، وتكفل كل أنحاء المؤمن حتى سره وباطنه ودينه وآخرته، فهو أصعب ما يكون، بل قد تتعذر تجربته بالنسبة لشخص واحد فكيف إذا أريد ذلك لجميع الأمة.

والرسول المصطفى ﷺ تحمل مسؤولية كل ذلك ولم يتقل كاهله، وإنما أنقل كاهله أصل تحمل الرسالة السماوية إلى البشر، فقد تتحدث الأخبار عن ثقل غير طبيعي بحيث يؤدي إلى زيادة وزن بدنه حتى يعجز عن حمله مثل علي بن أبي طالب عليه السلام حينما حاول رفعه على عاتقه لكسر صنم كان على الكعبة فأعيب به لثقل الرسالة، والمتناقل في الأخبار عجز الدابة وبروكها عند نزول النوحى عليه وهو على الدابة. وهذا ما لا نفهمه ولا نتعقله اليوم.

بيد أني لا أتعقل سوى البعد المعنوي للتضحية؛ فإذا كانت ناقته أو دابته لا تعيب بحمله في الأسفار. فكيف يتصور إعياء قالع باب خيبر عن حمله على عاتقه لمدة قليلة، فليس هي إلا حالة نفسية تشبه سقوط ما في اليد عند مشاهدة عظيم.

ونريد من طرح تلك المباحث أن نخلص إلى القول بأن النبي ﷺ قد احتمل حملاً عظيماً، وترمّل أثق ما يكون. وهو - يعني تحمل أثقل الأعباء - المقصود بقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ﴾^(١) كما جاء في بعض الكتب القديمة^(٢).

والأهم من ذلك فإن هذا الاسم واحد من أسمائه ﷺ، حيث يروي الحميري بسنده عن الكلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال لي: «كم محمد اسم في القرآن؟» قال، قلت. اسمان أو ثلاثة، فقال: يا كلبي له عشرة

(١) المرمّل: ١.

(٢) ألقاب الرسول وعترته: ١٠٨، وانظر البحار: ١٦: ٨٤ عن البيضاوي.

أسماء، وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، ولما قام عبد الله كادوا يكونون عليه لبدا، وطه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، ويس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم، ون والقلم وما يسطرون وما أنت بنعمة ربك بمجنون، ويا أيها المزمل، ويا أيها المدثر، وإنا أنزلنا ذكراً رسولاً، فالذكر اسم من أسماء محمد ﷺ ونحن أهل الذكر، فاسأل يا كلبى عما بدا لك» قال: فأنسيت القرآن كله، فما حفظت منه حرفاً أسأله عنه^(١).

وهناك قائل آخر يذهب إلى: أن المزمل المتلفف بالثياب، ذكر ذلك القمي في تفسيره، فقال ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزْمَلُ﴾ هو النبي ﷺ كان يتزمل بثوبه وبنام^(٢). وقال الإربلي في النبي ﷺ: ومن أسمائه يا أيها المزمل يا أيها المدثر، معناهما واحد يقال زملة في ثوبه، أي لفه وتزمل بثيابه، أي تدثر.

وقد يجمع البعض بين الحقين كالبيضاوي فإنه قال: المزمل أصله المتزمل، من تزمل بثيابه، إذا تلفف بها سمي به النبي ﷺ تهجيناً لما كان عليه، لأنه كان نائماً أو مرتعداً مما دهشه بدء الوحي متمزلاً في قטיפه، أو من تزمل الزمل إذا تحمل الحمل، أي الذي تحمل أعباء النبوة^(٣).

٨٢١. المسؤول

روي عن أبي جعفر الكوفي أنه قال: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ قال: رسول الله ﷺ وأهل بيته أهل الذكر وهم

(١) بصائر الدرجات: ٥٣٢.

(٢) تفسير القمي ٢: ٣٩٢، البحار ١٦: ٩٦.

(٣) تفسير البيضاوي: ٧٦٦ (طبعة دار الخيل)، البحار ١٦: ٨٤.

المسئولون^(١)، والمراد هو تحتم السؤال من النبي وأهل بيته عليهم السلام في الحلال والحرام والدين والإعتقاد حتى يوقفوهم على الحق ولا يتحتم على الرسول وأهل بيته عليهم السلام الجواب ويكون ذلك إليهم إن شاؤا فعلوا وإن شاؤا تركوا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢).

٨٢٢. المسيح

ذكر ابن شهر آشوب أن أحد أسماء النبي صلى الله عليه وآله هو المسيح واستدل بقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾^(٣) وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن أول ما خلق الله عز وجل خلق أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتحميده، ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا فسيحنا لتعلم الملائكة أنا خلق مخلوقون، وأنه منزه عن صفاتنا، فسبحت الملائكة بتسييحنا ونزهته عن صفاتنا^(٤).

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكثر تسبيح الله سبحانه وتعالى حين يقوم إلى الصلاة ومن الليل وإدبار النجوم يسبح الله ليلاً طويلاً لأنه المأمور الأول بالتسبيح، وخصوصاً قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، كيف وقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ فقل فريضة على كل مسلم أن يقول قبل

(١) بصائر الدرجات: ٥٧ والآية في سورة الزخرف: ٤٣.

(٢) ص: ٣٨.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب: ١، ١٣١ والآية في سورة الحجر: ٩٨.

(٤) علل الشرائع: ١: ٥.

طلوع الشمس عشر مرات وقبل غروبها عشر مرات: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير^(١).

٨٢٣. المستأنس بخفق أجنحة الملائكة

قد روي عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال في النبي وأهل بيته عليهم السلام: شجرة أصلها رسول الله، وفرعها أمير المؤمنين وأغصانها فاطمة بنت محمد، وثمرتها الحسن والحسين... المستأنسون بخفق أجنحة الملائكة^(٢).

٨٢٤. المستغفر

ذكر ابن شهر آشوب أن أحد أسماء النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو المستغفر مستدلاً بقوله: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِنَفْسِكَ﴾^(٣). وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في كل يوم سبعين مرة»^(٤)، وفي رواية عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل يوم سبعين مرة من غير ذنب»^(٥)، وفي رواية ثانية عنه عليه السلام «أنه كان يتوب إلى ويستغفره في كل يوم وليلة مائة مرة من غير ذنب إن الله يخص أوليائه بالمصابب ليأجرهم عليها من غير ذنب»^(٦)، ومن ذلك يُعلم أن استغفار النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن لحظ الذنوب

(١) المحاسن ١: ٣١، الخصال: ٤٢٥، والآية في سورة طه: ١٣٠، وسورة ق: ٣٨.

(٢) اليقين: ٣١٨.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٠ والآية في سورة محمد: ٢٢.

(٤) درر اللؤلؤي: ١: ٣٢.

(٥) قرب الإسناد: ١٦٩.

(٦) الكافي ٢: ٤٥٠ ح ٢.

بل لرفع الدرجات كما أن مصائبه ومصائب أهل بيته لم يكن كفارة لذنوبهم بل لرفع درجاتهم وتضاعف ثوابهم.

٨٢٥ . المستقيم

يصعب الالتزام بالقوانين المنة والمناهج المرسومة إذا أريد منه عدم التخطي والتجاوز في صعب الظروف وسهولها ومع توافر المغريات وعدمها. ورغم منافاة الأعراف احكاممة وموافقتها. أو وجود الروابط والأواصر الاجتماعية وعدمها. وكل حال من الأحوال. خصوصاً إذا كانت تلك القوانين جديدة الضرح غير مأنوسة ولا معتادة، بل مخالفة لما هو معروف ومتبع.

ويزيده صعوبة إذا كان المطلوب هو نفس العمل؛ وليس تحقبق الغاية والوصول للنتيجة، الأمر الذي يضعف الدوافع ويعدمها.

فقد فرض الدين الإسلامي من يوم مجئه ما لا يحصى من القوانين والمقررات التي تدخل في إطار المحظورات والوظائف العملية والاعتقادية مع المطالبة بها في جميع الظروف والاستقامة عليها في جميع الأحوال ومهما كلف الثمن أو خالف الرغبات والدوافع.

وتبدو المسألة أكثر صعوبة عند القواد والرؤساء وعامة ذوي القدرة والشوكة، لما يمتلكونه من المكانة والقدرة على تنفيذ مطالب النفس ورغبات المقربين وحصول الاستدراج العفوي نحو الطغيان والظلم.

وليست أطروحة الغاية تبرر الوسيلة حادثة، بل هي مرتكزة في نفوس البشر بدون استثناء، وإنما الاختلاف والستفاوت في الأهداف وسنخها، ومقدار فاعليتها عند مواجهة الخيارين إما اهدف أو الوسيلة، ليرجع في أفق النفس الطرف الأهم بالنسبة للشخص في الغالب.

فالذي يفكره كل منظر أو مخطط أو منفذ هو الاستعانة بالرؤساء والمتنفذين حيث يطمع في استقطابهم من أجل الوصول إلى الهدف المرسوم رغم أدائه إلى إهمال الضعفاء وإقصائهم، طمعاً في استقطاب أتباع أولئك الرؤساء الكثيرين وقدراتهم الكبيرة على حساب المسحوقين مثلاً، ولعل هذا امتحان صعب واجهه الرسول المصطفى ﷺ بعد اقتراح بعض رؤساء القبائل على الرسول ﷺ أن يطرد ثلثة من الضعفاء ليقوموا مقامهم ويحلوا محلهم في مجلسه، فقال ﷺ: ما أنا بطارد الذين آمنوا.

والحال أن الشهود اليوم وقيل اليوم هو تفكير بعض السياسيين باستلام السلطة مهما كُنف الثمن حتى التحالف مع الاستعمار وكبت المناوئين من أجل إقامة دولة إسلامية تضمن بعض قوانين الإسلام وحدوده ومظاهره - كبعض الدول العربية - إذا استعملنا حسن الظن فيهم، وإلا فاللازم هو حكمنا عليهم باستخدام الإسلام وسيلة للوصول إلى أهداف سياسية، لأجل جنوح السياسة العالمية للاستفادة من كل تيار وكل محرك دون مجابته.

وتتكرر هذه الأمثلة في كل ظرف وواقعة قبل استلام السلطة وبعدها حتى صرنا إلى الاعتقاد باستحالة الاستقامة في عالم السياسة ومسالك القدرة من جراء كثرة الضغوط والمغريات والتهديدات والمخاوف التي يواجهها أربابها في كل حال بحيث يدعوهم على الدوام إلى استخدام الوسيلة من أجل أهداف الخسيس بما يعبر عنه بالسياسة الناجحة، وكيف بالأهداف التي لم يبلغوها إلا بشق الأنفس والأموال الضخمة التي أنفقوها في ذلك السبيل.

وقد يبلغ الغاية القصوى التي لا يمكن تصورها من الصعوبة إذا حاول السياسي أو القائد الاستقامة وعدم الانحراف عن المنهج لنفسه ولجميع من يشاركه في النهج والطريقة.

ولذا قال رسول الله ﷺ: «شيبتي سورة هود»^(١) لما جاء فيها في الأمر بالاستقامة: ﴿فَاسْتَقِمُّ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾^(٢)، وعلى أساسها عد ابن شهر آشوب أحد أسماء الرسول ﷺ هو المستقيم^(٣).

ورغم أن ألفاظ التفاسير حول هذه الآية مختلفة، إلا أنها تشير إلى معنى واحد هو الاستقامة على ما أمر به والبقاء على جادة الحق م غير العدول عنها، ولزوم المنهج المرسوم.

٨٢٦. مستودع سر الله

إذا عمل المتأمل في مجريات هذا العالم أدنى مقايسة بين النتائج المترتبة والنتائج المناهضة سوف يدعن بوجود أسرار خافية وأمور مستورة غير محصية ولا منظورة تأتي على كل الحسابات، ناهيك عن أسرار كنه العالم وابتدائه وانتهائه وحقائق أجزائه وماهيات أشيائه وما يتركب منه وخواصه التي يتم اكتشافها يوماً بعد يوم، بعد إذعان الجميع بالعجز عن إدراك النزر الذي ليس بشيء من مكنونات هذا العالم وأسراره، والتغيرات الطارئة عليه والحركة والسكون بكل معانيهما.

ونحن نهدف إلى عزل النظر عن الأحداث والمجريات والماهيات والانفعالات مقتصرين على الأهداف والغايات، بطرح السؤال التالي: لماذا تأتي النتائج معاكسة وغير مرضية على الدوام، ولماذا تجري الرياح بما لا تشتهي السفن؟

ففي أدنى استقراء - إذا لاحظنا ظموحات البشر وتخطيط كل واحد

(١) تفسير جوامع الجامع للطبرسي ٣: ١٩٦.

(٢) هود: ١١٢.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٠.

منهم لمستقبله في أول حياته - نجد أن أكثر تلك الضمومات والمخططات لها لا تتحقق، بل تأتي النتائج معاكسة وعلى خلاف ما هو متوقع بما لا يحسب له أدنى حساب ولا يحتمل أقل احتمال، وهكذا شأن المجتمعات والدول والأمم.

ويعود السر في ذلك إلى غياب أكثر الملاكات والأسباب الحقيقية عن أذهان البشرية سوى القليل منها مما له خيوط تصل إلى أفواه الأنبياء ونقوش كتبهم.

وخصوصاً الرسول المصطفى ﷺ الذي جاء ليكشف عن بعض تلك الأسرار التي تحملها واختزنها والتي منها كمون القدرة في العلم، والعلم في الجوع، والراحة في الزهد، وتقدير الأرزاق، والغنى في القناعة، واضمئتان القلب بذكر الله، والعز بالاستغناء عما في أيدي الناس، وانذل في المسألة، والموت بالأجل، والعسر بالإحسان، والمصائب بالذنوب، والنصر بالصبر، والارتفاع بالتواضع، وغير ذلك مما لا يجمعه كتاب.

على أن ما صدر عنه هو الشيء اليسير من ذلك الكثير المخزون في مستودع أسرار الرسول المصطفى ﷺ وأهل بيته، لأنه ورد أن أهل البيت هم مستودع نكوت سر الله سبحانه^(١).

٨٢٧. المستوفز في مرضاة الله

أي الناهض في مرضاة الله سبحانه وتعالى مسارعاً إليها، ولكن ليس امثالاً لقوله تعالى ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾^(٢) أو قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾^(٣) الذالين على حسن المسارعة ومطلوبيتها، بيد

(١) تفسير فوات: ٣٩٦ عن أبي جعفر عليه السلام، اليقين للسيد ابن طاووس: ٣١٩.

(٢) البقرة: ١٤٨.

(٣) آل عمران: ١٣٣.

أن مسارعة الرسول ﷺ كانت متحققة قبل صدور هذا الأمر. على العادة في جميع طاعاته وهي سبقه على نزول الأمر. ومبادرته قبل الطلب، فيكون سبقه بمعنى سبقه على الأمر، بخلاف عامة الناس الذين تعني مسارعتهم هي إتيان العمل بعد الأمر في أوائل أزمته الإمكان. غير متبهيين قبل الأمر والتجيش إلى ما يراد منهم ولأي علة خلقوا، فإذا أمروا وزجروا تحركوا وأطاعوا.

والحال أن الرسول ﷺ نابه وعارف بما يراد منه ومن عامة البشر حتى قبل البعثة ونزول الوحي حتى اعتزل فصار يتعبد في غار حراء إلى أن نزل عليه الوحي وأعلمه أن الهدى من الخلق هو العبادة والتفكير في الله سبحانه.

وهذا السبق مشهود في جميع طاعته وعباداته كصلاة الليل، قال تعالى: ﴿بِأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾﴾^(١) إلى أن قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ ﴿٤﴾﴾^(٢) فقد أمره بقيام نصف الليل، ثم أقر له أنه كان يقوم قبل ذلك الأمر أدنى من ثلثي الليل، ليكون قد سبق الأمر كما وكيفاً، ويكون الأمر في الحقيقة بمثابة التخفيف، لا على حقيقة الأمرية.

وتتضح هذه القضية جلياً عند إلقاء نظرة على قوله تعالى: ﴿طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾﴾^(٣) أي ما أنزلناه عليك لتتعب بفرط تأسفك على كفر قريش وسعيك في هدايتهم، وكذا بكثرة الرياضة والتهجد

(١) المزمل: ١ - ٢.

(٢) المزمل: ١٩.

(٣) طه: ١.

٢٢٠..... أسماء الرسول المصطفى ﷺ

والقيام على ساق واحدة، وشد الصدر بالسقف وغير ذلك مما كان يعمله الرسول ﷺ في مجال التقرب والعبادة والشكر وهداية الخلائق.

فمن هذا وأمثاله يعرف الاستيفاز والنهضة والمسارة التي أوعز إليه أمير المؤمنين عليه السلام حينما كان يصلي على النبي ﷺ ويقول: «اللهم اجعل صلواتك ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق... مستوفزاً في مرضاتك»^(١).

٨٢٨. المسدد بالأمر الرضي

قال الإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام: وأشهد أن محمداً نبيه المرسل ووليه الفضل وشهيدته المعدل والمؤيد بالنور المنضي والمسدد بالأمر الرضي^(٢).

٨٢٩. المسدد بالأمر المرضي

هكذا جاء في كتاب المزار للمشهدي^(٣).

٨٣٠. مسيح القدمين

هذه صفة قدميه الشريفتين مما يدخل في كمال خلقته وحسن مظهره، حيث أن مسيح القدمين يعني أنهما ملساوتان ليتان ليس فيهما تكسر ولا شقاق، وفي الخبر: «أنه كان مسيح القدمين ينو عنهما الماء»^(٤) أي لا يثبت

(١) نهج البلاغة ١: ١٣٠، البحار ١٦: ٣٧٨.

(٢) الصحيفة السجادية: ٤٣٨.

(٣) المزار: ٥٥٧.

(٤) معاني الأخبار: ٨١، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٧٦، البحار ١٦: ١٤٩.

عليهما الماء، فإذا صب عليهما نبا عنهما^(١).

وقيل: مسيح القدمين بمعنى أنهما لا لحم عليهما^(٢)، والأول أصح لما تقدم أنه شئ الكفين والقدمين.

٨٣١. مشرب حمرة

يحتمل هذا الوصف التخفيف والتشديد، والمعنى واحد غير أن التشديد يوحي إلى المبالغة في الإشراب الذي يعني اختلاط لون بلون، أعني البياض والحمرة كأن أحد اللونين سقى الآخر وشربه، وفي الروايات: «إن رسول الله ﷺ كان أبيض مشرباً حمرة»^(٣).
ونما علمنا أن الرسول ﷺ كان مستوي الخلقة وعلى أتم الكمال، علمنا أن بياض الشخص إذا كان مشرباً حمرة، فهو من المكملات، وهو واضح.

٨٣٢. المشرق

فقد روي عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله العباسي عن قول الله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ قال: «المشرقين رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين العباسي والمغربين الحسن والحسين»^(٤).

والمراد بالمشرقين هو محل شروق الشمس الذي يتفاوت ويتغير بين

(١) النهاية لابن الأثير ٤: ٣٢٧.

(٢) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ١: ١٦٣.

(٣) أمالي الطوسي: ٢١٧، البحار ١٦: ١٤٧، الغارات ١: ١٦٤، صحيح ابن حبان ١٤: ٢١٦.

(٤) تفسير القمي: ٦٥٩، البحار ٢٤: ٦٩، والآية في سورة الرحمن: ١٧.

انتهائين أحدهما في الشتاء والآخر في الصيف بينهما ثلاثمائة وستون برجاً فقد جاء في كتاب الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فقال: «إن مشرق الشتاء على حدة ومشرق الصيف على حدة، أما تعرف ذلك من قرب الشمس وبعدها؟!» قال: «وأما قوله ﴿رَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ فإن لها ثلاثمائة وستين برجاً تطلع كل يوم من برج. وتغيب في آخر فلا تعود إليه إلا من قابل في ذلك اليوم»^(١).

ومتى أردنا تسليط الضوء على هذا التقسيم وجدنا أن التشبيه في غاية الدقة من جهات عديدة، حيثما كان الشروق شيئاً واحداً وعملاً واحداً ولكن الفارق الظرف وتنوع الفائدة والأثر.

فإن شمس الشتاء تكون مطلوبة على كل حال، وظرفها ظرف الحاجة إليها والاستئناس بشعاعها وحرارتها فهي متأملة ومرجوة وقريبة الفائدة، وفاقة للحدة.

بينما تظل شمس الصيف حادة وغير مرغوب فيها رغم عظيم فوائدها والحاجة إلى الاستئناس بها ونمو النبات والزرع بعد خروجه من السبات، فلا يكرهها العاقل لذلك ويرغب فيها رغم حدتها لما يترتب عليها من عظيم الفوائد.

ولو جمعنا بين الرويتين السابقتين ولاحظنا الترتيب الذكري كان الرسول ﷺ مشرق الشتاء وأمير المؤمنين عليه السلام مشرق الصيف، لينبئ عن عظيم أخلاق النبي ﷺ وكثرة انعطافه وليونة عريكته وشروقه في حين تفتقر إليه البشر وتطلب الاستئناس به، فأخذ نبوته جميع المسلمين وتمسكوا بها.

وتظل الحدة في شمس الصيف هو حدة سيف أمير المؤمنين عليه السلام

(١) الاحتجاج ١: ٣٨٦، تفسير الصافي ٥: ١٠٨، والآية في سورة الصافات: ٥١٠٨.

وصلايته في ذات الله سبحانه فأودعها أحقاداً بديرية وحنينية، فصارت جماعة من المسلمين ترفض ولايته ولا يرغب فيها سوى عقلاء الأمة العارفين بعظيم المنافع المترتبة عليها.

خصوصاً تلك الثلة التي خرجت من سبات الشتاء وصارت تنمو وتزداد وتثمر الثمر الحقيقي بقبولها الولاية المفروضة والامتحان الصعب لتمييز المؤمن من المسلم، ويتخلص المؤمن حتى يكون كالسبيكة الغممة.

وأما المغربيان وهما الحسن والحسين عليهما السلام فلأنهما الإمامان الحقيقيان وصاحبا الدعوة الحقيقية واهاديان والمرشدان والنوران اللذان غرباً وخرجا عن منصة الظهور وانتقلت إمامتهما من الظاهر إلى الباطن ومن العلن إلى السر. غير أن غروب أحدهما كان شتوياً سلمياً بارداً أو سميماً باهتاً. والآخر غروباً صيفياً حاراً بحمد السيوف وحرارة وهج الهيجاء وهيب العطش في رمضاء كربلاء.

٨٢٣. المشرق بالنور

لما كان النور الذي عرفناه هو المتطائر إلى الآفاق عند بزوغ الشمس وغيرها ليتجلى به ما على الأرض وتتكشف الحقائق. وينمو به الشجر وبه يحصل الثمر.

فلا بد أن يكون النور الذي أشرق به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو ذلك المتطائر من وجوده ليبلغ الآفاق ويعم به النفع.

ولا شك أنه الإيمان بأنه الواحد القادر المديب الذي احتمله في وجوده أولاً ثم انتقل منه إلى المحيطين به كزوجته خديجة بنت خويلد وعلي بن أبي طالب فصار يصل إلى قلوب الناس واحداً بعد واحد، وصفاً بعد صف حتى بلغ أقاصي الكرة الأرضية هويداً وببطء وليس كضوء الشمس غير أنه بزوغ واحد ليس له غروب ولا أفول، فيض يمتد إلى آخر الزمان وآخر

عمر الأرض، بل هو بلا نهاية، وذلك لتأججه بعد الموت أكثر فأكثر.
ولما جاء هذا الوصف في الإنجيل وكان فيما وعظ الله تبارك وتعالى به
عيسى بن مريم أن قال له: يا عيسى أنا ربك ورب آبائك... ثم إنني
أوصيك يا بن مريم البكر البتول بسيد المرسلين صاحب الجمل الأحمر
والوجه الأزهر المشرق بالنور^(١).

لم يعد من المناسب الاقتصار على الإيمان الذي أشرقت به جميع
الشرائع السماوية، بل لابد من إرادة نقطة الامتياز التي تمتاز بها الشريعة
الكاملة الأولى والأخيرة التي هي الغاية القصوى.

فهذه الشريعة كالشمس تعطي بسخاوة كل شيء في الوجود ما يريد
منها ولا تمنع أحداً إلا من احتجب عنها، وتبقى مقدار الاستفادة منها
تابعة لنفس الشخص.

فالرسول ﷺ هو المشرق بالنور الذي فيه كل شيء، ويحظى
بالاستفادة منه كل امرئ بمقدار ما يشاء ويرغب، ولكنه قد يحتجب إذا
أراد، غير أن انعكاسات ذلك النور تظل تبلغه في كل الأحوال.

فهناك من يضيف إلى الإيمان المكتسب من شمس الرسول ﷺ أمراً
آخر وهو العلم، وآخر يضيف إلى ما يحوزه منها الأخلاق السامية، وثالث
يضيف إليها الخير أعني خير الدنيا والانتفاع والالتذاذ فيها حيث لا
يضمونه إلا توصيات الرسول ﷺ، وهناك من ينتفع بالأواخر دون الإيمان
الأساس.

ومما يلفت الأنظار ويعطف الأفكار كلام ابن عباس حينما يصف

(١) الكافي ٨: ١٣٩، أمالي الصدوق: ٦١١، البحار ١٤: ٢٩٤، تحق العقول: ٤٩٩

أباه العباس بن عبد المطلب ويمجده ثم يعطف على تمجيد الرسول ﷺ، كيف تحصل الطفرة في لحنه ولسانه بما يثير العجب والدهشة وتتضمن كلماته هذا الوصف المتحدث عنه.

فقد روى في ذخائر العقبى عن ابن عباس وقد سئل، ما تقول في الشيخ العباس بن عبد المطلب فقال: وما عسيت أن أقول فيه، رحمة الله على أبي الفضل عم رسول الله ﷺ وقرّة عين نبي الله، وسيد الأعمام، حوى أخلاق آبائه الأجواد، وخلا مع أجداده مهذب الأمداد، يتبع رأيه كل مهذب صنيديد، ويتجنب رأيه كل مخالف عنيد، وكيف لا يكون كذلك وقد ساسه خير من دبّ وهبّ، وأفضل من مشى وركب.

قيل: فيمن قلت ذا؟ قال: في صاحب الكوثر، والمقام الأكبر، والتاج الأنور، والإكليل الأحمر، المشرق بالنور، الطاهر القلب، التقي اللسان، صاحب الأجنحة الأربعة المكللة بنور الرحمن، المنسوجة بالعبقري والأرجوان، خليل جبريل، وصفي رب العالمين، صاحب الخوض والشفاعة محمد ﷺ^(١).

٨٣٤. مشفح

ذكر العاملية أن في الإنجيل: إن الاليا متوقع على أذياي، وروي: أنه كان أحمد متوقع، فغيروه إلى إلبا، وكان إلبا هو علي، قيل وإنما ذكره لأنه قدام النبي ﷺ في كل حرب، واسم محمد بالسريانية مشفح، والشفح الحمد، فإذا كان الشفح الحمد، فمشفح محمد^(٢).

(١) ذخائر العقبى: ٤٩٩.

(٢) الصراط المستقيم ١: ٤٦.

٨٣٥. المشفع

إن الصعوبة والتعقيد الذي يواجهنا حين نحاول البحث عن الشفاعة وملاكاتهما وآثارها ليست يسيرة، فهناك جملة أصول وقواعد أساسية وظروف وشروط موضوعية يشترط توفرها لإثبات كل مرحلة التي نفرضها ونتصورها من مراحلها حتى تصل إلى مرحلة تحقيقها وقبولها وثبوتها، أعني إمكانها في حد ذاتها وإمكانها الوقوعي ثم الفعلية والتحقق.

ولكن لما كان بحث الشفاعة من المباحث المهمة التي يترتب عليها آثار كثيرة وعظيمة أدناها دخول الجنة من لا يستحق دخولها بأعماله ومقتضى حاله، وإنما تدركه شفاعة الشافع وليس ذلك بعزيز، إذ لعل أكثر الداخلين هم من هذا الصنف، فلا معنى للتسامح في طرحها، ولا أقل من إلقاء نظرة عابرة عليها، خصوصاً بعد تردد الأمر بين النفي البات وبين الإثبات القاطع في الجملة ولو بنحو الإشارة إلى العناوين الكلية للبحث فيها وإعطاء رؤوس أقلام ومفاتيح لمن أراد أن يغور في أغوارها ويفتح مغالقها.

فأما الحديث عن إمكانها في حد ذاتها أو وقوعها واستفادة ذلك من النصوص، فإذا كان المتحدث عنه في الأخبار من هول المطلاع وأهوال يوم القيامة وتارات الحساب حقاً، وهو حق لأن التفكير في الموت والوفود على الله سبحانه وتعالى في نفسه عظيم كما هو واضح خصوصاً إذا احتمل الوافد شيئاً من الذنوب والمخزيات مع كفاية نفس الموقف والقيام للحساب والميزان والصراط ووجدان الله سبحانه وتعالى، فإن ذلك أو بعضه مما يسلب التفكير بل الفكر والعقل فضلاً عن التفكير في الشفاعة وإغاثة الآخرين، فإذا شاهد ذلك أهل الموقف قالوا: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾* ولا

صَدِيقَ حَمِيمٍ ﴿١١﴾ وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ (١٢) والنكرة في سياق النفي تدل على العموم ونفي وجود الشفاعة من الأساس، ولكن يقول المفسرون: إن حكم هذه الآية مختص باليهود لأنهم قالوا نحن أولاد الأنبياء وآباؤنا يشفعون لنا، فأيسهم الله عن ذلك فخرج مخرج العموم.

وما أظن أن ذلك مختص باليهود، بل هو خارج في مقام نفي الاعتماد الكلي على الشفاعة، والخوض في أنواع القبائح اتكالا عليها، فليس لمثل هؤلاء شفاعة وكذا جميع من لم تتوفر فيه شروط الشفاعة الأخرى.

ومع كل ذلك يمكن التعويل على إمكان الشفاعة، وهو مستفاد من آيات أخرى مثل قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ...﴾ (١٣) فهي تدل على إمكان تحققها إلا أنها لا تقبل أولاً تنفع كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (١٤)، فإذا الشفاعة موجودة ولكن لا تنفع، ومعه يمكن تأصيل أصل آخر وهو عدم قبول الشفاعة إذا استحق العبد العقاب، خصوصاً إذا كان ذلك العقاب هو العقاب على ظلم الآخرين، فإن في عدم عقابه ظلم على المظلومين. وكذا إذا استلزم دخول الجنة من هو أقل أهلية ممن لا يدخلها

(١) الشعراء: ١٠٠.

(٢) البقرة: ٢٥٤.

(٣) البقرة: ٤٨.

(٤) البقرة: ١٢٣.

لعدم شفاعة الشافع له فهو محذور آخر؛ إلا إذا دلّ الدليل على أن مؤهلات الشفاعة هي المكملة لدرجة الاستحقاق.

فإذا كان هذا هو الأصل والقاعدة، فلا يخرج عنه إلا بدليل؛ فهل إن الدليل على تأثير الشفاعة وقبولها موجود؟

الجواب هو نعم، فهو المستفاد من مجموع آيات الشفاعة وإن اعتبرت توفر بعض الشروط في الشافع والمشفوع له.

ومما يدل على تحققها هو قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(١) لكنه يشترط صدور الإذن من الله سبحانه في تحقق الشفاعة بنحو لا تتحقق بدون ذلك كما هو مقتضى السؤال الذي تضمنه.

ويدل على قبولها بذلك الشرط قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَانُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾^(٢) وقد أضافت إلى اشتراط الإذن هو أن يكون الشافع ممن يرتضى قوله أو ارتضى قوله؛ ولعل فيه سر.

وتتراكم الشروط التي يجب توفرها في الشافع الذي يؤذن له في الشفاعة، فيضاف إلى قائمتها الإيمان والعهد والخشية: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَانِ عَهْدًا﴾^(٣) ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُدًى مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ﴾^(٤).

وبذلك يبدأ عدد الشافعين يتقلص حتى إذا أضيف إليه الشرائط

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) طه: ١٠٩.

(٣) مريم: ٨٧.

(٤) الأنبياء: ٢٨.

المذكورة في الأخبار المحصر الشافع المشفع، أي الذي يجد في نفسه الأهلية للشفاعة والقدرة على ذلك وفي نفس الوقت يكون مشفعاً أي مقبول الشفاعة بالرسول المصطفى ﷺ .

وقد تقدم ما يدل على ذلك في بحوث سابقة ونشير هنا إلى المروي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «يلجم الناس يوم القيامة العرق، فيقولون انطلقوا بنا إلى آدم يشفع لنا عند ربه، فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا عند ربك، فيقول: إن لي ذنباً وخطيئة فعليكم بنوح، فيأتون نوحاً فيردهم إلى من يليه، ويردهم كل نبي إلى من يليه حتى ينتهون إلى عيسى فيقول: عليكم بمحمد رسول الله ﷺ فيعرضون أنفسهم عليه ويسألونه، فيقول: انطلقوا، فينطلق بهم إلى باب الجنة ويستقبل باب الرحمن ويخرّ ساجداً فيمكث ما شاء الله، فيقول الله عزوجل: ارفع رأسك واشفع تشفع وسل تعط وذلك قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَكْرُومًا﴾»^(١).

والأحاديث بهذا المعنى كثيرة، حتى جاء في بعضها: «ما أحد من الأولين والآخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة»^(٢).

ويستفاد من بعض الأحاديث أنها من خواصه التي خص بها، فقد روى ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطها أحد قبلي، جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، ونصرت بالرعب، وأحل لي الغنم، وأعطيت جوامع الكلم، وأعطيت الشفاعة»^(٣).

وإذا حاولنا كشف السر عن ذلك الاختصاص فالذي دلت عليه الأخبار المارة ونظائرها هو عدم فعل النبي ﷺ ما يحرمه من ذلك بنحو من

(١) تفسير القمي ٢: ٢٥، البحار ٨: ٣٥ ح ٧، والآية في سورة الإسراء: ٧٩.

(٢) المحاسن ١: ١٨٤.

(٣) الخصال: ٢٩٢، البحار ٨: ٣٨ ح ١٨.

الأخياء، وتضيف الأخبار الأخرى احتفاظه بدعوة مستجابة مجعولة لكل نبي، حيث استنفذها الآخرون بدعائهم على أقوامهم ونزول العذاب وغيره، بينما أبقاها الرسول ﷺ للشفاعة، فقد روي أنه ﷺ قال: «إن الله أعطاني مسألة فأخرت مسألتي لشفاعة المؤمنين من أمي يوم القيامة، ففعل ذلك»^(١). وفي خبر آخر أن الناس ينطلقون إلى الأنبياء ليشفَعوا لهم فيقول كل نبي: هيهات قد رفعت حاجتي^(٢).

ومع كل ذلك الوصف فإن هذا لا يعني عدم شفاعة الآخرين، لأن الأخبار تدل على أن النبي ﷺ بعد ما يشفع الشفاعة الكبرى لجميع البشر في تقديم الحساب، يوكل إليه أمر الحساب وإدخال الجنة من أراد، عندها تحين الفرصة لسائر الشفاعات التي دلت عليها الأخبار كشفاعة الأنبياء والأئمة والأولياء الصالحين والشهداء والعلماء كما جاء في الأخبار الكثيرة حتى ورد: «لا تستخفوا بفقراء شيعة علي وعترته من بعده فإن الرجل منهم ليشفع لمثل ربيعة ومضر»^(٣).

ومن مجموع ما مر يعلم السر في تسمية الرسول ﷺ بالمشفع أي المقبول الشفاعة واختصاصه بهذا الاسم دون من عداه سابقاً على ظهور الإسلام وانتشاره حتى قال أبو طالب عليه السلام لما دخل الكعبة: اللهم رب هذه الكعبة اليمانية، والأرض المدحية، والجبال المرسية إن كان قد سبق في حكمك وغامض علمك أن تزيدنا شرفاً فوق شرفنا، وعزاً فوق عزنا بالنبي المشفع الذي بشر به سطيع فأظهر اللهم يا رب تبيانه^(٤).

(١) البحار ٨ : ٣٧.

(٢) البحار ٨ : ٤٧.

(٣) التمهيد للإسكافي: ٦، ٤٧.

(٤) البحار ١٥ : ٣١٠.

وتكرر وصف النبي ﷺ بأنه الشفيع المشفع أو الشافع المشفع في الأخبار وكلام الواصفين.

٨٣٦. المشفق

الشفقة هنا بمعنى العطف والحنان، وبالذقة هي أن يكون للشخص همة صادقة على إزالة المكروهات عن الغير، لأن المعدود من ألقابه ﷺ هو المشفق على القريب والبعيد^(١)، في مجال بيان سعة شفقته وامتدادها لتشمل البعيد بمعنييه المادي والمعنوي، أي من بعد عنه بأعماله وصفاته، وحتى اعتقاده وعدائه، فهو يشفق حتى على المنافقين الذين يدبرون له، أو حتى على من حاربه وقتله وجمع له الجموع كأبي سفيان.

وبلغت تلك الشفقة من الشدة حتى عرفوه بالأبوة، فقيل: كان أباً لجميع أمته لأن شفقته على أمته شفقة الآباء على الأولاد^(٢)، وأخبر هو ﷺ عن ذلك فقال: «أنا وعلي أبو هذه الأمة»^(٣).

فكان لسان حاله من أول يوم هو الشفقة في الشفاعة إلى حلم الله عزوجل وعفوه ورحمته بأن لا ينزل على قومه العذاب ولا يستأصلهم بما يستحقونه من نعمته وأن تكون بعثته إليهم لتخليصهم مما قد أشرفوا عليه من الهلاك والاستيصال، ويسترهم من فضائح الضلال، فقبل الله سبحانه وتعالى لسان حال شفاعته واستعطافه: وذل النبي ﷺ يرفق بهم ويشفق عليهم حتى غسل سواد أوصافهم بسحائب كمال أوصافه، وأقامهم عن العكوف على تلك الفضائح والقبايح بتكرار النصائح

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٣، البحار ١٦: ١٠٦.

(٢) علل الشرائع ١: ١٢٧.

(٣) عيون الأخبار ١: ٩١، علل الشرائع ١: ١٢٧.

وإظهار المعاجز.

ولما كذبوه وآذوه ونالوا منه ما نالوا من الأذى أتى ملك فقال: يا محمد أنا الموكل بالجبال أرسلني الله إليك إن أحببت أن أطبق عليهم الأخشبين فعلت، فقال ﷺ: «لا إن قومي لا يعلمون»^(١).

ولا يزال يطالب بالإمهال والتخفيف، كما احتفظ بدعوته المستجابة لشفاعته للمذنبين حتى خرج من الدنيا وهو يلح على الله سبحانه وتعالى ويكرر من قول: «أمي أمي»^(٢).

وهناك قصص كثيرة في شفقتة على آحاد أمته البعيد منهم والقريب، وخصوصاً أهل بيته، فقد كانت يجد تبليغ الشذوذ عند مجتمع لا يحترم المرأة ولا يعرف العطف على صغير ولا يحنو على طفل يتقبله أنفة وكبراً، بينما كان رسول الله ﷺ يحمل ولديه الحسن والحسين عليهما السلام على كتفه ويتلطف بهما أشد التلطف حتى في الصلاة.

ولذا لما توفي ﷺ روي أن فاطمة عليها السلام لا زالت بعد النبي ﷺ معصبة الرأس ناحلة أجسم منهدة الركن من المصيبة بموت النبي ﷺ وهي مهمومة مغمومة محزونة مكروبة كئيبة حزينة باكية العين محترقة القلب يغشى عليها ساعة بعد ساعة، في كل ساعة، وحين تذكره، وتذكر الساعات التي كان يدخل عليها فيعظم حزنها وتنظر مرة إلى الحسن ومرة إلى الحسين وهما بين يديها عليهما السلام فتقول: أين أبوكما الذي كان يكرمكما ويملككما مرة بعد مرة، أين أبوكما الذي كان أشد الناس شفقة عليكما فلا يدعكما تمشيان على الأرض؟ فإننا لله وإنا إليه راجعون، فقد والله

(١) حلية الأبرار ١: ٣٤٣، والخشب هو الجبل.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق: ٢٤١، مناقب آل أبي طالب ١: ١٩٩، الروضة في

جدكما وحبیب قلبي ولا أراه یفتح هذا الباب أبداً ویحملكما علی كتفه^(١).

٨٣٧. مشقح

حكى عن ابن إسحاق أنه قال: یسمى النبي ﷺ بالسريانية مشقح والمتحمنا^(٢).

٨٣٨. مشهور الذكر

ورد في بعض زیارات النبي ﷺ أن لقول: السلام عليك يا ضفوة الأنبياء وعلم الأتقياء ومشهور الذكر في الأرض والسماء^(٣). وقد تقدم الكلام في شهرة النبي ﷺ ومعروفيته وذكره في عناوين متعددة منها الذكر وأحمد ومحمد وغيرها.

٨٣٩. مشهور السمات

قال علي عليه السلام بعث الله سبحانه وتعالى محمداً رسول الله ﷺ لإيجاز عدته وتمام نبوته مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهورة سماته كريماً ميلاده^(٤). والسمات هي العلائم التي يُعرف بها الأعم من العلائم التي ذكرها الأنبياء لأهمهم أو العلائم التي يعرف بها الناس بسليم فطرتهم.

٨٤٠. المصباح

لا يخرج هذا الوصف عن كونه تشبيه معقولٍ بحسوسٍ للإيضاح

(١) روضة الواعظين: ١٥٠.

(٢) الشفاء ١: ٢٣٤، سبل الهدى والرشاد ١: ٥١٤.

(٣) البحار ٩٧: ١٧٥.

(٤) نهج البلاغة ١: ٢٤.

وإن كان الوجه في المشبه أشد وأقوى، أو أنه مرتبة أدنى للإشارة إلى مرتبة أعلى، كما أن العلم له مراتب، مرتبة منه كيف نفساني، ومرتبة منه جوهر مفارق برزخي كعلم النفس بذاتها، ومرتبة منه جوهر مفارق محض كعلم العقل بذاته، ومرتبة منه واجب الوجود كعلم الواجب تعالى بذاته وبغيره، فالعلم حقيقة واحدة ولكن لها مراتب تتباعد عن بعضها أشد البعد في جانبي العلو والدنو.

فكذلك الأنوار، فإن الله سبحانه وتعالى هو نور النور، وهو النور الغني أو نور الأنوار، والعقول هي الأنوار القاهرة، العليا منها والدنيا، من الطبقة الطولية المترتبة والطبقة العرضية المتكافئة، والنفوس هي الأنوار الاسفهبديّة الفلكية والأرضية، والأنوار الحسية هي الأنوار العرضية.

فالله سبحانه وتعالى هو نور النور القاهر، ونور النور المدبر، ونور النور العرضي المستمر وغير المستمر. ثم كيف لا تكون هذه الأنوار الحسية عرضية مجازية بالنسبة وما قبلها ذاتية حقيقية، وبالأنوار الحسية لا يظهر إلا المبصرات، وبنور النفس الذي هو دون نور العقل تظهر هي والمحسوسات الأخر والمتخيلات والموهومات والمعقولات.

فبالعلم الذي هو نور من النفس تظهر حقائق الأشياء كلاً وطراً ورسومها ومائتها الشارحة والحقيقية، وهليتها البسيطة والمركبة، وهليتها الشبوتية والإثباتية وغير ذلك من المطالب، فهو نور حقيقة؛ لأنه ظاهر بذاته مظهر لغيره الذي هو الحقائق المذكورة، ولظهوره وإظهاره مراتب، ففي مرتبة ظل وفي مرتبة ضوء، وفي مرتبة نار، وفي مرتبة نجم، وفي مرتبة قمر، وفي مرتبة شمس، وإذا علمت هذا في النفس فاجعله مقياساً لمعرفة سماوات الأرواح وأراضي الأشباح، واعلم التفاوت بين نور النبي ﷺ وباقي الأنوار، كالتفاوت بين علمه وبين علومها.

والحاصل أن العالم كمشكاة امتلأت نوراً أو ضياءً، لكن لا كالمشكاة المحسوسة حيث إن لها حقيقة هي غير حقيقة النور، فإن المشكاة للنور الحقيقي صنفان، صنف هو القوابل التعليمية من انهيات الإمكانية وصنف من القوابل الخارجية من المواد الجسمانية، والمهية كسراب بقية يحسبه الظمان ماءً لا حقيقة لها، بل متحلة مع الوجود الذي هو النور الحقيقي، والمصباح هو النبي ﷺ الذي يكون منه ذلك النور الحقيقي، أي العلم، إذ أن علمه سبب لظهور المعلومات كما أن نور المصباح سبب لظهور المحسوسات.

﴿المُصْبِحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ أي أنه في قنديل من الزجاج، شبهه بها في الشفافية والزهرة والبياض والإنارة وضبطه لأنوار العلوم.

﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ أي مضيئ لامع يشبه الدر في الضياء والصفاء.

﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ كثيرة النفع يتولد منها الأوصياء الظاهرون ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾ أي مكة لأنها وسط الدنيا، أو لا يهودية ولا نصرانية.

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾^(١) أي يكاد أن يتفجر بالعلم قبل أن يؤمر ويبعث.

فقد ورد في أخبار عديدة أن المصباح في آية النور هو النبي محمد ﷺ وإن اختلفت في تطبيق المشكاة والزجاج، وكذلك المفسرون^(٢).

(١) النور: ٣٥.

(٢) انظر تفسير فوات: ١٠٣، ونور البراهين لنجاشري: (٤٠١)، وتفسير مجمع البيان ٧: ٢٥١، والبحار ٤: ٢٣، وج ٢٣: ٣١٤.

و هناك روايات أخرى تفسرها بنحو آخر منها المروي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله الله تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ فهو محمد عليه السلام ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ وهو العلم ﴿الْمِصْبَاحُ فِي رِجَالِهِ﴾ فزعم أن الزجاجة أمير المؤمنين وعلم النبي عنده^(١).

و في رواية أخرى عنه عليه السلام فالمشكاة صدر النبي عليه السلام ، والمصباح هو العلم والزجاجة أمير المؤمنين عليه السلام وعلم النبي عليه السلام عنده^(٢) ، ولكن المشهور أن المصباح هو النبي عليه السلام.

٨٤١. مصباح الحكمة

و الحكمة إذا لم تكن من صنف العلم، فهي لا تخرج عن الحقيقة النورية ائجلية لفناء الماهية في الوجود الحقيقي واعتباريتها إذا كان العلم هو مجلٌ للماهية بما هي فانية في الوجود، أو معروضة أو عارضة بالوجود للوجود، وهي ائجلية لعلل تحقق الماهيات وآثارها الخفية.

فالحكمة نور والعلم نور، وبالحكمة تتجلى بعض جوانب المهيات المظلمة بذواتها، كما تتجلى مراتبها من الحقائق والرقائق والأرواح والأشباح والأشعة والأظلة كلها.

قال رسول الله عليه السلام: «أول ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره، واشتقه من جلال عظمته، فنحن الأولون... ونحن مصابيح الحكمة»^(٣).

(١) الاختصاص للشيخ المفيد: ٢٧٨.

(٢) التوحيد: ١٥٩.

(٣) البحار: ٢٥: ٢٣.

٨٤٢. مصباح الدين

الدين هو الاعتقاد الصادق بوحدانية الله سبحانه وتعالى وعدله وصدق أنبيائه ورسله وأحقية أوصيائهم من أوليائه، والمعاد يوم القيامة يوم يقوم الناس للحساب ويجزى كل عامل على عمله إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً.

و الرسول المصطفى ﷺ يحمل علم ذلك بفطرته كما يحملها كل إنسان، غير أن عنده أدلتها الواضحة وبراهينها الساطعة وكل ما يكشف عنها ويجليها للبصائر التي عميت عنها وصارت لا تبصرها نتيجة للظلمة التي صنعها الإنسان بنفسه لنفسه ولغيره، حتى كان كمن أغلق عليه بابه وأسدل ستائره فصار لا يبصر الشمس ولا السماء والنجوم، وحتى لا يبصر الباب ولا الستائر فيزيحها.

و الرسول ﷺ هو مصباح الدين الذي أزاح تلك الظلمة لكي تنظر البصائر الباب وتعرف السبيل للوقوف على عالم الأرواح والأشباح والملك والملكوت، والحق الذي لم يَخْتَفِ بحسب ذاته، وإنما اختفى على من اختفى بالحواجب المبتدعة والشهوات المتبعة.

وليس الأمر مقصوراً على أصول الدين، فهو يشمل فروع الدين وأحكام شريعة سيد المرسلين التي افترضها الله سبحانه على عباده وجعلها وسائل القرب منه، الأمر الذي يوصل الإنسان إلى غاية الغايات، ألا وهو رضوان الله سبحانه وجنة عرضها السماوات والأرض، ناهيك عن المصالح العاجلة الكامنة في تلك الأحكام. والأوامر والنواهي.

و لهذا لما قعد النبي ﷺ يوماً عند عين نزل جبرئيل في ذلك الموضع وميكائيل واسرافيل ودردائيل فقال جبرئيل: السلام عليك يا محمد...

السلام عليك يا مصباح الدين^(١).

٨٤٢. المصدق

ليس تصديق الأنبياء بعضهم بعضاً، وتأييد اللاحق منهم لما جاء به السابق هو تصديق مهني كما يصدق الطبيب الآخر تحفظاً على الكيان الطبي، ولا كما يصدق المهندس المهندس لتحسين الوظيفة الهندسية والمحافظة على أصل الحاجة إلى المهندسين في كل إعمار وبناء، وهكذا، ولا هو تصديق اتفاقي حصل صدفة و عفواً من دون تدبير سابق ولا غاية مشتركة.

و حتى لا يقتصر على كونه نابعاً من منبع واحد ومصدر فارد ومرسل أحد، بل الأمر أكثر من ذلك وأكثر من وحدة الغاية والهدف وإن كان بعضها حقيقياً، وذلك لما أخبر به الكتاب العزيز من وجود توافق وتصادق وعهود ومواثيق مأخوذة على ذلك.

فهو اعتباري التزامي بعد ما كان حقيقياً واقعياً ويهدف إلى غاية واحدة.

ففي الحقيقة هو واقع ملتزم به، خصوصاً بالنسبة إلى الرسالة الخاتمة والنبوة اللاحقة على الإطلاق، يشبه أن يكون معاوضة وأخذاً و عطاء، والمعاوضة بين التبشير والتصديق والتصافق على أن يقوم الأنبياء بالتبشير بظهور الخاتم والتمهيد له ونصرته، وهو ﷺ بدوره يقوم بتصديق الأنبياء السابقين في مقابل ذلك ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ

(١) الفضائل: ٣١، ٥٢، البحار: ١٥: ٣٥١.

لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ»^(١)، لقد جاء في عدة روايات في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ يعني رسول الله ﷺ^(٢).

كما لا يشذ عن الذهن في هذه الأحوال إرادة شدة تصديق الرسول ﷺ للمؤمنين وإحسان الظن بهم حتى قيل إنه أذن، أي يسمع لكل أحد ويصدق كل أحد، فهو يصدق الله سبحانه الذي أخبره بأن تماماً ينم عليه، ولما سأل ذلك النمام أنكر فصدقه، فلما خرج قال: هو أذن يصدق الجميع أخبره الله بأنني أتم عليه فصدقه وأخبرته بأنني لم أتم عليه فصدقتي، فقال الله سبحانه هو أذن خير لكم يومن بالله ويؤمن للمؤمنين.

٨٤٤. المصّدق

لا شك أن تصديق الرسالة من قبل المرسل إليهم والمبعوث إليهم ساعني الناس الذين بعث النبي في أوساطهم - مهم جداً بحيث يلي أصل إرسال الرسالة في الأهمية، بالإضافة إلى أنه الغاية من البعثة وأصل الإرسال والهدف المنشود من وراء جميع ذلك.

ألا ترى كيف كان حال الرسالة إذا لم يتلقاها أحد بالتصديق والتأييد والنصرة، خصوصاً أولئك الأوائل مثل أبي طالب عم النبي ﷺ وبنيه الذين صدقوه ونصروه، وبتصديقهم صدقه الآخرون.

ولكن يجب التذكير على أن اتصاف الرسول ﷺ بالمصدق كان سابقاً على البعثة وقبل أن يكون نبياً؛ لما عرف له من أنه الصادق الأمين، فهو صادق مصدق وقائل مسدد ومؤيد قبل بعثته، ولكن الأهمية كما

(١) آل عمران: ٨١.

(٢) تفسير القمي ١: ١٠٦، مختصر بصائر الدرجات: ١٦٧، رسائل في النغية

للشيخ المفيد ١: ١٢.

ذكرنا إنما نجيب بعد البعثة، وتلك الصفة السابقة تجد أهميتها إذا استمرت بعد البعثة كما يستفاد من كلام أبي طالب عليه السلام الذي يرويه أبو رافع حيث يقول: سمعت أبا طالب يقول: حدثني محمد عليه السلام أن الله أمره بصلة الأرحام، وأن يعبد الله وحده، ولا يعبد معه غيره، ومحمد عندي المصدق الأمين^(١).

٨٤٥. المصطفى

الاصطفاء هو الاختيار والانتقاء من قبَل العالِي للداني، فهو يختار الشخص وينتقيه من بين الأشخاص بعد ما يعرف صفاته وامتيازاته ويضمن تفوقه على الجميع ويحرز أصلحيته من بينهم على أن الاصطفاء يقابل ما يسمى اليوم بالانتخاب والاقتراع، بما يعني اختيار الداني للعالِي وانتخابه عبر صناديق الاقتراع وغيرها كما اتفق ذلك في بيعة أبي بكر مع نوع من التحفظ.

فهل إنَّ المفضل في الأمور المهمة هو الاصطفاء أو الانتخاب، وهل يمكننا الاعتماد على الاصطفاء بصورة كلية؟

والنظرية الإسلامية تذهب إلى تعيين الاصطفاء للولاية العامة والرئاسة السياسية، وتعتقد بفشل طريقة الانتخاب والاقتراع من الأساس. بل هذه هي سنة جميع الشرائع السماوية السابقة بحيث لم يترك الخيار لبني اسرائيل في انتخاب الملك والرئيس، وإنما اصطفى الله سبحانه لهم طالوت وجعله عليهم ملكاً بعد الإشارة إلى توفر بعض الشرائط فيه وهي البسطة في العلم والجسم، وكذا لم يترك الخيار للناس في اختيار واحد من الأنبياء حتى في مورد واحد، بل كلما رشح البشر شخصاً بعث الله سبحانه غيره، وكلما توقع الناس بعثة رجل أرسل الله سبحانه وتعالى سواه.

هذه هي السنة الإلهية في اختيار الرجل المناسب وتعيينه، الأمر الذي تبدو علله واضحة وحكمته مدركة، بيد أن الله سبحانه وتعالى هو العالم بما في الضمائر وخبايا الصفات، والمبهم من ذلك هو إمكان تحقق ذلك في كل زمان ومكان وعدمه.

و لو رجعنا إلى التجربة التي مرت بها البشرية للاحظنا أن صناديق الاقتراع لم تفر للمقترعين ولم تأت إلا بأسوأ عقيب سيئ، لعدة عوامل يمكن ملاحظة بعضها، كتأثير الإعلام في انتخاب كل من يُنتخب حتى صار المرشحون يبذلون الأموال الطائلة في ذلك السبيل، ولولا تأثير الإعلام ودوره في الإختيار لما بذلوا كل تلك الأموال، وما صرفوا كل تلك الجهود المضيئة في ذلك السبيل.

و بذلك صار المال هو المتحكم في رقاب الناس ومصير الأمم، وهو الوسيلة للتوصل إلى ذلك المقام الشامخ والمنصب الرفيع، مع العلم بأن أرباب الأموال الضخمة لا يلزم أن يكونوا من ذوي العقول لعدم جمع الله سبحانه وتعالى العقل والمال دائماً بل قد يؤتي بعض السفهاء الأموال كي لا يظن الناس أنها بالعقول.

وهذا معنى دقيق آخر يحتاج بسط الكلام فيه إلى محل آخر.

كما أن التمويل الشعبان لا يتحسس جوع الجائع، فلا ينجح إلى بسط العدل والرفق بالضعفاء المسحوقين، وبالنتيجة لا يمكن أن يكون الملاك هو المال، ولهذا تجيء النتائج غير مرضية وعلى خلاف ما هو المترقب والمتوقع، الأمر الذي يصاحبه تنزّل الرغبة والميل عند المجتمعات لحضور صناديق الاقتراع بمرور الزمان، لحصول الاعتقاد بعدم وفائها بما يرغب به الناس ولا يحصل تغيير ملحوظ.

ومن تلك العوامل المؤثرة في الإختيار هي الأحزاب والتشكيلات الواسعة المتمولة التي تتناطح في الحقيقة فيما بينها ويتنازع الملك حزبان

أو الثلاثة حتى يكاد يحصل الجزم بعدم انتخاب المستقل الذي ليس له حزب ولا جماعة، بل ليس له مصداق في الخارج إلا ما شذّ وندر مما هو كالمعدوم.

و لو صار الملاك هو قوة الحزب وسعته ونشاطه، فإن من المعلوم هو ترجيح جماعة الحزب وتأمين منافعهم؛ الأمر الذي لا يدع الفرصة للتفكير في منافع العموم وبالأخص الطبقة المسحوقة أو أتباع الأحزاب والجماعات الأخرى، وتظل المسألة تتكرر ويبقى المسير واحداً وإنما تتغير الوجوه؛ لأن الرئيس لا يكون إلا وجهاً يؤمن سياسة حزبه وجماعته، فليس ثمة تغيير ولا تحسين ملحوظ. ومن هنا ينشأ التبعيض والتمييز الذي هو أول أنواع الظلم.

وهذا هو الذي حدث يوم سقيفة بني ساعدة، فإن الحزب القرشي بادر إلى الإمساك بزمام الأمور بما يمتلكه من الحنكة السياسية والتدبير المسبق مع ضعف الأحزاب المناوئة وعدم امتلاكها الأهلية اللازمة لخوض المغامرة، مثل الحزب المدني المنشق الصف.

ولما جاء دور عثمان، فقد دخل عنصر المادة والمال وانضاف إلى التحزب الأموي المنسجم لتأتي النتيجة الفاشلة وانتقال الملك إلى بني أمية الذين بدلوا الملوكية العثمانية المبطنة إلى ملوكية معلنة وواضحة، فقد صار ذلك الانتخاب الأول هو السبب لحياة الدكتاتورية الأموية.

بينما تظل النظرية الإسلامية وسائر الشرائع السماوية على البعد من تلك المعركة المحتدمة والجذث السياسي القائم، وتتفاوت عنها كل التفاوت وتسير في طريق آخر غير ذلك الطريق، بل تتباين معه كل التباين من ناحية تأهيل الاصطفاء والانتخاب من العالي ومن ناحية ملاكات الاختيار والانتخاب بصورة كلية حيث تجعل الأساس هو العلم، فهو الملاك والمدار، فقد قال تعالى في انتخاب طالوت ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ

عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ^(١).

و ليس الملاك هو العلم فقط بل هو الأعلمية حيثما استفاضت الأخبار بأنه ما ولي أمر الناس امرؤ وفيهم من هو أعلم منه إلا وكان أمرهم إلى سفال^(٢).

على أن المراد بالعلم هو العلم بما هو أصلح للبشر في جميع مناحي الحياة مما نعتبر عنه بالأحكام الشرعية والحدود الإلهية.

فلا يبقى سوى الكلام في إمكان تحقق الاصطفاء في كل زمان ومكان، وهل هناك سبيل إلى ذلك في مثل زماننا بعد غياب الولي والوصي، أعني المرشح السماوي.

فالجواب أن النظرية الإسلامية تذهب إلى توفر السبيل في الجملة، وهو سبيل واحد منحصر في صلاح البشر وطلبهم المصلح، فإن الله سبحانه وتعالى إذا عرف منهم ذلك بعث إليهم وليه.

و لو تنزلنا عن هذه المرحلة وصار الأمر إلى قبول الواقع الموجود والظروف الراهنة فإن الذي اعتقد به من الحقيقة المغفولة هو أن رئيس كل قوم وملكهم تابع لنوع أعمالهم وخبايا نفوسهم، فإن صلحوا كان صلحاً وإن ساءوا وأسأوا وليهم من هو سيء، وهو الاستفادة من مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٣).

بل لا يلزم تبدل الملك وحلول صالح بعد غير صالح، بل أن نفس

(١) البقرة: ٢٤٧.

(٢) شرح الأخبار ١: ١٩٦ ح ١٥٩، الخامن ١: ٩٣ ح ٤٩، علل الشرائع ٢: ٢٠٦ ح

٤، ثواب الأعمال: ٢٠٦.

(٣) الرعد: ١١.

الموجود يتبع أعمال الناس وسرائرهم، لما ورد عن علي عليه السلام قال، قال رسول الله ﷺ: «قال الله جل جلاله: أنا الله لا إله إلا أنا خلقت الملوك وقلوبهم بيدي، فأما قوم أطاعوني جعلت قلوب الملوك عليهم رحمة، وأما قوم عصوني جعلت قلوب الملوك عليهم سخطة، ألا لا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك توبوا إلي أعطف قلوبهم عليكم»^(١).

وعن أبي جعفر عليه السلام: «قال الله عز وجل: أي قوم عصوني جعلت الملوك عليهم نقمة، ألا لا تولعوا بسب الملوك، توبوا إلى الله عز وجل يعطف بقلوبهم عليكم»^(٢).

و لكن وصول البشرية إلى هذه الحقيقة وبلوغ علم ذلك وانتشاره ليصبح ثقافة عامة وفكرة شائعة ومصدقة يحتاج إلى مرور زمان ليس باليسير، يسبقه عمل جاد في هذا الميدان، ودراسة شاملة تتحدد فيها زواياه وحدوده مما لا يسعه هذا المختصر، ولا نحن بصدد الخوض فيه.

قال الإمام الحسن عليه السلام على ما يروى في بعض خطبه: الحمد لله المستحمد بالآلاء... أشهد أن محمداً عبده ورسوله اصطفاه بالتفضيل وهدى به من التضليل، اختصه لنفسه، وبعثه إلى خلقه برسالاته وبكلامه...»^(٣) ليشير إلى أن الاصطفاء لم يكن اعتباطياً بل هو عبارة عن اختيار الأفضل على الإطلاق وليس الأفضل لتلك المهمة فقط بحيث يمكن القول بأن الرسول ﷺ هو أجل من هذه المهمة، وإنما بعثه الله سبحانه تفضيلاً ومنة على العباد كما هو مستفاد من بعض الأخبار ويشعر به هذا الخبر.

(١) أمالي الصدوق: ٤٤٧ ح ٦٠٠، روضة الواعظين: ٤١٩، الوسائل ٧: ١٣٢ ح

(٢) الخاسن ١: ١١٧، الوسائل ٧: ١٣٢ ح ٨٩٢٦.

(٣) الكافي ٥: ٣٦٩.

وفي خبر آخر يرويه الكليني: «اصطفاه بعلمه»^(١) مما يحكي عن دقة الانتخاب بيد أن علم الله سبحانه وتعالى بلا نهاية ولا حدود.

و يروي فرات الكوفي بسنده عن أبي جعفر عليه السلام في أهل البيت يقول: «منهم الطيب ذكره، المبارك اسمه محمد المصطفى والمرضى ورسوله الأمي»^(٢).

وفي قصة طريفة يرويها العياشي أن أعرابياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وأظهر بعض الجرأة فأقبل الناس تقول: ما أجراك يا أعرابي؟ قال النبي صلى الله عليه وآله: «دعوه فإنه أديب» ثم قال: «ما حاجتك؟» قال: جاءتنا رسلك أن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة، وتحجوا البيت وتغتسلوا من الجنابة، وبعثني قومي إليك رائداً أبغي أن أستحلفك وأخشى أن تغضب، قال صلى الله عليه وآله: «لا أغضب، إني أنا الذي سماني في التوراة والإنجيل محمد رسول الله المجتبي المصطفى ليس بفحاش ولا سخاب في الأسواق، ولا يتبع السيئة السيئة، ولكن يتبع السيئة الحسنة، فسلي عما شئت..»^(٣).

هذه بعض موارد استعمال اسم أوصفة المصطفى، لتدل الرواية الأخيرة على وجوده في التوراة والإنجيل قبل جريانه على لسان النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

٨٤٦. المصطفى في الظلال

المراد بالظلال هي قوة الوجود التي هي ليست وجوداً فعلياً مع أنها

(١) الكافي ٥: ٣٧٢.

(٢) تفسير فرات: ٣٩٧.

(٣) تفسير العياشي ١: ٢٠٤، وقد دلت هذه الرواية على مدى احترام النبي صلى الله عليه وآله

للأديب، غير أن في نسخه أرب مكان أديب.

لا تخرج عن كونها موجودة بالمعنى الذي يشمل القوة والوجود، أعني الوجود الذي يقابل العدم، وليس الوجود بمعنى الفعل، فقوة الوجود في ذاتها إذا قيست بالنسبة إلى العدم المطلق لها وجود وها حظ من الوجود المطلق وليست مما تقابله، وإن كانت تقابل الوجود الفعلي وتغايره، كما أن ظل النور الحسي - أعني ظل الأشخاص والأشياء - ليس بنور، أي ليس بشعاع مقابل ومواجه للنير، وإن كان نوراً في ذاته بالنسبة إلى الظلمة المطلقة، وذا حظ من النور المطلق بمعنى الظاهر بذاته المظهر لغير، وذلك لأنك ترى ذلك ينعطف ويتحرك فأنت ترى شيئاً، بينما الظلمة المطلقة هي أن لا ترى شيئاً.

ففي تلك المرتبة من الوجود وفي تلك المرحلة السابقة على الوجود الفعلي الذي قد حصل الاصطفاء الذي يعني انتخاب صفوة الشيء وأفضل النوع؛ وإن احتمل أن يكون اصطفاه ﷺ بتجهيزه بالعقل الكامل بين الإنسان الأولي غير المجهز بجهاز العقل، فيكون اصطفاه هو تجهيزه بالعقل وانتقاله من مرتبة نوعيتهم إلى مرتبة الإنسان المجهز بالعقل الكامل من بين جميع البشر إلى يوم القيامة، وهذا معنى دقيق يحتاج بسطه إلى محل آخر.

و بذلك تعرف مدى العمق والتعقل، الموجود في كلمات الأئمة الأطهار عليهم السلام ودعواتهم؛ وأنواع صلواتهم التي منها ما يرويه الطبري: « اللهم صل على محمد سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وحجة رب العالمين، المنتخب في الميثاق، المصطفى في الضلال، المطهر من كل آفة، البريء من كل عيب... »^(١).

٨٤٧. المصطفى للنبوة

لما كان الاصطفاء هو الاختيار والانتخاب من بين جماعة وأفراد، وليس كل اختيار وانتخاب كيفما اتفق، وإنما هو اختيار الصفوة الخالصة

(١) دلائل الإمامة: ٥٤٩.

التي تعني الأفضل أو الثمين الذي لا يقاس به غيره كما يخلص الذهب من بين التراب.

ولما كان الكلام عن اصطفاء الله سبحانه وتعالى واختياره لصفوة البشر وخالصتهم، والأفضل من بينهم فقد صار يعني ملاحظة الموازين التي يُراعى فيها الدقة إلى ما لا نهاية له، وملاحظة أكمل الصفات الظاهرة والكامنة على الدوام والاستمرار، أي الأفضل والأكمل والأوصف في كل آن من اليوم الأول لوجود النبي ﷺ إلى انتهاء الخلق، لأنه خاتم الأنبياء، وإن كان الأولى أن نقول من أول الخلق إلى آخره، لأنه أفضل النبيين الذي يراد لأعظم مهمة، وهي مهمة النبوة الخاتمة والكاملة.

فإن من نافل القول دعوى الإحاطة بحدود ذلك أو شيء منه، ولا حتى تخيله، بيد أن هذا اصطفاء من بين مليارات مليارات البشر، والمصطفى هو الله سبحانه وتعالى يلاحظ كل الصفات والدقائق والمؤهلات والموازين الدقيقة إلى ما لا نهاية له.

خصوصاً مع ملاحظة أن الاصطفاء في هذا العنوان للنبوة التي هي الارتفاع في أساس اللغة، الأمر الذي يعني أن الاختيار هو اختيار لأرفع موجود وأشخ كيان لأرفع مقام وأشخ منصب، فلا يسعنا سوى الالتجاء إلى الأخبار والنقل، حيث يروى أن النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام: «يا علي أنت أخي وأنا أخوك، أنا المصطفى للنبوة، وأنت المجتبي للإمامة...»^(١).

ومع ذلك فقد عد ابن شهر آشوب من صفات الرسول ﷺ الماثورة وقال: محمد خير البشر، المختار للرسالة الموضح للدلالة، المصطفى للوحي والنبوة، المرتضى للعلم والفتوة والمعجزات والأدلة...^(٢) فقد أضاف

(١) تفسير أبي حمزة الثمالي: ١٥٩.

(٢) المناقب: ١: ١٣٣.

الاصطفاء للوحي، وهو يعني الارتفاع إلى مرتبة سماع الوحي، ونحن نذهب إلى ارتفاعه على جميع الأنبياء المرتفعين إلى مرتبة سماع الوحي.

٨٤٨. المصلح

المصلح هو الذي يقوم بإصلاح شيء، والمقوم لأمر من الأمور التي تحتاج إلى التعديل والتقويم أو التنسيق والتنظيم، وبالتالي فإن الإصلاح هو إصلاح لشيء من الأشياء.

و الغالب في كلمة الإصلاح هو استعمالها في الإصلاح من الفساد.

فإذا كان الرسول ﷺ هو المصلح جاء السؤال عن ذلك الشيء الذي قام بإصلاحه، مما كان يحتاج إلى الصلاح؛ وكذا عن الفساد الذي أصابه.

و قد أجاب بعض الإجابة الإمام أبو جعفر عليه السلام لما سأله الراوي ميسر عن قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ فقال «يا ميسر إن الأرض كانت فاسدة فأصلحها الله عز وجل بنبيه ﷺ فقال: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾»^(١)؛ ولعل المقصود هو أن الله سبحانه وتعالى بعثه في وقت كان أهل الأرض مطبقين على الكفر ولم يكن فيهم مؤمن ظاهر، وكانوا يعشون في الأرض الفساد ويسفكون الدماء ويقتل بعضهم البعض، فإن ذلك هو الفساد الحقيقي.

و إنما قلنا بعض الجواب؛ لأن ذلك هو الجواب عن مصلح الأرض بعد فسادها أو المصلح به الأرض وأهلها؛ بينما العنوان يحكي عن الإصلاح المطلق الذي يعني إصلاح كل شيء وعدم إضافته إلى شيء من الأشياء ولا حتى خصوص الأرض، مما يدخله في فضاء أوسع ومعنى أشمل

(١) الكافي ٨: ٥٨ ح ٢٠. والآية في سورة الأعراف: ٥٥، ٨٤.

قد لا تدركه عقولنا، أو لا نتوهم سوى اليسير منه.

و كذا يمكن استفادة الإطلاق في ناحية الفساد بمعنى عدم تحديده بنوع خاص من الفساد، ويلزم أن يكون المراد هو الفساد بجميع ألوانه المعروفة وغيرها مما يشمل نفس إفساد الأرض والفضاء والماء والحياة على الأرض بجميع موجوداتها وحتى غير الأرض والسموات مما لا يحيط به خبراً. وإن كان ذلك بنحو القوة دون الفعل بمعنى إراءة الطريق للإصلاح والتوصيات التي لو عمل بها البشر لجرّت إلى الصلاح من كل جانب، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(١).

و التي ستظهر إلى الفعلية عند ظهور المهدي المنتظر عليه السلام آخر أوصيائه عليه السلام، فتخرج الأرض كنوزها ويعم الخير، وتصلح الأرض ويسود العدل الأرض كما هو موعود في الأخبار والقرآن والزبير.

ومهما يكن من ذلك فقد عدّ الراوندي الحنفي من أسماء الرسول عليه السلام المصلح وكذا القاضي عياض^(٢).

٨٤٩. المصلي

الصلاة هي المعراج والخروج من عالم الناسوت إلى عالم الملكوت، فإذا قيل للنبي عليه السلام المصلي فهو يعني معراجه وعروجه وارتفاعه في أطباق السماوات، ليشرف على الكائنات ويحيط بها خبراً كما أن كل من يرتفع يرى مساحات أوسع ويتمكن من مشاهدة ما لا يتمكن من مشاهدته قبل الارتفاع، فلما أراد الله سبحانه وتعالى أن يعرج بنبيه عليه السلام إلى سماواته السبع ليبارك عليه في أولاهن، ويعلمه في الثانية فرضه: أنزل الله محملاً

(١) الأعراف: ٩٦.

(٢) نظم درر السبطين: ٣٧، الشفاء: ١، ٢٣٣.

فيه أربعون نوعاً من أنواع النور كانت محدقة بعرش الله تغطي أبصار الناظرين، أما واحد فأصفر فمن أجل ذلك اصفرت الصفرة وواحد منها أحمر، فمن أجل ذلك احمرت الحمرة، وواحد منها أبيض فمن أجل ذلك أبيض البياض والباقي على سائر عدد الخلق من النور والألوان، وفي ذلك الحمل حلق وسلاسل من فضة.

ثم عرج به إلى السماء فنفرت الملائكة إلى أطراف السماء وخرت سجداً وقالت: سبح قدوس ما أشبه هذا النور بنور ربنا، فقال جبرئيل عليه السلام:
الله أكبر الله أكبر، ثم فتحت أبواب السماء واجتمعت الملائكة فسلمت... ثم زاده ربه أربعين نوعاً من أنواع النور لا يشبه النور الأول، قال عليه السلام: وزاده حلقاً وسلاسل وعرج به إلى السماء الثانية فلما قرب من باب السماء الثانية نظرت الملائكة إلى أطراف السماء وخرت سجداً وقالت: سبح قدوس رب الملائكة والروح ما أشبه هذا منك؟ قال: هذا محمد عليه السلام قالوا: وقد بعث؟ قال النبي عليه السلام: نعم.

قال النبي عليه السلام فخرجوا إليّ شبه المعانيق فسلموا عليّ.

وقال عليه السلام: ثم زادني ربي أربعين نوعاً من أنواع النور لا تشبه الأنوار الأولى ثم عرج بي إلى السماء الثالثة فنفرت الملائكة وخرت سجداً وقالت: سبح قدوس رب الملائكة والروح ما هذا النور الذي يشبه نور ربنا؟ فقال جبرئيل: أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله، فاجتمعت الملائكة وقالت: مرحباً بالأول ومرحباً بالآخر، ومرحباً بالحاضر ومرحباً بالناشر محمد خير النبيين وعلي خير الوصيين.

قال عليه السلام: ثم زادني ربي أربعين نوعاً من أنواع النور لا تشبه تلك الأنوار الأولى، ثم عرج بي حتى انتهيت إلى السماء الرابعة فلم تقل الملائكة شيئاً وسمعت دويماً كأنه في الصدور فاجتمعت الملائكة ففتحت أبواب السماء وخرجت إليّ شبه المعانيق، فقال جبرئيل: حيّ على الصلاة

حي على الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح، فقالت الملائكة: هي لشيعته إلى يوم القيامة.

ثم قيل لي: ارفع رأسك يا محمد، فرفعت رأسي فإذا أطباق السماء قد خرقت والحجب قد رفعت، ثم قال لي: طأطأ رأسك انظر ماذا ترى، فطأطأت رأسي فنظرت إلى بيت مثل بيتكم هذا وحرم مثل حرم هذا البيت لو ألقيت شيئاً من يدي لم يقع إلا عليه، فقيل لي: يا محمد إن هذا الحرم وأنت الحرام ولكل مثل مثل، ثم أوحى الله إلي يا محمد أدن من صاد فاغسل مساجدك وطهرها وصل لربك، فدنى رسول الله ﷺ من صاد وهو ماء يسيل من ساق العرش الأيمن فتلقى رسول الله ﷺ الماء بيده اليمنى فمن أجل ذلك صار الوضوء باليمين، ثم أوحى الله عز وجل إليه: أن اغسل وجهك فإنك تنظر إلى عظمتي ثم اغسل ذراعيك اليمنى واليسرى فإنك تلقى بيدك كلامي ثم امسح رأسك بفضل ما بقي في يديك من الماء ورجليك إلى كعبيك فإني أبارك عليك وأوطنك موطناً لم يظأه أحد غيرك، فهذا علة الأذان والوضوء، ثم أوحى الله عز وجل إليه: يا محمد استقبل الحجر الأسود وكبرني على عدد حجتي فمن أجل ذلك صار التكبير سبعاً؛ لأن الحجب سبع، فافتتح عند انقطاع الحجب، فمن أجل ذلك صار الافتتاح سنة والحجب متطابقة بينهما بحار النور وذلك النور الذي أنزله الله على محمد ﷺ فمن أجل ذلك صار الافتتاح ثلاث مرّات لافتتاح الحجب ثلاث مرّات فصار التكبير سبعاً والافتتاح ثلاثاً، فلما فرغ من التكبير والافتتاح أوحى الله إليه: سم باسمي فمن أجل ذلك جعل بسم الله الرحمن الرحيم في أول السورة ثم أوحى الله إليه أن اهدني، فلما قال: الحمد لله رب العالمين قال النبي ﷺ في نفسه: شكراً، فأوحى الله عز وجل إليه: قطعت حمدي فسم باسمي، فمن أجل ذلك جعل في الحمد الرحمن الرحيم مرتين، فلما بلغ ولا الضالين قال النبي ﷺ: الحمد لله رب العالمين شكراً، فأوحى الله إليه قطعت ذكري، فسم باسمي،

فمن أجل ذلك جعل بسم الله الرحمن الرحيم في أول السورة. ثم أوحى الله عز وجل إليه: اقرأ يا محمد نسبة ربك تبارك وتعالى: قل هو الله أحد، الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ثم أمسك عنه الوحي، فقال رسول الله ﷺ: كذلك الله كذلك الله ربنا، فلما قال ذلك أوحى الله إليه: اركع لربك يا محمد، فركع فأوحى الله إليه وهو راکع قل: سبحان ربي العظيم، ففعل ذلك ثلاثاً، ثم أوحى الله إليه: أن ارفع رأسك يا محمد، ففعل رسول الله ﷺ، فقام منتصباً فأوحى الله عز وجل إليه أن اسجد لربك يا محمد، فخر رسول الله ﷺ ساجداً، فأوحى الله عز وجل إليه قل: سبحان ربي الأعلى، ففعل ذلك ثلاثاً، ثم أوحى الله إليه: استو جالساً يا محمد، ففعل، فلما رفع رأسه من سجوده واستوى جالساً نظر إلى عظمته تجلت له فخر ساجداً من تلقاء نفسه لا لأمر أمر به فسيح أيضاً ثلاثاً، فأوحى الله إليه: انتصب قائماً، ففعل فلم ير ما كان رأى من العظمة، فمن أجل ذلك صارت الصلاة ركعة وسجدين، ثم أوحى الله عز وجل إليه: اقرأ بالحمد لله فقرأها مثل ما قرأ أولاً، ثم أوحى الله عز وجل إليه: اقرأ إنا أنزلناه فإنها نسبتك ونسبة أهل بيتك إلى يوم القيامة، وفعل في الركوع مثل ما فعل في المرة الأولى، ثم سجد سجدة واحدة، فلما رفع رأسه تجلت له العظمة فخر ساجداً من تلقاء نفسه لا لأمر أمر به فسيح أيضاً، ثم أوحى الله إليه: ارفع رأسك يا محمد ثبتك ربك، فلما ذهب ليقوم قيل: يا محمد اجلس فجلس، فأوحى الله إليه: إذا ما أنعمت عليك فسم باسمي، فألم أن قال: بسم الله وبالله ولا إله إلا الله والأسماء الحسنی كلها لله، ثم أوحى الله إليه: يا محمد صلّ على نفسك وعلى أهل بيتك فقال: صلى الله عليّ وعلى أهل بيتي وقد فعل، ثم التفت فإذا بصفوف من الملائكة والمرسلين والنبیین، فقيل يا محمد: سلّم عليهم، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فأوحى الله إليه أن السلام والتحية والرحمة والبركات أنت وذريتك، ثم أوحى الله أن لا يلتفت

يساراً، وأول آية سمعها بعد قل هو الله أحد وإنا أنزلناه آية أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، فمن أجل ذلك كان السلام واحدة تجاه القبلة، ومن أجل ذلك كان التكبير في السجود شكراً، وقوله: سمع الله لمن حمده؛ لأن النبي ﷺ سمع ضجة الملائكة بالتسبيح والتحميد والتهليل فمن أجل ذلك قال: سمع الله لمن حمده، ومن أجل ذلك صارت الركعتان الأوليان كلما أحدث فيهما حدثاً كان على صاحبهما إعادتهما، فهذا الفرض الأول في صلاة الزوال، يعني صلاة الظهر^(١).

ولو عدلنا إلى لسان العصر لقلنا إن كل من ينقطع عن هذه الدنيا وما فيها من الملائذ والملاهي ويصير في صدد التفكير في هذا العالم وأسراره وهو يصر على الإجابة على السؤال الذي يطرح نفسه دائماً، وهو ما العلة في خلق هذا الكون وما السبب والحكمة في خلق الإنسان بهذه الأعداد الهائلة مع منحه القدرة الجبارة المتمثلة في العقل، وما الوجه في إيجاده ولأي شيء أوجده الله سبحانه وتعالى بهذه الأوصاف؟ فلا يقتنع أي عاقل إذا حكّم عقله فقط أنه مخلوق لأجل أن يأكل ويشرب وينام وينكح ويعمل ويكد، فما أن يلحّ في ذلك السؤال إلا ويصل إلى أنه مخلوق ليعرف ربه ويعظمه، وأنه إذا شاهد عظمة الخلق وأقطار السماوات أذعن بأن الله سبحانه هو أكبر وليس كبيراً فقط، وإذا شاهد النظم الحاكم على هذا العالم شهد أنه واحد لا إله إلا هو ولا شريك له ينافسه ويكابره ويوجد الاختلال فيما خلقه ودبره وإذا شاهد نعمه حمده وبالتالي يصل إلى هذه النتيجة ويقف عند هذا الجواب أن الله سبحانه الذي خلق الإنسان إنما خلقه ليعرفه ويخضع أمامه ويعظمه، ويتعبد له، فإذا أراد إظهار نهاية العبودية والتعظيم اقتبس من كل ما هو موجود بين الأمم من أنواع

(١) الكافي ٣: ٤٨٢ ح ١ عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن

أذينة عن أبي عبد الله عليه السلام، والسند معتبر.

الخضوع والعبودية فتتشكل عنده مجموعة من الأعمال التي هي الالتفات إلى الله سبحانه وتعظيمه وتنزيهه والانحناء أمامه وقد يسقط للسجود له سبحانه، وتبقى أجزاؤها وشرائطها متكامل بمرور الزمان مثل أنواع المركبات حتى تتشكل تآجزاء والشرائط المعروفة للصلاة وتشابهها، ولكن هذا كله على فرض حصول الانقطاع والالتفات والإعراض عما في هذه الدنيا، الأمر الذي لا يتحقق عادة ولا يحصل ذلك الالتفات إلا بأمر الله سبحانه وتعالى مما نسميه التوفيق أو الإلهام أو حتى الوحي، وإلا فنفس الصلاة التي يصلحها المسلمون هو أمر موافق للجبلة بل جميع أحكام الشريعة هي الموافقة للفترة.

ثم إن هذه الصلاة وأجزائها ما هي إلا معارج وأدراج تتصعد من خلالها روحية الإنسان إذا جيء بها على حقيقتها، وتكون المرحلة الأولى هي تجاوز هذا العالم بما يسمى بالسماء الأولى، لأن الإنسان إذا أمعن النظر في هذا العالم وعرف بعض زواياه ضاق في عينيه وصار يتأمل إلى ما وراءه، فكل من يفتح أرضاً أو يكتشفها يشرع في التأمل بما وراءها وهكذا، غير أن التأمل في السماوات العلى يكون ذهنياً يقترّب معه إلى خالقها وبارئها لما يجده من عظمتها والأسرار التي فيها.

ولو عدلنا عن تلك الصلاة المعراجية وهذه الصلاة الفطرية وصرنا إلى ملاحظة الخطابات الشرعية فإن النبي ﷺ هو المخاطب الحقيقي بإقامة الصلاة؛ لأن صلاته هي الصلاة الحقيقية، خصوصاً عند نزول الخطاب التفصيلي في الصلوات المفروضة، وهن خمس صلوات في الليل والنهار سماهن الله وبينهن في كتابه، فقل عز وجل لنبيه: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾^(١) ودلوكها زوالها، ففيما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل

أربع صلوات سماهن وبينهن ووقتهن، وغسق الليل انتصافه ثم قال: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾^(١) فهذه الخامسة، وقال في ذلك: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾ وطفاه المغرب والغداة ﴿وَوَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾^(٢) وهي صلاة العشاء الآخرة، وقل: ﴿حَافِظُوا عَلَيَّ الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى﴾^(٣) وهي صلاة الظهر وهي أول صلاة صلاها رسول الله ﷺ^(٤).

وقل تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^(٥)

لنجد أن أكثر الخطايا هي خطاب للنبي ﷺ، فهو المطلوب منه الصلاة؛ لأن صلاته هي الصلاة الحقيقية، وهو المصلي الحقيقي الذي ينحني بدون اختيار لما يشاهده من عظمة الله سبحانه ويقع للسجود كذلك بدون اختيار لما عرفه من آلائه.

و بعد ملاحظة جميع ذلك نعرف النرجه في جعل ابن شهر آشوب أحد

أسماء النبي ﷺ هو المصلي؛ مستدلاً بقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَاتْحَرُ﴾^(٦).

٨٥٠. المطاع

لم يكن الرسول ﷺ مطاعاً يوم كان بكمة، وإنما كان مضطهداً ومجحوداً هو ودعوته، ولم يكن يطيعه سوى من آمن به إيماناً صادقاً كزوجته

(١) الإسراء: ٧٨.

(٢) هود: ١١٤.

(٣) البقرة: ٢٣٨.

(٤) انظر الكافي ٣: ٢٧١ ح ١، ودعائم الإسلام ١: ١٣١.

(٥) طه: ١٤.

(٦) المناقب ١: ١٣٠ والآية في سورة الكوثر: ٢.

خديجة وابن عمه علي بن أبي طالب عليهما السلام الذي لم يخالف له أمراً، ولم يترك أن يقفو له أثراً.

نعم عندما انتقل الرسول ﷺ إلى المدينة وصار الناس يدخلون في دين الله سبحانه بشكل ملحوظ إلى يوم إمساكه بزمام أمر المدينة والسيطرة على قبيلتي الأوس والخزرج وتمكنه من دفع عادية قريش وغيرها من القبائل المحاربة تحققت الطاعة له بشكليها الاعتقادي والسياسي باعتبار إمساكه بزمام القدرة السياسية والزعامة الدينية، فمن آمن به واعتقد بلزوم طاعته أطاعه لذلك، ومن لم يؤمن به -ولو في واقع الحال - صار يهابه لأنه الحاكم السياسي المبسوط إليده، وهكذا كلما بسط سيطرته على ناحية من النواحي تحققت الطاعة بنحوها إلى يوم وفاته عليه السلام، وهي طاعة إجمالية، لأن الكثير ممن حوله يطيعه في شيء ويعصيه في آخر، ويطيعه إذا حضر ويعصيه إذا غاب، حتى أن البعض منهم صار يجترئ عليه مثلما اتفق عندما حضرته الوفاة وقال: «أتوني قرطاساً ودواة اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي أبداً» فقال عمر: اتركوه إن الرجل ليهجر^(١)، وما أن توفي حتى ترك إطاعته العموم وخالفوه في وصيته بعلي بن أبي طالب، فقاموا بإقصائه وإجلاسه في داره، نعم كانت الإطاعة الإجمالية باقية على الدوام بل صارت تتأكد بعد وفاته بمرور الزمن وحصول الفورة في تذاكر حديثه والحرص على جمعه وتدوينه والتعبد بدقائقه والالتزام بعامة توصياته، ومتابعة أمره ونهيه مع الالتفات إلى عبث اليد الأموية وغيرها بتلك الأحاديث والأخبار.

ولكن من المسلم حصول التوسع في هذا المجال بعد فتح البلدان المختلفة، واتساع رقعة الإسلام لتبلغ حدود الشرق والغرب.

(١) مسند أحمد بن حنبل ١: ٣٢٥، ٣٣٦، ٣٥٥، وج ٣: ٣٤٦، صحيح البخاري ١:

٣٧، وج ٥: ١٣٨، وج ٧: ٩، وج ٨: ١٦١، وصحيح مسلم ٥: ٧٦.

وسياتي اليوم الذي يحكم دينه العالم، ويطيع أوامره عامة الناس بعد ظهور ابنه المهدي المنتظر (عج) وتكون أوامره مطاعة وتوصياته متبعة بشكل ملحوظ وعام، أي حسب ما هو مفروض ومقدّر له ومبتغى من وراء قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾^(١) وخروجه من القوة إلى الفعل.

ولما كان هذا الاسم منتزعا من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ
ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۖ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ﴾^(٢) مع حصول الترديد في الموصوف بذلك الوصف وهل هو جبرئيل أو النبي وذهاب الأكثر إلى أنه جبرئيل، نكتفي بحدود الدليل الدال على أنه النبي ﷺ فإنه يفرض إطاعة أخرى غير التي تكلمنا عنها.

فقد ورد في تفسير القمي عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿مُطَاعٌ
ثَمَّ أَمِينٌ﴾ قال: «يعني رسول الله ﷺ هو المطاع عند ربه الأمين يوم القيامة»^(٣) مما لا يزيد على إرادة استجابة دعائه، وتنفيذ رغباته لأنه حبيبه، أو أنه المفروض الطاعة عنده سبحانه وتعالى.

٨٥١. المطلبي

لما ظفر سيف بن ذي يزن من العرب بالحبيشة وذلك بعد مولد النبي ﷺ بسنتين أتاه وفد العرب وأشرافها وشعراؤها بالتهنئة، تمدحه وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه، فأتاه وفد من قريش ومعهم عبد المطلب بن هاشم، وأمّية بن عبد شمس، وعبد الله بن جدعان، وأسر بن خويلد بن

(١) النساء: ٥٩.

(٢) التكويد: ١٩، ٢١.

(٣) تفسير القمي ٢: ٤٠٨.

عبد العزى، ووهب بن عبد مناف في أناس من وجوه قريش، فقدموا عليه صنعاء فاستأذنوا، فإذا هو في رأس قصر يقال له غمدان، فدخل عليه الآذن فأخبره بمكانهم، فأذن لهم، فلما دخلوا عليه دنا عبد المطلب منه فاستأذنه في الكلام، فقال له: إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك، قال، فقال عبد المطلب: إن الله قد أحلك أيها الملك محلاً رقيقاً صعباً شامخاً باذخاً.

قال: وأيهم أنت أيها المتكلم؟ قال: أنا عبد المطلب بن هاشم، قال: ابن اختنا؟ قال: نعم، قال: أدن، فدنا، ثم أقبل على القوم وعليه... ثم قال: انهضوا إلى دار الضيافة والوفود.

فأرسل إلى عبد المطلب فأذنى مجلسه وأخلاه ثم قال له: يا عبد المطلب إنني مفوض إليك من سرّ علمي أمراً ما لو كان غيرك لم أبح له به، ولكني رأيتك معدنه فاطلعتك طلعة، فليكن عندك مطوباً حتى يأذن الله فيه، فإن الله بالغ أمره، إنني أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي اخترناه لأنفسنا واحتجنا^(١) دون غيرنا خبراً عظيماً وخطراً جسيماً فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة، ولك خاصة قال: إذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة كانت له الإمامة ولكم به الدعامة إلى يوم القيامة، هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد فيه، اسمه محمد يموت أبوه وأمّه، ويكفله جدّه وعمه، وقد ولد سراراً، والله باعته جهاراً، وجاعل له منه أنصاراً، ليعز بهم أوليائه، ويدل بهم أعداءه، يضرب بهم الناس عن عرض، ويستفتح بهم كرائم الأرض، يكسر الأوثان ويخمد النيران ويعبد الرحمن ويدحر الشيطان، قوله فصل: وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبظله. ثم قال: والبيت ذي الحجب والعلامات

(١) كذا، وفي البحار ١٥: ١٨٨، واخبرناه، وفي نسخة من كمال الدين: وحجبتاه،

وفي الكنز: واحتجبتاه، ويحتمل أن يكون واحتجنا: أي جذبتاه.

على النصب، إنك يا عبد المطلب لجده غير كذب.

قال: فخر عبد المطلب ساجداً، فقال له ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا أمرك فهل أحسست شيئاً مما ذكرته؟ فقال: كان لي ابن، وكنت به معجباً، وعليه رفيقاً، فزوجته بكريمة من كرائم قومي، اسمها آمنة بنت وهب، فجاءت بغلام سميته محمداً، مات أبوه وأمه، وكفلته أنا وعمه.

فقال ابن ذي يزن: إن الذي قلت لك ما قلت لك، فاحتفظ بابنك، واحذر عليه اليهود؛ فإنهم له أعداء، ولن يجعل الله لهم عليه سيلاً، واطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك؛ فإنني لست آمن أن تدخلهم النفاسة من أن تكون له الرئاسة...

ولو لا علمي بأن الموت محتاجي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى صرت ييشرب دار ملكه نصرة له، لكني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق أن يشرب دار ملكه...

ولو لا أني أخاف عليه الآفات وأحذر عليه العاهات لأعلنت على حداثة سنه أمره في هذا الوقت، ولأوطن أسنان العرب عقبه، فمات ذي يزن قبل أن يحول الحول.

فكان عبد المطلب كثيراً ما يقول: يا معشر قريش لا يغبطني رجل منكم مجزئ عطاء الملك فإنه إلى نفاذ، ولكن يغبطني بما يبقى لي والعقبى من بعدي ذكره وفخره وشرفه، وإذا قيل متى ذلك؟ قال: ستعلمن نبأ ما أقول ولو بعد حين^(١).

وإنما سردنا مجمل هذه القصة ليعلم سبب انتساب النبي ﷺ إلى عبد المطلب وتلقيه بالمطلبي، لما يمتلكه عبد المطلب من المفخر بسبب النبي ﷺ.

(١) كمال الدين: ١٧٦ ح ٣٢، البحار: ١٥: ١٨٨.

و الذي يهمننا في هذا الموضع التعرف على دين عبد المطلب من جامع الشواهد والقرائن، وهل هو مسيحي أو إبراهيمي أو غير ذلك؟ ولما كانت القرائن والشواهد تحكي عن كون عبد المطلب من الموحدين وهذا اعتقادنا في جميع آباء النبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾^(١) وغيرها من الأدلة القطعية المسلمة عندنا، يبقى الكلام في ديانته ومعتقده، والقصص الكثيرة الدالة على استجابة دعائه في قصة الفيل وغيرها.

و السير الطبيعي للأديان الإلهية هو أن ينسخ الدين اللاحق الدين السابق، فاليهودية نسخت الإبراهيمية والمسيحية نسخت اليهودية، وهكذا، وإلا كانت الأديان كلها صحيحة ومنجية على الإطلاق، الأمر الذي لا يقبله أحد من أرباب الديانات.

و مع ذلك لا يمكن الاكتفاء بالقول بأن عبد المطلب كان على الإبراهيمية ولا اليهودية؛ كما ليس هناك أي شاهد على أنه كان على المسيحية.

فالصحيح الذي أذهب إليه هو أنه كان على الإسلام، رغم عدم بعثة النبي ﷺ بعد، أو حتى عدم ولادته.

فما المانع من ذلك مع الالتفات إلى عدم بقاء المسيحية الصحيحة وليس هناك رجل يعرف ذلك المذهب كما مر في قصة سلمان الفارسي المارة في عنوان قابل الهدية.

إذا جمع ذلك مع عدم لزوم شيء في أول الإسلام سوى شهادة أن لا إله إلا الله، أو الشهادتين معاً، وهذا أمر ممكن الحصول قبل بعثة النبي ﷺ ولا

يكون مطلوباً حينها أكثر من اعتقاد التوحيد ومعرفة الرسول المنتظر بالعلامات أمر له قرائنه وشواهد.

وقد دلّ على ذلك كتاب الله سبحانه وتعالى حيث يخبرنا الله سبحانه وتعالى في قصة موسى عليه السلام أنه كان لموسى عليه السلام شيعة وهم عارفون بأمره، وبولايته متمسكون، ولدعوته منتظرون قبل إظهار دعوته ومن قبل دلالاته على نفسه حيث يقول: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾^(١) وقال عز وجل حكاية عن شيعة: ﴿قَالُوا أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمَنْ بَعْدَ مَا جِئْتَنَا﴾^(٢) الآية، فأعلمنا الله عز وجل في كتابه أنه كان لموسى عليه السلام شيعة من قبل أن يظهر من نفسه نبوة، وقبل أن يظهر له دعوة يعرفونه ويعرفهم بمولاة موسى صاحب الدعوى، ولم يكونوا يعرفون أن ذلك الشخص موسى بعينه، وذلك أن نبوة موسى إنما ظهرت من بعد رجوعه من عند شعيب حين سار بأهله من بعد السنين التي رعى فيها اشعيب حتى استوجب بها أهله فكان دخوله المدينة حين وجد فيها الرجلين قبل مسيره إلى شعيب.

وكذلك وجدنا نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد عرف أقوام أمره قبل ولادته وبعد ولادته وقبل بعثته، وعرفوا مكان خروجه ودار هجرته من قبل أن يظهر من نفسه نبوة ومن قبل ظهور دعوته، وذلك مثل سلمان الفارسي رحمه الله، ومثل قس بن ساعدة الأيادي، وبحيرى الراهب، ومثل كبير الرهبان في طريق الشام، ومثل أبي زيد بن عمرو بن نفيل، ومثل هولاء كثير ممن قد عرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بصفته وبعته واسمه ونسبه قبل مولده وآمنوا به وبلغوه

(١) القصص: ١٥.

(٢) الأعراف: ١٢٩.

السلام والإيمان به، والأخبار في ذلك موجودة عند الخاص والعام، وقصص هؤلاء المسمين وغيرهم تقدّمت في هذا الكتاب، وهي مذكورة بشكل أتم في الكتب الأخرى التي منها قصة سيف بن ذي يزن التي جاءت أول البحث.

والمطالع لحال عبد المطلب يجد القرائن والشواهد والأدلة على معرفته بالنبي ﷺ كالقصة السابقة أكثر مما عداها، خصوصاً بعد ولادة النبي ﷺ وشدة اهتمامه به.

فلا تثريب على القائل بأن عبد المطلب كان من المؤمنين بالنبي ﷺ وعلى شريعة الإسلام وأنه من شيعته وأنصاره، فأي نصره أكبر من كفالتة والاحتياط عليه، وتقديمه على أولاده مما تقدّم من الإشارة إليه.

وقد روي عن النبي ﷺ بضرق متعددة أن عبد المطلب يحشر يوم القيامة أمة واحدة، عليه سيماء الأنبياء، وهيبة الملوك، وذلك أنه أول من قال بالبداء^(١).

وكان عبد المطلب أرسل رسول الله ﷺ إلى رعاته في إبل قد نذت له فجمعها فأبطأ عليه، فأخذ بحلقة باب الكعبة، وجعل يقول: يا رب أتهلك آلك، إن تفعل فأمر ما بدا لك، فجاء رسول الله ﷺ بالإبل وقد وجه عبد المطلب في كل طريق وفي كل شعب في طلبه، وجعل يصيح: يا رب أتهلك آلك إن تفعل فأمر ما بدا لك، لما رأى رسول الله ﷺ أخذه فقبله وقال: يا بني لا وجهتك بعد هذا في شيء، فإني أخاف أن تُغتال فتقتل^(٢).

وهذا يعني أنه مصدق بأن الرسول ﷺ هو آل الله سبحانه وتعالى،

(١) الكافي ١: ٤٤٧ ح ٢٢، ٢٣، ٢٤.

(٢) الكافي ١: ٤٤٧ ح ٢٤.

غير أنه يتخوف حصول البداء.

فالدليل على صحة دينه وتوحيده هو بعثته أمة وحده بسيماء الأنبياء، وباقي الكلام يدل على أنه عارف بالنبى ﷺ المبعوث عن قريب، واقف على خبره كما مر في قصة سيف بن ذي يزن وغيرها من القرائن، وهذا يكفي في تلك البرهة، أعني ما قبل البعثة.

بالإضافة إلى أن القرآن دلّ على أنه من الساجدين، وله أحكام هي أحكام الإسلام، كما روي أن عبد المطلب عليه السلام سنّ في الجاهلية خمس سنن أجراها الله عز وجل في الإسلام حرّم نساء الآباء على الأبناء، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾^(١) ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس وتصدّق به، فأنزل الله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾^(٢) ولما حضر بشر زمزم سماها سقاية الحاج، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾^(٣) وسنّ في القتل مائة من الإبل، فأجرى الله عز وجل ذلك في الإسلام، ولم يكن للظواف عدد عند قريش فسنّ لهم عبد المطلب سبعة أشواط، فأجرى الله عز وجل ذلك في الإسلام.

وقال ﷺ: «إن عبد المطلب كان لا يستقسم بالأزلام ولا يعبد الأصنام ولا يأكل ما ذبح على النصب، ويقول: أنا على دين أبي إبراهيم»^(٤).

(١) النساء: ٢٢.

(٢) الأنفال: ٤١.

(٣) التوبة: ١٩.

(٤) الفقيه ٤: ٣٣٦ ح ٥٧٦٣.

ومن ذلك يعلم أن عبد المطلب كان أكثر من كونه مسلماً كواحد من المسلمين، بل مسلم له دور في بناء الإسلام.

ولكن هل أن قوله: «أنا على دين أبي إبراهيم» يوجد تلكؤاً في الاستدلال على كونه مسلماً؟ الظاهر لا، لأجل أن القرآن يحكي عن النبي ﷺ أنه قال ذلك أيضاً: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١) فهذا في الحقيقة تأييد آخر على أنه من شيعة النبي ﷺ وأنصاره.

ومهما يكن من ذلك فإن الافتخار بعبد المطلب له دواعيه ومسوغاته، ومنها افتخار علي عليه السلام به يوم أحد وقوله:

أنا ابن نبي الحوضين عبد المطلب وهاشم المطعم في العام السغب
أي الحوضين اللتين صنعهما عبد المطلب عند زمزم لسقاية الحاج^(٢).
وكذا جعل ابن شهر آشوب نسبة ﷺ: العربي، التهامي،
الأبطحي، اليثربي، المكي، المدني، القرشي، الهاشمي، المطلب^(٣).

٨٥٢. المطهر

ليس المراد بالمطهر هو من عرضت له النجاسة وتلطخ بالرجس والقذر ثم تمّ تطهيره فصار مطهراً؛ لأن ذلك مما ينافي العصمة التي نعتقدها في النبي ﷺ وأهل بيته، وإنما المراد المنع من عروض النجاسة عليه والحيلولة دون وصول القذارة إليه، فهو تطهير بمعنى الدفع لا الرفع.

(١) الحج: ٧٨.

(٢) الكافي ٨: ١١٣ ح ٩١.

(٣) المناقب ١: ١٣٤.

وهو المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١) وهذا هو المعنى الحقيقي للعصمة.

فإذا كانت الطهارة الجسدية هي خلوص الجسد عن القذر وأنواع النجاسات، فالطهارة الروحية بظاهر الحال خلوص صحيفة الأعمال من الأعمال القبيحة وغير الحسنة، وفي واقع الحال كما بينا في بحث الطاهر هو خلوه عن الصفات الجينية التي تدفع بالشخص نحو الخطيئة، الشيء الذي جاء التعبير عنه في الأخبار بالطينة، مع وجود قرائن كثيرة تدل على وجود دخل بما يسمّى بالعرق في صدور الذنوب أشرنا إلى بعض مصاديقه في كتاب الطب، ويحتاج استغراق الكلام فيه وفي حدود تأثيره إلى محل آخر.

فالرسول المصطفى ﷺ بمثابة لا يمكن عروض ما يخالف الطهارة عليه.

و إذا كان المطهّر اسم مفعول ويحتاج إلى فاعل على مقتضى القاعدة، فالفاعل كما هو معلوم من الآية هو الله سبحانه وتعالى، وهو أول من أطلق صفة المطهر على النبي ﷺ وذلك لما يروى أنه كان فيما أوصى به موسى عليه السلام أن قال له: أوصيك يا موسى وصية الشفيق المشفق بابن البتول عيسى بن مريم صاحب الإتان والبرنس والزيت والزيتون والحرايب، ومن بعده صاحب الجمل الأحمر الطيب الطاهر المطهر...^(٢).

وهي صفته ﷺ التي عرفه بها خيار الرهبان، مثل الراهب بحيرى الذي صادفته قافلة أبي طالب التي خرج بها إلى الشام للتجارة واستصحب معه النبي ﷺ، فلما نظر إلى النبي ﷺ عرفه فسأله عن أشياء

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) الكافي ٨: ٤٣ ح ٨.

ثم قال له: أنت سيد ولد آدم، وسيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين، والله لقد ضحكت الأرض يوم ولدت، فهي ضاحكة إلى يوم القيامة فرحاً بك، والله لقد بكت البيع والأصنام والشياطين فهي باكية إلى يوم القيامة، أنت دعوة إبراهيم وبشرى عيسى، أنت المقدس المطهر من أنجاس الجاهلية^(١).

وقد تكرر ذكر هذه الصفة في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام وأشعاره المنسوبة إليه التي منها ما أجاب به عنتر:

غشمشم القلب بذاك أذكر	أنا علي البطل المظفر
يلمع حافتيه برق يزهر	وفي يميني للقاء أحضر
منا النبي الطاهر المطهر	للطعن والضرب الشديد محضر
اليوم يرضيه ويجزي عنتر ^(٢)	اختاره الله العلي الأكبر

و أنشد يوماً في الميدان قائلاً:

ثم ابرزوا لي في الوغى وأبدروا	أنا علي فاسألوني تخبروا
منا النبي الطاهر المطهر	سيفي حسام وسناني يزهر

مما يدل على أهمية هذه الصفة ووجود أسرار فيها كما بينا.

٨٥٣. المطيب

التطيب أمحاء، فنحو منه الخلو من الخبائث والردائل والأرجاس الكريهة والأفعال القبيحة والأخلاق الرذيلة. ونحو منه السمعة الحسنة الناشئة من الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة ونحو منه الطيب المادي والعطر البدني.

(١) كمال الدين: ١٥٨ ح ٣٣.

(٢) البحار ٢١: ٣٨.

والرسول ﷺ هو المطيب بجوهر ذاته وأريج صفاته وبأعماله الصالحة وأخلاقه الفاضلة، وطيب عرقه بعد اهتمامه بالنظافة والطيب حتى روي عنه أنه قال: «حبب إلي من دنياكم النساء والطيب»^(١) وكان أثر الطيب يُرى عليه دائماً، حتى لُجِم من امتزاج طيبه عرقه وما يتطيب به - أنه إذا دخل موضعاً بقي عطره ليوم أو يومين في ذلك المكان، وقد تقدم الكلام عن طهارته التي هي أصل معنى الطيب وعن طيبه بمعنى أريجهِ وعطره المعنوي في عناوين متعددة.

على أن هذه الصفة جاءت فيما وعظ الله سبحانه وتعالى عيسى بن مريم عليه السلام أن قال له: ثم أوصيك يا ابن مريم البكر البتول بسيد المرسلين وحيبي، فهو أحمد صاحب الجمل الأحمر والوجه الأقرم... أمين ميمون طيب مطيب^(٢).

٨٥٤ . المظلل بالغمام

قد يعتبر البعض مثل هذا الوصف من الفكر الأسطوري النائي عن الواقع، لأنه لم يشاهد اليوم ما يناظره ويشاكله ونحن قد نعطيه الحق في ذلك لأننا في زمان ليس فيه نبي ولا وصي نبي ظاهر، ولكن يمكننا فرض قضيتين متعاكستين إحداهما أننا لو حدثنا أهل هذا الزمان عن إنسان تظَّله غمامة أينما ذهب وتسير أينما سار لراوه أقرب إلى الأسطورة من الواقع، والقضية الثانية أننا لو أخبرنا إنسان الماضي عن الطائرات والصواريخ والتلفون والتلفزيون لراهُ أقرب إلى الأسطورة من الواقع، بينما نفس هذا الإنسان يستقبل خبر التظليل بالغمام من دون استغراب ويرهوه وينقله من دون ترديد.

(١) الخصال: ١٦٥ ح ٢١٨.

(٢) الكافي ٨: ١٣٩، أمالي الصدوق: ٦١٢، البحار ١٤: ٢٩٧.

فمن الممكن أن نأخذ نتيجة حاسمة في هذا الشأن تتلخص في وجود تضاد وتعاكس بين المادة والمعنى، فكلما ابتعد الإنسان عن الماديات واقترب للمعنويات صار يرى آثار الأخير ويلمسها أكثر، ويكون تحققها في الخارج أكثر وأشمل، بينما إذا ابتعد عن المعنويات واقترب من الماديات، وصرف همه وفكره في الميدان الثاني صار يرى آثاره وتتحقق آثاره في الخارج أكثر.

ومن منكر الأعمال إنكار بعض أفراد البشر اليوم للمعجزات وتأثيرات الأرواح القوية مع تضايف الأخبار والنقل في جميع الشرائع، بل كيف يحصل التردد مع الاعتقاد بوجود الله سبحانه وتعالى القادر على كل ما يريد، وهل نستطيع انكار المعجزة لعدم وجودها اليوم فمع فرض أن الأنبياء هم رسل منه إلى البشر كيف يحصل التردد في تأييدهم بالمعجز وخوارق العادات، ثم ما السبب في هرع الناس وراء الأنبياء بكل ذلك الحجم وتركهم الملوك والعلماء الماديين وسائر عظماء العالم؟ أليس ذلك لأنهم شاهدوا منهم المعجز.

و نحن لما نعتقد أن الرسول المصطفى ﷺ هو حبيب الله سبحانه، فكيف نتردد في قبول عناية الله به من يوم ولادته.

تلك التي تجلت بتظليله بالغمام كلما اشتد عليه الحر أو كان في سفر بعيد الشقة طويل المسافة، ومن صغر سنه حيث وردت الأحاديث التي تخبرنا عن تحقق ذلك الأمر في مراحل مختلفة من عمره، منها المنقول عن مرضعته حليلة حيث قالت: انفلت مني رسول الله ﷺ فغفلت عنه فذهب إلى البهيم مع أخته الشيماء قبل البهيم على الماء، فخرجت أطلبه حتى وجدته على الماء، فقلت: أفي هذا الحر؟! فقالت أخته: فما وجد أخي حرأ، رأيت غمامة تظلل عليه، إذا وقف وقفت، وإذا سار سارت حتى

انتهى إلى هذا الموضع^(١).

ولعل هذا الحدث هو الذي حدثت به حليلة أمه آمنة بنت وهب، فإن المروي أن النبي ﷺ مكث عند بني سعد سنتين حتى فطم، فقدموا به على أمه زائرين لها وأخبرتها حليلة خبره وما رأوا من بركته، فقالت آمنة: ارجعي بابني فإني أخاف عليه وباء مكة، فوالله ليكونن له شأن، فرجعت به، ولما بلغ أربع سنين نزلت به إلى آمنة ثم رجعت به أيضاً وكان عندها سنة ونحوها لا تدعه يذهب مكاناً بعيداً، ثم رأت غمامة تظله إذا وقف وقفت وإذا سار سارت، فأفزعها ذلك أيضاً من أمره فقدمت به إلى أمه لترده وهو ابن خمس سنين^(٢). مما يبدو أنه لم يحدث ذلك قبله أو لم تتلفت إلى ذلك.

ثم القصة الثانية المروية هي قصة خروجه إلى الشام للتجارة مع عمه أبي طالب وله ثمان سنوات في رواية^(٣) وفي أخرى اثنا عشر سنة^(٤)، وفي ثالثة أنه لما بلغ رسول الله ﷺ أراد أبو طالب أن يخرج إلى الشام في غير قريش، فأخرج رسول الله ﷺ معه. وكانوا إذا ساروا تسير إلى رأس رسول الله ﷺ غمامة تظله من الشمس فمروا في طريقهم برجل يقال له بحيرى، فلما رأى الغمامة تسير معهم نزل من صومعته واتخذ لقريش طعاماً وبعث إليهم يسألهم أن يأتوه وقد كانوا نزلوا تحت شجرة. فبعث إليهم يدعوهم إلى طعامه فقالوا له: يا بحيرى والله ما كنا نعهد هذا منك، قال: قد أحببت أن تأتونني، فأتوه وخلفوا رسول الله ﷺ في الرحل، فنظر بحيرى إلى

(١) الثاقب في المناقب: ٩٠، الطبقات الكبرى لابن سعد: ١٥٢.

(٢) البحار: ١٥: ٤٠١.

(٣) كمال الدين: ١٨٢ ح ٣٣.

(٤) البحار: ١٥: ٤٠٩.

الغمامة قائمة، فقال لهم: هل بقي منكم أحد لم يأتني؟ فقالوا: ما بقي منا إلا غلام حدث خلفناه في الرحل، فقال: لا ينبغي أن يتخلف عن طعامي أحد منكم، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ فلما أقبل أقبلت الغمامة، فلما نظر إليه بحيرى قال: من هذا الغلام؟ قالوا: ابن هذا، وأشاروا إلى أبي طالب، فقال له بحيرى: هذا ابنك؟ قال أبو طالب: هذا ابن أخي، قال: ما فعل أبوه؟ قال: توفي وهو حمل، فقال بحيرى لأبي طالب: رد هذا الغلام إلى بلادك، فإنه إن علمت به اليهود ما أعلم منه قتلوه، فإن لهذا شأن من الشأن، هذا نبي هذه الأمة، هذا نبي السيف^(١).

وتتكرر القصة عندما خرج النبي ﷺ بأموال خديجة للتجارة إلى الشام وصادف حمزة راهباً سأله عن النبي وعرفه بصفاته فقال: سيدي هذا سفر فيه صفة النبي ﷺ لا بالطويل الشاهق ولا بالقصير اللاصق، معتدل القامة، بين كتفيه علامة، تظله الغمامة، يبعث من تهامة، شفيع العصاة يوم القيامة، قال العباس: يا راهب إذا رأيته تعرفه؟ قال: نعم، قال: سر معي إلى الشجرة، فإن صاحب هذه الصفة تحتها، فخرج الراهب من الدير يهرول في خطواته حتى لحق بالنبي ﷺ، فلما رآه نهض قائماً لا متكبراً ولا متجبراً، فقال: مرحباً بالفيلق، بعد ما قال له الراهب: السلام عليك يا أبا الفتيان، فقال الراهب: وما أدراك أني الفيلق بن اليونان بن عبد الصليب؟ قال: الذي أخبرك أني أبعث في آخر الزمان بالأمر العجيب، فانكب الراهب على قدميه يقبلهما وهو يقول: يا سيد البشر لعلك أن تحييب لوليمتنا لتحصل لنا بها الكرامة، ونفوز بمحبتك يوم القيامة، وتستمر هذه القصة حتى يرى الراهب والرهبان حوله خاتم النبوة وسطع منه نور ساطع، فلما رآه الراهب خر ساجداً هيبه من ذلك النور، ثم رفع رأسه وقال: هو أنت حقاً.

ثم إن حمزة أنشأ يقول:

أنت المظلل بالغمام وقد رأى الرهبان أنك ذاك وانكشف الخبر
ربيت في بجوح مكة بعد ما وضع الخليل وفاق فخرك من فخر
ورضعت في سعد لثدي حليمة كرمًا ففاض الثدي نحوك والنحدر^(١)

ولما رجعت قافلة قريش من ذلك السفر، تقدم محمد ﷺ على راحلته، وكانت خديجة في ذلك اليوم جالسة على غرفة مع نسوة فوق سطح لها، فظهر لها محمد ﷺ راكباً، فنظرت خديجة إلى غمامة عالية على رأسه تسير بسيره، فقالت للنسوة معها، يا هؤلاء ما ترين أن لهذا الرجل قدراً عظيماً؟ أما ترينه منفرداً وعلى رأسه غمامة تسير بمسيره، وتقف لوقوفه، وتظله من الحر والبرد^(٢).

و يستمر هذا الحال إلى ما بعد البعثة والهجرة حيث يحدثنا سلمان الفارسي عن قصة إسلامه ويقول: بينا أن في حائط إذ أنا بسبعة رهط قد أقبلوا تظلمهم غمامة، فقلت في نفسي: والله ما هؤلاء كلهم أنبياء، ولكن فيهم نبياً، قال: فأقبلوا حتى دخلوا الحائط والغمامة تسير معهم، فلما دخلوا إذا فيهم رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين الكليل وأبو ذر والمقداد وعقيل بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة، ثم يذكر قصة الصدقة والهدية وغيرها^(٣).

ولا اعتقد أن المراد من التظليل بالغمام هو الدوام وعدم سقوط ضوء الشمس عليه أبداً بحيث كلما خرج من الدار جاءت الغمامة وصارت فوق رأسه، وإلا لخصع له أعتى قريش، وإنما ذلك في بعض المواضع التي

(١) البحار ١٦: ٤٣، مستدرک سفینه البحار ٥: ٤٣٨.

(٢) انظر الخرائج والجرائح ١: ١٤٠، والهداية الكبرى: ٥١.

(٣) كمال الدين: ١٦٤.

يشد فيها الحر ويكون مؤذياً، خصوصاً في السفر الطويل الشقة، كما أن السحابة هي سحابة طبيعية على ما يبدو قد لا يلتفت الكثير إلى متابعتها الرسول ﷺ ولذا لم ينقل ذلك سوى من كان له خبر عن تظليله بالغمام كالرهبان أو من عاشه لمدة طويلة كمرضته.

و يؤكد هذا المعنى ويؤيده المروي عن الإمام الهادي عليه السلام في حديث طويل قال: «أما العمامة فإن رسول الله ﷺ كان يسافر إلى الشام مضارباً لخديجة بنت خويلد، وكان من مكة إلى بيت المقدس مسيرة شهر، وكانوا في حمارة القبيظ يصيبهم حر تلك البوادي، وربما عصفت عليهم الرياح وسفت عليهم الرمال والتراب، وكان الله تعالى في تلك الأحوال يبعث لرسول الله ﷺ غمامة تظله فوق رأسه تقف لوقوفه، وتزول لزواله، إن تقدم تقدمت، وإن تأخر تأخرت، وإن تيامن تيامنت، وإن تياسر تياسرت، فكانت تكف عنه حر الشمس من فوقه، وكانت تلك الرياح المثيرة لتلك الرمال والتراب تسفها في وجوه قريش ووجوه رواحها حتى إذا دنت من محمد ﷺ هدأت وسكنت ولم تحمل شيئاً من رمل ولا تراب، وهبت عليه ريح باردة لينة حتى قوافل قريش يقول قائلها: جوار محمد ﷺ أفضل من جوار خيمة، فكانوا يلوذون به ويستقربون إليه، فكان الروح يصيبهم بقربه، وإن كانت العمامة مقصورة عليه، وكان إذا اختلط بتلك القوافل غرباء، فإذا العمامة تسير في موضع بعيد منهم، قالوا: إلى من قرنت هذه العمامة فقد شرف وكرم...»^(١).

و إن كان هناك روايات تتحدث عن غمامة غير طبيعية تنقل بعض الأشياء للنبي ﷺ كبعض الفواكه أو الطعام أو الأوعية، مثل ما يروى عن أنس من أن النبي ﷺ وعلياً أتيا نحو البقيع وإذا غمامة قد أظلتهما،

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام : ١ : ١٥٥ ح ٧٧، وعنه في البحار ١٧ : ٣١٧.

ورأيت النبي ﷺ وقد مد يده إلى شيء يأكل وأطعمم علياً عليه السلام حتى توهمت أنهما قد شبعوا، ثم رأيت النبي ﷺ وقد مد يده إلى شيء وقد شرب وسقى علياً عليه السلام حتى قدرت أنهما قد شربا ربهما^(١).

و في رواية أخرى أن النبي ﷺ كان في رحبة مسجده وطائفة من المهاجرين والأنصار حوله إذ طلعت غمامة ولها زجل بالتسييح وهفيف قال رسول الله ﷺ: قد شاهدته من عند الله ثم مد يده إلى الغمامة فنزلت ودنت من يده فبدا منها جام يلمع حتى غشيت أبصار من في المسجد من لمعانه وشعاع نوره^(٢)...

فلا يمكن أن تكون هذه غمامة، بل هي من الوسائل الثقيلة الفوق المتطورة مثل البراق وما يشبه الطائرات، ألا ترى أن إنسان ذلك اليوم لو رأى طائرة بيضاء قال هي غمامة، خصوصاً وهذه الأخبار تتحدث عن صوت وهفيف وجام يلمع وغيره.

٨٥٥. مظهر الإسلام

إن تنوع الديانات واختلافها وتعددتها مشهود في العالم بحيث يعسر حصرها وإحصاؤها كما أن بعض الأديان المعروفة يفوق أتباعها على أتباع الإسلام بكثير كالبودية والمسيحية، بينما العنوان المتحدث عنه يعبر عن ظهور الإسلام بواسطة النبي ﷺ، فإذا كان المراد مجرد بزوغ شمس الإسلام من دون إرادة غلبة ولا ظهور على سائر الأديان فلا إشكال في ذلك، ولكن المتصور أن المراد هو الغلبة والظهور على جميع الأديان، بمعنى زيادة عدد أتباعه على أتباع سائر الأديان في المرحلة الأولى، واضمحلال سائر

(١) الثاقب في المناقب: ٥٩، أمالي الشيخ الطوسي: ٢٨٣.

(٢) الهداية الكبرى: ١٦٤.

الأديان أمامه ليكون الدين ديناً واحداً في المرحلة الثانية.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلِنُكْفِرَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(١) فهذا هو الموعد به والمدبر له والغاية المقصودة من اليوم الأول.

ولا شك أن العقل المدبر لتلك الخطة هو نفس الرسول المصطفى ﷺ ابتداءً من إيجاده الصدع في سور المشركين والكتابين ليتوسّع ذلك الحرق في جدار كل سور من تلك الأديان شيئاً فشيئاً ضمن سياسة تدريجية أسسها الرسول ﷺ ويقوم بضمانها وتأمينها كل واحد من الأئمة المعصومين من بعده حتى تنتهي بانهيار تلك الأسوار شيئاً فشيئاً، حتى إذا قام قائم آل محمد عليه السلام لم يبقَ شيء من تلك الأديان وتتحقق الغلبة المقصودة والظهور المخطط له.

فقد ظهر الإسلام في مجتمع الشرك الوثني وسرعان ما تغلب عليه وأنهاه، ثم صار يسري إلى داخل البلاد المجوسية والمسيحية والبوذية، فما لبث أن انهارت الديانة المجوسية أمامه ولم يبقَ منها شيء يذكر، ثم سرى إلى ديار البوذيين ليكتسح مساحات عظيمة منه تشمل الباكستان واندونيسيا وماليزيا والهند وما زال يكتسح باقي بلدانه.

كما اكتسح البلدان المسيحية كبلاد الشام والأناضول والقفقاز وبعض دول أوروبا، وهو في طريقه إلى باقي البلاد المسيحية وغيرها كدول قارة أفريقية.

ولما كان ذلك هذا المعنى الدقيق لا يتيسر لكل أحد، وكذا ما تنتهي إليه سياسة الرسول ﷺ في النتيجة؛ لأنه بحاجة إلى حسابات معقدة

ودقيقة، مما هو خارج عن حسابات الأرضيين، لذلك أخبر به القرآن، وجاء تأويله عن طريق أهل البيت عليهم السلام.

فقد قال المفضل بن عمر لأبي عبد الله عليه السلام: يا مولاي فما تأويل قوله تعالى ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(١) قال: «هو قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾^(٢) فوالله يا مفضل ليرفع عن الملل والأديان الاختلاف، ويكون الدين كله واحداً كما قال جلّ ذكره: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٣) وقد الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٤)»^(٥).

وفي خبر آخر يقول المفضل: يا مولاي بقي لي ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ما كان رسول الله يظهر على الدين كله؟ قال: «يا مفضل ظهر عليه علماً، ولم يظهر علمه عليه، ولو كان ظهر عليه ما كانت مجوسية ولا يهودية ولا جاهلية ولا عبدة الأصنام والأوثان، ولا صابئة ولا نصرانية ولا فرقة ولا خلاف ولا شك ولا شرك ولا أولو العزة ولا عبدة الشمس والقمر والنجوم ولا النار ولا الحجارة، وإنما قوله ليظهر في هذا اليوم وهذا المهدي...»^(٦) ومعناه أن النبي صلى الله عليه وآله علم أنه سيظهر على الدين كله.

(١) التوبة: ٣٣.

(٢) الأنفال: ٣٩.

(٣) آل عمران: ١٩.

(٤) آل عمران: ٨٥.

(٥) مختصر بصائر الدرجات: ١٨٠.

(٦) الهداية الكبرى: ٤٢٩.

وفي أخبار متعددة أن هذه الآية لم يأت تأويلها بعد وأنه إذا خرج القائم لم يبقَ مشرك بالله العظيم ولا كافر إلا كره خروجه^(١).

ولما كان الإظهار على الدين كله منسوباً إلى الرسول ﷺ مع تحققه عند ظهور الإمام المهدي عليه السلام فيه من الدقة ما لا يخفى ولم يكن بمستوى علم الأرضيين أخبر بهذه الصفة جبرئيل الأمين حينما قعد النبي ﷺ عند عين فنزل جبرئيل وقال: السلام عليك يا مظهر الإسلام^(٢).

٨٥٦. معتدل الأمر

يروى أن الحسين عليه السلام قال: «سألت أبي عن مخرج رسول الله ﷺ^(٣) كيف كان يصنع فيه؟ فقال: كان رسول الله ﷺ يحزن لسانه إلا عما كان يعنيه، ويؤلفهم ولا ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم ويؤليه عليهم، ويجذر الناس، ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره ولا خلقه، ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويوهنه، معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا ويميلوا، ولا يقصر عن الحق ولا يجوز، الذين يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة للمسلمين، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة»^(٤).

(١) تفسير العياشي ٢: ٨٧، تفسير فرات الكوفي: ٤٨١ ح ٦٢٧، تفسير مجمع

البيان ٥: ٤٥، كمال الدين: ٦٧٠ ح ١٦.

(٢) الفضائل لشاذان: ٣١، ٥٢ البحار ١٥: ٣٥١.

(٣) أي ما كان يعمل خارج الدار وكيف يعامل الآخرين.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٧٦، ١٧٨، معاني الأخبار: ٨٠، مجمع الزوائد

للهيتمي ٨: ٢٧٣، البحار ١٦: ١٤٩.

وقد فسّر هذا الحديث اعتدال أمر رسول الله ﷺ، ولعله من المهام الصعبة أن يحفظ الإنسان الاعتدال على الدوام في كل أفعاله، كلامه، وحذره، وانتباهه، ورعاية الحقوق، ودوام البشر، وحسن الخلق، بحيث لا يزيد مرة وينقص مرة كما هو مشهود في حال سائر البشر، فإنك تجد الإنسان متئداً يوماً وفي آخر مثرثراً، يتسم يوماً في وجوه الآخرين ولا يفعل ذلك في يوم آخر، ويغفل مرة ولا يغفل مرة أخرى، ولعل اختلاف الأحوال وحصول التقلبات من طبع الإنسان، وإنما سمي القلب قلباً لكثرة تقلباته، ويعود التحفظ على حد الاعتدال في جميع الأحوال مما هو خارج عن قدرة البشر الاعتيادي.

٨٥٧. معتدل الخلق

معناه أن كل شيء من بدنه يليق بما لديه من الحسن والتمام، وليس فيه ما يخلّ بتمامه وتناسبه، فلا هو عظيم البطن، ولا مسترخي اللحم، ولا هو ضعيف نحيف ولا بدين مفرط، ولذا جاء في وصفه: أنه كان معتدل الخلق بادناً متماسكاً سواء البطن والصدر^(١)، والبادن هو الضخم، والمتماسك هو الذي يمسك بعض أعضائه بعضاً، ومجموع الكلمتين أعني بادناً متماسكاً، يعني أنه تام خلق الأعضاء ليس بمسترخي اللحم ولا بكثيره.

وسواء البطن والصدر معناه أن بطنه ضامر وصدرة عريض، فمن هذه الجهة تساوى بطنه وصدرة، ولم ينبو أحدهما عن الآخر.

٨٥٨. معتدل القامة

واعتدال القامة يعني أن صاحبها ليس بالطويل الشاهق ولا بالقصير اللاصق، بل هو أطول من المربع، وأقصر من المشدّب الذي يعني

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٧٨

الطويل الذي ليس عليه لحم، لأن الجذع المشذب إنما يقال للجذع الذي طرحت عنه قشوره فصار عارياً، وما جرى مجراه، فهو ﷺ في حد الاعتدال وقد جرى وصفه المتحدث عنه على لسان عامة واصفيه، كما أنه موجود في السفر الذي كان عند الراهب الفيلق بن يونان وقد رآه حمزة عم النبي ﷺ^(١).

٨٥٩. معدن التنزيل

هناك تفاوت بين الاصطلاح المعروف والمعنى اللغوي، فعندما تستخدم كلمة التنزيل في اصطلاح المتأخرين فهي تعني ما نزل قرآناً، ويستعيضون عن كلمة القرآن بكلمة التنزيل، فيقولون: في التنزيل كذا، ويذكرون آية أويستشهدون بها، والحقيقة أن هذا اصطلاح حادث ومتأخر، بينما المعنى اللغوي للتنزيل هو كل ما نزل من الله سبحانه وتعالى، وليس كل ما نزل من الله وحيماً يلزم أن يكون من القرآن، كما هو مستفاد من الأخبار والروايات الكثيرة، وكثير ما يشتمل عليه كتاب علي عليه السلام ومصحفه من أسماء المنافقين وغيرها من المطالب التي هي من التنزيل وليست في القرآن ولا هي منه في واقع الحال.

ولما كان المعدن مركز الشيء والأصل له، فكل ما يبلغ الناس مما أنزل من الله وحيماً، فأصله وأساسه الرسول المصطفى ﷺ؛ وهو مركزه الأول ومعدنه.

قال رسول الله ﷺ على ما يروى: «أول ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره واشتقه من جلال عظمته، فنحن الأولون... ونحن معدن التنزيل»^(٢).

(١) البحار ١٦: ٢٣، ٤٣.

(٢) البحار ٢٥: ٢٢.

٨٦٠. معدن العلم

عندما نتحدّث عن هذا العنوان، فلا بد من أن نفصّل بعض الشيء في كلمة معدن وماذا تشير إليه دون كلمة العلم لأنها معروفة بالمستوى المطلوب في هذا البحث.

وإذا أردنا تقريب ذلك بالمثل فانظر أنك متى رأيت الذهب والفضة مثلاً، سواء كانا في يد امرأة أو في جيد فتاة، أو عند الصائغ والبائع، أو كانا تيجاناً على رؤوس الملوك، أو طُليت بهما القباب والمنائر أو كانا كنزاً مخفياً فإن مركزهما ومكانهما الأول هو المعدن، أعني الأرض التي نبتا فيها وخالطتا ترابها ورسخا ثم استخرجا منها؛ لأن المعدن اسم مكان مأخوذ من عدن في المكان وأقام فيه.

وإذا قيل للنبي ﷺ وأهل بيته بأنهم معدن العلم، فلأنهم مركز العلوم الإلهية والأحكام الشرعية وغيرها من العلوم، وفيهم رسخ ومن صدورهم الطاهرة يخرج وينتشر في العالم.

فأينما وجدت العلم سواء في غرب الأرض أو شرقها فإن مركزه الأول هو صدر النبي ﷺ وصدر أهل بيته عليهم السلام وهو معنى دقيق يحتاج إلى تتبع تاريخي معقد ودراسة لمنشأ جميع العلوم القديمة والحديثة وقد أغنى في بعض جوانبه كتاب تأسيس الشيعة لعلوم الدين وغيره من الكتب.

وقد تعددت طرق النقل في ذلك وقول الرسول ﷺ وغيره من أهل بيته أنهم أهل بيت الرحمة وشجرة النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومعدن العلم^(١).

(١) انظر بصائر الدرجات: ١٧، والكافي: ١: ٢٢١ ح ١، والمزار للمشهدى: ٤٠٠.

٨٦١. معدن الوحي

ترتكز الشريعة الإسلامية وباقي الشرائع على حقيقة الوحي، على أنه المحرك الأول لكل ساكن وكل ابتداء وكل مشروع ديني وتربوي.

ومن الأفضل الاعتراف من البدء بعدم معرفة حقيقة الوحي لعدم تجربته ولا حتى مصادفة نظائره ولا ما يقرب منه وإن صار يطلق على بعض الأمور كلمة الوحي كإجاء الشياطين ووسوستهم لعدم المشابهة والسنخية.

ولكن ذلك الاعتراف لا يعني ترك اغاولة لإلقاء نظرة على معاني الكلمات المستعملة في هذا الميدان والتعبير والتعاريف المذكورة والسعي في إعطاء نظرية أجمع وتعريف أوسع.

فالوحي في أصل اللغة هو الكلام الخفي، وقد يطلق على كل شيء قصد به إفهام المخاطب على السر له عن غيره والتخصيص له به دون من سواه، وإذا أضيف إلى الله تعالى كان فيما يخص به الرسل خاصة دون من سواهم على عرف الإسلام وشريعة النبي ﷺ.

وجاء التعبير عنه في كلام آخر: بأنه الكلمة المقدسة الإلهية التي تلقى إلى أنبياء الله ورسله ﷺ في بيان شرائع الله وأحكامه، إما بتبليغ ملك يتمثل لهم فيرونه، كتمثل جبرئيل كثيراً لنبينا ﷺ أو يلقبها في روعهم بلا مشاهدة كقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾^(١) وقوله ﷺ: «إن الروح الأمين نفث في روعي»^(٢) أو بلا واسطة ملك بإسماع الله تعالى نبيه تلك الكلمة، أو إلقائها في روعه وإهامه، كل ذلك إما في حال اليقظة أو النوم،

(١) الشعراء: ١٩٣ ١٩٤.

(٢) الكافي ٢: ٧٤ ح ٢.

والوحي بهذا المعنى يختص بالأنبياء عليهم السلام ولا يعم غيرهم.
وقد يراد به تلك الكلمة لكن في غير مورد الشرائع والأحكام
بالإلقاء في الروح والإلهام، وهذا المعنى يعم الأنبياء وغيرهم.
بل قد تستعمل كلمة الوحي في الرؤيا والكلام المسموع مثل قوله
تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾^(١).
أو الإلهام الخفي بمعنى التسخير كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ
النَّحْلِ﴾^(٢).

أو الوسوسة مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ
أَوْلِيَآئِهِمْ﴾^(٣) أي يوسوسون بما يلقونه من الكلام في قعر أسماعهم
فيخصونهم بعلمهم دون من سواهم.
أو الإشارة كقوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ
إِلَيْهِمْ﴾^(٤) شبه ذلك بالوحي لخفائه عن سوى المخاطبين.
وقيل: الوحي هو إلقاء المعنى إلى النفس من جهة تخفى.
وقيل: الوحي انتقاش الأفكار الفاضلة في الذهن.

وباعتقادي أن الوحي هو إيصال المعنى إلى الفرد وغيره من الأفراد
الذين يدخلون تحت العنوان المعنون به، بحيث لا يتمكن غيرهم من أن

(١) القصص: ٧.

(٢) النحل: ٦٨.

(٣) الأنعام: ١٢١.

(٤) مريم: ١١.

يفهمه أو يطلع عليه حتى لو كان في موضع ذلك الشخص أو إلى جنبه ما لم ينطبق عليه العنوان، فإذا قيل: أوحى الله تعالى إلى النبي، فهو يعني أنه أوصل إليه الكلام أو المعاني بواسطة لا يفهمها سوى النبي بما هو نبي وكل نبي ولا يفهمها أولاً يسمعها من كان حاضراً عنده إذا لم يكن نبياً، وإذا قيل: أوحى الله إلى النحل، فهو يعني إلقاء المعاني والتفهم بواسطة أمر لا يتمكن أحد من الاطلاع عليه وفهمه إلا النحل، وكذا إجماع الشياطين وقوم زكريا، وقد يكون المعنون هو الفرد، فهو بمثابة لا يتمكن أحد من الاطلاع عليه سوى ذلك الفرد كأم موسى عليها السلام، وإن احتمل إرادة أم موسى بما هي أم، فيكون بمعنى أنه لا يفهمه سوى الأم التي تكون في حل كحل أم موسى.

ومع هذا يكون الملك والإلهام والكلام المسموع في المعنى الأول كلها وسائط ووسائل لإلقاء المعنى والتفهم مهما كانت كلفيته.

وكذلك المستفاد من الآيات والروايات أن طرق إلقاء المعاني إلى الأنبياء بصورة كلية متعددة ثلاثة أو أكثر، منها: إلقاء المعنى في قلب النبي ﷺ أو نفيه في روعه بصورة يحس أنه تلقاه من الله تعالى، وليس هو من وساوس الشيطان مثلاً، وهذا المعنى قد يسمى الوحي.

ومنها: تكليم النبي من وراء حجاب، كما نادى الله موسى ﷺ من وراء الشجرة وسمع نداءه.

ومنها: ما يلقيه إليه الملك المرسل من الله سبحانه وتعالى سواء نزل عليه في صورة رجل أم في صورته الحقيقية، وهذا هو المسمى بالوحي بحسب المعروف المأنوس في أذهان الناس.

وهذه الطرق الثلاث هي المستفادة من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وُحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي بآذَنِهِ

مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ^(١).

وهناك طرق أخرى منها: استيعاب الحوادث الجارية في العالم ووعيتها بشكل أفضل بحيث يفهم من وراءها ما لا يفهمه الآخرون وتحصل العبرة عنده فقط كالزلازل والبراكين والصواعق وغيرها، ومنها امتلاكه لوسائل توصله إلى معاني ذات قداسة كمعرفته بمنطق الطير والحيوانات ودركه لتسييحها وتقديسها وحكمها وغيرها.

ومنها: استخبار الموجودات غير الحيوانات، كالنباتات والجمادات ودرك ما تمتلكه من الخواص وإحصاء ما مر إلى جنبها عبر القرون المتبادلة.

ولعل ما يستحق اسم الوحي هو الأول والثالث من مجموع هذه المعاني، ولا يشمل مثل التكليم، فإن التكليم وسماع الصوت مرتبة أعلى من الوحي لوجود قرائن وشواهد على ذلك لسنا بصدها، وعلى أي حال هو تكليم وكلام لا داعي لحشره تحت معنى آخر ولفظ آخر، وإذا كان بحيث يسمعه كل واحد لو حضر لم يدخل في تعريف الوحي أبداً.

على أن الروايات دللت على أن الوحي الذي تلقاه الرسول المصطفى ﷺ والرسالة الخاتمة وآيات القرآن المجيد كان بواسطة الملك أي الطريق الثالث.

وأما الطريق الأول والوحي المباشر أو حتى الخطاب المباشر فهو أقل تحقراً، وكان لهذه الصورة التي يستمع فيها النبي ﷺ إلى خطاب الله من دون واسطة أثرها الكبير عليه، ففي الحديث أن الإمام الصادق عليه السلام سئل عن الغشبية التي كانت تأخذ النبي ﷺ أكانت عند هبوط جبرئيل؟ فقال: «لا، وإنما ذلك عند مخاطبة الله عز وجل إياه بغير ترجمان وواسطة»^(٢) ولعل هذه

(١) الشورى: ٥١.

(٢) كمال الدين: ٨٥.

الرواية تتحدث عن طريق مختص بالرسول المصطفى ﷺ ونوع خاص من أنواع الوحي التي تمت الإشارة إليها، فهو وحي لأنه لا يسمعه ولا يفهمه سوى النبي محمد ﷺ وهو خاص لعدم الوساطة. وروى الشيخ الصدوق عن زرارة أنه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك الغشبية التي كانت تصيب رسول الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي؟ فقال: «ذاك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد، ذاك إذا تجلى الله له» ثم قال: «تلك النبوة يا زرارة»^(١).

ولا يكفي الحوم حول كلمة الوحي ومعانيها لدرك معنى العنوان المبحوث عنه، أعني «معدن الوحي» لأن كلمة معدن تعني الأصل والمركز، فإذا فسرنا المركز بمحل نزول الوحي أو أنه كناية على كثرة حضوره عند الرسول ﷺ في التعبير بالمعدن المأخوذ من عدن في المحل أي أقام فيه، فيكون قد عبّر بكثرة نزوله على النبي ﷺ بالإقامة، فهو، وإلا لا يبد من حمل كلمة الوحي على ما يوحى: وإرادة أن جميع ما وصل إلى الناس مما كان بواسطة الوحي فأصله ومعدنه هو النبي ﷺ والكل محتمل.

على أن عنوان معدن الوحي جاء في بعض زيارات النبي ﷺ المأثورة وهو في الغالب مقرون بكلمة التنزيل، ففي الزيارة المروية عن الصادق عليه السلام تقول: «السلام عليك يا خاتم النبيين، السلام عليك يا سيد المرسلين، السلام عليك يا قائماً بالقسط، السلام عليك يا فاتح الخير، السلام عليك يا معدن الوحي والتنزيل...»^(٢).

٨٦٢. المعصوم

لماذا ينتقد الرؤسون رؤساءهم ويضعون أعمالهم تحت المجهر ويأخذون كل عمل لهم بالتحليل والنقد، فيحصون عليهم كل كبيرة وصغيرة؟ ولماذا

(١) التوحيد: ١١٥.

(٢) إقبال الأعمال ٣: ١٢٣، البحار ٧٩: ١٨٣.

يحاول أولئك الرؤساء الظهور بالمظهر اللائق ويسعون جاهدين على أن لا تفضح لهم كذبة أو علاقة غير نزيهة أو اختلاس أموال أو ظلم وتعدُّ على حقوق البشر، أو حتى فلتة لسان وخطأ صغير أو كبير؟

لم ينشأ ذلك اعتباطاً وصدفة من دون دواعي معقولة، ومهما قلت أخطاء الرئيس وتضاءلت فهو يبقى يؤخذ على ذلك القليل والنزر اليسير، وما ذلك إلا لوجود شيء مرتكز في الأذهان وراسخ في فطرة الإنسان مما قد ساهمت به التجربة المستمرة التي مارسها الناس من دلالة القليل الظاهر على الكثير الباطن، وتوسع رقعة الفتق الصغير بمرور الأيام إذا ترك على حاله، بالإضافة إلى أن الخطأ الصغير منه يكون كبيراً باعتبار كثرة آثاره المترتبة من جراء اقتداء الشعب به وإذا كان قانوناً فسيكون إجحافاً بغنائات كبيرة من المجتمع.

وليس ذلك المرتكز سوى ضرورة تمتع الرئيس بحصانة من الخطأ ولزوم التحلي بأخلاق عالية وأن تكون له سلطة على أفعاله وتصرفاته بحيث لا يصدر منه القبيح ولا يعتمد إلى المظلم.

وقد كان هذا الإحساس موجوداً في السابق ثم صار له اشتداد بعد وضع القوانين الجديدة ووصول الرؤساء إلى الحكم بواسطة الانتخابات وعبر صناديق الاقتراع وإن كان ظاهرياً غير حقيقي، إلا أن توقع الناخبين وعامة الناس صار أمراً ملموساً وظاهراً بعد ما كان خائباً، على أن هذه العصمة هي أول الصفات المطلوبة، وتليها الصفات الحسنة الأخرى مثل الجِد والمثابرة وإيثار مصالح العامة على المصالح الخاصة، والصبر والجلادة والجزم والشجاعة وحسن التدبير.

ونحن نريد التركيز على ذلك المرتكز في الأذهان من لزوم عدم خطأ الرئيس وعدم ارتكابه القبيح وكل ما لا ينبغي فعله، فهو عبارة أخرى عن أن يكون الرئيس معصوماً من الذنوب وإن لم يتمكن الناس من الإفصاح

عن هذا المعنى بشكل واضح، ولكن إحساسهم بعدم وفاء المنتخبين على الدوام هو تعبير عن ذلك المرتكز الذي لا يصرحون به عادة، وهو الأمر الذي سيتم التصريح به في يوم من الأيام، ويطلب الناس المصلح والمنقذ السماوي المعصوم، بعد يأسهم من الأرضي المنتخب ومن صناديق الاقتراع، المحسوس من خلال تناقص عدد المنتخبين كل مرة وتدهور أوضاع الدنيا شيئاً فشيئاً.

وهنا نخلص إلى القول إن العصمة ضرورية مطلوبة لكل قائد ومصلح يدعو إلى التغيير، على أنها من الصفات الحسنة التي اجتمعت جميعها في وجود الرسول المصطفى ﷺ، بالإضافة إلى أنه ترجمان الوحي، والمخبر عن الله سبحانه وتعالى، والمبعوث ليكون قدوة يقتدي به كل العالمين، فلا بد من أن يكون معصوماً من الخطأ ومتجنباً لفعل القبائح بالكلية.

ولما كادت العصمة أن تكون مستحيلة وأمر لا يكاد يتحقق لتوفر دواعي الزيف التي تتمثل بالحرص والحسد والغضب والشهوة وما شابهها، فالخطأ والزيف موجود ومتوفر لدى جميع البشر إلا من عصم الله سبحانه وتعالى وشملته عنايته الخاصة ووضعه في الموضع الذي تنعدم فيه تلك الدواعي والدوافع، مثل عناية الله سبحانه وتعالى برسوله ﷺ والأئمة من أهل بيته ﷺ.

فليس الرسول ﷺ ممن يحرص والدنيا تحت يده لما يمتلكه من العلم والقدرة وهو خازن المسلمين وقد عُرِضت عليه مفاتيح الدنيا وأن تُجعل له بطحاء مكة ذهباً، وغير ذلك من التمكين والإقدار الذي يجنبه الحرص بالمرّة.

ثم رفعه الله سبحانه وتعالى فشرفه وكرمه وجعله في أعلى مرتبة وأعطاه أعظم منزلة وقربه إلى قاب قوسين أو أدنى، وبتعبير آخر اختار الله

تعالى من هو كذلك، فلا يتصور معه الحسد، لأن الحاسد إنما يحسد من هو أرفع منه وأعلى، ولا يحسد من هو دونه.

وأما الغضب فقد استعاضه الله سبحانه وتعالى بالغضب لله عن الغضب لنفسه، وصرف غضبه في مجال إقامة الحدود وأن لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا رافة في دينه حتى يقيم حدود الله.

وأما الشهوة؛ فإن الله سبحانه وتعالى أطلعه على زيف الدنيا وحبب إليه الآخرة كما حجب إلى غيره الدنيا، فهو ينظر إلى الآخرة كما ينظر الآخرون إلى الدنيا، وحسن الآخرة وثوابها في عينه حتى لمس ذلك، وقبح الدنيا في عينه حتى لمس ذلك، ولا نجد أحداً يترك الوجه الحسن لأجل الوجه القبيح، ولا الطعام الطيب لأجل الطعام المر القذر.

هذه هي الوجوه المحسوسة والملموسة من وجوه العصمة وهناك وجوه أخرى لا تدخل في فضاء هذا الكتاب أوحى في فضاء عقولنا.

ومهما يكن من ذلك فالرسول ﷺ هو المعصوم، وواحدة من صفاته هي المعصوم، وكل ما مر فهو محاولة للاقتراب من حقيقة العصمة بعض الشيء، ولكن العصمة المتكلم عنها في هذا العنوان قد لا يراد منها ذلك المعنى، ولعل المراد منها هو الحفظ من القتل ومن وصول الأذى والمكروه إلى النبي ﷺ لأن ابن شهر آشوب ذكر المعصوم من أسماء النبي ﷺ واستدل عليه بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١) والمعنى أنه يعصمك من قتلهم إياك^(٢)، الأمر الذي له شواهد كثيرة، منها تدبير قريش لقتل النبي ﷺ، وقصة أبي لهب، ودرجاة المنافقين الدباب لناقة رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وقصة ذراع الشاة المسموم وخوضه الحروب الضارية

(١) المناقب ١: ١٣٠، والآية في سورة المائدة: ٦٧.

(٢) انظر الخرائج والجرائح ٣: ١١٠٤٥، والضرط المستقيم ١: ٥٨.

حتى انهزم المسلمون وبقي وحيداً أومع نفر يسير في معركة أحد ومعركة حنين وغيرها، وقد تقدم أكثرها.

٨٦٣. معنى التأويل

التأويل بحسب الاصطلاح هو بيان المراد من اللفظ مقابل التنزيل أي ما نزل قرآناً.

والتأويل بحسب اللغة فيه احتمالان، الأول: أنه مصدر مزيد بمعنى الرجوع، ومنه قولهم، أول الحكم إلى أهله، أي رثه إليهم، والثاني: بمعنى العاقبة وما يؤول إليه الأمر، وهو المراد بكلمة التأويل الواردة في القرآن مثل قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ وقوله تعالى: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ أو ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ﴾ و﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾^(١) وعليه فالمراد بالتأويل ما يرجع إليه الكلام وما هو عاقبته، سواء كان ذلك ظاهراً يفهمه العارف باللغة العربية أو كان خفياً لا يعرفه إلا الراسخون في العلم.

ولكن المروي اختصاصه بالباطن الذي لا يعلمه سوى الراسخين في العلم فقد روي عن فضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية «ما من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن» فقال: «ظهره تنزيله، وبطنه تأويله، - إلى أن قاله - قال الله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ نحن نعلمه»^(٢).

فليس التأويل من قبيل المعنى والمفهوم، بل هو المعنى المقصود الذي

(١) يوسف: ٦، ٣٦، ١٠٠، الكهف: ٨٢.

(٢) بصائر الدرجات: ١١٦، والآية في سورة آل عمران: ٧.

يخالف ظاهر الكلام من اللغات المستحدثة في لسان المسلمين بعد نزول القرآن وانتشار الإسلام أو حتى أصل اللغة، ومثاله ما ورد عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ» هذه الآية نزلت في القائم يقول: «إن أصبح إمامكم غائباً عنكم لا تدرّون أين هو فمن يأتيكم بإمام ظاهر يأتيكم بأنخبار السماء والأرض وحلال الله عز وجل» ثم قال: «والله ما جاء تأويل هذه الآية؛ ولا بد أن يجيء تأويلها»^(١).

وقد تقدّمت الأخبار التي تأوّل الذكر برسول الله صلى الله عليه وآله وأهل الذكر بأهل البيت عليهم السلام، وكذا تأويل الدين برسول الله صلى الله عليه وآله، وكذا مثل السبب والسبيل والسور والسماء والشمس والضحى وغيرها تجعل تأويل ذلك هو رسول الله صلى الله عليه وآله، وهناك الكثير من الأخبار التي تأوّل كلمات القرآن بأهل البيت وخصوص أمير المؤمنين والقائم عليهم السلام.

وكل من يتتبع الأخبار المأولة لآيات القرآن يصل إلى هذه النتيجة وهي أن الآيات إنما تشير إلى فرد أو أفراد معينين، والتأويل هو بيان ذلك الفرد أو الأفراد، وهم في الغالب النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل بيته عليهم السلام، فهم معنى التأويل، والمقصودون في أغلب التأويل؛ لأن المعنى هو المقصود مأخوذ من عناء، أي قصده.

ولذا روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أول ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره واشتقه من جلال عظمته... فنحن الأولون... ومعنى التأويل»^(٢).

(١) الإمامة والتبصرة: ١١٦ ح ١٠٥، والآية في سورة الملك: ٣٠.

(٢) البحار: ٢٥: ٢٣.

٨٦٤. المعلن الحق بالحق

ظاهر هذا العنوان استواء كلمتي الحق الموجودة فيه بالمعنى وإرادة إظهار ما هو حق وصدق أي الدين والشريعة بالحق، أي بما هو حق من المعجزات والآيات والبراهين الساطعة.

ولكن لا يبعد تغاير معنييهما فيكون معنى كلمة الحق الثانية هو الحرب والخصومة يقال حاق فلان فلاناً، أي خاصمه فغلبه، فتكون صفة النبي ﷺ أنه على خلاف الكثير من الأنبياء ﷺ يظهر الحق بالخصومة والحرب، وهو عبارة أخرى عن أنه نبي السيف كما هو معروف له في الأمم السابقة، فقد روي أن الإمام علي عليه السلام قال: «اللهم اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق... والمعلن الحق بالحق»^(١).

٨٦٥. المغفور

هناك مشكلة في تفسير القرآن بصورة كلية ناشئة من تحميل القرآن المعاني الحادثة بعد انتشار الإسلام والمصطلحات التي نشأت بعد ظهوره، منها اصطلاح المغفرة والذنب التي صارت تعني معصية الخالق ومخالفة أوامره ونواهيه، ولكن المعنى اللغوي في منأى عن هذه المعاني الحادثة. وإلا فالذنب هو ما يعاب عليه الشخص وما يتبعه من الشين والنقص فهو ذنب، والمغفرة هي التغطية وإسدال الستر على ذلك النقص والعيب، فتوصيف النبي ﷺ بالمغفور يراد به ستر ما كان يعيبه عليه المشركون من الخروج على دينهم ومقدساتهم.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ

(١) نهج البلاغة ١: ١٣٠، البحار ١٦: ٣٧٨.

مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ^(١) فما هي العلاقة بين الفتح المبين وغفران الذنب؟ وأي ارتباط بينهما إذا كان بمعنى المعصية؟ لا نجد له أي ارتباط، وحاله حال قول السيد للعبد المذنب: أمنٌ عليك بالرزق لكي أغفر لك ذنبك، ليس فيه أي ارتباط.

والمعنى المراد من هذه الآية هو أن الله سبحانه وتعالى يكون قد ستر جميع العيوب والنواقص التي كان النبي ﷺ يعاب بها من قبل أعدائه وأصدقائه ويستر جميع الكلوم والجروح التي أصابته وأصابت أصحابه جراء الحروب المستمرة والمناقشات الدائمة بواسطة ذلك الفتح والظفر، وحصول القدرة والاعتدال والشوكة؛ لأن القدرة والنصر والظفر والتسلط على أولئك المنتقصين سيجعلهم إما مسلمين يستحسنون أفعال الرسول السابقة واللاحقة، أو مقهورين ومملوكين يستملحون أعمال الرؤساء والأغنياء وذوي الشوكة والاعتدال.

وكذا فإن هذا الفتح سيكون غطاء لكل الكلوم والجروح والعيوب التي أصابت المسلمين عبر السنوات السابقة أو التي ستصيبهم؛ لأنها تكملت بالنجاح وحسن العاقبة ووقعت في طريق الظفر، قال الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكنائب

فقد سمى الثلم الموجودة في السيوف والحاصلة من جراء المقارعة وتصادم السيوف عيوباً، وقلنا الذنب هو العيب والتبعة.

ويشير إلى تلك المعاني الرواية المروية عن الإمام الرضا عليه السلام حينما سأله المؤمنون وقال: أخبرني عن قول الله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾^(٢) فقال الرضا عليه السلام: «لم يكن أحد عند مشركي أهل مكة أعظم

(١) الفتح: ١-٢.

(٢) الفتح: ٢.

ذنباً من رسول الله ﷺ؛ لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستين صنماً، فلما جاءهم بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم وعظم وقالوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ * وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأُ مِنْهُمُ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى الْهَيْكُلِ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ ﴿١﴾ فلما فتح الله عز وجل على نبيه مكة قال له: يا محمد ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ عند مشركي أهل مكة بدعائك إياهم إلى توحيد الله فيما تقدم وما تأخر؛ لأن مشركي مكة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة، ومن بقي منهم لا يقدر على إنكار التوحيد عليه إذا دعا الناس إليه، فصار ذنبه عندهم مغفوراً بظهوره عليهم ﴿٢﴾.

ومن جميع ذلك يعرف الوجه في تسمية النبي ﷺ أو وصفه بالمغفور كما فعله ابن شهر آشوب مستدلاً بالآية (٣)، وإن كان الحديث عن الآية طويل جداً والتأويلات والتوجيهات بعد تسليم عصمة النبي ﷺ كثيرة، خصوصاً في مقام النقاش مع المستدلين بهذه الآية وأمثالها على صدور الخطأ والذنب من النبي ﷺ يرجع فيه إلى مظانه (٤).

٨٦٦. مفاض البطن

المروي أن رسول الله ﷺ كان مفاض البطن (٥)، وذهب أهل اللغة

(١) ص: ٧٤.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٨٠، الاحتجاج ٢: ٢٢٢.

(٣) المناقب ١: ١٣١.

(٤) انظر تنزيه الأنبياء للسيد المرتضى: ١٠٦٢، وسعد السعود لابن طاووس: ٢٠٦.

(٥) البداية والنهاية لابن كثير ٩: ٢٢ عن أبي هريرة: وانظر مناقب آل أبي طالب ١: ١٠٧.

إلى أن المراد أنه مستوي البطن مع الصدر، بعد ما فسروا كلمة مفاض لوحدها بالواسع.

ولعل ذلك باعتبار الأغلبية في ذلك الزمان من كون الناس ضامري البطن بمقتضى الطبيعة الصحراوية للحجاز وشحة الماء وقلة الثمر والطعام وبعُد المسافات التي توجب كثرة الحركة والتنقل، مما يجعل الغالب الضمرة، وانقمار البطن بالنسبة للصدر، فمن كان صدره وبطنه سواء يعد واسع البطن.

وليس وراء ذلك المعنى أي الاستواء - ما يكون هو المقصود، لما تقدم أنه ﷺ سواء البطن والصدر.

٨٦٧ . مفتاح الجنة

المفتاح هو الوسيلة التي يمكن فتح الباب بها والدخول إلى الدار المحصنة والمدينة المسورة أو الجنة التي هي محل البحث.

والتعبير بمفتاح الجنة ينطوي على معان كثيرة منها حصانة الجنة وعدم إمكان نفوذ الرائد إليها من كل جهة ولا كيفما أراد، بل هذا يعني أن لدخولها شرائط وموازين ووسائل يجب أن تتوفر لدى ذلك المحاول والساعي في دخولها، منها الإيمان بالنبي محمد ﷺ الذي هو مفتاح الجنة والوسيلة التي يمكن بواسطتها دخول الجنة، وتليه معرفة كيفية التعامل مع ذلك المفتاح والاستفادة منه، فليست معرفة النبي ﷺ والإيمان به سوى الحصول على ذلك المفتاح، ويبقى معرفة كيفية الاستفادة من هذه الوسيلة التي يكمن فيها جميع توصيات النبي ﷺ وما أمر به ونهى عنه إلى جانب الحب والعلاقة التي توفر الأرضية لشفاعته النبي ﷺ.

والشفاعة المشار إليها عامة وخاصة، فهو ﷺ مرة يشفع في شأن جميع الناس بما فيهم الأنبياء والرسل وقد تقدم الكلام عنه في عنوان

صاحب الشفاعة بحيث تنجلي بوضوح مفتاحية الرسول ﷺ وانحصارها، وهناك شفاعة خاصة يشفع فيها لمن تتوفر فيه شروط الشفاعة.

ومهما يكن من ذلك فقد جاء هذا الوصف في كلام جبرئيل عند ما قعد النبي ﷺ عند عين، فنزل جبرئيل في ذلك الموضع وميكائيل واسرافيل ودردائيل، فقال جبرئيل: السلام عليك يا محمد... السلام عليك يا مفتاح الجنة^(١)، بل عدّه ابن شهر آشوب في جملة أسماء صلوات الله عليه وعلى أهل بيته^(٢).

٨٦٨ . مفتاح الرحمة

الرحمة بجميع معانيها ابتداءً من نشوء الخلق وكل ما يظلمهم من الخير وراء جدار، ووراء الباب، باب مفتاحها رسول الله وآله ﷺ بيد أنه أول مخلوق فهو مفتاح الخلق، وهو أول من آمن فهو مفتاح الإيمان، وهو مفتاح كل ما يجزى الإيمان بالله من الخير والصلاح والسعادة الأبدية، وهو أول منشور وأول من تفتح له باب الجنة كما مر، على أن لا يشذ معنى الأول في هذه المجالات عن معنى السببية والعلية للمتأمل.

ثم إن أعظم ما يمتلكه الإنسان على وجه هذه البسيطة هو الدعاء فهو الآخر موقوف مرهون معلق بين الأرض والسماء حتى يصلى على النبي وآله ﷺ.

قال رسول الله ﷺ: «أول ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره واشتقه من جلال عظمته، فنحن الأولون... ونحن مفتاح الرحمة»^(٣).

(١) الفضائل: ٣٣، البحار: ١٥: ٣٥١، وج: ١٦: ١٠٤.

(٢) المنتاب: ١: ١٣٢.

(٣) البحار: ٢٥: ٢٣.

على أن لا ننسى الصلاة عليه والتوسل بهذا العنوان المبارك كما ورد في بعض الصلوات الماثورة: اللهم صل على محمد وآل محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين، وقائد الخير ومفتاح الرحمة^(١).

٨٦٩. المفضل

ذكر ابن شهر آشوب أسماء النبي ﷺ المكتوبة على المخلوقات إلى أن قال: وعلى العرش المفضل^(٢)، ولاشك أن من يكتب اسمه على العرش دون الآخرين هو المفضل، ويزداد تفضيله عندما تعلم أن النبي آدم رأى هذا الاسم على العرش فتوسل به وقبلت توبته.

٨٧٠. مفلج الأسنان

رجل أفلج الأسنان أي منفرجها، بمعنى وجود فواصل بين أسنانه، مما يضيفي إلى حسنه وجماله جمالاً مضاعفاً، وهو بخلاف المتراص الأسنان، وهو مشهود في الصغار عزيز بين كبار السن، حتى أن نساء العرب كانت تتعمد إلى إحداث الفواصل بنخر الأسنان وغيرها حتى ورد في الحديث أنه لعن المتفلجات للحسن، أي النساء اللاتي يفعلن ذلك بأسنانهن رغبة في التحسين، لما في نحر الأسنان وإيجاد التباعد بينها من المضار وحصول الرهن فيها، بخلاف ما كان بحسب الخلقة.

وقد ذكر واصفو النبي ﷺ أنه كان مفلج الأسنان^(٣).

(١) البحار ٨٣ : ١٠٤.

(٢) المناقب ١ : ١٣٣.

(٣) مجمع الزوائد ٨ : ٢٧٣، الأحاديث الطوال للطبراني: ٧٥، المعجم الكبير

للطبراني ٢٢ : ١٥٥.

٨٧١. مفلج الثنايا

أي منفرجها، والثنايا أسنان مقدم الفم، فقد روي عن عبد الله بن سليمان وكان قارئاً للكتب قال: قرأت في الانجيل: صدقوا النبي الأُمي... مفلج الثنايا^(١)، مما يبدو أن هذه صفة مشخصة للرسول ﷺ يمكن تمييزه بها.

على أن التعبير بمفلج الثنايا أدق من مفلج الأسنان؛ لأن الحسن في أسنان مقدم الفم، ولا حسن في انفراج باقي الأسنان، بل قد يكون مضراً شائناً، خصوصاً مع أوثقية نقل التعبير بمفلج الثنايا، واحتمال إرادة خصوص الثنايا من الأسنان في التعبير بمفلج الأسنان.

٨٧٢. المقتدى

تعتمد النظرية الإسلامية في مجال سوق المجتمعات باتجاه النظم والانضباط الأخلاقي، وفي مجال التعالي والرقى والتطور، وفي مجال الصمود والتفاني وسائر المجالات على محورين أساسيين.

أحدهما: تقنين القوانين العادلة والأحكام الصالحة التي تصب في تلك المجالات، مع خلق الضمانات الصحيحة لتطبيقها ورعايتها في الساحة العملية.

والثاني: التحفيز على الاقتداء والتأسي وخلق الأجواء المساعدة على ذلك بمنح الامتيازات العظيمة والمقام الرفيع والمنزلة القريبة لمن ورد الأمر بالاقتداء به والتعريف به وتمجيده بحيث يرغب الجميع في متابعته، يعني وضعه أولاً في الموضوع اللائق الذي يستحقه ثم تأمر باتباعه والاقتداء به.

(١) إكمال الدين: ٩٥، أمالي الصدوق: ١٦٣، البحار: ١٦: ١٤٤.

فنحن وجدنا أن الله سبحانه منح الرسول المصطفى ﷺ المنزلة الرفيعة والمقام الشامخ وعظمه في أعين الناس وأمر بإدائه ذكره والصلاة عليه، وعرفه بأنه الإنسان الأكثر توفيقاً من بين أفراد البشر، وأشاد بحجاسنه ومكارم أخلاقه ومقاماته في الآخرة ثم قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(١) لكي يكون هو الأسوة والمقتدى الذي يقتدي المسلمون بفعاله الحسن، وتحصل الرغبة في متابعته وتقليده.

وفي المرتبة الثانية يمنح أوصياء النبي ﷺ والأئمة المنزلة الرفيعة والمقام السامي ثم يأمر بالافتداء بهم، ليستمر الافتداء بعد زمان الأئمة بالأمر بمتابعة العلماء الصالحين بعد أن يشترط في متابعتهم توفر شروط كثيرة فيهم تصب في انتخاب أفضل الموجودين وأعلمهم؛ ثم يمنحه المكانة الرفيعة والمنزلة الشريفة المتخلصة في كل ما ورد في فضل العلم والعلماء، ووجوب متابعتهم وتقليدهم والافتداء بهم.

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لا طريق للأكياس من المؤمنين أسلم من الافتداء؛ لأنه المنهج الأوضح والمقصد الأصح، قال الله لأعز خلقه محمد ﷺ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِمْ﴾ فلو كان لدين الله مسلك أقوم من الافتداء لندب أنبياءه وأوليائه إليه»^(٢).

ولا شك أن الرسول ﷺ هو المقتدى، ولكن العنوان المطروح والمستفاد من الآية هو المقتدى؛ لأنه تعالى يريد بقوله الذي يخاطب به رسوله ﷺ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ الافتداء بالأنبياء المتقدم ذكرهم في الآية ﴿فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِمْ﴾ أي اقتصص طريقتهم بالافتداء، فهو ﷺ المأمور

(١) الأحزاب: ٢١.

(٢) مصباح الشريعة: ١٥٧، تفسير الصافي ٢: ١٣٧.

بالاقتداء بالأنبياء المذكورين، فهو المقتدي.

ولكن لا يمنع أن يكون هو ﷺ من الذين تأمر الآية بالاقتداء بهم، فهو مقتدى كما هو مقتدي، خصوصاً إذا لاحظنا الرواية التي يرويها العياشي أن الصادق عليه السلام قال لرجل: «أنا من الذين قال الله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاغِهِمْ قَتَدَهُمْ﴾ سل عما شئت»^(١).

ومن ذلك وأمثاله يعلم الوجه في جعل ابن شهر آشوب عنوان المقتدى من أسماء النبي ﷺ مستدلاً بالآية^(٢).

٨٧٣. المقرب

ذكر ابن شهر آشوب بعض أسماء النبي الواردة في الأخبار فذكر منها اسم المقرب^(٣)، ولا شك أن النبي ﷺ هو المقرب خصوصاً بعد ملاحظة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَكَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^(٤) دنواً واقتراباً من العلي الأعلى^(٥)، وملاحظة أمر الله سبحانه له بالاقتراب في آية السجدة^(٦).

٨٧٤. المقرب

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِرَاجُهُ مِنْ تُسْنِيمٍ﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا

(١) تفسير العياشي ١: ٣٦٨ ح ٥٥، الوسائل ١٨: ٥١.

(٢) المناقب ١: ١٣١.

(٣) المناقب ١: ١٣١.

(٤) النجم: ٩٥٨.

(٥) إقبال الأعمال ١: ٥١٠.

(٦) العلق: ١٩.

المُقَرَّبُونَ^(١).

وجاء عن النبي ﷺ في ذلك قوله: «هو أشرف شراب في الجنة يشربه محمد وآل محمد، وهم المقربون»^(٢).

٨٧٥. مقرون الحاجبين

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «كان حبيبي رسول الله ﷺ صلت الجبين مقرون الحاجبين»^(٣) والقرن هو أن يطول الحاجبان حتى يلتقي طرفاهما ويتصلا.

ولكن تقدم في عنوان أزج الخواجب أن هند بن أبي هالة يصف النبي ﷺ بأنه أزج الحاجبين من غير قرن، أي طويلهما من دون اتصال وأن بينهما بياض، فيكون هناك تناقض في النقل، والترجيح عندي للأول، أعني القرن؛ لأنه أسلم رواية، وإن جمع بينهما البعض فقال: ويمكن الجمع بأنه ﷺ كان أولاً بغير قرن ثم حصل القرن، أو من جهة الرائي من قرب ومن بعد، وبأنه لم يكن بالأقرن حقيقة ولا بالأزج حقيقة، بل كان بين الحاجبين فرجة سيرة لا تتبين إلا لمن دقق النظر إليها^(٤).

٨٧٦. المقصد

رووا في صفة النبي ﷺ: أنه كان رشييق القامة، مقصداً، واسع

(١) المطففين: ٢٧، ٢٨.

(٢) شواهد التنزيل ٢: ٤٢٥، تفسير أبي حمزة: ٣٥٧.

(٣) الخصال: ٥٩٨، ورواه ابن عساكر من عدة طرق عنه عليه السلام على ما في سبيل الهدى

والرشاد ٢: ٢٢.

(٤) سبيل الهدى والرشاد ٢: ٢٢.

الجين^(١)، والمقصد أي الذي ليس في شيء من أعضائه سرف.

٨٧٧. المقفي

لم يألف البشر طيلة تواجدهم على الأرض مسألة الخاتمية؛ لأن الله سبحانه وتعالى لم يزل يبعث الرسل الواحد تلو الآخر، والجماعة تلو الجماعة، والألف بعد الألف، مائة وأربعة وعشرين ألف نبياً، ولذلك لم يعد من السهل قبول فكرة الخاتمية وليس استقبالها بذلك الهين، وقد يسهل على البعض ممن يجيئ بعد النبي ﷺ دعوى النبوة مما ينافي خاتمية الرسول ﷺ، خصوصاً أولئك الذين ينتهزون الفرصة فيدعي أحدهم النبوة عندما تصير لهم أقل قدسية بين الناس؛ أو تلتصق به أقل كرامة.

ومن أجل ذلك صار النبي ﷺ بصدد ترسيخ فكرة الخاتمية وأنه آخر الأنبياء والتعبير عنها بألفاظ مختلفة وبأشياء متعددة، بالألفاظ الدالة بالمطابقة مرة، وبالالتزام أخرى، فمرة يقول ﷺ: «لا نبي بعدي» وأخرى يقول: «أنا الخاتم» وثالثة يقول: «أنا العاقب» ورابعة: «أنا المقفي» هذه الكلمة التي لا تعني إلا التبعية والذهاب وراء الشيء ليبين المراد منها في بيان آخر فيقول: «أنا المقفي قفيت النبيين جماعة»^(٢) أي تبعت جميعهم، ولا تكون تابعة للجميع إلا إذا كان آخرهم، ثم يوضحه أكثر فيقول: «أنا المقفي بعد الأنبياء كلهم»^(٣) يعني أنه آخر الأنبياء، المتبع لهم، فإذا قفى - أي ذهب - فلا نبي بعده.

(١) المناقب ١: ١٣٥.

(٢) الخصال ٢: ٤٢٥، الشفاء:

(٣) الاستيعاب ١: ١.

٨٧٨. مقيم السنة

ليس المراد بالسنة في هذا العنوان هو ما جاء به الأنبياء السابقون من الشرائع وما سلكوه من السبل: بل المراد العكس من ذلك، أعني التغيير والتكميل وإقامة سبيل الله ودينه الكامل المبتني على الفطرة التي فطر عليها الإنسان، والشريعة المتكاملة التي تضمن للإنسان أن يعيش عيشة اجتماعية مرموقة ويكون له حيوية وفعالية في المجالين الدنيوي والأخروي، فهذه هي السنة التي أقامها رسول الله ﷺ وكان بذلك مقيم السنة، وليس مجرد إعادة ما سنه الأنبياء السابقون وما سلكوه ولا مجرد تصحيح ما حصل بعدهم من الانحراف والزيغ باتباع الهوى، ومتابعة ما يزينه الشيطان.

قال الإمام الرضا عليه السلام على ما يرويه الصدوق من المناظرة التي جرت بينه عليه السلام وبين رأس الجالوت: «قد قال داود في زبوره وأنت تقرأه: اللهم ابعث مقيم السنة بعد الفترة، فهل تعرف نبياً أقام السنة بعد الفترة غير محمد ﷺ؟ قال رأس الجالوت: هذا قول داود نعرفه ولا ننكر، ولكن عنى بذلك عيسى، وأيامه هي الفترة: قال الرضا عليه السلام: «جهلت، إن عيسى لم يخالف السنة وقد كان موافقاً لسنة التوراة حتى رفعه الله إليه»^(١) حيث استفاد عليه السلام من كلمة مقيم السنة التغيير والتأسيس.

٨٧٩. المكفي

لعل أصعب ما يواجهه الأنبياء في مجال الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى هو الاستخفاف والاستهزاء بهم، بيد أن الأنبياء إنما يقومون عادة من بين ضعفاء الناس وفقرائهم، والفقير والضعف يستر الحاسن ويشينها، كما أن

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٤٩، التوحيد: ٤٢٨، البحار ١٥: ٢٢١ ح ٤١.

الغنى والشوكة تستر القبائح وتزينها.

فيظل حمل الناس على الجذ وترك الهزل والاستهزاء أكبر عقبة في طريق الدعوة ونصرتها، خصوصاً إذا صاحب ذلك الاستهزاء والاستخفاف الوعد والوعيد والترصد لقتل النبي، فقد تعود هذه المهمة خطيرة للغاية.

ولذلك لما بعث الرسول المصطفى ﷺ ودعا عشيرته الأقربين إلى الإيمان بالله الأحد، صار يبلغ قريش نبوته ودعوته فأتخذوا يغمزون النبي ﷺ ويقولون هذا يزعم أنه نبي ومعه جبرئيل بطريق الاستهزاء، ولما بلغهم تسفيه آلتهم صاروا يتوعدونه ويترصدون به^(١).

فنزل جبرئيل وقال: السلام يقرئك السلام ويقول: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ يعني أظهر أمرك لأهل مكة وادعهم إلى الإيمان، فقال ﷺ: «يا جبرئيل كيف أصنع بالمستهزئين وما أوعدونني؟» قال له: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾^(٢).

والمروي أن أشد أولئك المستهزئين ورؤسهم خمسة نفر هم الأسود بن المطلب، والأسود بن يغوث، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والحارث بن عيطل، كفاه الله مؤونتهم.

والمروي في كيفية ذلك مختلف منه أن النبي ﷺ لما نزل ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ يعني خمسة نفر، بشر النبي ﷺ أصحابه أن الله كفاه أمرهم، فأتى الرسول البيت والقوم في الطواف وجبرئيل عن يمينه، فمر الأسود بن المطلب،

(١) انظر مجمع الزوائد ٧: ٤٦.

(٢) انظر الاحتجاج ١: ٣٢٢، وتفسير الاصفى ١: ٦٣٩.

فرمى في وجهه بورقة خضراء فأعمى الله بصره وأنكله ولده، ومر به الأسود بن عبد يغوث فأومى إلى بطنه فسقي ماءً فمات حيناً^(١)، ومر به الوليد بن المغيرة فأوماً إلى جرح كان في أسفل رجله، فانتقض بذلك فقتله، ومر به العاص بن وائل، فأشار إلى أخمص رجله، فخرج على حمار له يريد الطائف فدخلت فيه شوكة فقتلته، ومر به الحارث، فأوماً إليه فتفقاً قيحاً فمات^(٢).

وبذلك وأمثاله كان النبي ﷺ مكفياً محفوظاً رغم كل المحاولات لقتله وإبطال دعوته، بحيث صار أحد أسمائه المكفي على ما ذكره ابن شهر آشوب مشيراً إلى الآية المذكورة^(٣).

٨٨٠. المكين

المكنة هي القدرة على تحقيق الأهداف والمآرب والتصرف بما يريد ويرغب، والمكين من يتمكن من التنقل والتقلب من مقعد إلى مقعد ومن منصب إلى منصب، ويكون معها مفتوح اليد في مجال قضاء حوائج الآخرين وتلبية رغباتهم.

ولكن الغالب في كلمة المكين استعمالها فيمن يكون مقرباً عند قادر آخر كالملك والرئيس ويكون مفتوح اليد عنده لأجل ما منحه ذلك القادر من الصلاحيات وخيِّره في اختيار المناصب والمقامات ومكنه من أنواع التصرف والبيذل والعطاء، ألا ترى أن الملك قال ليوسف: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ

(١) الحين عظم البطن ويقال لمن سقي بطنه قد حين، أي يكثر السقي في شحم البطن فيعظم جداً.

(٢) الخرائج والجرائح ١: ٦٣.

(٣) المناقب ١: ١٣١.

لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿١١﴾ ويقول الله سبحانه وتعالى واصفاً ذلك التمكين وتلك الصلاحيات: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾^(١).

والرسول المصطفى ﷺ هو الآخر مكين أمين، ولكن ليس عند ملك من ملوك الأرض، بل عند جبار السموات ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٌ﴾* مُطَاعٌ ثُمَّ أَمِينٌ ﴿٣١﴾ لما سيعطيه من القدرة والمكانة ما يتمكن معه من التقلب في مناصب الآخرة والتصرف كيف يشاء، خصوصاً مقام الشفاعة، وتمشية أمور أمته وأتباعه ومحبيه وطلب المغفرة لهم وإدخالهم الجنة.

وهذا لا يعني أن الرسول المصطفى ﷺ كان مكتوف اليد في هذه الدنيا، بل كان فيها مفتوح اليد أيضاً وكانت آثار المكنة وآثار عناية الله سبحانه وتعالى مشهودة فيه في جميع الأحوال وحتى في أشدها، بحيث لا يعجزه شيء أراد، ولا يصيبه الفشل، ولا يعجز ولا يعطب في جميع الأمور، حتى أن أبا طالب عليه السلام لاحظ ذلك فيه، فكان فيما قال لخديجة عليها السلام أنت يا خديجة محتاجة إليه؛ لأنه من حين خلق ما وقف له على صبوة، وأنه مكين أمين^(٢).

فلا ضير في هذا الوصف بعد مجيئه في كلام أبي طالب عليه السلام وإن كان في الآية احتمالات أحدها إرادة جبرئيل وأنه هو المكين الأمين كما جاء في بعض التفاسير.

(١) يوسف: ٥٤.

(٢) يوسف: ٥٥.

(٣) التكويرة: ٢٠.

(٤) البحار: ١٦: ٢٧.

ولا ضير في ذلك بعد عد ابن شهر آشوب ذلك في أسمائه عليه السلام مستدلاً بهذه الآية^(١).

٨٨١. المكى

لا شك أن هناك بقاع في أكثر بلدان العالم يعتقد البعض بقداستها وحرمتها، وقد تكون مقدسة عند أمة كاملة أو حتى عدة أمم.

وتلك البقاع كثيرة منتشرة هنا وهناك، بل قلما يخلو صقع من مكان يقده أهله لأجل أنه مكان مختص للعبادة، أو مدفن لبعض الصالحين، أو محل لظهور بعض آيات الله سبحانه وتعالى أو تجلّي قدرته وحصول الخوارق فيه، أو أنه كان مسكناً أو مقاماً لبعض الأنبياء أو الصالحين، بل حتى من دون حصول شيء من ذلك وإنما اعتبروا له القداسة وفرضوا له ذلك، فهو مجرد فرض واعتبار لا أكثر، كما قد تكون وراء ذلك الاعتبار مطامع اقتصادية أو سياسية وأمثالها.

ثم إن هذه الأماكن المقدسة قد تتعاضم بمرور الأيام ويحدث فيها ما يعززها فتزداد قداستها وينتشر صيتها وتتوسع رقعة البقاع التي تقدسها وتدين لها حتى تصير لها قداسة عالمية وشهرة آفاقية، بينما يفقد البعض الآخر قداسته ويتناقص عدد المقدسين له حتى يصل إلى حد النسيان والهجر، بل حتى قد ينقلب الحال ويصير منفوراً، كبعض معابد النيران.

وبعد ملاحظة ذلك الأمر المشهود والإذعان بوجود تلك البقاع يأتي السؤال عن مدى حقيقة تلك القداسة، وهل هناك أرض لها قداسة حقيقية وراء صفحات الاعتقاد وخالياً عن عالم الاعتبار والخيال، أم أن ذلك مؤطر بإطار الاعتقاد ومحصور في زاوية الاعتبار والخيال من دون أن يكون له

تأصل في الخارج؛ وأنه لا فضل في الواقع لأرض على أرض، ولا تكون هناك ميزة لبقعة على سائر البقاع في هذا العالم؟

وإذا سلمنا وجود بعض الآثار لبعض البقاع مثل استجابة الدعاء فيها أو انقهار كل من يقصدها بسوء، واندكك رقبة فاعل القبيح فيها فهل هي آثار نفس الاعتقاد أو آثار المكان والبقعة؟

يصعب الجواب على مثل ذلك حتى عند ملاحظة كل ما ينقل من الآثار والأقوال، بل حتى لو سلمنا الكتب السماوية وواجهنا مثل قوله تعالى: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُورٍ﴾^(١) لحيء احتمال مجرد الاعتبار وإنشاء الحكم بهذا الإخبار، فيكون المعنى اخلع نعليك انك في وادٍ جعلت له القداسة واعتبرت له الحرمة فيجب احترامه ويحرم الاستهانة به، وليس وراء الحرمة والوجوب آثار وضعية ولا صفات حقيقية، غير أن هذا الاحتمال خلاف الظاهر؛ لأن الظاهر إرادة القداسة الحقيقية والآثار الواقعية.

وبعد التتبع والتأمل في أحوال تلك البقاع وما ورد من النصوص في قداستها وآثارها يجب الإذعان بثبوت بعض الأحكام لبعض البقاع وسائر الأمور الاعتبارية، كما يجب الإذعان بثبوت بعض الآثار الوضعية المتمثلة باليد الغيبية التي تدفع عن ذلك الصقع وأهله غير أن تلك الآثار تتسم بنوع من النسبية والمرونة، فقد تترتب وقد لا تترتب.

فهذا بيت المقدس يعتقد بقداسته ثلاث أمم ويكن له أتباع الديانات الثلاث غاية القدسية والاحترام قد تعرض للهدم على يد نبوخذ نصر وما ازداد بعده إلا شوكة وقوة، وما زال الصهانية ينتهكون حرمة البيت بين الآونة والأخرى وهم أشد قوة وأكثر نفيراً.

بينما قصد إبراهيم الحبشي البيت الحرام فأرسل الله سبحانه وتعالى عليه طيراً أبابيل وأباد جمعه وهزم جيشه وقتله شر قتلة، والحال أن نفس هذا البيت قام الحجاج بضربه بالمنجنيق وهدمه عن آخره ولم يصبه أذى.

وينقل أن اثنين أتيا بفاحشة في البيت فصارا صنمين، وأن كل من يأتي بفاحشة في مكة تندك رقبتة، والحال أن العرب نصبت على البيت الأصنام، وأخذت تعبدها من دون الله سبحانه والشرك ظلم عظيم، فهذا ما لا نفهمه بالتحديد، ولا نستطيع أن نجزم به أكثر من اشتراط حصول تلك الآثار بوجود الاعتقاد بحصولها عند المجاورين والقاصدين ليس أكثر.

كما أن التتبع في تلك النصوص يعطينا بعض الموازين في حدوث القداسة للأرض والسبب في اختيارها وتفضيلها من بين الأراضي المستوطنة، ألا وهو بعدها عن الماء وقربها من السماء ووضوح نجومها المؤدي إلى كثرة اجتهاد أهلها وسعيهم في طلب المعاش، الأمر الذي نجده في مكة حيث إنها بواد غير ذي زرع، وكذا النجف الأشرف وقم المقدسة، بينما يجيء الذم في مثل البصرة لأنها أقربها من الماء وأبعدها من السماء.

ومهما يكن من ذلك فإن مكة هي إحدى تلك البلدان المقدسة فيها أول بيت وضع للناس مباركاً وهو بيت آدم عليه السلام وزوجته حواء على ما يقال، ثم ظلت آثاره وأسسها باقية حتى أسكن إبراهيم عنده من ذريته ورفع القواعد ودعا لأهله وساكنيه وأذن بالحج فتمصرت هذه المدينة وصار ساكنوها يعتزون بها كما يقدها أهل تلك الأطراف والبقاع المحيطة بها ويقصدونها للطواف بالبيت في كل عام، حتى إذا جاء الإسلام أكد تلك القداسة والاحترام وفرض لها أحكاماً متميزة تؤكد قدسيتها، وبذلك توافرت النصوص لتجنيبها الصراعات الدائرة في كل دور وزمان والتعبير عنها بالبلد الأمين في القرآن.

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة وقف على الخزورة وقال:

«إنني لأعلم أنك أحب البلاد إلي، وأنت أحب أرض الله إلى الله، ولولا أن المشركين أخرجوني منك ما خرجت»^(١) فهذا يدل على قداسة ذاتية بحيث يحبها الله سبحانه وتعالى، وإن كانت العرضية أيضاً محتملة.

وفي عام الفتح وقف على جرة العقبة وقال: «والله أنت خير أرض الله، وإنك أحب أرض الله إليّ، ولو لم أخرج ما خرجت، إنها لم تحل لأحد كان قبلي، ولا تحل لأحد كان بعدي، وما أحلت لي إلا ساعة من نهار، ثم هي حرام، لا يعضد شجرها، ولا يحشئ خلالها، ولا تلتقط ضالتها إلا لمنشد»^(٢).

ومع كل هذه الأخبار والقرائن لا يسعني الجزم والقطع بقداصة مكة الذاتية ولا يمكنني سوى التزام القداسة العرضية، فهي مقدسة؛ لأن الرسول ﷺ مكى، فهو مشرفها ومن قداسته تأخذ قداستها.

وإذا قال الرسول ﷺ لعلي: «يا أبا الحسن أكتب لأبي دجاجة كتاباً لا شيء يؤذيه من بعده» فقال: «وما اكتب؟» قال: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي العربي الأمي التهامي الأبطحي المكي المدني القرشي الهاشمي صاحب التاج والهاوأة...»^(٣).

فليس إلا أن مكة صار لها اسم وصيبت ببعثته فيها، وعرفها من عرفها لأجل دعوته التي انتشرت منها إلى جميع بقاع العالم، وليس يزيد النبي ﷺ شرفاً كونه مكياً.

وهكذا إذا دعا الإمام السجاد عليه السلام وقال: «اللهم بدمه الإسلام

(١) معجم البلدان ٥: ١٨٣، تفسير القرطبي ١٦: ٢٣٥.

(٢) الخلاف للشيخ الطوسي ٢: ٤٥١، مسند أحمد: ٣٠٥.

(٣) البحار ٩١: ٢٢٠.

أتوسّل إليك، وبحرمة القرآن أعتمد عليك، وبحبي للنبي الأمي القرشي الهاشمي العربي التهامي المكي المدني أرجو الزلفة لديك...»^(١) فلا يقصد غير ذلك المعنى.

ويبقى الكلام في وجه تسميتها بمكة فقد وقع فيه اختلاف شديد، والأغلب أنها مكة من الملك بمعنى المص لأنها تمتص الناس من أطرافها في كل عام، أو لأن أهلها من أجل جفافها يمتصون الماء مصاً، أو لأجل أنها تمك الجبارين وتذهب بنخوتهم.

٨٨٢ . ملك الآخرة

المَلِكُ في الدنيا هو القادر الواسع المقدرة ومن له السياسة والتدبير والحل والشد مما يتلخص في ولاية التصرف بالأموال والأنفس بين أن يأخذ لنفسه ولولايته وبين يأخذ من الغني ليعطي الفقير أو بالعكس، وبين أن يسخر الرعية لمصلحه ومظامعه الشخصية وشهواته الدنيئة ويسفك دماءهم في هذا السبيل، وبين أن يسخرهم لبناء مملكته والحفاظة عليها ودفع الاعداء وتوفير الأمن للرعية.

وأما ملك الآخرة فلا تتصور فيه ولاية الأموال والأنفس، فلا موت ولا سخرة ولا حاجة للعمل وبذل الجهد ولا يوجد هناك أموال تؤخذ وتعطى، إنما هناك حسنات وسيئات وجنة ونار، فله ولاية التصرف في ذلك، بحيث يدخل الجنة من يريد ويدخل النار من أراد.

والذي يبدو أن المهم في ملك الآخرة فارغاً عن ولاية التصرف هو مظاهر الملك وآيات العظمة والجلال المتمثلة في التاج والحلي والعرش والقصور، والعساكر والجنود، والمواكب الملوكية والنور والتضارة، حيث

الصحيفة السجادية (الأبوظبي): ٢٢٤. (١)

جاء الحديث عن الوسيلة التي هي درجة الرسول ﷺ في الجنة وهي ألف مرقاة جوهر إلى مرقاة زبرجد إلى مرقاة لؤلؤة إلى مرقاة ذهب إلى مرقاة فضة فيؤتى بها يوم القيامة حتى تنصب مع درجة النبيين، فهي في درجة النبيين كالقمر بين الكواكب، فلا يبقى يومئذ نبي ولا شهيد ولا صديق إلا قال: طوبى لمن كانت هذه درجته، فينادي المنادي ويسمع النداء جميع النبيين والصديقين والشهداء والمؤمنين: هذه درجة محمد ﷺ، ويروى أن رسول الله ﷺ قال: فأقبل يومئذ متزراً بريطة من نور، على رأسي تاج الملك وإكليل الكرامة وعلي بن أبي طالب أمامي ويده لوائي وهو لواء الحمد، مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله المفلحون هم الفائزون بالله، فإذا مررنا بالنبيين قالوا: هذان ملكان لم نعرفهما ولم نرهما، وإذا مررنا بالملائكة قالوا: هذان نبيان مرسلان، حتى أعلو الدرجة وعلي يتبعني، فإذا صرت في أعلى الدرجة منها وعلي أسفل مني بيده لوائي، فلا يبقى يومئذ نبي ولا مؤمن، إلا رفعوا رؤوسهم إليّ يقولون: طوبى لهذين العبيدين ما أكرمهما على الله، فينادي المنادي يسمع النبيون وجميع الخلائق: هذا حبيبي محمد، وهذا وليي علي بن أبي طالب طوبى لمن أحبه وويل لمن أبغضه وكذب عليه إلى أن قال - فيينا أنا كذلك إذا ملكان قد أقبلا إليّ، أما أحدهما فرضوان خازن الجنة، وأما الآخر فمالك خازن النار، فيدنو رضوان ويسلم عليّ ويقول: السلام عليك يا رسول الله، فأرد عليه وأقول: أيها الملك الطيب الريح، الحسن الوجه، الكريم على ربه من أنت؟ فيقول: أنا رضوان خازن الجنة، أمرني ربي أن أتيتك بمفاتيح الجنة فخذها يا محمد، فأقول: قد قبلت ذلك من ربي فله الحمد على ما أنعم به عليّ، ادفعها إلى أخي علي بن أبي طالب، فيدفعها إلى علي ويرجع رضوان، ثم يدنو مالك خازن النار فيسلم ويقول: السلام عليك يا حبيب الله، فأقول له: وعليك السلام أيها الملك ما أنكر رؤيتك وأقبح وجهك؛ من أنت؟ فيقول: أنا مالك خازن النار، أمرني ربي أن

أتيك بمفاتيح النار، فأقول: قد قبلت ذلك من ربي فله الحمد على ما أنعم به عليّ وفضلني به، ادفعها إلى أخي علي بن أبي طالب، فيدفعها إليه، ثم يرجع مالك، فيقبل علي ومعه مفاتيح الجنة ومقاليد النار حتى يقعد على عجزة جهنم ويأخذ زمامها بيده وقد علا زفيرها واشتد حرّها وكثر تطاير شررها فتنادي جهنم: يا علي جزني قد أطفأ نورك هبي، فيقول علي لها: ذري هذا وليي، وخذي هذا عدوي، فلجهنم يومئذ أشد مطاوعة لعلي من غلام أحدكم لصاحبه، فإن شاء يذهب بها مينة وإن شاء يذهب بها يسرة، ولجهنم يومئذ أشد مطاوعة لعلي من جميع الخلائق، وذلك أن علياً عليه السلام يومئذ تسيم الجنة والنار»^(١).

قال السيد ابن طاووس الحسني :

الفصل الرابع والستون: وليس بغريب من أمة كان فيهم علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام أمه بنت كسرى من أعظم ملوك الدنيا وجده محمد صلى الله عليه وآله ملك الدنيا والآخرة، وأبوه علي من أعظم خلفاء الإسلام وهو على صفات فضل بها أهل زمانه ودلت على علو شأنه فيتركونه ترك من لا يلتفتون إليه ولا يعرضون نفوسهم عليه ويطرحون نفوسهم على بني أمية^(٢).

٨٨٣ . المليح

تتحدث الأخبار عن جمال النبي صلى الله عليه وآله وكمال بدنه وتمامية خلقتة واستواء أطرافه وتناسق أعضائه وأنه مليح حسن الوجه بهيج المنظر. والمثير أنه كيف يسمح مناخ الجزيرة العربية القاسي بنشوء من هو

(١) البحار ٧: ٣٢٦ ح ٢.

(٢) كشف المحجة: ٤٦.

كذلك مع ملاحظة أن الغالب على أهلها السمرة الشديدة وجعد الشعر وغور العيون كما هو ملحوظ حتى هذه الأيام.

نعم إذا كان المراد هو الجمال النسبي وأنه كان جميلاً بالقياس إلى أهل الجزيرة فهو معقول؛ لوجود من هو أجمل من الآخرين في كل صقع حتى أقاصي أفريقية.

ولكن الوصف لا يتوقف عند ذلك الحد حتى جاء في بعض الأخبار أن النبي ﷺ أجمل من النبي يوسف عليه السلام الذي لجماله شهرة أكثر من عالمية، أي عصرية، خصوصاً مع الالتفات إلى أن جمال الإنسان ما زال في تنازل من يوم خلقه آدم عليه السلام وهبوطه إلى الأرض إلى ما بعد زمان النبي ﷺ على أقل تقدير، سيد أن آدم عليه السلام من أبناء النعيم الذين تعرف في وجوههم النضارة والجمال والدعة وهو المترعرع في الفردوس والجنة الراقية، أي المحل الأكثر تطوراً ونعمة وجمالاً، ثم اضطر للهبوط إلى الأرض الدانية، فإن ظروف الأرض وطبيعة التغذية والحياة فيها هي التي تولد القبح وتزده شيئاً فشيئاً وخصوصاً أرض الحجاز القاحلة.

والأكثر تعجباً قول الرسول ﷺ إن إبراهيم أشبه الناس بي، وأنا أشبه الناس بآدم عليه السلام، فهذا ما يحتاج إلى معجزة ويد غيبية تضمن تحقيق كل تلك المواصفات والعوامل التي توفرها، وتنتهي إلى تحقق جمال بذلك الحد في تلك الأرض، الجمال الذي يصفه البكري بأنه ﷺ كأن مليح الكون^(١).

وقد تتجلى تلك العناية الخاصة بما ينقل من أن الغمامة كانت تظله متى ما اشتد الحر، وتسير معه أينما سار ويصبيه الروح والهواء البارد عند هبوب السموم، كما مر في عنوان المظلل بالغمام.

وقد يراد من المليح هو من كثر ملحه وظرفه، فيتحدد في جماله المعنوي والروحي، وخصوص جمال أخلاقه، فهو مليح بأخلاقه وكلامه وأنحاء معاشرته.

ومهما يكن من ذلك فإن الواقدي يروي أن النبي ﷺ قعد عند عين فنزل جبرئيل في ذلك الموضوع وميكائيل واسرافيل ودردائيل، فقال جبرئيل: السلام عليك يا محمد... السلام عليك يا أيها المليح^(١).

٨٨٤. المنادي

الصوت الذي يخرج من فم الإنسان أهم وسيلة للارتباط بين أبناء البشر، ابتداءً من الصوت المحض الذي يدل على وجود الشخص المصوت وحضوره فقط، ومروراً بأنحاء الكلام الابتدائية التي تأخذ طابع الدلالة على بعض الأمور، كرفع الصوت للدلالة على الانزعاج والمشاجرة، وخفضه للدلالة على السر والتخالص، ثم تقاطيع الكلام الابتدائية التي تنبئ عن قدرة الفرز والتقسيم والإشارة إلى بعض الأنواع والأقسام، وانتهاءً إلى الكنایات والمجازات المعقدة وأنواع الاصطلاحات العلمية والمخاورات الصعبة.

ولما كان أصل الندو هو التباعد والتفرق صار لفظ نادي ولفظ المنادي يحكي عن التصويت على البعد، وإذا لم يكن التفرق والتباعد يأتي بمعنى أنه رفع صوته وصاح بالقوم لكي يُسمع جميع الحاضرين.

ولعل هذا النداء ورفع الصوت هو الوسيلة الإعلامية الأولى للارتباط الجماعي والسبيل الأول لنقل المقاصد إلى الجماعات والتجمعات، وهي الوسيلة التي استخدمها النبي ﷺ بشكل ملحوظ في

(١) الفضائل: ٣١، ٥٢، البحار: ١٥: ٣٥١.

٣١٤..... أسماء الرسول المصطفى ﷺ

ابتداء الدعوة حينما صعد على الصفا ونادى في أيام الموسم: أيها الناس
إني رسول الله رب العالمين...^(١).

فكان نداؤه في الجمع الحاضر بمعنى رفع الصوت، وللنائين بمعنى
الإبلاغ على البعد برفع الصوت، وقد يشمل الإبلاغ بالراسطة باعتبار أن
الواسطة محلّ محلّ الفاصلة، فيكون قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا
مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾^(٢) شاملاً لجميع من حضر ونأى ومن بلغه ذلك
بالواسطة وعبر الزمان.

وجاء في أكثر التفاسير أن المنادي في هذه الآية هو رسول الله ﷺ^(٣).

٨٨٥. المنتجب

الانتخاب كالارتضاء والاصطفاء يدخل تحت معنى الانتخاب
والاختيار لتظل الفوارق بين الاصطلاحات الثلاثة الأولى في مواطن
الاختيار ونوع المهمة المختار لها والكيفية.

وإذا كان الانتخاب والاصطفاء والارتضاء من قبل الله سبحانه
وتعالى فإنه سيفرض وجود مشتركات بين الاصطلاحات الثلاثة غير أصل
الاختيار، مثل الاختيار عن علم سابق بصلاحية المنتخب بل أصلحيته مما
سواه من البشر ومدى توفيقه في انجاز مهمته وقدرته عليها وملائمته
لظرفه ومكانه، فيكون الانتخاب دقيقاً جداً لأنه من مطلع على الضمائر

(١) البحار ١٨ : ٢٤١.

(٢) آل عمران: ١٩٣.

(٣) تفسير القمي ١ : ١٢٩، وانظر التبيان ٣ : ٨٤، ومجمع البيان ٢ : ٤٧٤، وتفسير

الأصفي ١ : ١٨٨.

وكل ما سيحدث وما يناسب ويلائم، فيكون الانتخاب مساوياً للنجاح وعظمة المنتخب في حد ذاته.

وأما الفوارق فقد يتفرد معنى الانتخاب بتضمنه معنى الامتحان في العادة وتحقق النجاة وثبوتها فيه، ويكون معنى انتجبه أي امتحنه فوجده نجيباً، يعني كريم الحسب محمود الفعال والأقواله والرأي.

وإذا لاحظنا هذا المعنى الفارق وذلك الاشتراك في أسبقية العلم نجد نوعاً من المخالفة التي تحتاج إلى مؤونة بيان، ويؤكد الحاجة إلى ذلك الجمع ما ورد في بعض الأخبار «وانتجبه بعلمك» وفي البعض الآخر بأنه «المنتجب في الميثاق» الذي هو اختيار للرسول ﷺ بعدما دخلت البشرية قاعة الامتحان لتجيب عن سؤال الرب: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فكان رسول الله ﷺ أول من أجاب وقال: بلى، فما هي الحاجة إلى الامتحان بعد ما كان الانتخاب بعلم الله العالم؟ هذه هي المخالفة المسئول عنها.

ولعل الجواب هو أن الامتحان نفس الانتخاب، بمعنى أن الامتحان كان على أساس علم سابق بخروج النبي ﷺ منه ويكون الامتحان هو إظهار ذلك الانتخاب وإعلامه مع بيان دليله الملموس، وما تتم به الحجة إذا ما حدث التساؤل عن دليل ذلك الانتخاب والتفضيل، فقد كان النبي ﷺ يُسأل: بم سبقت الأنبياء وأنت آخرهم؟ فيجيب بأنه ﷺ سبقهم في الإقرار.

ومهما يكن من ذلك فالمنتجب له ﷺ يعرف من الجمل الواردة في الأخبار التي منها ما في الصحيفة السجادية «وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ارتضاه لنفسه وانتجبه لدينه، واصطفاه على جميع خلقه لتبليغ الرسالة»^(١).

وفي إقبال الأعمال: «وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، استخلصه في المقدم على سائر الأمم على علم منه بأنه انفراد عن التشاكل والتماثل من أبناء الجنس، وانتجبه أمراً وناهياً عنه...»^(١)

وذكر محمد بن أبي بكر فيما كتبه إلى معاوية: «ثم اختار على علم فاصطفي وانتخب محمداً ﷺ فاصطفاه نجيباً وانتجبه خليلاً»^(٢) وبعد كل ذلك فإن صفة المنتجب قد تكررت في الأخبار التي منها الأخبار التي تبين كيفية الصلاة عليه مثل «وصل على أطيب المرسلين محمد بن عبد الله المنتجب الفاتق الراجق»^(٣).

وآخرها الصلوات المهدوية المعروفة التي أولها: «اللهم صل على محمد المنتجب في الميثاق...»^(٤).

٨٨٦ . المنتجب في الميثاق

هذا هو تعيين لظرف الانتجاب ومبين لتوجيهه وهو الانتجاب في الميثاق في الذر الأول يوم الامتحان والسؤال ألسنت بربكم، فكان الرسول أول من أجاب بنعم، وكان هو الوجه في انتجابه، وهو العنوان أو الوصف المستفاد من الصلوات المهدوية المارة.

٨٨٧ . منحمننا

قال ابن إسحاق: وقد كان فيما بلغني عما كان وضع عيسى بن مريم

(١) إقبال الأعمال ٢: ٢٥٥.

(٢) الجمل لضرار المدني: ٩٠.

(٣) الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٧٨.

(٤) البحار ٣٥: ٢٢٠.

فيما جاءه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل من صفة رسول الله ﷺ مما أثبت يحسن الحوار لهم حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى بن مريم ﷺ في رسول الله ﷺ أن قال: من أبغضني فقد أبغض الرب، ولولا أنني صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلي ما كانت فهم خطيئة، ولكن من الآن بطروا وظنوا أنهم يعزوني وأيضاً للرب، ولكن لا بد من أن تتم الكلمة التي في السناموس، إنهم أبغضوني مجاناً، أي باطلاً، فلو قد جاء المنحمننا هذا الذي يرسله الله إليكم من عند الرب روح القسط^(١).

وقال في سيرة ابن هشام: المنحمننا بالسريانية: محمد، وهو بالرومية البرقليطس ﷺ^(٢).

٨٨٨. المنذر

المنظرون لكل حركة جماهيرية وكل تغيير عام يستفيدون في الغالب من عاملي التخويف والتطميع، ولا أقل أنهما بعض الوسائل التي يستخدمونها في سوق الأحداث نحو ما يقصدونه، ويتحقق التخويف بإيجاد المخاوف من تمادي الأنظمة والسلطة الحاكمة في ظلمها وجرحها البلاد إلى الفوضى والظلم والتعسف والفقر وغيرها.

وكذا كل من يتوخى هداية أمة أو مجموعة وتحييشها باتجاه الهدف المرغوب فيه، بل كل راع يرعى شؤون مجموعة أو حتى راعي الأغنام يحتاج إلى عامل التخويف في مجال سوقها إلى ما أراه أو تريده.

فإذا أراد أن يحرك القطيع إلى الأرض المعشبة أو إلى مأمته فإنه يستفيد من عصاه يلوح بها ويخيف بها في سبيل تجميع القطيع وتحريكه

(١) سيرة ابن هشام: ١: ٥٢، وانظر البحار: ١٦: ١٣١.

(٢) سيرة ابن هشام: ١: ٥٢، وانظر البحار: ١٦: ١٣١.

باتجاه ذلك الهدف .

وكذلك قادة البشر ورعاتها يستفيدون من التخويف والترهيب خصوصاً إيجاد المخاوف الذهنية والحقيقية، والخيال الجمعي الأكثر تأثيراً من العصا وما شابهها .

بينما يستفيد الأنبياء والرسول من تفعيل بعض المخاوف الذهنية وإيجاد مخاوف حقيقية من أجل التحذّر من تحقق تلك المخاوف والسوق نحو الأهداف معاً .

وذلك لأن الإنسان بحسب طبيعته يخاف من الموت وما بعد الموت ويجهل ما سيؤول أمره إليه بعد خروج الروح من الجسد، كما يحذر من وقوع البلايا والكوارث الطبيعية كوقوع الزلازل ونزول الصواعق والفتنة الجماعي الذي أصاب الأمم قبله .

فكان تفعيل ذلك الخوف هو العصا التي أمسك بها الأنبياء من أجل سوق الأمم إلى الرياض الزاهية وإيصالها إلى مأمنها ومقر خلودها .

وهذا ما يسمى بالإنذار الذي استفاد منه الرسول المصطفى ﷺ وعمامة الأنبياء في مجال تحريك أممهم وتحيين الفرصة لقلب النظام السائد وتغيير الوضع المأساوي الراهن .

وقد نجح تفعيل هذا الخوف أو تجديده في الحد من الجريمة والجنائية والقتل والسلب والنهب والتعدي على حقوق الآخرين، كما أزال التنابر والتمزق بين القبائل ورفع الظلم عن ضعفاء الأمة كالأيتام والعبيد والفقراء، لتحلّ محله وحدة الصف وتبادل الاحترام واستتباب الأمن وكثرة الخير التي تنتهي جميعها إلى مرضاة الرب والفوز بالجنة .

ولما كان الإنذار هو أهم الوسائل المتاحة وأنجحها فقد شرع الرسول المصطفى ﷺ دعوته بذلك، الأمر الذي يؤكد مدى أهميته وأرجحيته على

بأقبي السبيل، ولا أقل من إلفاته أنظار المجتمع وعطفها على التأمل في حقيقة الدعوة وما تهدف إليه.

ولذا تراه ﷺ يصعد على جبل الصفا عندما أراد إظهار الدعوة فيقول: «يا صباحاه» فاجتمعت إليه قريش، فقالوا: مالك؟ فقال: «أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»^(١).

ثم يستمر ﷺ في إنذاراته وتخويفه وتكرار ذلك من أجل التفعيل والترسيخ وإيجاد الخيال الجماعي، فمرة يحذر من وقوع كارثة طبيعية فيقول: ﴿أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادَ وَثَمُودَ﴾^(٢).

ومرة ينذرهم بعذاب النار ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾^(٣)، ومرة ينذرهم بعذاب القبر، وأخيراً بالعقوبات الشخصية.

ومن تكرر إنذاراته ودوامها تعلم أن وظيفته الأولى هي الإنذار بل حصرتها بعض الآيات بذلك حتى قل تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٤).

ولو طالعنا ردود الفعل المترتبة على ذلك الإنذار نعلم مدى تأثيره وستراتيغيته مهما كانت سلبية، فقد قل تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ* أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا

(١) تفسير السيوطي ٥: ٩٦، البحار ١٨: ١٦٤.

(٢) فصلت: ١٣، وقال تعالى: قل إنما أنا منذر ص ٦٥.

(٣) الليل: ١٤.

(٤) الرعد: ٧.

إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ* وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأْمُنُهُمْ أَنْ امْتُسُوا وَأَصْبِرُوا عَلَى
الْمَهْتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ^(١)، مما يحكي عن إلفات الأنظار إلى أصل
الدعوة، وحصول الاستغراب والاضطراب حول المنذر ومفاد الدعوة، مع
المطالبة بالصبر أمام تأثير ذلك الإنذار.

وقال تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ
هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ* أَئِنذًا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ^(٢) وهذا
نهاية إلفات الأنظار والدعوة للتفكير الجاد.

٨٨٩ . المنذر بالعقوبة

قال علي عليه السلام: إن الله جعل محمداً علماً للساعة ومبشراً بالجنة
ومنذراً بالعقوبة^(٣).

٨٩٠ . المنصور

المنصور في الحقيقة هو المنتصر بحسب النظرية الإسلامية، وكل
منتصر هو منصور وكل منصور هو منتصر؛ لأن النصر من عند الله العزيز
الحكيم، فمن ينصره الله فهو المنتصر ومن يخذله الله فهو المغلوب المنحدر،
والله يؤيد بنصره من يشاء.

ولكن السؤال عن الشروط التي يجب أن تتوفر عند أحد الطرفين
المتنازعين حتى ينصره الله سبحانه على عدوه ومناوته، فليس هو الإيمان

(١) ص ٤ ٥ .

(٢) ق: ٢ - ٣ .

(٣) نهج البلاغة ١: ٣١١ .

بالله سبحانه وتعالى والعمل الصالح لكثرة الموارد التي انكسر فيها المؤمنون في الظاهر مثل معركة أحد، وواقعة كربلاء وغيرها.

ويبقى مثل العدد والتمهر في القتال ليس هو الأسباب الأساسية وإنما هي شروط موضوعية لتحقيق الشروط الأساسية التي يعرفها الإسلام، ألا وهي الصبر وعدم الخوف والرهبة المعبر عنه بثبات القدم والربط على القلوب والسكينة، بالإضافة إلى صلاحية القائد، والالتفاف حوله والانصياع لأوامره التي تمثل وحدة التصميم والتدبير المانع من حصول التفرق والتشتت، وانتخاب الأرض المناسبة والمحل المناسب والخطوة العسكرية المناسبة والحداقة في معرفة نوايا العدو، ومن ثم العدد القوية والاستحكامات اللازمة؛ وقدرة النقل والانتقال السريع، ويدخل تحقق كل ذلك تحت عنوان نصر الله مما فعله الأنبياء وحققوا به النتائج.

ويبقى مثل العدد مما فيه السعة واحتمال تحقق النصر إلى عشرة أضعاف، يعني حتى إذا كان العدد عشرة أضعاف فاحتمال النصر موجود ولكن كلما زاد العدو تناقص احتمال النصر، لعدم توفر الشروط اللازمة الأساسية، أي الصبر وعدم الخوف والرهبة، فتكون الرهبة وثبات القدم عندها متعسرة وتكون هي السبب في الإنكسار دون قلة العدد، ومع الزيادة على عشرة أضعاف يبدو استحالة تحقق النصر، وستأتي الإشارة إلى بعض العوامل في العناوين القادمة.

والمهم هنا الإشارة إلى ما تركته الانتصارات من الآثار المهمة في مجال صناعة الحضارة الإسلامية، فإن الصراعات التي واجهها النبي ﷺ في مكة والمعارك التي قادها في المدينة تشكل عوامل كثيرة في صناعة الذاكرة الجماعية التي تؤدي إلى ولادة تراث حي له هويته وخلفياته كي يستمر ويتكرر.

بيد أن التاريخ يخلد المنتصر والمتحقق بصورة كلية ويتجاهل بطبيعته الممكنات والاحتمالات التي لم تتحقق أو لم تنتجز، أي لم تنتصر.

وبهذا يكون الإسلام قد خاض تجربة موفقة في مجال تحريك الجموع البشرية وسوقها نحو النصر، مما يترك هذه المعلومة وهذه الذاكرة الطيبة ويخلفها عند الأجيال بحيث يجعلهم يفكرون في استعادة تلك التجربة في كل برهة تاريخية وخصوصاً في الآونة الأخيرة، وفق قانون إن تنصروا الله ينصركم.

والنتيجة أن لعنوان المنصور المساوي للمنتصر بالغ الأهمية، ولذا جاء في أول زيارات النبي ﷺ السلام على المنصور المؤيد السلام على أبي القاسم محمد^(١)، فإنه في الحقيقة تجديد للمعلومة المتحدث عنها وتأهيلها لخوض تجربة أخرى، غير أن الذاكرة التاريخية يجب أن لا تغفل عن أن تحقيق النصر العسكري لا يعني إحراز أي تقدم في مجال تطبيق الإسلام ما لم يكن القائم على الأمر منصوباً من قبل الله سبحانه وتعالى، فما أن تصدى للخلافة من لم ينصبه الله سبحانه وتعالى ويريده لها إلا وسار أمر الأمة إلى سفال، وسرعان ما انتهت بقيام الدولة الأموية الظالمة، والبعيدة عن الإسلام.

٨٩١. المنصور بالرعب

يمكن تصوّر النصر بالرعب على نحوين:

النحو الأول: أنا بيّنا أن أحد عوامل النصر هو ثبات القدم ورباطة الجأش وسكينة القلب التي تعني جميعها عدم الرعب من العدو وعدم الخوف منه، وإنما يخسر الحرب من كان مرعوباً أو أكثر رعباً من مقابله، والعامل الآخر هو الصبر، فعشرون صابرون يغلبوا مائتين.

ولما كان الرعب والخوف من الموت والدمار وويلات الحروب أمر

(١) إقبال الأعمال ٣: ١٣٠، المزار لنشهد الأول: ٣٧، المزار للمشهدي: ٢٠٦.

طبيعي للغاية بحيث لا يمكن القول بأن أحداً لا يهاب الموت ولا يخاف ذلك أولاً يرغب في البقاء ليتمتع بلذائذ العيش، فالرعب بحسب العادة موجود عند الطرفين المتحاربين، ولكن يزول هذا الرعب ويتناقص مع وجود مصالح أو عصبية أو فوائد عظيمة أخرى تترتب على الحرب كصيانة الشرف وحفظ العرض والمال الكثير، وما شابه ذلك، فيكون النصر مع من كان أقل رعباً وأثبت قدماً.

ولكن هذا لا يعني زوال الرعب من القلوب نهائياً بل يخفف الوطأة ويزيل بعض الرعب ويبقى القسم الأعظم منه على حاله، وتكون النتيجة الحاسمة لمن كان أقل رعباً وأعظم هدفاً وأكثر دافعاً إذا انضم إليها عوامل النصر الأخرى.

ولما جاء الرسول ﷺ أضاف إلى تلك العوامل النازعة للخوف من القلوب عوامل أخرى كثيرة كعدة الله المؤمنين بثواب الآخرة وغفران الذنوب ثم رضوان منه أكبر، وبالتالي دخول الجنة، وأن كل ما يجري بعين الله سبحانه وولاه ولأجله على أنه الغاية القصوى للمحبين والعاشقين، وهذا ما يزيل الرعب بالكلية عند المؤمنين، بل حتى قد يبلغ مرتبة الشوق إلى الشهادة كما تحقق في كربلاء وفي بعض معارك الرسول ﷺ وحتى يومنا هذا.

فهذا النحو الأول يخلص إلى القول بأن نصر النبي ﷺ بالرعب بمعنى إزالة الرعب من قلوب أصحابه مع بقاء ذلك في قلوب أعدائه، بحيث تحتل عندها الموازنة وتكون الكفة الراجحة بجانب المسلمين.

النحو الآخر: هو تشديد الرعب في قلوب الأعداء بأسباب وعلل مختلفة لا يخرج عنها ملاحظة العدو لحزم المسلمين وحزمهم وعزمهم الراسخ، وتصميمهم الأكيد بالإضافة إلى وقوع المخاوف في قلوبهم من جراء احتمال صدق النبي ﷺ في دعواه وأنه كواحد من الأنبياء وأن هناك

معاداً وجنة وناراً مع ما ينقل عنه من المعجز والنصر الإلهي والتأييد الرباني خصوصاً بعد معركة بدر التي استطاع فيها المسلمون من تحقيق غلبة ساحقة رغم قلة عددهم وضعف أسلحتهم، ووقعت الصيحة بأن الرسول ﷺ منصور بالملائكة، مع العلم أن هناك من يميل إلى الرسول ﷺ ودعوته باعتبار ما فيها من الدعوة إلى السواسية ومكارم الأخلاق وهرع الشبيبة إليها بحيث يولد الرغبة عند كل واحد من شباب العدو للانخراط في صف الدعوة الجديدة والتشكيلة الناهضة.

ومعه لا يكون عندهم الرغبة في القتل وحصول المخاوف من القتل في صف المشركين، كما ويوهن العدو اجتماع الأصناف المختلفة وأفراد القبائل المتباعلة الحاكي عن وجود قوة جاذبة جديدة تجذبهم وتشدهم مع بعضهم وغير ذلك من الأمور التي يجدها المتخصص في حروب النبي ﷺ وملاكاتهما.

وعلى هذا الأساس يكون نصره بالرعب يعني ازدياد الرعب في قلوب أعدائه وحصول المخاوف لديهم.

ولعل الصحيح هو اجتماع النحويين وتوفيق النبي ﷺ في نزع الرعب من قلوب أصدقائه وزرعه في قلوب أعدائه بعلل وعوامل مختلفة ووسائل متعددة يعزوها النبي ﷺ إلى خالقه ومرسله فيقول: «من عليّ ربي وقال لي: ... ونصرتك بالرعب»^(١).

وإذا كان جميع ما ذكرناه راجعاً إلى الحسابات المادية والعلل والأسباب الظاهرية بحسب ما نفهمه من تحقق الأمور الخارجية وحالات حصول المخاوف الذهنية والرعب والرهبية، فهناك عامل آخر غير ما نفهمه مما يعزوه الرسول ﷺ إلى القوى الغيبية نصره الله سبحانه وتعالى للمسلمين مما يفوق تلك الحسابات وغيرها.

(١) علل الشرائع ١: ١٢٨، الخصال: ٤٢٥، معاني الأخبار: ٥١.

فيقول: «إن الله... أعطاني في أمتي خمس خصال لم يعطيها نبياً كان قبلي: نصرني بالرعب، تسمع بي القوم وبيني وبينهم مسيرة شهر فيؤمنون بي، وأحل لي المغنم وجعل لي...»^(١). وإن كان في قوله: «نصرتك بالرعب» كناية، بيد أن القلوب بيد الله سبحانه وتعالى وفي قبضته يلقي فيها المخاوف ويجعلها تهاب النبي ﷺ وعساكره.

٨٩٢. المنصور بعلي

المشاهد أن من يحاول نقل شيء ثقيل فأول ما يفكر فيه هو وجود المساعد، ويظل يلتفت يمينه ويسرة يتأمل وصول من يعينه على إيصاله، وكذا من يتحمل رسالة إلى شخص أو جماعة فإنه يتخوف أن لا يجد من يتسلمها منه.

وكذلك الرسالة السماوية التي هي عبء ثقيل ورسالة يريد المرسل بها إيصالها ويتخوف من عدم تسلمها منه وبالتالي فشل المحاولة التي ندب إليها واختير لها، ولذا يكون لأول من يقدم على إعادته أو استلام الرسالة منه أهمية بالغة يأمل معها أن تنجح ويدعوه إلى التفاؤل بأن يجر ذلك الأول وراه آخرين يقتدون به.

فلما تحمل الرسول المصطفى ﷺ أعباء الرسالة السماوية كان أول من أعلن إيمانه علي بن أبي طالب^(٢)، ولا أقل هو أول من آمن به من

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ٥٧، البحار: ١٦: ٣١٦ ح ٦.

(٢) روي أن رسول الله ﷺ دعا علياً وخديجة وقال: يا علي ويا خديجة إن جبرئيل عندي يدعوكما إلي بيعة الإسلام فأسلما تسلما وأطيعا تهديا، فقلا: فعلنا وأطعنا يا رسول الله... فبسط رسول الله ﷺ كفه ووضع كفه علي^{عليه السلام} في كفه وقال: يا بني ما شرطت عليك وأن تمنعني مما تمنع منه نفسك، فبكى علي وقال: بأبي

الرجال الذين لإيمانهم أكبر الأهمية في أوساط الجزيرة بعد محكومية النساء واحتقارهن .

و يسجل إيمان علي رضي الله عنه أول توفيق لمهمة الرسول ﷺ والخطوة الأولى باتجاه الهدف المطلوب، ويكون بذلك قد نصر النبي ﷺ وأعانه .

ثم لما قام النبي ﷺ يصلي في فناء الكعبة بهيئة غير مألوفة لدى الناس الأمر الذي قد يثير التعجب وحتى السخرية فإن انضمام آخر إليه مما سيعزز موقفه، وذلك أن المروي وقوف النبي ﷺ يوم الاثنين وحيداً للصلاة ومن الطبيعي سيغلب عليه إحساس الوحدة والوحشة والخوف من ردود الفعل العنيفة، حتى إذا قام علي رضي الله عنه يوم الثلاثاء يصلي معه^(١) فقد أزال تلك الوحشة وأعطى انطباعاً عن جماعية هذا العمل بعد أن أضفى عليه الشرعية، وأنه أمر يقتدى به وسيكتب له التكامل بإيمان آخرين والتحاقهم بذلك الصف، فهو دعم عملي للدعوة ونصرة عملية للنبي ﷺ .

و لعل صلاة علي رضي الله عنه خلفه كانت بعد صلاة خديجة، غير أنه أول من صلى معه من الرجال، ولم يلبث أن التحق بهما جعفر بن أبي طالب بأمر من أبيه لما اجتاز بالنبي ﷺ وعلي وهما يصليان، فقال لابنه جعفر: صيل جناح ابن عمك، فلما أحس به رسول الله تقدمهما وانصرف أبو طالب مسروراً^(٢) .

وأمي لاحول ولا قوة إلا بالله، فقال رسول الله ﷺ: اهتديت ورب الكعبة ورشدت ووفقت.... الطرف: ٥، البحار: ١٨: ٢٣٢ ح ٧٥.

(١) روضة الواعظين: ٨٥.

(٢) انظر الأمالي للصدوق: ٥٩٧، وروضة الواعظين للفتل النيسابوري: ٨٦، ورياحين

الشرعية: ٢: ٣٠٢، ورواه البيهقي: ١: ١٤، والطبري في ذخائر العقبى: ٢٠٨.

فلما أبصر أهل مكة هذا التزايد فشا الخبر فيهم أن محمداً قد جن، فنزل ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٌ﴾^(١).

وفي هذا الحال قال علي عليه السلام: «يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أقول في السجود في الصلاة؟ فنزل: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(٢) قل: فما أقول في الركوع؟ فنزل ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾^(٣)»^(٤) وعلمه الوضوء، لتشكل أول مدرسة فقهية ويكون علي عليه السلام قد ساعد في تحقيق مهمة أخرى من مهام الرسول صلى الله عليه وسلم وهي مهمة التعليم وارتقاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى مقام المعلم الشامخ.

ولما واجهوا بعض المضايقات صلى علي عليه السلام مع النبي مستخفياً، ولعله لمدة ثلاثة سنين وأشهرات حيث كانا يخرجان إلى بعض شعاب مكة لأدائها، كأول صاحب سر للرسول صلى الله عليه وسلم وأول صاحب له في الظروف الصعبة الموحشة التي يمتحن فيها الناصر والصديق.

وهكذا استمر علي عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وسلم يعينه في أموره ويتقلب معه، وفي ذلك يقول علي عليه السلام: إن الله عز وجل أوحى إلى نبينا وحمله الرسالة وأنا أحدث أهل بيتي سناً أخدمه في بيته وأسعى بين يديه في أمره، فدعا صغير بني عبد المطلب وكبيرهم إلى الإسلام وشهادة أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله فامتنعوا من ذلك وأنكروه عليه وهجروه ونابدوه واعتزلوه واجتنبوه وسائر الناس مقصين له ومخالفين عليه قد استعظموا ما أورده

(١) البحار ٣٨ : ٢٠٢ .

(٢) الأعلى : ١ .

(٣) الواقعة : ٧٤ ، ٩٦ .

(٤) البحار ٣٨ : ٢٠٣ .

عليهم مما لم يحتمله قلوبهم، لم يتخالجني في ذلك شك، فمكثنا بذلك ثلاث حجج وما على وجه الأرض خلق يصلي أو يشهد لرسول الله ﷺ بما آتاه الله غير ابنة خويلد رحمها الله وقد فعل^(١).

وما وقوف علي ﷺ مع النبي ﷺ في السنين الموحشة وأعوام الوحدة والطرده والخذلان والتكذيب من قبل جميع الناس إلا ويعد سهماً كبيراً جداً في نصرة الرسول ﷺ ووضع أسس الدعوة الأولى في صعب الظروف وحالك الليالي.

كما أن دعوة بني عبد المطلب التي أشار إليها يمكن أن تكون فردية غير الدعوة الجماعية المعروفة أو هي بعينها لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٢) فجمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب واتخذ لهم طعاماً، فأكلوا وشربوا فقال: أيكم يباعني على أنه أخي ووارثي ووزير ووصيي وخليفتي فيكم بعدي؟ فعرض عليهم ذلك رجلاً رجلاً، كلهم يأبى ذلك.

فأنت ترى أن هذه أول محاولة جادة من الرسول ﷺ إذا كتب لها الفشل فإن من الصعب جداً تحقق الخطوة اللاحقة.

ولكن الذي عدل الموقف هو أنه لما انتهى العرض إلى علي ﷺ قال: أنا يا رسول الله، فكان في قبوله وتأيبه ومبايعته أمام أولئك النفوس بارقة أمل قد تكلم بها الموقف بالنجاح الابتدائي، ويكون قد زرع روح المنافسة على السبق إلى البيعة وقبول الدين الحق. ويروى أن النبي ﷺ دعاهم ثلاث مرات كل مرة يقدم للجمع الحاضر ما حضره من الطعام القليل الذي لا يكفي لأحدهم فيأكل الجميع حتى يشبعوا، ولما بهم رسول

(١) الخصال: ٣٦٦، الاختصاص للشيخ المفيد: ١٦٥..

(٢) الشعراء: ٢٦.

الله ﷺ أن يكلمهم يبدره أبو لهب إلى الكلام ويقول: لشد ما سحركم حتى كان في المرة الثالثة فقال النبي ﷺ ما قال.

ولما أمر النبي ﷺ بأن يظهر الدعوة ويصدع بالأمر تزايدت ضغوط المشركين واشتد أذاهم للرسول ﷺ، ومتناً سباً مع تلك الزيادة تضاعفت مهمة أمير المؤمنين عليه السلام الذي شرط عليه رسول الله ﷺ يوم بيعته أن يمنعه ما يمنع منه نفسه، فظل يراقب النبي ﷺ ويتابعه ويبحث عنه كلما فقده، مثل ما يروى أن رسول الله ﷺ صعد يوماً على الصفا ونادى في أيام الموسم: يا أيها الناس إنني رسول الله رب العالمين، فرمقه الناس بأبصارهم قالها ثلاثاً ثم انطلق حتى أتى المروة ثم وضع يده في أذنه ثم نادى ثلاثاً بأعلى صوته: يا أيها الناس إنني رسول الله ثلاثاً فرمقه الناس بأبصارهم ورماه أبو جهل - قبحه الله - بحجر فشج بين عينيه وتبعه المشركون بالحجارة، فهرب حتى أتى الجبل فاستند إلى موضع يقال له المتكأ، وجاء المشركون في طلبه، وجاء رجل إلى علي بن أبي طالب عليه السلام وقال: قد قتل محمد، فانطلق إلى منزل خديجة (رضي الله عنها) فدق الباب، فقالت خديجة: من هذا؟ قال: أنا علي، قالت: يا علي ما فعل محمد؟ قال: لا أدري إلا أن المشركين قد رموه بالحجارة، وما أدري أحي هو أم ميت، فأعطيني شيئاً فيه ماء وخذني معك شيئاً من هيس غذاء وانطلقني بنا نلتمس رسول الله ﷺ فإننا نجده جائعاً عطشاناً، فمضى حتى جاز الجبل وخذيجة معه، فقال علي: يا خديجة استبطني الوادي حتى استظهره، فجعل ينادي يا محمداه، يا رسول الله، نفسي لك الفداء، في أي واد أنت ملقى؟ وتستمر القصة حتى وجداه ومسحا الدماء عن وجهه وجاء إلى المنزل ^(١).

و لعل مثل هذا الموقف كان يتكرر بين الفترة والأخرى، ويشتد يوماً

بعد يوم، بل يوماً فقد روي أن النبي ﷺ كان إذا خرج من بيته تبعه أحداث المشركين يرمونه بالحجارة حتى أدموا كعبه وعرقوبيه فكان علي ﷺ يحمل عليهم فينهزمون^(١) وإلى جانب هذه المهام الصعبة كان علي ﷺ يتولى مهمة ثقافية تقع على عاتقها مسؤولية التسجيل الحرفي للوحي ويوميات البعث فهي الأخرى صعبة حيث كان جبرئيل يملئ علي النبي ﷺ وهو يملئ علي علي ﷺ^(٢).

ثم كانت مهمة الإمام أمير المؤمنين ﷺ في المحافظة على النبي ﷺ بعد أن صار مهدداً مهمة صعبة تباها أبو طالب هو وولده ليكون علي ﷺ أكثر المتحمسين لحراسة النبي ﷺ والحيلولة دون اغتيال الرسول ﷺ سراً، فإذا أخذ مضجعه أو رقد جعله أبو طالب بينه وبين بنيه خشية أن يقتلوه. حتى إذا توفي أبو طالب وتوفيت خديجة وفقد الرسول ﷺ ناصره وركنيه صار أكثر تهديداً وأضعف موقفاً، ولاقى من الأذى والضرب بالحجارة وغيرها أشد من السابق، وفي كل ذلك كان علي ﷺ إلى جانبه يحتمل ما يحتمله حتى صمم على الهجرة بعدما تعاهد مع أهل المدينة.

ولم تنزل قريش تحبيل الآراء، وتعمل الحيل في قتل النبي ﷺ حتى كان آخر ما اجتمعت في دار الندوة تبادل الآراء، في إخراج النبي ﷺ أو قتله حتى اجتمعت آراؤها على أن ينتدب من كل فخذ من قريش رجل، ثم يأخذ كل رجل منهم سيفه ثم يأتي النبي ﷺ وهو قائم على فراشه فيضربونه جميعاً بأسياقهم ضربة رجل واحد فيقتلونه، فإذا قتلوه منعت قريش رجالها ولم تسلمها فيمضي دمه هدراً.

ولما جازوا إلى الدار وحقوا بها وعلم بهم رسول الله ﷺ أقام علياً ﷺ

(١) نهج الإيمان لابن جبر: ٣١٥، البحار: ٤٠: ٦٢.

(٢) الاختصاص: ٢٧٥، البحار: ١٩: ٤٦ ح ٧.

في فراشه كأصعب مهمة يتبناها أحد من أجل صاحبه بعد أن كان هدف الرجال من قريش هو قتل النبي ﷺ في فراشه في الصباح، فخرج النبي ﷺ من حيث لم يروه، وظلوا يطلعون في الدار فيرون علياً على الفراش متشحاً ببرد رسول الله ﷺ فيقولون: إن هذا محمد نائم عليه برده، فدخلوا موقنين في أنفسهم بأنهم سيقتلون النبي ﷺ، فلما صاروا في داخل البيت، ناهضهم علي رضي الله عنه بسيفه فدفعهم عن نفسه، فاشتبك معهم، فضربوه حتى كادوا يقتلونه وهم يقولون: أين ابن عمك؟ فيقول: اللهم لا، ويكون قد أنجى بذلك رسول الله ﷺ من القتل. وفي ذلك يقول علي رضي الله عنه: «أمرني أن اضطجع في مضجعه، وأقيه بنفسي، فأسرعت إلى ذلك مطيعاً له، مسروراً لنفسي بأن أقتل دونه، فمضى لوجهه، واضطجعت في مضجعه....»^(١) وكان علي رضي الله عنه يجيز النبي ﷺ حين كان في الغار يأتيه بالطعام والشراب واستأجر له ثلاث رواحل، وكان النبي ﷺ قد خلفه ليخرج إليه بأهله، ويؤدي أماناته ووصاياه.

ولما بلغ الرسول ﷺ المدينة كتب إلى علي رضي الله عنه كتاباً يأمره بالسير إليه، وقلعة التلوم، فخرج علي رضي الله عنه بجماعة من النسوة، وفيهن فاطمة بنت رسول الله ﷺ يسوق بهن سوقاً رقيقاً، حتى أدركه جماعة من قريش يريدون إرجاعه وإرجاع النسوة، فاستقبلهم علي رضي الله عنه بسيفه وضرب أحدهم، فتصدعوا عنه وسار حتى بلغ المدينة، لينجز مهمة أخرى هي إيصال النساء كي يفرغ بال الرسول ﷺ من ناحيتهن ويتيسر له الانطلاق في دعوته.

ثم جاء دور المدينة واجتماع المهام والأعمال الكثيرة على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهي تتنوع بين بناء المسجد وتبليغ الدين واستقبال الوفود حتى كتب القتال على المسلمين والحال أن المدينة كانت ضعيفة بالنسبة إلى قريش وحلفائها، وهي منقسمة إلى الأوس والخزرج

(١) الخصال: ٣٦٧، شرح الأخيار ١: ٢٥٥، الاختصاص: ١٦٥، البحار ١٩: ٤٦ ح ٧.

المتحاربين، بالإضافة إلى عدم استحكام إيمان من آمن منهم، وبذلك يقع الجهد الأكبر على عاتق المؤمنين الأوائل، وأولهم علي عليه السلام.

كما لم تنفك قريش من التدبير لقتل النبي ﷺ واغتياله، وهم بين الفترة والأخرى يجرون بعض المحاولات ويبعثون من يوقع بالنبي ﷺ، فخرج رسول الله ﷺ ذات يوم وصلى الفجر ثم قال: «معاشر الناس أيكم ينهض إلى ثلاثة نفر قد ألوا باللات والعزى ليقتلوني وقد كذبوا ورب الكعبة؟»، فأحجم الناس وما تكلم أحد، ثم أرسل إلى علي عليه السلام وأعطاه ثيابه وسيفه، وأمره بالخروج إليهم، فخرج ثلاثة أيام حتى وجد الثلاثة وعرفهم، فنادوه من أنت؟ قال: أنا علي ابن عم الرسول ﷺ فقالوا: ما نعرف الله من رسول، سواء علينا وقعنا عليك أو على محمد فاشتبكوا، ودار بين علي وبين أحدهم ضربات فقتله وأخذ الآخرين أسيرين حتى جاء بهما النبي ﷺ: فقال النبي ﷺ: قدم إليّ أحد الرجلين، فقدمه فقال: قل لا إله إلا الله وأشهد أني رسول الله، فقال: لنقل جبل أبي قيس أحب إليّ من أن أقول هذه الكلمة فقال: يا علي أخره واضرب عنقه، ثم قال: قدم الآخر، وسأله مثل ما سألت صاحبه فامتنع أولاً ثم أسلم^(١).

و كان مثل ذلك الموقف يتكرر وينعاد حتى صار الرسول ﷺ يخوض المعارك الرسمية مثل معركة بدر وأحد وغيرها، فكان علي عليه السلام هو السابق في جميعها لم يعهد من مبارزة الأقران ومنازلة الأبطال مثل ما عرف له عليه السلام من كثرة ذلك على مرّ الزمان.

وهو فارس بدر الأول حيث شرعت بالمقابلة الثلاثية لما خرج عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد وقال: يا محمد أخرج إلينا أكفءنا من قريش، فبرز إليه ثلاثة نفر من الأنصار وانتسبوا لهم فقالوا: ارجعوا، إنما نريد الأكفء

من قريش، فنظر رسول الله ﷺ إلى عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وكان له يومئذ سبعون سنة، فقال: قم يا عبيدة، ونظر إلى حمزة فقال: قم يا عم، ثم نظر إلى علي فقال: قم يا علي - وكان أصغر القوم - فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم، فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها تريد أن تطفئ نور الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ثم قال: يا عبيدة عليك بعتبة بن ربيعة، وقال لحمزة: عليك بشيبة، وقال لعلي الكليلا: عليك بالوليد، فمروا حتى انتهوا إلى القوم فقالوا: أكفاء كرام، فحمل عبيدة على عتبة فضربه على رأسه ضربة فلقت هامته، وضرب عتبة عبيدة على ساقه فأظنها فسقطا جميعاً، وحمل شيبة على حمزة فتضاربا بالسيفين حتى انشلما، وحمل علي الكليلا على الوليد فضربه على حبل عاتقه فأخرج السيف من إبطه، قال علي الكليلا: لقد أخذ الوليد يمينه بشماله فضرب بها هامتي فظننت أن السماء وقعت على الأرض، ثم اعتنق حمزة وشيبة فقال المسلمون: يا علي أما ترى الكلب نهز عمك فحمل عليه علي الكليلا فقال: يا عم طأطئي رأسك وكان أطول من شيبة، فأدخل حمزة رأسه في صدر شيبة، فضربه علي الكليلا فطرح نصفه: ثم جاء إلى عتبة وبه رمق فأجهز عليه.

و كذلك كعاد هذا الشاب المتحمس الساهض أن يشرع المواجهة القطعية بعمل تفاءلت منه قريش بالشر، والمسلمون بالنصر، حيث شدد عزيمة المؤمنين وصار سبباً لاتتصارهم، بيد أنه أخذ سيفه ضارباً في جموع الكافرين بعد التحام الجيشين حتى قتل من المشركين سبعة وعشرين من مجموع سبعين قتيل من المشركين، وقيل: خمساً وثلاثين.

و في معركة أحد حيث الامتحان الأكبر وإخراج مخبيات الصدور لما انهزم المسلمون عن الرسول ﷺ بعد ما قتل منهم سبعون شهيداً وثبت علي الكليلا وثاب العدد اليسير الذي لا يتجاوز الأربعة عشر رجلاً، فما أن

أدرك علي النبي ﷺ إلا وقد أصاب النبي ﷺ الجراحات الكثيرة، ففتح رسول الله ﷺ عينيه ونظر إلى علي ﷺ وقد كان أغمي عليه مما ناله، فقال: يا علي ما فعل الناس؟ فقال: نقضوا العهد، وولوا الدبر، فقال له: فاكفي هؤلاء الذين قد قصدوا قصدي، فحمل عليهم علي ﷺ فكشفهم ثم عاد إليه وقد حملوا عليه من ناحية أخرى، فكرر عليهم فكشفهم، وأبو دجاجة وسهل بن حنيف قائمان على رأسه يذبان عنه، حتى انقطع سيف علي ﷺ، جاء إلى الرسول ﷺ وقال قد انقطع سيفي، فدفع إليه رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار، فقال: قاتل بهذا، ولم يكن يحمل على رسول الله ﷺ أحد إلا استقبله علي ﷺ، فإذا رأوا رجعوا، فالحاز رسول الله ﷺ إلى ناحية أحد، فوقف ولم يزل علي ﷺ، يتقاتلهم حتى أصابه تسعون جراحة، فتحاموه، وسمعوا منادياً من السماء يقول:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

فنزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد هذه والله المواساة، فقال رسول الله ﷺ: لأنني منه وهو مني.

و بعد ما ارتحل رسول الله ﷺ إلى المدينة، قال: أي رجل يأتينا بخر القوم؟ فلم يجبه أحد لما بهم من الخوف والتعب، فقال علي ﷺ: أنا آتيكم بخرهم، قال: اذهب فإن كانوا ركبوا الخيل وجنبوا الإبل فهم يريدون المدينة، والله لئن أرادوا المدينة لا نازلن الله فيهم، وإن كانوا ركبوا الإبل وجنبوا الخيل فإنهم يريدون مكة، فمضى علي ﷺ على ما به من الألم والجراحات حتى كان قريباً من القوم فرآهم قد ركبوا الإبل وجنبوا الخيل، فرجع علي ﷺ إلى رسول الله ﷺ وأخبره خبرهم.

و نزل جبرئيل ﷺ على النبي ﷺ وقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تخرج في أثر القوم ولا يخرج معك إلا من كانت به جراحة، فخرجوا على ما بهم من الألم والجراح، وكان القوم قد هموا بالهجوم على المدينة، فلما

سمعوا بخروج المسلمين في أثرهم قالوا بغينا، وأصابهم الرعب فمروا لا يلوون على شيء، ورجع رسول الله ﷺ.

و الامتحان الأصعب من امتحان معركة أحد لما عبر عمرو بن عبد ود بجماعة الخندق ونادى من يبارز؟ وكان عمرو من الشجعان قاتل يوم بدر حتى حمل من شدة الجراح ولم يحضر معركة أحد، فجاء في غزوة الخندق لتلافي ما فاتته وقد وضع علامة ليري مكانه وكان يُعد بألف فارس وهو يسمى فارس يليل.

فقال النبي ﷺ: أيكم يبرز الى عمرو وأضمن له على الله الجنة، فأما ثلاثة وفي كل مرة كان يقوم علي ﷺ فلم يجب أحد والقوم ناكسوا رؤسهم فأخذ عمرو يؤنبهم ويسبهم، ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أن من قتل دخلها. والقوم كأن على رؤوسهم الطير.

فقام علي ﷺ وقال: أنا له يا نبي الله، فقال ﷺ: إنه عمرو، اجلس، فنادى عمرو فقال:

ولقد بحت من النداء	بجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن الشجاع	مواقف القرن المناجز
إني كذلك لم أزل	متسرعاً نحو الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى	والجود من خير الغرائز

فقام علي ﷺ فقال: يا رسول الله أنا، فقال: إنه عمرو، فقال: وإن كان عمراً، فاستأذن رسول الله ﷺ فأذن له، فمشى إليه وهو يقول:

لا تعجلن فقد آتا	ك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة	والصدق منجي كل فائز
إني لأرجو أن أقيم	عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى	ذكرها عند الهزاهز

قال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي، فقال: غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك، فإني أكره أن أهرق دمك، وإنما قال ذلك خوفاً لما عرفه من بلاء علي عليه السلام يوم بدر، فقال علي عليه السلام: لكني والله ما أكره أن أهرق دمك، فغضب ونزل وسلّ سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي مغضباً، فاستقبله علي بدرقته، فضربه عمرو في الدرقة ففقدتها وأثبت فيها السيف، وأصاب رأس علي عليه السلام فشجّه، وضربه علي عليه السلام على حبل العاتق فسقط، فجزّ علي رأسه وأقبل نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلل، فقال عمر بن الخطاب: هلا استلبته درعه، فإنه ليس للعرب درع خيراً منها، فقال: ضربته، فاتقاني بسواته، فاستحييت من ابن عمي أن أستلبه.

فقال النبي ﷺ: أبشر يا علي، فلو وزن اليوم عملك بعمل أمة محمد رجح عملك بعملهم، وذلك أنه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلا وقد دخله وهن بقتل عمرو، ولم يبق بيت من بيوت المسلمين إلا وقد دخله عز بقتل عمرو.

و في حفر الخندق بدأ رسول الله ﷺ وأخذ معولاً، يحفر بنفسه وعلي عليه السلام ينقل التراب من الحفرة بلا هوادة مهمة أخرى.

و هكذا تستمر المهام العسكرية الصعبة لعلي عليه السلام في كل معركة وكل عمل عسكري أو سياسي، كالأحلاف والعهود والصلح كصلح الحديبية حيث كان هو الكاتب لورقة الصلح.

و عندما عزم النبي ﷺ على فتح مكة ومباغثة أهلها كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى أهل مكة يخبرهم الخبر، وأرسله مع سارة جارية أبي هب فخرجت وتركت الطريق، فنزل جبرئيل على النبي ﷺ وأخبره، فدعا علياً والزبير.

وقال لهما: أدركاها، وخذا منها الكتاب، فخرج علي والزبير لا

يلقيان أحداً، فسألاً حاطباً، فقال: رأيت امرأة سوداء انحدرت من الحرة، فأدركاها، فقالا لها: أين الصحيفة التي كتبت معك يا عدوة الله؟ ففتشاها فلم يجدا معها شيئاً، وحلفت أن لا شيء معها وبكت، فهيم الزبير بتركها، ولكن علياً عليه السلام قال: يخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن معها كتاباً ويأمرني بأخذه منها، وتقول أنت: إنه لا كتاب معها! ثم اخترط السيف وتقدم إليها، فقال: أما والله لئن تخرجي الكتاب أو لأكشفنك، ثم لأضربن عنقك، فقالت: اعرض بوجهك عني، فكشفت قناعها وأخرجت الكتاب من عقيصتها، فأخذه علي عليه السلام وصار إلى النبي صلى الله عليه وآله بالكتاب ليظل أمر التوجه إلى مكة مكتوماً.

وهكذا كان علي عليه السلام يد النبي صلى الله عليه وآله ورجله، إلا أن النبي أصعده على كتفه ليرم الأصنام من على الكعبة.

ويوم حنين انهزم المسلمون فلم يبق سوى صاحب الراية علي عليه السلام وجماعة من بني هاشم تأسعهم العباس وهو ينادي: يا أصحاب البقرة، ويا أصحاب الشجرة إلى أين تفرون، فلما سمعت الأنصار نداء العباس عطفوا وكسروا جفون سيوفهم.

فلما فرغ النبي صلى الله عليه وآله من هوازن سار حتى أتى الطائف، سأله القوم أن يبرح عنهم ليقدم عليه وفدهم ويشترط له ويشترطون لأنفسهم، فسار عليه السلام حتى نزل مكة، فقدم عليه نفر منهم بإسلام قومهم من دون أن يقيموا الصلاة ويعطوا الزكاة، فقال: إنه لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود، أما والسذي نفسي بيده ليقمن الصلاة وليؤتن الزكاة أو لأبعثن إليهم رجلاً هو مني كنفسي فليضرب أعناق مقاتليهم وليسبين ذراريهم، هو هذا، وأخذ بيد علي عليه السلام فأشالها، فلما صار القوم إلى قومهم بالطائف أخبروهم بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله فأقروا له بالصلاة، وأقروا له بما شرط عليهم، فقال عليه السلام: ما استعصى عليّ أهل مملكة ولا أمة إلا ورميتهم

بسهم الله عز وجل، قالوا: يا رسول الله، وما سهم الله؟ قال: علي بن أبي طالب.

و كانت الغنائم في غزوة حنين كثيرة لأن رئيسهم مالك كان قد أتى بالنساء والأموال ليدافع كل مقاتل عن ذراريه وأمواله، فقسهما رسول الله ﷺ في قريش وأجزل العطاء لألفة قلوبهم، واعترض على ذلك بعض الأنصار منهم العباس بن مرداس، أعطاه النبي ﷺ أربعاً من الإبل فسخطها، وأنشأ يقول:

تجعل نهبي ونهب العبيد	بين عيينة والأقرع
في كان حصن ولا حابس	يفوقان شيخي في المجمع
وما كنت دون امرئ منهما	ومن تضع اليوم لم يرفع

فقال رسول الله ﷺ لأمر المؤمنين الغنائم: قم يا علي فاقطع لسانه، فأخذ علي الغنائم بيده وانطلق به فقال العباس: يا علي إنك لقاطع لساني؟ قال: إني لمض فيك ما أمرت، ثم مضى به، فكرر العباس السؤال وقال: يا علي إنك لقاطع لساني؟ قال: إني ممض فيك ما أمرت، ثم مضى به حتى أدخله الحظائر التي فيها إبل الغنائم وقال له: خذ من الإبل ما بين أربعة إلى مائة، فقال العباس: بأبي أنت وأمي ما أكرمكم وأحلمكم وأعلمكم. فأراد النبي ﷺ من قطع لسانه هو قطعه بالعطاء، أي إسكاته بالعطاء، وفهمه علي الغنائم.

ولما حاصر النبي ﷺ حصن خيبر الذي هو من أعظم حصون اليهود ووله باب عظيمة كان علي الغنائم حينها أرمداً، فأعطى رسول الله ﷺ الراية لأبي بكر أولاً فلم يفتح عليه، وبعث عمرأ فلم يفتح عليه، فقال الغنائم: لأعطين الراية غداً رجلاً كراماً غير فرار يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فدعا علياً في الصباح وبصر في عينيه ودعا له فبرأ، فأعطاه الراية وذهب إليه مرحب وهو من الأبطال وهو يقول:

قد علمت خير أني مرحب
 فبرز إليه علي عليه السلام وهو يقول:
 أنا الذي سميتي أمي حيدرة
 كليث غابات كربه المنظرة
 أوفيكم بالصاع كيل السندرة

فضرب مرحب ففلق رأسه، فترجع اليهود وأغلقوا باب الحصن، فاجتذب علي الباب فألقاه على الأرض وفتح الحصن، ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً حتى أعادوه.

وما إرسال النبي صلى الله عليه وآله أبا بكر وعمر بالراية وفشلهما وعدم هزيمة اليهود إلا على يد علي بن أبي طالب عليه السلام إلا وهو دليل على عدم اندحار اليهود اليوم على يد اتباع الرجلين مهما حاولوا، وإنما يكون الفتح على يد علوية، بيد أن التاريخ يعيد نفسه.

ولنعم ما قال الشاعر:

ومن لم يكن علويًا حين تنسبه
 فماله في قديم الدهر مفتخر

ومهما يكن من ذلك لما نزلت سورة براءة بعث النبي صلى الله عليه وآله أبا بكر مع براءة إلى الموسم ليقرأها على الناس، فنزل جبرئيل فقال: لا يبلغ عنك إلا علي عليه السلام، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً فأمره أن يركب ناقته العضاء، وأمره أن يلحق أبا بكر فيأخذ منه براءة ويقرأها على الناس بمكة، فقال أبو بكر: أسخطة؟ فقال: لا إلا أنه أنزل عليه أنه لا يبلغ إلا رجل منك، فلما قدم علي عليه السلام مكة وكان يوم النحر بعد الظهر وهو يوم الحج الأكبر قام ثم قال: إني رسول رسول الله إليكم، فقرأ عليهم براءة وقال: لا يطوف بالبيت عريان ولا عريانة ولا مشرك، ألا ومن كان له عهد عند رسول الله فمدته إلى أربعة أشهر.

وعندما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله نصارى نجران للمباهلة، خرج آخذاً بيد

علي بن أبي طالب ﷺ والحسن والحسين بين يديه يمشيان، وفاطمة ﷺ تمشي خلفه، وخرج النصارى يقدمهم أسقفهم، فلما رأى النبي قد أقبل بمن معه فتقدم وجثا على ركبتيه، فقال الأسقف: جثا كما جثا الأنبياء للمباهلة، وكان الأسقف والنصارى قد أبرموا أن النبي ﷺ إن خرج بولده وأهله لا يباهلونه، وإن خرج بأصحابه فيباهلونه، فلما رأوا ذلك امتنعوا من المباهلة ورضوا بالصلح، ولما سئل الأسقف عن ترك المباهلة قال: إني لأرى رجلاً جريئاً على المباهلة وأنا أخاف أن يكون صادقاً، ولئن كان صادقاً لم يحل علينا الحول والله وفي الدنيا نصراني يطعم الماء، وقال: إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله.

وهكذا تستمر المهام التي جعلت على عاتق علي ﷺ فمرة يرسله النبي ﷺ إلى اليمن في مهمة ثقافية وسياسية وأخرى يرسله إلى عمان في مهمة قتالية، ومرة يستقبل الوفود التي تضافرت بعد فتح مكة وصارت القبائل تسلم وتبعث وفودها إلى النبي ﷺ. ولما عاد الرسول ﷺ من حجة الوداع توقف عند غدیر خم وأمر برجوع المتقدم وانتظر المتخلف، حتى اجتمع الناس فصعد المنبر ونعى نفسه ثم أخذ بيد علي ﷺ ورفعها وقال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه^(١)، معلناً بذلك إمامته وجاعله معلماً للمؤمنين، ليحمله أصعب مهمة تشهدها الساحة الإسلامية، وهي مهمة صيانة الإسلام وحفظه من تحريف المخرفين والحكام الغاصبين الذين سيغلبون على الحكم بعد الرسول ﷺ ويعثون بالإسلام وأهله حقداً وجهاً وظلماً، فيتميز المؤمن الباقي على عهده بعد الفتنة عن غير ونقض العهد وراء ظهره وتخيّلها هينة متروكة ومهملة بعدما كان أصل إسلام الأكثر بالقهر والإكراه والمطامع والفورة الجماعية.

(١) أثبتته أغلب أصحاب المجمع الحديثية والصحاح والمسانيد ورووه بما ينيف على

وبذلك كان علي عليه السلام قد ابتداءً مع الرسول صلى الله عليه وسلم من الصفر، يوم لم يكن معه أحد، وانتهى معه إلى نقطة النهاية، فلما قربت منه الوفاة دعا علياً وأوصى إليه وأعطاه سيفه ودرعه ورايته وكل شيء منه كان يستعمله في الحرب وقال لعلي عليه السلام: قم فاقبض هذا بشهادة من هنا من المهاجرين والأنصار حتى لا ينازحك فيه أحد بعدي.

وكان رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجر علي عليه السلام فقال: يا علي اجلسني، فأجلسه وأسندته إلى صدره فقال: إن أخي ووصيي ووزيرني وخليفتي في أهلي علي بن أبي طالب، يقضي ديني، وينجز موعدي، وقال: إن علياً أول من آمن بالله عز وجل ورسوله من هذه الأمة هو وخديجة، وأول من أزرني على ما جئت به ثم مد يده إلى علي عليه السلام فجذبه إليه حتى أدخله تحت ثوبه الذي كان عليه، ووضع فاه على فيه، وجعل يناجيه مناجاة طويلة حتى خرجت روحه الطيبة فانسل علي من تحت ثيابه وقال: أعظم الله أجوركم في نبيكم، فقد قبضه الله إليه، فتولّى غسله وتحنيطه وتكفينه، ثم صلى عليه وحده، ودفنه هو العباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس وأسامة بن زيد وأوس بن خولي من الخزرج حاله حال الغريب الذي ليس له أحد، بل يحضر دفن الغريب أكثر من هذا العدد، فقد تركه أكثر الناس مسجاً كأن لم يكن شيئاً مذكوراً، وذهبوا يتشاجرون في الملك ويتنازعون رداء ألبسه الله علياً، وبلغ به رسوله صلى الله عليه وسلم، ولم يحضروا دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعد اجتياز القارئ بتلك الأحداث والوقائع التي هي قبس من أعمال علي عليه السلام ومجرد رؤوس أقلام لا يبقى عنده شك في أن النبي صلى الله عليه وسلم كان منصوراً بعلي عليه السلام. ومع ذلك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رأيت مكتوباً على قائمة من قوائم العرش: أنا الله خلقت جنة عدن بيدي، محمد

صفوتي من خلقي، أيدته بعلي ونصرته بعلي^(١).

٨٩٣. المنعم عليه

تقسّم النظرية الإسلامية المسارات الكلية لعامة البشرية وتحددها في ثلاث مسارات تختلف فيما بينها اختلافاً جوهرياً غير أن تقسيمها بلحاظ المال وما ينتهي إليه كل واحد منها وما يختتم به.

فالمسار الأول هو ما ينتهي إلى التمتع والراحة والمسار الثاني ما ينتهي إلى العذاب والعقاب في هذه الدنيا بأنواع الكوارث التي تعرف بالطبيعية والهلاك الجماعي وغيرها من التقلبات والتغيرات التي تُعدّ عقوبة واستخفافاً كالسخ.

والمسار الثالث ما ينتهي إلى العقوبة الأخروية مع الإمهال في هذه الدنيا والتمتع بلذائدها ونعيمها.

وقد جاء هذا التقسيم في فاتحة القرآن مع التعبير عن المسار بالصراف، فقال عز من قائل: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿ ويتحدث أكثر القرآن عن هذه المسارات الثلاثة ومصاديقها وخواصها، فهو يتحدث عن أقوام باؤوا بغضب من الله سبحانه وتعالى ونزل عليهم العذاب وعوقبوا في هذه الدنيا مثل قوم نوح الذين أصابهم الغرق، وصاعقة ثمود وريح عاد، وسيل اليمن، وزلزلة قوم لوط، ومسح اليهود وبعض النصاري، فكل أولئك وأمثالهم ممن غضب الله سبحانه وتعالى عليهم في هذه الدنيا وأفناهم بجماعتهم.

(١) أمالي الصدوق: ٢٨٥، مجمع الزوائد للهيتمي ٩: ١٢١، تاريخ دمشق ٢: ٣٥٣،

شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ١: ٢٢٧، المعجم الكبير لنظيراني ٢٢: ٢٠٠.

ويتحدث أيضاً عن قوم أُرشدوا وهدوا ثم ضلوا الطريق تقصيراً في مقام البحث عن الحق، وتفرقوا وجعلوا دينهم شيعاً، سواء كان ضلالهم بالشرك أو الغلو ومتابعة الباطل، والعصيان عن أمر الله سبحانه، وهم أولئك الضالون الخارجون عن المسار التوحيدى ممن أمهلهم الله سبحانه وتعالى ونعمهم وأملى لهم ليزدادوا إثماً ممن لم يبلغوا مرتبة العذاب الجماعى والعقوبة العاجلة في هذه الدنيا.

ويتحدث عن جماعات هدوا إلى الصراط المستقيم والمسار الذي ينتهي إلى النعيم من النبيين الذين شكروا أنعم الله سبحانه وحدّثوا بها ابتداء من نعمة الحياة ومروراً بنعمة الرعاية والعناية وما يرزقهم في الدنيا وما هداهم له من الحق والأهم من جميع ذلك أن عرفهم نفسه وأولياءه وأوقفهم على دينهم وما يضرهم وينفعهم وطريق نجاتهم فشكروا له أنعمه وأطاعوا وأمره ودعوا عباده إليه ودلّوهم عليه وعلموهم دينهم وأحكامهم وما يريد منهم وما لا يرضاه لهم لتنتهي جميع تلك النعم وتختتم بالفوز بالجنة والنعيم.

ولاشك أن الرسول المصطفى ﷺ هو أول منعم عليه؛ لأنه سيد أولئك النبيين وآثرهم عند الله سبحانه وأول من لبي وأجاب إلى طاعة رب العالمين يوم أخذ ميثاقهم والعهد المعهود.

بل جاء في بعض الأخبار بأن النبي ﷺ هو المراد بعينه من كلمة النبيين مثل ما رواه أبو بصير قال، قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا أبا محمد لقد ذكركم الله في كتابه فقال: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ فرسول الله ﷺ في هذا الموضع النبوي، ونحن الصديقون والشهداء، وأنتم الصالحون، فتمسوا بالصلاح كما سماكم الله»^(١).

(١) تفسير العياشي ١: ٣٥٦ ح. ١٩، والآية في سورة النساء: ٦٩.

ولكن هناك رواية أخرى يرويها الحسكاني تجعل النبي واحداً من النبيين، فإن فيها قال رسول الله ﷺ في هذه الآية ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ قال من النبيين محمد، ومن الصديقين علي بن أبي طالب، ومن الشهداء حمزة، ومن الصالحين الحسن والحسين، «وحسن أولئك رفيقاً» قال القائم من آل محمد.^(١)

ومهما يكن من ذلك فقد جاء في تفسير الإمام العسكري ﷺ: قال أمير المؤمنين ﷺ: «أمر الله عز وجل عباده أن يسألوه طريق المنعم عليهم، وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون»^(٢) ولا شك أن النبي ﷺ هو أول أولئك المنعم عليهم.

٨٩٤ . المنتقد

ابتنت الرسالة المحمدية، بل سائر الرسالات السماوية على أساس التحذير من وجود خطر قد ألمّ بالبشرية وهاوية يوشك أن يهوى فيها الجميع، بالإضافة إلى التحذير من عبث الإنسان بنفسه نتيجة لجهله بما ينفعه وما يضره في هذه الدنيا وفيما بعد الموت.

والمشاهد أن الأنبياء يؤدون دورهم التحذيري بغاية الجِدِّ، ونهاية الحزم مع ما عُرفوا به من الصدق والأمانة والأخلاق السامية وبعد ظهور المعاجز وخوارق العادات على أيديهم، بحيث يدعو إلى التصديق بوجود الخطر رغم عدم إحساسه بشكل واضح ولا هو ملموس، وإلا لما أقدم البشر على ذلك الخطر ذلك الإقدام.

ومن أجل ذلك كانت مسألة الإيمان صعبة؛ لأن الإيمان تصديق بما هو

(١) شواهد التنزيل ١: ١٩٧.

(٢) تفسير الإمام العسكري ﷺ: ٥٠.

غائب عن الحس، كالإيمان بالحساب والسؤال وجواب، وثواب وعقاب، ونار سقرها جبارها بفضبه، وهو المسمى بالغييب ليس من ذلك ما يشاهد ويلمس، وغاية الأمر هو محتمل.

وتبدو المسألة أصعب إذا لم يشاهد الإنسان الأنبياء ﷺ ولم ير ما صدر منهم مما هو خارق للعادة، فغاية ما شاهده هؤلاء المتأخرون هو حبر على ورق^(١).

كما لا يمكن التعويل على المضار التي حذر منها الأنبياء في مجال الالتزام بشروط الشرائع السماوية الصعبة من أجل تحقيق حياة هانئة، مرفهة وآمنة، بعد مشاهدة البشر لتوفر الرفاه عند المجتمعات التي ابتعدت عن الدين.

نعم يجب تسليم الفائدة العظيمة التي تترتب على حصول المعارف عند عامة البشرية في مجال إيجاد النظم وتحقيق الضمانات الإجرائية للقوانين عند غياب الضامن لإجرائها في الخلوات.

كما يجب تسليم دور الأديان في مجال أخذ من إراقة الدماء والتجاوز على حقوق الآخرين في كل بلد من بلدان العالم، فنحن إذا نزعنا تعاليم النبي عيسى ﷺ من المجتمعات الغربية لزحفت بعامتها نحو الفساد في الأرض وإراقة الدماء من غير رادع.

ولا يمكن إنكار دور الرسول المصطفى ﷺ في مجال الخيلولة دون تمزق العرب وقتل بعضهم البعض وجمع كلمتهم بعد اختلافهم وتوحيد

(١) وآية تلك الصعوبة قوله تعالى ونا يدخل الإيمان في قلوبكم الحجرات: ١٤،

وقول رسول الله ﷺ: اللهم لقني إخواني مرتين، فقال من حوله من أصحابه:

أما نحن إخوانك يا رسول الله ﷺ؟ فقال: لا، إنكم أصحابي، وإخواني قوم

من آخر الزمان آمنوا بي ولم يروني. بصائر الدرجات: ١٠.

صفوفهم بعد تمزقهم، ليستعوضوا عن التحارب والتناحر بالألفة والمحبة والتوادد، وكى يعطف الغني على الفقير ولا يأكل القوي الضعيف تحسباً ليوم الحساب والعقاب.

فهل هذا هو المقصود الحقيقي والمراد الواقعي من قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾^(١) يعني نار الحروب الأهلية وتحارب القبائل العربية وغيرها، أم أن المقصود هو ذلك الغائب عن الحس وغير الملموس الذي تحدثنا عنه؟

فالأخبار تشير إلى هذا الأخير فقط، حتى روي أن علي بن أبي طالب قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا وعلي أبوا هذه الأمة، ولحقنا عليهم أعظم من حق أبوي ولادتهم. فإنا ننقذهم إن أطاعونا من النار إلى دار القرار»^(٢).

ولكن هذه الرواية تتمة في نقل آخر هو قوله ﷺ: «ونلحقهم من العبودية بخيار الأحرار» أو «بخيار الأخيار» فهذه تضيف إلى الإنقاذ من النار، مسألة التخليص من العبودية المتمثلة بالحياة القبائلية والنظام القبلي، والانتقال إلى نظام إسلامي يضمن لكل فرد كرامته وحرية رأيه واستقلاليته، من دون أن يجبره على الخضوع لتصميم رئيس القبيلة وسادتها.

بينما أطلقت بعض الأخبار وتحدثت عن الإنقاذ من الهلكة كما جاء في بعض الصلوات: «اللهم صل على محمد عبدك المصطفى، وحبيبك المجتبي، نبي الرحمة، وخازن المغفرة، وقائد الخير والبركة، ومنقذ العباد من الهلكة...»^(٣).

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) الخرائج والجرائح ١: ١٦، البحار ١٥: ٢١٠.

(٣) البحار ٩٨: ١٧٧.

٨٩٥. منقذ العباد من الضلالة

ورد في بعض زيارات النبي ﷺ: السلام عليك يا نبي الهدى وسيد الورى ومنقذ العباد من الضلالة والردى^(١). ولعل الردى هنا بمعنى السقوط والتردي وليس الموت المعروف.

٨٩٦. منقذ العباد من الهلكة

تقدم هذا العنوان في الصلوات المارة في عنوان المنقذ.

٨٩٧. منهج دين الإسلام والإيمان

والمنهج هو الطريق الواضح الذي لا عرج فيه ولا اختلاف، ولا شك أن الرسول هو الطريق الواضح للوصول إلى الإسلام وحقيقة الإيمان لأنه هو الذي جاء به وعرفه للناس فهو أعرف بما جاء ومتابعته هي أوضح مسلك لمن أراد سلوكه.

ولذا جاء في بعض زياراته ﷺ: السلام عليك يا منهج دين الإسلام والإيمان وصاحب القبلة والفرقان^(٢).

٨٩٨. منهوس العقب

جاء في الأخبار الواصفة أن رسول الله ﷺ كان أشكل العين منهوس العقب، فيسأل البعض ذلك الواصف ويقول قلت: ما منهوس العقب؟ قال: قليل لحم العقب^(٣) والعقب هو مؤخر القدم.

(١) البحار ٩٧: ١٧٥.

(٢) البحار ٩٧: ١٧٥.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ١٠٧، البحار ١٦: ١٨١، مسند أحمد ٥: ٨٦، صحيح

مسلم ٧: ٨٤، سنن الترمذي ٥: ٢٦٤.

٨٩٩. المنيب

جاء التأكيد في الشرائع السماوية على أهمية الإنابة والرجوع إلى طاعة الله سبحانه وتعالى كلما خرج الإنسان عن طوق طاعته وانحرف عن الطريق الذي ترسمه الشريعة لأتباعها أو لعامة البشرية، مهما ابتعد الإنسان ونأى وطالت المدة وتمادت الفترة حتى لو لم يبق من عمر الإنسان سوى يومين أو ساعتين، فإن عليه الرجوع والإنابة والتوبة والندامة على ما صنعه من القبائح واستنكار ما اجترمه من الذنوب والآثام؛ بل كل المخالفات والتقصيرات وما لا ينبغي فعله، ليرتب على ذلك انتفاء أهم عواقب تلك الآثام، أعني العقاب في الآخرة، وإن استحق العقاب الدنيوي القصاصي الجنائي أو التعزيري، بل إن الدنيوي أيضاً قد يغتفر والحال هذه أو يشمل التخفيف والعفو.

وليس هذا ما تحتكره الشرائع السماوية، بل أخذه أرباب القوانين الوضعية والأنظمة الجزائية وكذلك المنفذون لتلك القوانين والساعون في صيانتها وضممان تطبيقها يفرقون بين من يعترف بالخطأ ويعتذر ويرجع إلى الطريقة الصحيحة أو المصححة ويحرز منه الندم؛ وبين من يصبر على فعل الخطأ ويأبى عن الإقرار بالجريمة والجنابة ولا تبدو عليه ملامح الندامة والإعراض عن التخلف بل يصبر جاهداً على المضي فيما فعله ويحاول تكراره، فإن الأول ممن تناله الشفقة والعطف والسعي في التخفيف مهما سمح القانون وساعدت الذرائع.

ومهما يكن من ذلك فإن من المسلم عند العقلاء بما هم عقلاء أرجحية الرجوع إلى الطاعة حتى فيمن حكم عليه بالقصاص والقتل، فإنه يموت نادماً خيراً من أن يموت عاصياً على القوانين والنظام أو الشريعة، ولئن يقتل وهو متنفر من قبيح عمله خيراً من أن يقتل وهو متمرد في صدد العصيان والخروج عن الطاعة إن أمكنته الفرصة، وهذا أمر يعيه حتى

نفس المحكوم في تلك الحال.

ومن ناحية ثانية فإن الإنابة تعدّ دليلاً على وجود الحسن الذاتي، والفترة السليمة، وعدم فقدان النفس للسلامة بالكلية، وبقاء ما يميز به الحق والباطل، وحياة روح التائب بحيث تدعوه في كل حين إلى الأوبة والتراجع واللوم والانفعال النفسي والنتيجة أنها تدل على وجود بقية من الطيب والحواجب التي تحجبه عن المعاصي، بخلاف من فقد تلك الصفة وماتت عنده النفس اللوامة وفقد عناصر السلامة؛ فهو شيطان في صورة إنسان.

والمؤمن هو من إذا أذنب ذكر الله سبحانه وتعالى فاستغفر لذنبه ورجع عن قصده واستحى من فعله.

ولا يلزم أن يكون الرجوع إلى الطاعة بعد الخروج، وإنما هو كالرجوع إلى الطبيب العالم ابتداءً أو مراجعة الطبيب أول مرة فإنه ذهاب ابتدائي ولكن يسمى رجوعاً ومراجعة، وبذلك أمكن إطلاق المنيب على فعل الرسول المصطفى ﷺ الذي هو معصوم لم يخرج عن طاعة الله سبحانه وتعالى طرفة عين، فقد روي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ يقول: اتبع سبيل محمد ﷺ^(١).

٩٠٠. المهتدي

جعل ابن شهر آشوب أحد أسماء الرسول ﷺ هو المهتدي لقوله تعالى: ﴿وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢).

(١) تفسير القمي ٢: ١٦٥، وانظر تفسير البيان ٨: ٢٧٦، وتفسير مجمع البيان

(٢) المناقب ١: ١٣١، والآية في سورة النحل: ١٢٠..

٩٠١. مواصل الأحزان

قال الحسن بن علي رضي الله عنه: سألت خالي هند بن أبي هالة عن منطلق رسول الله ﷺ، فقال: كان مواصل الأحزان^(١)، وفي نقل آخر: متواصل الأحزان، ولعل المعنى واحد واللفظ واحد، وإنما ثناه التصحيف والنقل، ومهما يكن من ذلك فقد تقدم الكثر في مواصل أحزانه في عنوان متواصل الأحزان فراجع.

٩٠٢. الموجه

لا ضير أن الرؤساء والملوك وعمامة ذوي القدرة والشوكة تتفاوت عندهم درجات المحيطين بهم وكل من يتصل بهم، فيكون للبعض عندهم منزلة قريبة ومقام محمود حاصل من قرابة ومعاشرة أو إنجاز عمل تعود فوائده لذلك الرئيس أو السلطان ويؤدي إلى تقوية شوكته، أو ما يدخل في تغطية بعض احتياجاته، أو يكون هو الآخر ذا شوكة ومكانة بين الناس يستعين الرئيس بقدرته وشوكته فيكون عنده موجهاً مسموع الكلمة.

ولكن شيئاً من ذلك لا يمكن تصوّره في حق الله سبحانه وتعالى ولا يكون الموجه عنده لقرابة أو نفع يوصله وهو الغني عن خلقه ولا يهاب أحداً ولا يلاحظ شوكته، فينحصر الوجيه عنده بمن يعود بالنفع على الآخرين من عباده سواء باستنقاذهم من الضلالة والجهل والعذاب الأليم، أو بكفاية بعض احتياجاتهم الدنيوية التي تدخل في المنافع، وغاية ما يراعى من ذلك هو وجدانه للصفات الحسنة التي تجعله حسناً بذاته، ذا قيمة عالية يحظى معها بالتكريم والتفضيل والوجاهة، والرسول المصطفى هو المالك لتلك الصفات الحقيقية بالإضافة إلى إيصاله النفع إلى الآخرين

(١) عيون أخبار الرضا رضي الله عنه: ١٧٦، وانظر مجمع الزوائد ٨: ٢٧٣.

بحيث يجعل اسمه ﷺ الموجه كما ذكر ذلك ابن شهر آشوب^(١).

٩٠٣. مود مود

قيل: إن اسم النبي ﷺ في التوراة ميد ميد أي محمد وقيل: مود مود^(٢). ويحتمل كونه تحريفاً لكلمة محمود بحسب مطاوعة السنة العبريين.

٩٠٤. الموصوف بالكرم والتفضيل

ينبئ هذا الوصف وغيره عن مدى التبليغ المسبق والإعلام المكثف لترسيخ فكرة تفضيل الرسول المصطفى ﷺ على سائر الأنبياء وكرامته على الله سبحانه وتعالى، حينما تعترضنا الصفات الدالة على ذلك بين الفترة والأخرى مثل عنوان أفضل النبيين والرسول وأعلمهم وأرجحهم في كل واحدة من الصفات وأكرم الخلائق على الله سبحانه وأفضلهم. تعرفنا مدى استمرار ذلك وتكرره حتى عرف بأنه الموصوف بالتفضيل، بما يعني أن الوصف بالتفضيل والتكريم صار واحداً من صفاته ومميزاته التي عرف بها في أوساط مختلفة وطبقات متفاوتة دون الاقتصار على طبقة النبيين، حتى عرفه الكهان مثل سطيح الذي قال: إني لأعلم عن قليل ليظهر المنعوت في التوراة والإنجيل الموصوف بالكرم والتفضيل^(٣).

وتبقى الأهداف المتوخاة من تبليغ هذه الحقيقة التي لا يخلو منها التدبير الإلهي لإنجاح مهمته بشكل أفضل، خصوصاً في الأوساط الدينية الأخرى، وأتباع الشرائع السابقة في مجال صرفهم عن تأليه أنبيائهم

(١) المناقب ١: ١٣١.

(٢) المناقب ١: ١٣١.

(٣) البحار ١٥: ٣١٠.

والغلو فيهم، بالإضافة إلى التمهيد لإقناعهم بالشريعة اللاحقة بعد توفر
الإمكانية لإقلاعهم عن معتقد الآباء إذا عرفوا من اليوم الأول أن هناك
من هو أفضل من نبيهم مثلاً وشريعة أكمل من شريعتهم الأمر الذي
يحثهم على الدوام ويدعوهم إلى تحري ذلك الأفضل، وقد نجح هذا التدبير
في سوق البعض إلى استقبال الدين الإسلامي بعد حصول الاستعداد
الذاتي فيهم.

٩٠٥ . الموصوف بالكرامة

لا تزال كلمة الكرامة مستعملة في معنيين أحدهما المنزلة والمقام
عند شخص أو جماعة، والآخر بمعنى ما يصدر من الشخص من خوارق
العادات واستجابة الدعاء مما هو علامة على الكرامة بالمعنى الأول أي
الكرامة على الله سبحانه، ويكون المعنى الأول هو السبب في حصول
الخوارق والاستجابة، فلعل الثاني معنى مجازي بحيث يطلق السبب ويراد
به المسبب.

ومهما يكن من ذلك فإن المراد هنا هو المعنى الأول الذي ينطبق
على كل عمل يدل على تكريم الشخص وتقريبه وتعظيمه، فقد يدخل في
هذا المعنى أنواع تكريم الوافد كالإعلام عن وصوله وتقديمه في الدخول
وإجلاسه إذا دخل في الموضع اللائق والقريب، وتقديم الوسائد وفرش
الفرش ونصب المقعد المناسب له، واختصاصه بالنوادير والتحف كأنواع
العطور العريزة الوجود وتقديم أفضل الخدمة، وأجود الطعام، وتنفيذ
رغباته مهما كانت، وفي المرحلة اللاحقة دعوة أهل الحي لزيارته وملاقاته،
خصوصاً إذا قصد النائي واحتمل المشقة من أجل ذلك وتجمهر الناس
عليه فذلك هو الكرامة التي يكرم بها البشر بعضهم بعضاً.

وإذا قيل: إن الرسول ﷺ هو الموصوف بالكرامة، فالمقصود به

الكرامة الإلهية المتناسبة مع شأن المكرم وهو الله سبحانه وتعالى، فتلك كرامة خارجة عن حد الوصف والخيال، وكل ما يقال فهو تقريب للذهن والإشارة إلى معنى ليس أكثر.

فقد روي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «إن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد صلى الله عليه وآله قبل أن خلق السماوات والأرض والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار، وقبل أن خلق آدم ونوحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وداود وسليمان - إلى أن قال - وخلق معه اثني عشر حجاباً: حجاب القدرة، وحجاب العظمة، وحجاب المنة، وحجاب الرحمة، وحجاب السعادة، وحجاب الكرامة، وحجاب المنزلة، وحجاب الهداية، وحجاب النبوة، وحجاب الرفعة، وحجاب الهيبة، وحجاب الشفاعة، ثم حبس نور محمد صلى الله عليه وآله في حجاب القدرة اثني عشر ألف سنة وهو يقول: سبحان ربي الأعلى، وفي حجاب العظمة أحد عشر ألف سنة وهو يقول: سبحان عالم السر، وفي حجاب المنة عشرة آلاف سنة وهو يقول: سبحان من هو قائم لا يلهو، وفي حجاب الرحمة تسعة آلاف سنة وهو يقول: سبحان الرفيع الأعلى، وفي حجاب السعادة ثمانية آلاف سنة وهو يقول: سبحان من هو قائم لا يسهو، وفي حجاب الكرامة سبعة آلاف سنة وهو يقول: سبحان من هو غني لا يفتقر - إلى أن قل - ثم أظهر عز وجل اسمه على اللوح، وكان على اللوح منوراً أربعة آلاف سنة، ثم أظهره على ساق العرش مثباً سبعة آلاف سنة إلى أن وضعه الله عز وجل في صلب آدم...»^(١).

فهذا كله ما يحاكي التقديم في الدخول والإعلام عن الوصول إلى حيز الوجود نظير الإعلام والتقديم في الدخول اللذين ذكرناهما في تكريم البشر بعضهم بعضاً.

ويبقى مثل إعطائه المكان المناسب والمقام الرفيع كمقام الوسيلة الذي تقدم الكلام عنه وإلقاء التحف عليه وزيارة البشر والملائكة له في الدنيا أيام حياته وبعد موته، وفي الآخرة مما لا يتسع المقام للحديث عن طرف منه.

ولعل الكاهن سطيح أشار إلى هذا المعنى حين ذكر النبي ﷺ فقال: اسمه في التوراة والإنجيل معروف، يجر الملهوف، وبالكرامة موصوف. ^(١) والتقديم والتأخير لأجل السجع الكهني.

٩٠٦. الموضح للدلالة

لعل هذا المعنى عام يدخل فيه كل التلازم في الوجود والعلية والمعلولية والإشارة إلى أسرار الخلق المنبئة عن عظمة الخالق. فإن التلازم موجود والعلية والمعلولية سابقة والدلالة محققة غير أنها خفيت على الناس وتستررت بستائر الجهل، حتى جاء النبي ﷺ وكشف تلك الستائر وأوضح تلك الدلائل الدالة على وجود الصانع وعدم تناهي عظمته بكشف رموز خلقته، وآيات عظمته، كما أشار إلى ما يريد ذلك الخالق من المخلوقين وأهداف خلقته فكشف قناع الستر وجلّى معاني كلماته سبحانه وتعالى دلالة أخرى، وكما قل ابن شهر آشوب في صفاته ﷺ: محمد خير البشر، المختار للرسالة، الموضح للدلالة، المصطفى للوحي والنبوة، المرتضى للعلم والفتوة.... ^(٢)

٩٠٧. الموقف

أول ما شرع به الرسول من الأعمال والممارسات الداخلة في إطار الدين الجديد هو وقوفه بمفرده للصلاة في الكعبة، ثم أمر خديجة زوجته

(١) البحار ١٥: ٣٠٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٣، البحار ١٦: ١٠٦.

وابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام أن يصليا معه ويقفا معه للصلاة ثم تلاهما جعفر بن أبي طالب.

ذلك الوقوف الذي حقيقته وروحه هو الوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى، الأمر الذي يتحسسه بوضوح كل من وقف مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ذلك الموقف، وكل من تابعه على ذلك العمل على مر الأزمان.

فكل من وقف للصلاة يتحسس ذلك الأمر خصوصاً إذا تمعن في صلاته ولم يشغل باله بشيء من ملهيات الدنيا، فما أن يقطع نظره عن العالم السافل حتى يجد نفسه بين يدي عظيم لا تتناهى عظمته ولا يزول مجده وهو يكلمه ويخاطبه بعد أن يشرع باسمه مدعناً برحمته ورحمانيته، ثم يعطف بالثناء عليه وحمده وتمجيده والاعتراف بربوبيته المطلقة ورجوع الخلق إليه ليحكم بينهم في يوم لا ينفع فيه سوى الإيمان والعمل الصالح، مع حصر العبادة والخضوع به ثم طلب الهداية منه كما يعترف بوحدانيته وصمديته وغيرها.

ولقد جاء التأكيد من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على الصلاة وعلى هذا الوقوف بما لا يشهد له مثيل حتى عدّها عمود الدين إذا قبلت قبل ما سواها وإن ردت ردّ ما سواها وتاركها أو مستحل تركها كافر، ولما جاء رؤساء بعض القبائل للدخول في الإسلام ونصرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولكن اشترطوا عليه أن لا يصلوا ولا يزكوا، فأجابهم: بأن لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود.

وما أن قارب المدينة المنورة حتى جمع الناس لصلاة الجمعة في مسجد قبا، وما أن دخل المدينة حتى باشر بناء مسجده المعروف من أجل إقامة الصلاة فيه بالدرجة الأولى، وأخذت تقام فيه الصلاة خمس مرات كل يوم ويأتيه المسلمون من كل جانب.

وما زال صلى الله عليه وآله وسلم يبحث على إتيانها وإقامتها حتى أفلح ذلك الحث على توليد الحرص على إقامتها والتزام أهل الصفوف الأولى حتى صارت

هي العمل الأول الذي يتميز به هذا الدين، بحيث صارت الصلاة ملازمة لوجود الإسلام أو المسلمين.

وإذا سألنا عن حقيقة هذا العمل الذي قام به الرسول ﷺ فالجواب المناسب هو أنه أوقف الناس بين يدي الله سبحانه وهو كما قال ﷺ: «سماني في القيامة حاشراً يحشر الناس على قدمي، وسماني الموقِفُ أوقف الناس بين يدي الله عزوجل»^(١).

هذا ما عرفناه من معنى الموقِفِ وشاهدناه ولمسناه، ولكن ظاهر الرواية يميل إلى معنى آخر وهو الإيقاف يوم القيامة بين يدي الله سبحانه وتعالى، ذلك لما هو واضح من أن حضور القيامة هو حضور بين يدي الله سبحانه، وعن الوجوه للحج القيوم، ويبقى الإيقاف الذي هو امتثال في الحقيقة لأمره عز وجل ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(٢) والرسول ﷺ يقول: أنا الموقِفُ الذي يوقف الناس بين يدي الله سبحانه، أي يوقفهم للسؤال والحساب.

٩٠٨. المهدي

رب محمد الذي يدعو إليه هو الذي هداه بهداية إلهية إلى صراط مستقيم وسبيل واضح قيم على سالكه لا تخلف فيه ولا اختلاف ديناً قائماً على مصالح الدنيا والآخرة أحسن القيام لكونه مبنياً على الفطرة، ملء إبراهيم حنيفاً مائلاً عن التطرف بالشرك إلى اعتدال التوحيد، وما كان من المشركين قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ^(٣).

(١) علل الشرائع ١: ١٢٨، الحاصل.

(٢) الصافات: ٢٤.

(٣) الأنعام: ١٦١.

وهو بهذا المعنى واضح قد لا يختص بالرسول أو الرسل، فإن الله سبحانه وتعالى يهدي الجميع ويدعو عامة البشر إلى اتباع طريق الحق ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(١).

فإذا كانت هذه الهداية المتحدث عنها خاصة، وهي هداية خصوص الرسل المذكورة في القرآن فقد تكون هي الهداية التشريعية الخاصة، وقد تكون هي الهداية التكوينية التي قد تعني العصمة، أو الهداية المتصورة في جميع المهديات الفاقدة للشهوة والغريزة كالملائكة، وحتى قد تقترب من هداية مثل النجوم والأفلاك التي لا تتخطى عما مثل لها، فهي معقولة بقوانينها لا تتمرد على بارئها ولا يمكنها ذلك، فإن الرسل وإن كانت فيهم الشهوة والغريزة غير أنها مكبوتة ومسيطر عليها ومتحكم فيها لا أثر لها، وما لا أثر له كالمعدوم.

ومعه لا يبقى سوى العقل الفاعل الزاجر والفترة المستقيمة التي تدعو إلى كل خير لا تتخلف ولا تتمرد على أقل ما مثل لها وكتب عليها وبذلك يكون الرسول المصطفى ﷺ هو المهدي ولكن بمعنى متفاوت. ففي قسم منسوب للإمام العسكري عليه السلام يقول: «والذي بعث محمداً بالحق نبياً، وجعله زكياً، هادياً، مهدياً... إن في القبر نعيماً يوفّر الله به حظوظ أوليائه»^(٢).

٩٠٩. المهذب

التهذيب هو التزكية والإصلاح وتطهير الأخلاق مما يعيبها، فإن من المسلم عند جميع البشر هو وجود أخلاق مرضية وصفات مقبولة وأعمال

(١) الإنسان: ٣.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٢١١، البحار: ٦، ٢٣٦.

مستحسنة يمدح واجدها أو فاعلها، إلى جانب أخلاق رذيلة يعاب صاحبها، وصفات منفورة غير مرضية، وأعمال قبيحة غير مستحسنة ويذم فاعلها، وهو مشهود عند كل قوم وكل جماعة وكل أمة.

ومن تلك الأخلاق أخلاق محكومة بالحسن أو القبح عند جميع العقلاء، بينما هناك أخلاق يتفرد قوم أو جماعة بالحكم عليها دون غيرهم، فربّ قبيح عند قوم مستحسن عند آخرين وهكذا.

وتظل قائمة المحظورات والمستحسنات تتفاوت من قوم إلى آخر، ومن أمة إلى أخرى يختلف مع ذلك طول تلك القائمة وقصرها.

والشيء الذي يدعيه الإسلام هو الأكمالية، بمعنى أنه ينطوي على أكمل قائمة من حيث العدد ومن حيث ملاحظة الملائكات الواقعية والمصالح الحقيقية التي قد يغفل عنها البشر ولا يتعرفها لقصور علمهم وفهمهم، وإنما يعرفها بالشكل الأكمل خالق البشر.

ومهما يكن من ذلك فإن هناك ما يتفق عليه الجميع أو الأغلب كقبح الظلم وحسن العدل، وقبح الجهل وحسن العلم، وقد يضاف إليها مثل الصدق والكذب والسخاوة والبخل والنظم والإخلال، وحسن الخلق وسوئه، والرحمة والقساوة، والعطف والشفقة والرافة والجد والمثابرة وغيرها.

وهناك اختلاف في بعض المصاديق أو بعض العناوين مثل تعدد الزوجات الذي يحكم عليه البعض بأنه خيانة وظلم، ولا يراه الآخر كذلك، وكذا القصاص والحرية الجنسية، وإسقاط الجنين وتغيير الخلقة وتبديل الجنس، وتعاطي المخدرات وغيرها.

فإذا تكلمنا عن التهذيب وتخليّة النفس من النقائص إنما نعني بذلك القائمة الواقعية المبتنية على الملائكات الحقيقية التي هي من إعداد

خالق البشر المحيظ بما ينفعهم وما يضرهم وبما هو حسن ذو مصلحة وقبيح ذو مفسدة باعتبار الحال والمآل، والفرد والمجتمع، فإن الإنسان قد يقصر لحاظه على الحال عند الحكم على شيء لعدم علمه بالمآل، أو يلاحظ المصلحة الشخصية فقط دون النوعية، ومن هنا يختلف مع الشارع في الحكم.

ولما كان المشاهد بعد حدوث النهضة العلمية في العالم هو تصديق العلم والتجربة لما جاء به الرسول ﷺ من التعاليم الأخلاقية وما أمر به ونهى عنه شيئاً فشيئاً بحيث يعلم أن الإحاطة بتلك الحقائق الخافية والمعقدة في زمان النبي ﷺ لم يكن بالاختبارات العادية، تأكدنا من صحة تلك الدعوى وذلك الفرض أعني مطابقة أحكام الإسلام للمصالح الواقعية - بحيث لا حاجة إلى إثبات الجميع؛ لأن التجربة أثبتت أن النظريات مهما شرقت وغرّبت فهي تنتهي وتتوصل إلى ما جاء به الرسول ﷺ في يوم من الأيام في جميع مناحي الحياة، اقتصادية وسياسية واجتماعية وطبية وغيرها.

وإذا أطلقنا عنوان المهذب على الرسول ﷺ فهو يعني طهارة نفسه الشريفة وخلو أفعاله من الأخلاق الرذيلة والأعمال القبيحة، ومن النقائص والعيوب الحقيقية التي تتضمنها قائمة الشرع - أي القائمة الحقيقية - بحد الوصول إلى حد الصفر إذا كان تهذيب الآخرين من النقائص يخضع لنسبة مئوية.

ولا يمكن حصر الأسباب والظروف والعوامل التي صاغت هذا الوجود الطاهر، فهي أسباب وعوامل غير متناهية لا يحصيها ولا يجمعها ويوفق بينها إلا الله سبحانه وتعالى، فيكون هو المهذب والمؤدّب له إذا كان تهذيب الآخرين بسبب العائلة والمجتمع والمحيط.

ولذا قل ﷺ: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»^(١) وفي كلام للإمام الصفاق عليه السلام يذكر صفات النبي ﷺ قال: «مهذب لا يداني، هاشمي لا يوازي»^(٢).

بينما تظل عملية التهذيب المطلوبة في الشرع الإسلامي تبني على ثلاثة أصول وتخضع لثلاثة عوامل، الأول: هو مطالبة العائلة بتعليم الأولاد الأخلاق الفاضلة وتعوديهم على السيرة الحسنة، والثاني: مطالبة الشخص بالسعي في معرفة الأخلاق الحسنة والرذيلة والقيام بعمل صعب يُسميه الجهاد الأكبر في مجال تخلية النفس من الرذائل وتخليتها بالفضائل، والثالث: مطالبة الشخص باختيار المحيط السالم والصديق السالم، ومجانبة الحمقى والفاستدين، بالإضافة إلى أن الناس معادن كمعادن الذهب والفضة والنحاس وغيره.

٩١٠. مهمت

يذكر ابن شهر آشوب الأسماء التي يسمي بها كل قوم النبي المبشر به، فيقول في جملة كلامه: يسميه أهل مكة الأمين، وأهل المدينة الميمون، والزنج مهمت، والترک سانجی، والعرب الأمي، والعجم أحمد^(٣).

ولعل مثل مهمت وماد ماد ومود مود وميد ميد من الأسماء التي يسميها بها سائر الأمم هي تحريف كلمة محمد بمقدار مطاوعة ألسنتهم، كيف وقد حرفة العرب أنفسهم بإسكان الميم الأولى وحتى أن البعض يقول مُمد، وإن كان احتمال الإشارة بتلك الأسماء إلى معاني تعطي معنى محمد وغيره من صفاته ومشخصاته حياً ومعقولاً والله العالم، وقيل: هو

(١) البحار ١٦ : ٢١٠، الجامع الصغير للسيوطي ١ : ٥١.

(٢) الكافي ١ : ٤٤٤.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١ : ١٣٢ لكن الموجود في المطبوع: الريح بدل الزنج

ولعله تصحيف والصحيح هو المنقول في البحار ١٦ : ١٠٤.

اسم يسمي به الزنج رؤساءهم وكل رئيس.

ولكن الاحتمال الأول هو الأقرب إلى الواقع، لأننا نجد الأقسام
الآخرين يتلفظون اسم محمد بأحاء مختلفة.

ومهما يكن من ذلك فالزنج قوم من السودان يقال لهم الزنوج،
وواحدهم زنجي.

٩١١. ميد ميد

قال ابن شهر آشوب: اسمه في التوراة ميد ميد، أي غفور رحيم، وقيل
ميد ميد، أي محمد، وقيل: مود^(١). وبذلك يتأكد ما ذكرناه في العنوان السابق.

وفي خبر يسأل فيه النبي ﷺ قارئاً للكتب ويقول: «هل وجدت صفة
وصيي وذكره في الكتب؟» قال: نعم والذي بعثك نبياً إن اسمك في التوراة
ميد ميد واسم وصيك إلبا...^(٢).

٩١٢. ميد ميد

تقدم نقل ابن شهر آشوب أن ذلك هو اسمه ﷺ في التوراة ويعني
الغفور الرحيم^(٣)، في العنوان السابق.

٩١٣. ميزاب العلم

إن عمل الميزاب في الغالب هو تخلية ماء المطر المتقاطر على السطح
والمجتمع عليه لكي لا يتحير ذلك الماء ولا يتراكم فيؤدي عدم صرفه في

(١) المناقب ١: ١٣١، البحار ١٦: ١٠٣.

(٢) البحار ٣٨: ٥٦.

(٣) انظر عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٤٧، وسبيل الهدى الرشاد ١: ٥٢٥.

الجهة المناسبة إلى خراب الدار وانهدام السقف على أهله فيكون مضرًا.
وبذلك يدخل قول الرسول ﷺ: «أنا ميزاب العلم»^(١) في التشبيه
البيديع المحتمل لجهات عديدة منها نزول العلم من السماء كما أن نزول
المطر من السماء، فلا يكون شيئاً يتولد على الأرض وإن كانت الحاجة
إليه في الأرض، أي إن له خيوطاً من الوحي في كل مجال، ولا أقل بعض
العلوم هي كذلك كعلم الأديان.

والأهم من ذلك هو صرفه في الجهة المطلوبة والمناسبة وتوزيعه وإيصاله
إلى الأرض المحتاجة إليه والمحل المناسب له؛ لأن تراكم العلم كتراكم الماء مضر
إذا لم يكن في مستنقع أو محل اجتماعه المناسب، ولذا ورد المنع من تحميل
الجهال الحكمة فتظلموها، كما لا تمنعوها أهلها فتظلموها.

كما أن هناك جانباً آخر يعكسه هذا الكلام وهو أن الميزاب لما كان
ينتظر نزول المطر حتى يجري فيه الماء وله فصول خاصة لا يتحكم فيه نفس
الميزاب، فكذا علم النبي ﷺ ينتظر نزول الوحي من السماء وله أوقات
خاصة لا يتحكم فيه نفس النبي ﷺ.

والجانب الثالث ولعله هو أهم تلك الجهات، هو أن الميزاب يتصف
بالدفع وقوة التدفق لأنه المنفذ الضيق لما اجتمع وتقاطر على سطح واسع،
فكذا علم الرسول ﷺ له قوة وتدفق، لأن فترة نبوته وظهور دعوته قليلة
جداً إذا قيست إلى مقدار العلم الذي احتمله وتدفق منه إلى الناس،
فيكون له دفع وشدة.

وقد يستفيد البعض من هذا العنوان نزول عامة العلم على النبي ﷺ
كما أن المطر يهطل على السطح، ويكون الرسول ﷺ بحكمته وحنكته
بمثابة ميزاب ينحدر عنه العلم إلى البشرية جمعاء.

٩١٤. ميزان العلم

إذا كان الميزان المتحدث عنه هو ميزان الأعمال يوم القيامة، فلماذا سمي بميزان العلم، ولم يسم ميزان العمل؟ وللإجابة على هذا السؤال يمكن طرح احتمالات:

أحدها: أن نفرض لكل عمل وتصرف يجيء به الإنسان يوم القيامة ميزاناً، مثل ميزان الصلاة وميزان الصوم وميزان الصبر وغيرها، فواحد منها ميزان العلم، الذي يوزن به علم العباد، ومن الطبيعي سيكون الميزان والمقياس الذي يقاس به علم الناس هو إنسان متصف بأعلى درجات العلم من بين أهل العرصات وبه يقاس مقدار علم الآخرين ومقدار سعيهم واجتهادهم في مجال تحصيل العلم المطلوب والمندوب إليه.

وهذا الاحتمال وإن كان مستحسنًا بحسب الظاهر، ولكنه يخالف للرواية التي ورد فيها هذا الوصف، وهي الرواية المروية عن أنس بن مالك والزبير بن العوام أنهما قالا، قال رسول الله ﷺ: «أنا ميزان العلم وعلي كفتاه، والحسن والحسين خيوطه، وفاطمة علاقته، والأئمة عموده، فينصب يوم القيامة فيوزن فيه أعمال الخبيث لنا والمبغضين لنا»^(١) حيث تجعله الميزان الذي توزن فيه الأعمال وليس العلم.

الثاني: أن ترجع حقيقة العمل إلى العلم، أو هو المقدمة لتحصيل العلم وكسبه، لأن قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢) قد فسّره بأنه ليعلمون^(٣)، وهو العلم بالله سبحانه وسعة رحمته وبعض صفاته، العلم الذي لا يحصل بالمطالعة والدراسة والاستدلال وقراءة الكتب، وإنما

(١) الفضائل لشاذان: ١٥٥، ورواه عن ابن عباس في ينابيع المودة ٢٦٨، ٢: ٢٤٢.

(٢) الذاريات: ٥٦.

(٣) شرح الأسماء الحسنى ١: ١٨٩.

يحصل بالاجتهاد والعمل والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، كالعلم بحقيقة الشيء البعيد فإنه لا يمكن الحصول عليه بالدراسة والاستدلال، ولكن إذا اقترب منه الشخص وجده وعرف صفاته وخصائصه، والحال أن الصلاة معراج المؤمن وقربانه الذي يقربه من الله سبحانه.

ولما كان تمام هذا العلم وكامله عند النبي ﷺ كان هو الميزان لمقدار علم الآخرين به يقاس ويعرف مقدار النسبة التي يمتلكها العابدون العالمون.

الثالث: أن يكون ميزاناً للعلم باعتبار أن ليس للأعمال وزن، وإنما هي صفات تعلم، لا أُنقال تقدر، ومن أجل ذلك كان الميزان لها هو ميزان العلم، أي الميزان المتصف بأنه يعلم بالحال فقط.

الرابع: أن يكون المراد هو الميزان الذي يعلم به حال العباد ورجحان أعمالهم وعدم رجحانها، كما أن كل ميزان في الحقيقة هو ميزان العلم، أي الوسيلة التي يعلم بها الوزن والثقل أو النسبة المثوية مثل درجة الحرارة والإسطرلاب والقدرة الكهربائية وغيرها.

الخامس: هو أن يكون المراد أن الميزان هو الميزان الذي بواسطته يعلم الناس العدل وعدم الحيف والظلم، وأن ما قضى الله عليهم هو العدل والإنصاف، فهو وسيلة لعلم الناس، لعدم جهل الله سبحانه وتعالى بالحال حتى يحتاج إلى التقدير والوزن.

فقد روي أن بعض الرواة يسأل الإمام: أو ليس توزن الأعمال؟ فقال الإمام: «لا، إن الأعمال ليست بأجسام، وإنما هي صفة ما عملوا، وإنما يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء ولا يعرف ثقلها وخفتها، وأن الله لا يخفى عليه شيء» قال: فما الميزان؟ قال: «العدل» قال: فما معناه

في كتابه ﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ قل: «فمن رجح عمله»^(١).

وبيان جواز حمل لفظ الوزن على التقويم والترجيح في اللغة هو أن العدل في الأخذ والإعطاء لا يظهر إلا بالكيل والوزن في الدنيا، فلم يبعد جعل الوزن كناية عن العدل، ومما يقوي ذلك أن الرجل إذا لم يكن له قدر ولا قيمة عند غيره قيل: إن فلان لا يقيم لفلان وزناً، قل تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾^(٢) ويقال أيضاً: فلان يستخف بفلان، ويقال: هذا الكلام في وزن هذا وفي وزانه أي يعادله ويساويه، مع عدم وجود وزن في الحقيقة، وقال الشاعر:

قد كنت قبل لقائكم ذا قوة عندي لكل مخاصم ميزانه

أي ندي لكل مخاصم كلام يعادل كلامه، فجعل الوزن مثلاً للعدل^(٣).

ويذهب البعض إلى أن الوجه في تسميته ميزان العلم هو ما ورد في الأحاديث من أن أعمال العباد تعرض على الرسول والأئمة عليهم السلام وهم بقدره الله يعلمون النوايا الدفينة في الدنيا ويتحول هذا العلم في الآخرة إلى ميزان توزن به أعمال العباد وخاصة مقدار الحب وابغض المشار إليهما في الحديث السابق.

ولعل أفضل الوجوه ما سنذكره في العنوان اللاحق.

٩١٥. ميزان القسط

وإنما صار الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله هو ميزان القسط المنعوت في قوله

(١) الاحتجاج ٢: ٢٤٧ ح ٢٢٣، البحار ٧: ٢٤٨ ح ٣، والآية في سورة الأعراف: ٨.

(٢) الكهف: ١٠٥.

(٣) البحار ٧: ٢٤٥.

تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾^(١) فلأن ميزان كل شيء هو المعيار الذي يعرف به قدر ذلك الشيء، فميزان الناس ليوم القيامة ما يوزن به قدر كل إنسان وتعرف به قيمته على حسب عقيدته وخلقه وعمله ونيته، لتجزى كل نفس بما كسبت، وليس ذلك إلا الأنبياء والأوصياء؛ إذ بهم واتباع شرائعهم واقتناء آثارهم وترك ذلك يعلم حال الناس، وبالقرب من سيرتهم والبعد عنها يعرف مقدار الناس وقدر حسناتهم وسيئاتهم، فالقبول الراجح من الأعمال ما وافق أعمالهم، والمرضي من الأخلاق والأقوال ما طابق أخلاقهم وأقوالهم، والحق من العقائد ما اقتبس من مشكاتهم، والمردود منها ما خالف ذلك، فميزان كل أمة هو نبي تلك الأمة ووصي نبيها والشريعة التي أتى بها، فمن ثقلت حسناته وكثرت فأولئك هم المفلحون، ومن خفت وقلت حسناته، فأولئك الذين خسروا أنفسهم.

ولذلك ورد عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ قل: «الأنبياء والأوصياء»^(٢). وفي رواية أخرى: «نحن المَوَازِينُ الْقِسْطُ»^(٣).

ويتفصيل أكثر فإن حقيقة الميزان هي المقياس الذي يقاس به الشيء ولا يقاس الأشياء إلا بالأتم من بينها كي يعلم قدره ونسبته، فمقياس صلاة كل إنسان هو الصلاة التامة التي هي صلاة الرسول ﷺ، ومقياس صومه هو الصوم التام، ومقياس صبره هو الصبر التام وهكذا جميع أعماله وأفعاله.

(١) الأنبياء: ٤٦.

(٢) الكافي ١: ٤١٩ ح ٣٦، معاني الأخبار: ٣٢.

(٣) البحار ٧: ٢٤٣ الهامش، وانظر مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٢: ٣،

إذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من الآية هذا المعنى فقط، لأن الميزان هو ما يراد به التوصل إلى معرفة مقدار الشيء، ومقادير الثواب والعقاب، ولا يمكن معرفتها وإظهارها بالميزان الذي يقدر الأثقال؛ لأن أعمال العباد أعراض وقد فنيت وهدمت ولا يوزن المعدوم بحال، وعلى تقدير بقائها كان وزنها محالاً.

والمهم في هذا العنوان المقتبس من الآية القرآنية لفظ القسط الذي يعني العدالة الكاملة، بل أرفع مستوى للعدالة بحيث لا يظلم فيه أحد مقدار ذرة، ذاك الذي لا يتأتى إلا من المرتبط بالعدل المطلق وواجب الوجود، وليس ذلك المرتبط به سوى الرسول المصطفى ﷺ.

٩١٦. الميمون

يقال: يَمُنُّ الرجل فهو ميمون، والميمون: هو الرجل أو الشيء الذي أتى باليمن والبركة، بمعنى أنه الشيء الذي جاءت البركة معه حين أتى وتحل معه البركة أينما حل، بخلاف المشثوم الذي يجيء بالشر والضرر.

ولا تخفى البركة التي جاء بها الرسول ﷺ إلى المدينة وأهلها، وما أصابها من الخير والإعمار والرفاه بقدمه وحلوله فيها، فهو الطائر الميمون الذي قلب المدينة من قرية متناحرة ضعيفة إلى عاصمة الإمبراطورية الإسلامية العظمى، الأمر الذي صاحبه تحسُّن الوضع الاقتصادي جراء الأموال التي صارت تجبى إليها من كل البلاد وتصرف في مساكنها وفقرائها وعمامة مشاريعها العمرانية وغيرها.

بالإضافة إلى المنافع المعنوية التي حصل عليها أهلها بعد مجيئه ﷺ إلى المدينة ورفعه غائلة الاختلاف والتناحر الذي كان بين قبيلتي الأوس والخزرج، ذلك الاختلاف الذي جعل المدينة من مواطن القسوة والتوحش

وسفك الدماء وغير ذلك من الأخلاق الرذيلة، فجاء الرسول ﷺ وعرفهم الأخلاق الكريمة والخلال المستقيمة وأخى بينهم حتى كاد الأخ في الدين يرث أخاه، وحل محل تلك البغضاء الإحساء واخبة، ومكان ذلك التنافر التآلف والتكاتف، ومكان التحارب والتنافس التناصر والإيثار وغير ذلك.

والأهم من جميع ذلك هو إخراجهم من ظلمة الشرك الوثني المحجّم للعقول إلى نور الإسلام الذي أعطى العقول الفرصة للتفكير والتأمل بما وراء الطبيعة ومبدأ هذا العالم ونقطة انتهائه وغير ذلك من المعاني الدقيقة التي تحتاج إلى فكر راق، ودرك أرقى، مما رفع بالفكر العربي المتحجر المحصور على الناقة وبعرها، والحبيبة ونأيها، والدماء وسفكها وسما به إلى فضاء أرقى ومعان أثنى وأعلى، كدراسة التاريخ وأخذ العبر، والتطلع في أحوال المجتمع وما يقوي أواصره ويحكم روابطه وكل ما يدفع بالشخص والمجتمع إلى اجتناب الأعمال القبيحة وما لا ينبغي فعله، وغير ذلك مما يدخل تحت عنوان تعاليم الإسلام وفقهه وعلومه.

وقد ضمن الرسول ﷺ لأهل المدينة كل تلك التحولات يوم جاء رجال من الأوس والخزرج إلى النبي ﷺ فقال بعضهم: اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال: «أما ما أشترط لربي فأن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون أنفسكم، وتمنعون أهلي مما تمنعون به أهاليكم وأولادكم» فقالوا: فما لنا على ذلك؟ فقال: «الجنة في الآخرة، وتملكون العرب، وتدين لكم العجم في الدنيا، وتكونون ملوكاً في الجنة» فقالوا: قد رضينا^(١).

هذا بصورة كلية وعامة تشمل عامة أهل المدينة في الجملة، وهناك قصص كثيرة مما ظهر من يمينه في مواطن خاصة، منها أنه لما هاجر هو ومن

معه من مكة مر على أم معبد الخزاعية، وكانت امرأة برزة - أي امرأة كبيرة السن تبرز للرجال - تحتي وتجلس بفناء الخيمة، فسألوا تمراً أو لحماً ليشتروه، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك، وإذا القوم مرملون - أي لم تطهرهم السماء - فقالت: لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى، فنظر رسول الله ﷺ في كسر خيمتها فقال: «ما هذه الشاة يا أم معبد؟» قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم، فقال: «هل بها من لبن؟» قالت: هي أجهد من ذلك، قال: أتأذنين لي أن أحلبها؟ قالت: نعم بأبي أنت وأمي إن كان بها لبن فاحلبها، فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسح بيده على ضرعها وسمى الله تعالى ودعا لها في شأنها فتفاجت عليه ودرت فدعا بإناء يربض الرهط فحلب منها شخباً حتى على الشمال ثم سقاها حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا ثم شرب آخرهم.

فلما رأت أم معبد ذلك قالت: يا حسن الوجه إن لي ولدأ له سبع سنين وهو كقطعة لحم لا يتكلم ولا يقوم، فأتت به فأخذ ﷺ تمرة قد بقيت في الوعاء ومضغها وجعلها في فيه، فنهض في الحال ومشى وتكلم.

ويذكر أنه ﷺ توضعاً عندها للصلاة ومج ما في فيه على عوسجة يابسة فاحضرت وأنارت وظهر خضر ورقها وحسن حملها، وكانوا بعد ذلك يستشفون بها للمرض، فلما توفي رسول الله ﷺ ذهبت بهجتها ونضارتها، الخبر^(١).

ويتكرر طلب أهل المدينة المظرم من الرسول ﷺ بين الفترة والأخرى، فكان رسول الله ﷺ يرفع يديه المباركتين ويدعو، فما يبرح حتى يسقيهم الله تعالى حتى أن الشاب المعجب بشبابه لتهمه نفسه في الرجوع

(١) انظر الثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي: ٨٦، والخرائج والجرائح للقطب

إلى منزله فما يقدر من شدة المطر.

وهكذا يستمر المطر ويدوم عليهم حتى ملّوا وعجزوا وقالوا: يا رسول الله لقد تهدمت الجدر واحتبس الركب والسفر، فضحك عليه الصلاة والسلام وقال: «هذه سرعة ملالة ابن آدم» ثم قال: «اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم في أصول الشيخ ومراتع البتع» فصار المطر في حوالي المدينة يقطر قطراً وما يقع في المدينة قطرة لكرامته على الله عزوجل^(١).

وغير ذلك من القصص التي لا تحصى مما فيها الدلالة على يمينه وبركته واستجابة دعائه، بحيث يجزم الإنسان أن أهل المدينة إذا أرادوا أن ينعتوا الرسول ﷺ بنعت أو يسمونه باسم فهو الميمون، كما ذكر ذلك ابن شهر آشوب من تسمية أهل المدينة النبي ﷺ بالميمون.

وليس ذلك مقصوراً على أهل المدينة بل هذا حال كل أرض دخلها أو فتحها أو حل فيها فإنها تظل مباركة ميمونة، بل هو ميمون على الإطلاق لما يروى أن الله تبارك وتعالى وعظ عيسى بن مريم أن قال له: محمد رسول الله ﷺ إلى الناس... أمين ميمون^(٢).

(١) انظر البحار ١: ٣١.

(٢) الكافي ٨: ١٣٩، أمالي الشيخ الصدوق: ٦١٢. تحف العقول: ٥٠٠.

حرف النون

الأسماء المصدرة بحرف النون

٩١٧. ناجم قريش

لما كانت كلمة نَجْمَ بمعنى بزغ وظهر من بين سواد عظيم أو سطوح متساوية في الارتفاع والهيئة، فإن رسول الله ﷺ هو الظاهر بين أمة مشركة متساوية في الشرك والمعتقدات عامة، وليس هناك لأحدهم ظهور متميز، ولا لمعان خاص.

فظهر رسول الله ﷺ من بين ذلك السطح وبزغ بين سواد ذلك الشرك وظلمة تلك الجاهلية وبدا نوره المتلألئ في الآفاق والضمائر.

حتى إذا لاحظ الملاحظ في صفحة ذهنه قبيلة قريش والعرب عامة فإن ذلك النجم أعني الرسول المصطفى ﷺ يلوح له بين ذلك السواد، بل هو أول ما يلوح ويظهر وقد يكون أوحده.

ثم كانت تلك الصفة هي صفة متميزة للرسول ﷺ بحيث إذا أراد المتكلم يومها أن يتكلم عن الرسول ﷺ من دون التصريح باسمه - مهما كان الدافع - عبّر مكانه بنجم قريش، خصوصاً في المحاورات والمناقشات التي أورد من بينها السيد ابن طاووس المخاورة التي دارت بين بعض الرهبان فيقول أحدهم: ثم تعلم أن ناجم قريش - يعني رسول الله ﷺ - يكون رزؤه قليلاً ثم ينقطع، ويخلو، وإن بعد ذلك قرن يبعث في آخره النبي المبعوث بالحكمة والبيان والسيف والسلطان يملك ملكاً مؤجلاً، تطبق فيه أمته المشارق والمغرب ومن ذريته الأمير الظاهر يظهر على جميع

الملكات والأديان، ويبلغ ملكه ما طلع عليه الليل والنهار، وذلك يا حار أمل من ورائه أمد، ومن دونه أجل، فتمسك من دينك بما تعلم وتمنع الله أبوك من أنس متصرم بالزمان أو لعارض من الحدثنان، فإنما نحن ليومنا ولغد أهله^(١).

وكان هذا الكلام للسيد وهو الأسقف بنجران المسمى أهتم بن النعمان تعقيباً على كلام العاقب واسمه عبد المسيح بن شرحبيل وهو عميد القوم وأميرهم في مجال الاستدلال والتذرع للبقاء على دين المسيحية عندما احتج عليهم حارثة بن أنال الذي كان على دين المسيحية بما جاء في وصية عيسى ﷺ ونصه على وصية شمعون وما أوحى الله إليه أن خذ يا بن أمي كتابي بقوة ثم فسر لأهل سوريا بلسانهم... ثم يذكر صفات النبي ﷺ مما أدى إلى أن يظلم المكان على السيد والعاقب، فتذرع الأول للبقاء على المسيحية بأن دين المسيحية مما نبئت عليه عروقهم وترعرعوا عليه، وتذرع الثاني كما يظهر من كلامه المار بأن هذا الناجم والظاهر سرعان ما سينمحي ذكره ويزول ويبقى الناس بانتظار ذلك النبي الموصوف في الإنجيل، اعتماداً على القاعدة القائلة «لكل نجم أفول ولكل داخل دهشة وذهول» وما درى أو ما أراد أن يصدق أن هذا الناجم - أعني الرسول المصطفى ﷺ - ليس له أفول، وإنما ازداد سطوعاً ليبلغ أطراف الأرض وليبلغ على يد ذريته ودينه مشارق الأرض ومغاربها.

٩١٨. الناس

سأل رجل عن الناس فاجابه الإمام الحسن ﷺ سألت عن الناس فرسول الله الناس لأن الله يقول: ﴿أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾^(٢)، وفي

(١) إقبال الأعمال ٢: ٣١٧، البحار ٢١: ٢٩٣.

(٢) تفسير فرات: ٨، والآية في سورة البقرة: ١٩١.

تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ قيل: هو رسول الله ﷺ^(١)، ولما كان الرسول ﷺ هو الهدف من خلق الناس والمحقق لما أَرَادَهُ اللهُ وقصده من إنشاء هذا العالم فكأنما كان النبي ﷺ هو جميع الناس إذ قام بمفرده بما هو مطلوب من الجميع وما هو مراد منهم ولهم.

٩١٩. الناشر

لما عرج النبي إلى السماء الثالثة ورأته الملائكة نفرت وخرت سجداً وقالت: سيوح قدوس رب الملائكة والروح ما هذا النور الذي يشبه نور ربنا؟ فقال جبرئيل عليه السلام: أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله. فاجتمعت الملائكة وقالت: مرحباً بالأول ومرحباً بالآخر ومرحباً بالحاشر ومرحباً بالناشر محمد خير النبيين وعلي خير الوصيين^(٢).

والناشر بمعنى المفرق لأنه يفرق بين أهل الجنة والنار ويتصل زمان أمته بالحاشر والنشر وهو أول من ينشر يوم القيامة وينشر الخلائق على أثره ويوكل إليه الجمع والحساب.

٩٢٠. الناصح

تردد كلمة الناصح بين النصيح لله وبين النصيح لعباد الله، وقد تشمل بإطلاقها، النصيحة فإما النصيح لعباد الله سبحانه وتعالى فمعناه إرشاد العبد إلى مصالح دينه ودنياه وأن تضع أمامه الطريق الذي يؤدي إلى نفعه وتجنبه المضار والآلام تاركاً للحسد والغش.

فقد نجد المرشد يرشد الآخرين إلى طريق يكون فيه النفع لنفس

(١) تفسير أبي حمزة: ١٤٤، مجمع البيان ٣: ١٠٨، والآية في سورة النساء: ٥٤.

(٢) الكافي ٣: ٤٨٤

المرشد دون المسترشد فليس هذا نصح بل هو غش ومكر وتلبيس.
وتارة يرشده إلى طريق يؤدي إلى ضرر المسترشد من دون أن يجز
للمرشد نفعاً فهو حسد وتمن وتارة يرشده إلى ما لا نفع فيه ولا ضرر فلا
يكون في الحقيقة ناصحاً وإنما يكون ناصحاً إذا كان فيما يرشده إليه النفع
العائد إلى المسترشد أو المنصوح، وإن كان فيه نفع للمرشد أيضاً.
والمبالغة في النصيحة هي أن يرعى نفع الآخر بما فيه صلاح دينه ودنياه
بتعليمه ما جهله من أمور دينه وآخرته، وتنبهه إذا كان غافلاً وزجره عن
المعاصي إذا كان عاصياً بشروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودفع
الضرر عنه مهما أمكن، ولو لم يقبل طريقته سلك به طريق الرفق حتى يقبلها.
ويجمع جميع ذلك ما يروى عن رسول الله ﷺ قال: «لينصح الرجل
منكم أخاه كنصيحته لنفسه»^(١)، فهذا أجمع تعريف للنصيحة الكاملة التامة.
ومهما يكن من ذلك فقد جعل ابن شهر آشوب أحد أسماء النبي ﷺ
الواردة في الأخبار هو الناصح^(٢)

٩٢١. الناصح لأُمَّته

ورد في بعض الأدعية الماثورة عن الأئمة عليهم السلام: اللهم إني أتقرب
إليك بنبيك... الناصح لأُمَّته^(٣).

٩٢٢. الناصح لعباد الله

جاء في بعض الزيارات: اللهم صل على البشير النذير... الناصح
لعبادك^(٤).

(١) الكافي ٢: ٢٠٨ ح ٤.

(٢) المناقب ١: ١٣١.

(٣) مصباح المتعبد: ٣٢٦.

(٤) المزار للمشهدي: ٦٧.

٩٢٣. الناصح لله

ورد في بعض الزيارات: اللهم اجعل أفضل صلواتك وأكملها وأعمها على سيدنا محمد...الناصح لك^(١).

ولا شك أن النصيحة لله سبحانه لها معنى متفاوت، ليس هو الشدة والضعف فقط بل اختلاف السنخ والماهية والحقيقة بيد أنها معاملة وتصادق وصفاء بين خير الخلق وبين الخالق، فهو في حيز فوق علمنا وخيالنا وتوهماتنا، ولكن قد يحاكيه شيئاً من المحاكاة الكلام في النصح لعباد الله المار في عنوان الناصح.

٩٢٤. ناصح الحسب

والحسب إما مفاخر الآباء وصحائف أعمالهم أو هي أعمال نفس الشخص ومفاخره التي يذكرها ويفتخر بها، وكل أولئك في الرسول ﷺ ناصح بمعنى البياض والوضوح الذي لا سواد عليه ولا وصمة عار ولا قصور أو تقصير.

لما مرّ مراراً من أن آباء النبي ﷺ كلهم من المؤمنين الموحدين المعروفين بالشرف والرفعة، وكذا فإن مفاخر النبي ﷺ وأعماله غير خافية على أحد.

بل ذكر أمير المؤمنين ﷺ ذلك الوصف فقال: «وصلّ اللهم على الدليل إليك في الليل الأليل والناصح الحسب في ذروة الكاهل الأعبل»^(٢) ليبين أن حسب النبي ﷺ عالي ومرتفع في أعلى نقطة ممكنة وهي الذروة التي تعني السنام المرتفع على الكاهل الذي يعني ما بين الكتفين، وليس

(١) المزار للمشهدي: ٥٥٦.

(٢) البحار: ٨٤: ٣٤٠.

كل كاهل، بل هو الكاهل الأعبل أي الضخم الغليظ.
والمراد من مجموع ذلك أن حسب النبي ﷺ خالص وواضح في أعلى مراتب المجد والشرف.

٩٢٥. ناموس العصر

هناك شواهد في القواميس الإلهية المترجمة لحال البشرية والتي توضح الشروط المقررة لحياتهم وحيويتهم مما لا يناله الدرك البشري الطبيعي والحسابات الظاهرية على ضرورة وجود النواميس في جميع الأدوار ولا أقل من وجود ناموس واحد في كل دورة ومرحلة زمنية، أمر لا بد منه ولا نعلم الوجه في ضرورته وأصل وجوده سوى أن تلك الشواهد تدلنا على ضرورة وجوده وتواجده في كل حين وتعرفه وتبين من هو ذلك الناموس في كل دور.

والناموس هو المطلع على الأسرار والبواطن وما خفي على عامة الناس، وما لا يستبين عليهم من دقائق أعمال البشر وخبايا مقاصدهم وأعماق سرانهم من النوايا الخيرة والشريرة، والصادقة والكاذبة، وأعمال السر وما وراء الكواليس وخلف جدارن الدور، والصحاري والبحار، يعرف الخير منهم والشرير، والمؤمن والكافر، والمنافق ومن يصلح لتولي الأمور والمهام ومن لا يصلح.

فقد قال رسول الله ﷺ: «نحن نواميس العصر»^(١)، كلام مشعر بالضرورة ومعين للمصداق، بما فيه الكفاية، كما لا يحتاج إثبات أن الرسول ﷺ واحد من تلك النواميس إلى كثير دليل بعد توافر النقل عن إنباءاته بما في الضمائر وأعمال السر، التي أحصى كثيراً منها كتب التاريخ مثل إخباره بما عزم عليه حاطب بن أبي بلتعة من إرسال كتاب إلى قريش

ينبئهم بعزم النبي ﷺ على فتح مكة فأرسل ﷺ من يأخذ الكتاب من الجارية التي أرسل حاطب الكتاب معها وكانت قد جعلته في عقيصتها^(١).

ولما دخل الكعبة أراد فضالة بن عمير الليثي أن يقتل رسول الله ﷺ، فأخبره النبي ﷺ بقصده وضحك منه^(٢)، وقريب من ذلك قصة شيبة^(٣)، والقصص في إخباراته بما تنطوي عليه النفوس وما يفعل الآخرون سرّاً وما يدخرون في بيوتهم وما يعزم عليه أحدهم كثيرة جداً.

ولما كان أصل الناموس هو المكان الذي يستجن فيه الصائد عن الوحش لئلا تراه فتتفر منه تولدت الاحتمالات في تعيين المراد من عنوان ناموس العصر التي منها أنه موضع سر الآخرين، والاحتمال الأهم من ذلك هو إرادة أن النبي ﷺ يكون دائماً في الموضع الذي يؤدي إلى وقوع القلوب في قيده بفنون المصائد كحبائل الخوف والرجاء، ويجتذبها بعلائق الوعد والإيعاد، وهو معنى دقيق وظريف يوحي إلى أن النبي ﷺ كان يتصرف بدقة ويتخذ القرار المناسب الذي يؤدي إلى إيمان الشخص الذي يلاقيه ما لم يكن فيه أقل أمل وأقل أرضية للإيمان، فواحد بالعطاء وواحد بالإنذار وثالث بالإخبارات الغيبية ورابع بالسلوك، وخامس بالشدة وغير ذلك مما هو أظرف وأدق من ذلك وإن كان يثير اعتراض الآخرين.

فانظر إلى محاورته مع عدي بن حاتم وقوله له: «لا يمنعك من هذا الدين ما ترى من جهد أهله وضعف أصحابه، فكأنهم بيضاء المدائن قد

(١) الإرشاد للشيخ المفيد ١: ٥٧، المناقب لابن شهر آشوب: ٤٠٥، مسند

الشافعي: ٣١٦، مسند أحمد ١: ٧٩، ١٠٥، ١٣١، وج ٣: ٣٥٠، صحيح

البخاري ٤: ١٩، وج ٥: ١٠، ٨٩.

(٢) تاريخ الخميس ٢: ٧٨.

(٣) المغازي للواقدي ٢: ٨٩٤، السيرة الحلبية ٣: ٧١.

فتحت عليهم ولكأنهم بالظعينة تخرج من الحيرة حتى تأتي مكة بغير خفارة لا تخاف إلا الله»^(١) كأن النبي ﷺ قد عرف من عدي أنه يؤمن إذا عرف أن أمر المسلمين سيثول إلى الثراء والأمن بعدما كانوا عليه من الجهد والفقر والحروب، ولعل تفصيل ذلك يحتاج إلى فضاء أوسع.

ويذهب بعض السادة الأجلة إلى أكثر مما وصفناه، ويقول: إن العلم أثبت أن هناك قوانين تحكم الوجود الكوني يعبر عنها بالنواميس الكونية الفاعلة في كل التحولات وفوق هذه النواميس نورية فاعلة تمسك بأزمة هذا العالم لما يكتشفها العلم، وهم محمد وآله ﷺ، فهم القطب الذي تدور عليه رحى العالم، ولولاهم لسانحت الأرض بأهلها، وتوقف كل شيء في الوجود عن الحركة والدوران، وفي الجانب التشريعي فهم يمثلون إرادة الله سبحانه.

٩٢٦. الناهي

ذكر ابن شهر آشوب إن أحد أسماء النبي هو الناهي واستدل عليه بقوله تعالى ﴿وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٢).

٩٢٧. النبي

لعل أول ما يلاحظه الناس وخصوصاً عوامهم هو الأفعال الظاهرة والتصرفات المشهودة لكل صنف وطائفة يطلق عليها اسم من الأسماء ويعنون بعنوان ومنه يحصل الارتباط بين العنوان وتلك الأفعال والصفات. ومن ذلك عنوان النبي المبعوث من قبل الله سبحانه وتعالى،

(١) مناقب آل أبي طالب: ٩٨، البحار: ١٨ : ١٣٦.

(٢) المناقب: ١ : ١٣١، والآية في سورة الحشر: ٧.

فإن المشاهد من أعماله وتصرفاته هو إخباره عن الله سبحانه وتعالى وعن كلماته وآياته ومراداته وما يأمر به وينهى عنه فحصل الارتباط بين كلمة النبي وبين الإخبار عن الله سبحانه وتعالى خصوصاً مع إمكان إرجاع كلمة النبي إلى النبأ الذي يعني الإخبار.

ولذا جاء أعرابي إلى النبي ﷺ وقال: السلام عليك يا نبي الله. والنبى بمعنى الفاعل أي النبي مأخوذ من نبأ وهو الخبر، فيكون سمي به لأنه مخبر عن الله ما أراد من الخلق.

ولكن الأنبياء فتدوا ذلك، ولذا فإن النبي ﷺ قال بعد كلام الأعرابي المار: «لست بنبي الله، ولكني نبي الله»^(١) عندها صار العلماء في طلب مأخذ آخر لكلمة النبي، هو مأخوذ من النبوة وهي ما ارتفع من الأرض، وقالوا: سمي بذلك لأنه مرفوع القدر مشرف على الخلائق، ونحن ذكرنا مراراً أن النبوة ارتفاع في الروح والنفس مؤهل لاستلها المكارم وسماع الوحي أو رؤيته، ولكن مع كل ذلك لا يمكن البت في حقيقة النبوة؛ لعدم تجربة شيء منها ولا تحسسه إلا للأنبياء أنفسهم، ولكن النبي ﷺ وأهل بيته ذكروا بعض المقربات إلى الذهن لا بأس بالإشارة إليها على أمل أن لا يكون ذلك مجازاً يراد به غير معناه الظاهر.

فمن ذلك ما رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ: «الهدى الصالح، والسمت الصالح، والافتصاد جزء من خمس وأربعين جزءاً من النبوة»^(٢) وهذا يعني أن النبوة أو بعض أجزائها من سنخ الأفعال والصفات، بينما يرى البعض أن ذلك مما جاءت به النبوة وهو المراد من هذا الحديث، ولكنه خلاف ظاهر الحديث، والمسلم من بين ذلك أن هذه شمائل الأنبياء

(١) معاني الأخبار: ١١٤.

(٢) الخصال: ١٧٨ ح ٣٣٨.

ومن جملة خصالهم .

ومن ذلك المروي عن أبي عبد الله عليه السلام: «إن المؤمن رؤياه جزء من سبعين جزء من النبوة ومنهم من يعطى على الثلاث»^(١).

ومنها المروي عن أبي عبد الله عليه السلام: «القيافة فضلة من النبوة ذهبت في الناس حين بعث النبي ﷺ»^(٢).

ومنها: المروي عن النبي ﷺ: «البسوا الصوف، وكلوا في أنصاف البطون؛ فإنه جزء من النبوة»^(٣).

والمتحصل من ذلك وأمثاله هي أن بعض النبوة عبارة عن تلقي بعض المعلومات وهي أدب وسؤدد وتصرف معقول ومستحسن، ويبقى البعض الآخر وهو العمدة مجهول إلا لنفس الأنبياء.

ثم إن من المعلوم كلمة النبي تطلق على كل واحد من الأنبياء ثم غلبت بعد بعثة نبينا ﷺ فيه، حتى صارت كلمة النبي لا تعني إلا إياه بمقتضى العهد والأنس الذهني.

ولابد من الإشارة إلى أن النبوة والرسالة هي الأصل الثالث من أصول الدين بعد التوحيد والعدل، وثاني الشهادتين ولكن البحث في هذا الجانب يتكفل به كتب الاعتقاد وقد يؤدي الخوض فيه في هذا المختصر إلى عدم الوفاء بحقه، بيد أنه من أعظم المعاني ونحن نبحث في الأسماء لا نتجاوز الإشارة إلى معانيها.

(١) من لا يحضره الفقيه ٢: ٥٨٥ ح ٣١٩١، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٨٨ ح ١١،

كتاب المؤمن: ٣٥.

(٢) الخصال: ١٩ ح ٦٨.

(٣) مكارم الأخلاق: ١١٥.

ويذكر أن الله سبحانه وتعالى سماه النبي في ثلاثة عشر موضعاً: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدْ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾^(١) ...

٩٢٨. نبي الله

هذا هو الاسم الآخر الذي غلب استعماله في نبينا ﷺ خصوصاً عند مخاطبته وندائه وإلا فكلمة «نبي الله» وحدها قد لا تعني نبينا؛ لأن موارد الاستعمال هي كلمة «يا نبي الله» لمن أراد أن يخاطبه ويتكلم معه.

ومهما يكن من ذلك فإن كلمة النبي بناءً على أنها مأخوذة من الارتفاع تصير بمعنى الرفيع والنبوة هي الرفعة، فتكون إضافته إلى الله سبحانه وتعالى بحاجة إلى تقدير وتأويل ويكون المراد برفيع الله هو الشخص الذي رفعه الله سبحانه وتعالى، أو شيء من هذا القبيل.

مع أن استعمال هذا العنوان وإطلاقه على الرسول ﷺ مستفيض ولعل أوله يعود أو له يعود إلى قصة النبي ﷺ آدم عليه السلام حينما نظر إلى طائفة من ذريته يتلأأ نورهم يسعى، فسأل ربه وقال: ما هؤلاء؟

قال: هؤلاء الأنبياء من ذريتك... قال: يارب فما بال هذا الأخير ساطعاً على نورهم جميعاً؟ قال: هذا نبيي.

(١) الأنفال: ٦٤، ٦٥، ٧٠، التوبة: ٧٣، الأحزاب: ١، ٢٨، ٤٥، ٥٠، المتحنة:

١٢، التحريم: ١، الأحزاب: ٥٩، الطلاق: ١.

٩٢٩ . نبي الرحمة

يُخَلَّدُ في ذهني سؤالان منذ أمد بعيد، أحدهما: ما هي الحكمة في عدم بيان الشارع للأحكام الشرعية بشكل واضح وصريح حتى لا يختلف فيها اثنان من أهل الحق على الأقل، وهو القادر على كل شيء، كأن ينزل كتاباً مبيناً للأحكام كما أنزل قرآننا لا تناله يد التحريف.

والسؤال الثاني: ما هو الامتياز والفرق الموجود في نبينا حتى يكون إرساله رحمة للعالمين، ويوصف بذلك دون سائر الأنبياء، مع أنه خاض ذمار الحروب الدامية دفاعاً عن العقيدة، وقتل المشركين والحريين من أهل الكتاب في هذه الدنيا، وقام بإتمام الحجّة على أهل سائر الملل والأديان فاستحقوا العذاب ببقائهم على أديانهم وعدم إسلامهم بالنتيجة.

وبعد التدبّر والتأمل المستمر والمتقطع توصلتُ إلى نتيجة ناقصة بالنسبة للسؤال الأول حاصلها أن المطلوب من الناس في لوح الواقع هو امتثال الأحكام المقطوعة المتفق عليها بين العلماء ورعاية الواجبات والمحرمات المعلومة المؤكد عليها وخصوص القدر المتيقن على الدوام بينما يكون الباقي من المظنونات والمشكوكات وسائر المختلف فيه كالجمي لتلك المطلوبات الواقعية وقشور تحافظ على تلك اللباب التي هي كالثمرة التي يخلقها الله عادة وهي محاطة بطبقات من القشور تحافظ عليها، مع أن اللب هو النافع المطلوب للطعام، والباقي مجرد لحافظه.

كما أخذ يخطر ببالي مسألة التخفيف على العباد وترك المجال للاعتذار بعدم العلم واليقين يوم القيامة كي تنالهم شفاعة الشافعين، ولكن لم تنضج هذه الفكرة ولم تتم حتى عثرت على خبر يرويه الطبرسي حول اعتراضات بعض الزنادقة على آيات القرآن حتى يصل إلى هذه الفقرة وهذا الاعتراض فيقول: وأجده يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً﴾

لِلْعَالَمِينَ»^(١) وقد أرى مخالفي الإسلام معتكفين على باطلهم غير متلعين عنه، وأرى غيرهم من أهل الفساد مختلفين في مذاهبهم يلعن بعضهم بعضاً، فأبي موضع للرحمة العامة لهم المشتمة عليهم؟!!

فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام على جميع ما سألت حتى بلغ هذا السؤال والاعتراض فقال: «وأما قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ وأنت ترى أهل الملل المخالفة ومن يجري مجراهم من الكفار مقيمين على كفرهم إلى هذه الغاية، وإنه لو كان رحمة عليهم لاهتدوا ونجوا من عذاب السعير؛ فإن الله تبارك وتعالى إنما عنى بذلك أنه جعله سبباً لإنظار أهل هذه الدار؛ لأن الأنبياء قبله بعثوا بالتصريح لا بالتعريض، وكان النبي منهم إذا صدع بأمر الله وأجابه قومه سلموا وسلم أهل دارهم من سائر الخليقة، وإن خالفوه هلكوا وهلك أهل دارهم بالآفة التي كان نبيهم يتوعدهم بها ويخوفهم حلوها ونزولها بساحتهم من خسف أو قذف أو رجف أو زلزلة أو غير ذلك من أصناف العذاب التي هلكت بها الأمم الخالية، وأن الله علم من نبينا عليه السلام ومن الحجج في الأرض الصبر على ما لم يطق من تقدمهم من الأنبياء الصبر على مثله؛ فبعثه الله بالتعريض لا بالتصريح، وأثبت حجة الله تعريضاً لا تصريحاً بقوله في وصيه: من كنت مولاه فهذا مولاه، وهو مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي....

ولو قال لهم: لا تقلدوا الإمامة إلا فلاناً بعينه وإلا نزل بكم العذاب، لأتاهم العذاب، وزال باب الإنظار والإمهال....»^(٢)

ومع قطع النظر عن سند الرواية فإن هذا جواب معقول ومتمم لما فكرت به من الجواب ورافع لما فيه من النقص والإبهام.

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) الاحتجاج ١: ٣٣٦.

وبذلك نعرف الجواب عن السؤالين الأولين معاً وأن أحدهما في الواقع هو جواب الآخر، كما نعلم لماذا نبينا ﷺ هو نبي الرحمة، ولماذا كان يقول: «أنا نبي الرحمة»^(١).

وجعل الإربلي ذلك من أسمائه مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢) وفي رواية أن جبرئيل قال للنبي ﷺ: يا محمد! العلي الأعلى يقرأ عليك السلام ويقول: محمد نبي رحمتي^(٣).

٩٣٠ . نبي الرحمة

المرحمة هي الحنان والرفقة والبرقة والتعطف وإيصال النعم والإنعام على المحتاج، يقال: ما أقرب رحم فلان، إذا كان ذا مرحمة وبر.

وذلك لأن المرحمة هي الرحمة ومصدر ثان، فيقال: رحمته أرحمه رحمة ومرحمة، مع احتمال كونه مصدراً ميمياً من الرحمة.

ومهما يكن من ذلك فإن مرحمة النبي ﷺ قد تجلّت على أمها يوم دخل مكة بعد ما أخرجه أهلها منها وأذوه أشدّ الأذى وحاصروه ورموه بالحجارة واتهموه بشتى أنواع التهم حتى أرادوا قتله فخرج منها مهاجراً ثم لاحقوه وجهزوا لقتاله أقوى الجيوش واستعملوا أنواع المكر والخديعة والخيانة والشدة.

(١) صحيح البخاري: ٤: ٢٢٥، وج: ٦: ١٨٨، صحيح مسلم: ١٢٤، المعجم الكبير

للطبراني: ٢: ١٩٩، مجمع الزوائد: ٨: ٢٨٤، وانظر مسند أحمد: ٤: ٤٠٥، وتحفة

الأشراف: ٢: ٣٣٢٧.

(٢) كشف الغمة: ١: ٨.

(٣) أمالي الصدوق: ٣٩١، البحار: ٨: ٣، ٣.

فجاءها بعد عِقْدٍ فاتحاً ظافراً مبالغتاً لأهلها في عُقْرِ دارهم مع جيش يربو على عشرة آلاف مقاتل، والجو يغلب عليه حس الانتقام وأخذ الثأر والأسر والغنيمة، فكانت إحدى الرايات بيد سعد بن عبادة وهو ينادي: اليوم يوم الملحمة، اليوم تسمى الحرمة، أذلّ الله قريشاً، فلما سمع أبو سفیان ذلك نادى: يا رسول الله أمرت بقتل قومك، إن سعداً قال كذا، وإنني أنشدك الله وقومك، فأنت أبر الناس، وأرحم الناس، وأوصل الناس.

فوقف النبي ﷺ وقال: «بل اليوم يوم الرحمة، أعزّ الله قريشاً» وأرسل إلى سعد وعزله عن اللواء، وقال لعليّ رضي الله عنه: «خذ منه الراية وناد فيهم» فأخذ عليّ رضي الله عنه اللواء وجعل ينادي: اليوم يوم الرحمة^(١).

فهذا مصداق من مصاديق رحمة النبي ﷺ ومرحمته التي تعني باعتقادي الإنعام على المحتاج وإيصال النعم في الغالب، فليس له حد ولا يمكن حصرها بجانب، من ناحية العطاء والرحمة على الضعفاء وكرام كل قوم بل حتى أعداءه ومن حاربه.

وما زال يوصي برحمة الفقراء وذوي المسكنة ويقول: «إن الله يرحم من عباده الرحماء»^(٢) «أو» ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»^(٣)، بل يوصي بالتواصي بالرحمة كما قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾^(٤) أي يرحم بعضهم بعضاً، وأكثر من ذلك فإن الله سبحانه وتعالى بعثه رحمة لأمته ورحمة للعالمين ورحيماً بهم ومترحمًا ومستغفرًا لهم وجعل أمته أمة

(١) شجرة طوبى ٢: ٣٠٣، وانظر عيون الأثر ٢: ١٩٠.

(٢) دعائم الإسلام ١: ٢٢٥، مسكن الفؤاد: ٩٦.

(٣) عوالي اللئالي ١: ٣٦١ ح ٤٣.

(٤) البلد: ١٧.

مرحومة ووصفها بالرحمة وأمرهم بالتراحم، بالإضافة إلى أنه جاء بالإسلام الذي هو كله رحمة بحيث لو طبّق بحذافيره لأكل الناس من فوقهم ومن تحت أرجلهم.

وروي عنه ﷺ أنه قال: «أنا نبي الرحمة»^(١) وعدّ ذلك الشامي من أسمائه،^(٢) وفي كتاب الشفاء أنه ﷺ قال: «أنا محمد وأحمد والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الرحمة» وإن كان في نقل آخر: «نبي الملحمة»^(٣).

٩٣١. النبي المرسل

يروى أن علي بن الحسين عليه السلام قال في دعاء له: وأشهد أن محمداً نبيه المرسل ووليه الفضل وشهيدته المعدل^(٤). وذلك لأن الرسول أخص من النبي لأنه يأتي بالرسالة والكتاب والآيات ويرى ويسمع الوحي، بينما النبي قد يسمع ولا يرى أو يرى في المنام ولا يسمع وهكذا.

٩٣٢. نبي الملحمة

يصادفنا بعض الأسماء الدالة على عنف الرسول المصطفى ﷺ مثل صفة صاحب الملحمة أو نبي السيف أو حتى مثل القتال والسفك، فنبقى نواجه بعض الصعوبات عند إرادة تطبيقها على الرسول ﷺ وهو نبي الرحمة والرأفة المعروف بلين العريكة وسهولة الطبع والمسرع إلى العفو في أشد الأحوال.

(١) صحيح مسلم ٧: ٩٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد: ٥٢٩.

(٣) الشفاء ١: ٢٣٣.

(٤) الصحيفة السجادية: ٤٣٨.

الأمر الذي حتم علينا ملاحظة الأخبار الواردة في هذا الشأن وإلقاء نظرة على أسنادها والتفكير في سر منشأها الأول، فوجدنا أن منشأها الأول هو أعداء الإسلام وأعداء النبي ﷺ ابتداءً من قريش ومروراً باليهود وانتهاءً بالمنافقين الذين كانوا يدبرون له باستمرار.

ولم يرد شيء من ذلك في كتاب معتبر ولا رواية مسندة وإنما هي أخبار شاذة أكثرها من طرق بعض رواة العامة الذين كانوا يصنعون الملوك والخلفاء الظالمين من بني أمية والعباس في مجال إضفاء الشرعية على أعمالهم العدوانية الظالمة وخوضهم في دماء المسلمين وغيرهم، فيدفعون عنهم إشكال الظلم والقتل والقسوة بأن النبي ﷺ كان قتالاً وأنه نبي السيف ونبي الملحمة سواء كان باختلاق تلك العناوين، أو بأخذها من أعداء الدين والتركيز عليها ونشرها.

ولا أظن أن المقصود من مثل هذه العناوين هو مجرد خوض الرسول ﷺ الحروب وذمار المعارك؛ لأن غيره من الأنبياء قد خاض المعارك الضارية ولم يسم واحد منهم بالقتال أو السفاك أو نبي الملحمة والسيف.

وإنما المقصود هو إضفاء الشرعية على أعمالهم همجية أموية أو عباسية بنسبة ما يشابه ذلك إلى ساحة الرسول ﷺ المقدسة والمنزهة من أي شيء منها.

وإنما قلنا هي أسماء وصفات ألصقها الأعداء بالنبي، فلأجل ما روي من أن النبي سجد يوماً، فأتى بعض الكفار بسلا ناقة فألقاه على ظهره - والسلى بالقصر الجلدة الرقيقة التي يكون فيها الولد من المواشي - فقال: «يا معشر قريش أي جوار هذا، والذي نفس محمد بيده لقد جثتكم بالذبح» فقام إليه أبو جهل ولاذ به من بينهم وقال: يا محمد ما كنت

جهولاً، وسمي نبي الملحمة بذلك^(١)، والملحمة هي القتال والحرب.

فإذا كان الأساس لمثل هذه التسمية هو العدو، فكيف نفسر عدّ رواة العامة وكتّابهم أحد أسماء النبي ﷺ هو نبي الملحمة من دون الإشارة إلى أن ذلك اسم سماه به أعداؤه^(٢)، ومن الطبيعي فإن العدو يلصق بعده الصفات القبيحة والأسماء المنفورة حتى لو لم تكن موجودة فيه ولا هي من أسمائه.

على أننا في شك حتى في نقل قول الرسول «جنتكم بالذبح» وهو المأمور بالدعوة إلى سبيل الله سبحانه بالحكمة والموعظة الحسنة، ولو كان جاءهم بالذبح، لفعل ذلك يوم فتح مكة وما قال: لا تثريب عليكم.

٩٢٢ . نبي الهدى

لا يغيب عن بالنا أن الرسول ﷺ لم يدع أنه جاء بدين جديد، بل جاء لإعادة الناس إلى دين الله الحق القديم، سنة إبراهيم التي طأها يد التحريف وتسوست بأفة الشرك البشعة، ليؤكد قبل كل شيء على الإيمان بالله الواحد وما أرسله للناس كافة مع رسله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، وبما أوحى إلى موسى وعيسى وكل رسل الله ﷺ، لا فرق بين رسله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾^(٣).

(١) كشف الغمة: ١: ٩.

(٢) مسند أحمد: ٤: ٤٠٤، صحيح البخاري: ٤: ٢٢٥، وج: ٦: ١٨٨، صحيح مسلم كتاب الفضائل: ١٢٤، المعجم الكبير للطبراني: ٢: ١٩٩، مجمع الزوائد: ٨: ٢٨٤، كنز العمال: ١١: ٤٦٢، عيون الأثر: ٢: ٣٩٩، الشفاء: ١: ٢٣٣.

(٣) المائة: ٤٨.

ولقد كانت قوانين النبي موسى عليه السلام منهجاً للسلوك الإنساني وكذا عيسى عليه السلام، لكن حرقها أتباعهم وحواريهم، وبنزول القرآن وبعثة النبي صلى الله عليه وآله تجدد هذا المنهج بطريقة أوضح وأكمل، وذلك بتقويم التحريفات والإهمالات التي قصد بها إزاحة الكلم عن مواضعه، فهو خاتم هذه القوانين ومكملها.

والركن الركين في هذا الإصلاح الديني وهداية الناس هو تأكيد مفهوم الوحدة المطلقة لله تعالى وحده لا شريك له فكانت كلمة «لا إله إلا الله» هي الأساس لهذا التصحيح والهداية المستأنفة، وتستمر بالتسليم لله وحده والاستسلام له في مجال التمهيد لطرح الشريعة الكاملة التي لم يتوفر لها الأرضية طوال القرون البائدة ولا في زمان نبي من الأنبياء عليهم السلام لخرجية الظروف وقصور العقول التي لم تسمح لها بمحدوديتها وقصورها في استيعاب أوائل المعتقدات الضرورية كعدم إمكان رؤية الله سبحانه وعدم إمكان أن يكون له ولد أو زوجة أو شريك وعدم صلاحية العكوف على التماثيل والتصاوير أو الإطاعة المطلقة للقديسين أو الخضوع للأيقونات التي تمثلهم، فإن كل ذلك المحرف عن المسير الواحد المرسوم لكل الشرائع وكل الأمم، فكيف باستيعاب جزئيات القوانين الإلهية الحقة في المجالين الروحي والجسدي والدينيوي والأخروي.

بذلك كان الرسول صلى الله عليه وآله كالمنار المنصوب لمعرفة الطريق يهتدي به القاصد من كل جانب إذا أضل الطريق، وإذا كان مثل ذلك المنار الموضوع على الطريق هو منار الهدى، فإن الرسول صلى الله عليه وآله هو نبي الهدى، أي المرتفع الذي يهتدي به الضال، لأن النبي من النبوة أي ما ارتفع من الأرض، يضاف إليه صفة الهداية حيث يهتدي به القاصدون إلى الله سبحانه وتعالى ممن ضل الطريق والمحرف عن المسير من كل أمة أو ديانة، أي كل جانب.

ومن ذلك وأمثاله تعرف مدى أهمية هذه الصفة للرسول صلى الله عليه وآله رغم

أنها جاءت اعتراضية في جواب أمير المؤمنين عليه السلام، على نصراني جاء يسأله، فقال له: «سل يا نصراني، فوالذي فلق الحبة وبرئ النسمة لا تسألني عما مضى ولا ما يكون إلا أخبرتك به عن نبي الهدى محمد ﷺ» (١).

ويسرى قبل ذلك أن رجلاً ضريباً أتى النبي ﷺ فقال: أدع الله لي يعافيني، فقال: «إن شئت أخرت ذلك، وإن شئت دعوت» قال: أدع، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بمحمد نبيك ﷺ نبي الهدى والمرحمة، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه ليقتضي لي، اللهم شفعه (٢).

٩٣٤ . النبيل

نشأ الرسول ﷺ في بيت سدانة الكعبة وريادة مكة التي لا تعطى لأحد إلا لأولي الشرف من قبيلة قريش مثل هاشم بن عبد مناف الذي حاز الكرامة المدنية والامتيازات الشخصية، وبعد هاشم استلم مركزه عبد المطلب الذي تعرضنا غير مرة لشرفه وسؤدده، ومكارم أخلاقه وتباهته ومواقفه المشرفة، وهو جد الرسول ﷺ وكفيله الأول ومؤدبه، لكن السنين فعلت فعلها بعبد المطلب وشارف على نهايته الحتمية التي هي نهاية كل إنسان، وحين شعر بدنو أجله دعا ابنه الأكبر أبا طالب ووضع محمداً ﷺ تحت رعايته وكفالته، وهكذا أخذ أبو طالب الصالح ابن أخيه واهتم برعايته وحمايته، وكان هو الآخر متزناً للغاية معروفاً برجاحة العقل حتى سمي ببيضة البلد، وقد أخذ النبي ﷺ يتأثر بشخصية عمه الصالحة كسادن للكعبة وهو في الوقت ذاته من أكابر تجار قريش، وله كلمته في القوافل التجارية الخارجة من مكة والقادمة إليها، والتي أسسها جده هاشم

(١) أمالي الطوسي: ١٣٧، الخرائج والجرائح ٢: ٥٥٤.

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ٦: ٢٤.

كخط تجارة بين اليمن وسورية ولقد ساهمت التزامات المحيطين بالنبي ﷺ وشعورهم الأخلاقي والديني في نشوء الرسول ﷺ بكمال المتانة والأدب مع أنه كان من طفولته وقاد الذهن سريع الملاحظة والخاطر، ويتمتع بخيال خصب واسع مع فصاحة ومنطق ذلق.

ونعود إلى كلمة نبيل التي تحريت معناها الدقيق بعدما تحسست عدم مرادفتها لكلمة عاقل أو ذكي وخصوصاً بعد ملاحظة استعمالها في غير الإنسان من الجمادات والحيوانات فيقال: فرس نبيل وناقعة نبيلة، مع سعة استعمالها في أفراد الإنسان.

ولما تتبعت بعض استعمالاتها وجدتها تطلق على كل من اتزن في فعاله وأقواله، بأن كان له منطق صائب أو صفات حسنة تزينه، وما أن يجيب المسئول عن جواب السائل جواباً صائباً يدل على وفور عقله يقول السائل نبيل في عيني، أو هذا شخص نبيل، وعندما تستعمل في غير الإنسان فهي تعني الجمال والصفات الحسنة ولذا تصدى أبو هلال العسكري للفرق بين النبيل والجمال، فقال: النبيل هو ما يرتفع به الإنسان من الرداء ومن المنظر ومن الأخلاق والأفعال، ومما يختص به من ذلك في نفسه دون ما يضاف، يقال: رجل نبيل في فعله ومنظره، وفرس نبيل في حسنه وتمامه، والجمال يكون في ذلك وفي المال والعشيرة والأحوال الظاهرة، فهو أعم من النبيل، ألا ترى أنه يقال لك في المال والعشيرة جمال، ولا يقال لك في المال نبيل، ولا هو نبيل في ماله، والجمال أيضاً.

ولعل البشر ينقسم إلى ثلاثة أقسام، قسم لا يعبأ به ولا يكون له وزن بين الناس ولا يلتفت إليه، ولا يحس له وجود وأثر، وقسم يستخف به ويستهزأ به نتيجة سخافته وسخافة فعاله، ودناءة نفسه ورخصها، وقسم ثالث يُعبأ به ويكون له وزن وقدر، قد زانه قوة عقله وبعض صفاته الحسنة أو حتى غناه المالي.

وهذا القسم الثالث هم الذين يسمون بالنبلاء مما يكثر تواجدهم ويغلب في أفراد البشر، وله كثرة استعمال في محاوراتهم.

والأخبار تذكر الأسباب والأمر التي تجعل الإنسان نبيلاً وتتوسع فيها، حيث ورد: «من لم يكن فيه خصلة من ثلاثة لم يعد نبيلاً: من لم يكن له عقل يزينه، أو جدة تغنيه، أو عشيرة تعضده»^(١).

حيث دلت على حصول النبل بتوفر واحدة من تلك الثلاثة: العقل، أو الجدة، أو العشيرة، أي المرأة التي تكمله وترفع نواقصه، أو القبيلة والعصبة التي تحميه، بينما تؤكد الرواية الأخرى عن أبي جعفر عليه السلام على الحلم، فتقول: «من كثر حلمه نبل»^(٢) فهي تشترط كثرة الحلم وعدم الطيش.

ومهما يكن من ذلك فليس هناك شك في نبل النبي ﷺ الذي تتوفر فيه جميع أسبابه على أتمها، سواء قدراته العقلية التي بدت في وقت مبكر وصارت تفوق سنه بشكل واضح، أو جدته وغناه بأموال خديجة وعزمه على تغيير أمة بل العالم أجمع، أو عشيرته وعصبته من بني هاشم وزوجته خديجة المعروفة بالانزان واكتمال الخبرة والعريكة، وقد توفر فيه جميع ذلك قبل بعثته.

إذ أنهم ذكروا أن النبي ﷺ كان قبل المبعث موصوفاً بعشرين خصلة من خصال الأنبياء لو انفرد واحد بأحدها لدل على جلاله، فكيف من اجتمعت فيه، كان نبينا أميناً صادقاً حاذقاً أصيلاً نبيلاً مكيناً فصيحاً نصيحاً عاقلاً فاضلاً عابداً زاهداً سخيماً مكيناً قانعاً متواضعاً حليماً رحيماً غيوراً صبوراً موافقاً مرافقاً لم يخالط منجماً ولا كاهناً ولا عيافاً^(٣).

(١) تحف العقول: ٣١٦.

(٢) الكافي ٨: ٢١.

(٣) البحار ١٦: ١٧٥.

بل عرف بالنبل حتى قبل ولادته، فقد قال سطيح مخاطباً قريشاً:
اسمعوا مني كلاماً صحيحاً، سيظهر منكم عن قليل شخص نبيل، وهو
رسول الملك الجليل^(١).

٩٣٥ . النجم

أصل النجوم هو الظهور والارتفاع كما مر في عنوان نجم قريش،
ولكن أطلقت كلمة النجم في موضعين من القرآن وفسرت بالرسول ﷺ
أحدهما قوله تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(٢) والآخر قوله
تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾^(٣).

ولا ريب أن الرسول ﷺ قد ارتفع وعلا صيته وظهر نجمه في أحلك
الليالي وأكثرها سكوتاً وصمناً إلى درجة بدت فيها الطبيعة كالميتة غير
المتحركة؛ ليكون بارقة أمل، ودليلاً يهتدي به المترصد والساري في البرار
والبحار.

ولا يبقى سوى الهوى المذكور في الآية الثانية، فقد روي أنه وفاة
الرسول وقبض روحه، إذا هوى، أي قبض^(٤)، وقيل: إذا عاد من المعراج
ونزل إلى الأرض^(٥).

ولا يبعد أن يكون المراد من نجومه تلؤلؤه حينما كان نوراً حول

(١) البحار: ١٥: ٣٠٧.

(٢) النحل: ١٦.

(٣) النجم: ١.

(٤) الكافي: ٨: ٣٨٠.

(٥) شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ٢: ٢٧٨.

العرش، فيكون معنى هويّه هو تواضعه ونزوله إلى الأرض هداية الخلق الساتئه في ظلمات الجهل واجاهلية والكفر والشرك والتغريب والتشريق عن الطريق الموصل والصرراط المستقيم.

بينما هناك رواية تفسر اهوى بانخب، أي إذا أحب وهوى، رواه ابن عباس، قال: كنت جالساً مع فئة من بني هاشم عند النبي ﷺ إذ انقضّ كوكب فقال رسول الله ﷺ: «من انقض هذا النجم في منزله فهو الوصي من بعدي» فقام فئة من بني هاشم فنظروا، فإذا الكوكب قد انقضّ في منزل علي الكلب قالوا: يا رسول الله قد غويت في حب علي فأنزل الله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾^(١). ومهما يكن من ذلك فقد روى علي بن إبراهيم في تفسيره عن قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ قال: النجم رسول الله ﷺ^(٢).

وروى الكليني وغيره عن أبي عبد الله الكلب أنه قال: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ قال: «النجم رسول الله ﷺ، والعلامات هم الأئمة الطيبين»^(٣).

٩٣٦ . النجم الثاقب

روي أن النجم الثاقب في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ هو رسول الله ﷺ^(٤) ولكن ما معنى الثاقب، وماذا يراد به؟ والجواب هو أن مطلع ذلك النجم ما حول العرش وما وراء

(١) شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ٢: ٢٧٨.

(٢) تفسير القمي ٢: ٣٣٣، ٣٤٣، البحار ٩: ٢٣٩.

(٣) الكافي ١: ٢٠٦، تفسير القمي ٣٧٥، ٣٥٨، تفسير العياشي ٢: ٢٥٦، البحار

٦٨: ٢٤٠٨١

(٤) تفسير القمي ٢: ٤١٥، البحار ٢٤: ٧٠٣، والآية في سورة الطارق: ٢، ٣.

السماء السابعة؛ ولكن ثقب بضوئه حتى أضاء في السماء الدنيا، فمن ثم سماه الله بذلك.

وهو النجم الذي يهتدى به في ظلمات البر والبحر، يثقب نوره الظلام بضوء ينفذ فيه، أو هو الذي يرمى به الشيطان فيثقبه، أي ينفذ فيه ويحرقه.

٩٣٧ . النجيب

إن كلمة النجيب التي ينسرها أهل اللغة وغيرهم بالكريم في أصله والحسيب والنفيس والفاضل السخي لا تزال أرقى من تلك المعاني وتختلف عنها بدليل اختلاف المفسرين في التعبير عنها، والكل يريد الإشارة إلى فضل شامخ وخلق موروث فاضل يظهر على فعال الشخص وفي كلامه وحسن عمله وصبره واستقامته وعدم تلونه، بل متانته وصواب تفكيره ووفور عقله، بحيث يجعله متميزاً بين أفراد نوعه وصفه.

وإلى ذلك المعنى يشير أبو طالب حينما حوَّصر بنو هاشم في الشعب وصار النبي ﷺ مهدداً من قبل كفار قريش؛ بحيث كانت كل ليلة تُنذر بالخطر، فكان رسول الله ﷺ إذا أخذ مضجعه ونامت العيون جاءه أبو طالب فأنهضه عن مضجعه وأضجع علياً مكانه. فقال علي: يا أبتاه إني مقتول ذات ليلة، فقال أبو طالب ﷺ:

اصبرن يا علي فالصبر أحجى	كل حي مصيره لشعوب
قد بذلناك والبلاء عسير	لفداء النجيب وابن النجيب
لفداء الأغر ذي الحسب الثاقب	والبإع والفناء الرحيب
إن رمتك المنون بالنبل فاصبر	فمصيب منها وغير مصيب
كل حي وإن تضاؤل عمراً	أخذ من سهامها بنصيب

قال علي بن الحسين: «كان أبو طالب يضرب عن رسول الله ﷺ»

بسيفه، ويقيه بنفسه»^(١).

٩٣٨ . نجيب الله

لما أضيفت كلمة النجيب إلى الله سبحانه وتعالى صارت تعطي معنى مغايراً ومقولة ثانية تتوغل في معنى الاصطفاء والاختيار، وبالذقة هو معنى الانتجاب المار في عنوان المنتجب.

على أن استعمال هذا الوصف إنما جاء في كلام أمير المؤمنين عليه السلام وذلك في خطبة قال في مطلعها: الحمد لله يعلم عجيج الوحوش في الفلوات، ومعاصي العباد في الحلوات، واختلاف النينان في البحار الغامرات، وتلاطم الماء بالرياح العاصفات، وأشهد أن محمداً نجيب الله وسفير حبيه ورسول رحمته^(٢) إلى آخره وقد فسروا النجيب هنا بالمختار المصطفى.

٩٣٩ . النجي

النجي في اللغة هو كل من المتسارين أو المتسارين الذين يتحدثون سراً، ويخلوا بعضهم مع بعض في منأى عن الآخرين، بحيث لا يسمع الآخرون حديثهم.

وإنما سمي الرسول المصطفى عليه السلام بالنجي لابتناء دعوته على النجوى والتسارر، حيث كان جبرئيل يساره ويحادثه من دون أن يسمعه الآخرون.

وقد جاء في تائية دعبل الخزاعي التي أنشدها الإمام الرضا عليه السلام:

(١) روضة الواعظين: ٥٣.

(٢) نهج البلاغة: ٢: ١٧٢، والنينان هي الحيتان واحدها نون.

نجي لجبريسل الأمين وأنتم عكوف على العزى معاً ومناة^(١)

وليس ذلك هو السبب التام في جعل ابن شهر آشوب أحد أسماء النبي ﷺ في الأخبار هو النجى^(٢) لأن نجوى النبي ﷺ لم تقتصر على مناجاة جبرئيل، بل كان كعامة الرؤساء له نجوى مع المقربين إليه، خصوصاً وزيره علي بن أبي طالب حيث كانت ملحوظة إلى أن صار يتضجر منها البعض.

فقد روي بطرق متعددة أن رسول الله ﷺ ناجى علي بن أبي طالب في مواطن متعددة منها يوم الطائف فأطال مناجاته، فرثي الكراهة في وجوه رجال، فقالوا: قد أطال مناجاته منذ يوم، فقال: «ما أنا انتجيت، ولكن الله عزوجل انتجاه»^(٣).

ومنها يوم أراد ﷺ المضي إلى تبوك ناجى أمير المؤمنين ﷺ فأطال، فقال أبو بكر لعمر: لقد أطال مناجاته لابن عمه، فقال النبي ﷺ: «ما أنا ناجيته، ولكن الله ناجاه» وفي ذلك يقول حسان:

ويوم الثنية عند الوداع	وأجمع نحو تبوك المضي
تنحى يودعه خالياً	وقد وقف المسلمون المطيا
فقالوا يناجيه دون الأنام	بل الله أدناه منه نجياً
على فم أحمد يوحى إليه	كلاماً بليغاً ووحياً خفياً ^(٤)

وكذلك عندما نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ

(١) البحار ٤٩: ٢٤٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣١، البحار ١٦: ١٠٣.

(٣) أمالي الشيخ: ١٦٣، البحار ٣٩: ١٥١.

(٤) خصائص الأئمة ﷺ للنسفي: ٦٦.

الرَّسُولَ فَمَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ﴿١﴾ لم ينجح الرسول حينها ولم يتصدق سوى عليّ ﷺ فقد تصدق بدينار ونجاهه عشر مرات (١).

و بذلك كان اسم النجوي اسماً طبيعياً لرسول الله ﷺ بعد طول مناجاته لجبريل وأمير المؤمنين ﷺ وغيرهما، وكانت صفة ملحوظة فيه.

٩٤٠ . نجى الله

هذه النجوى تختلف مع نجوى جبرئيل أو علي بن أبي طالب ﷺ لأنها نجوى رب الأرباب، ولا يكون نجيه إلا إذا كان ينجيه دون غيره ويختص به في زمانه وعصره دون من سواه، وهو كذلك، وإن كان الأنبياء الآخرون هم أنجياؤه في عصورهم مثل آدم ونوح وموسى ﷺ.

ولما كانت الدلائل تشير إلى أن النجوى لا تصدق إلا إذا كانت تكليماً عن قرب وفي معزل عن الآخرين وخلوة منهم لأن ما كان على البعد فهو النداء، ولذا روي أن موسى بن عمران ﷺ لما نجاه الله عز وجل قال: يا رب أبعيد أنت مني فأناديك، أم قريب فانا جيك؟ فأوحى الله إليه: أنا جليس من ذكرني (٢).

فهو يدل على أن الحديث على البعد هو النداء، بينما الحديث عن قرب يكون هو النجوى.

ولما كان الله سبحانه وتعالى ليس محدوداً بمكان ولا متحيزاً ولا مظروفاً فلا يكون المراد بالقرب والبعد منه هو القرب والبعد المعنوي، بينهما الخلوة والمسارة هي قطع النظر عما سواه بالإضافة إلى اعتزال الخلق، فإذا ناجى الله سبحانه وتعالى النبي موسى ﷺ فلأنه كلمه بعد ما

(١) المجادلة: ١٢، وانظر الخصال: ٥٧٤، والمصنف لابن أبي شيبة ١٢: ٨١ ط ١.

(٢) الفصول المهمة ٣: ٣٧٦ ح ٢٩٣٨.

اعتزل وصار إلى جانب الطور الأيمن حيث لا يسمع كلامهما أحد، وليس سوى النبي موسى عليه السلام وبذلك تحققت النجوى والمسارة.

بينما نجوى الرسول المصطفى عليه السلام تمتاز بامتيازات غير قابلة للمقايسة، حيث إنها تحققت عند ما عرج الله سبحانه بالنبي عليه السلام إلى السماء ومنها إلى سدرة المنتهى فتجاوز حجب النور وبلغ إلى محل لا يمكن أن يبلغه أحد حتى الملك المقرب جبرئيل حيث انقطع عن مواكبة الرسول عليه السلام معترداً بأنه لو تقدم خطوة لاحترق وقال للرسول عليه السلام: وطأت موطأ لم يطئه نبي ولا ملك، فهي الخلوة المطلقة والنجوى المطلقة، خصوصاً مع مشاهدة الرسول عليه السلام للملكوت السماوات وصفوف الملائكة والأنوار والحجب فكان قريباً قريباً معنوياً بأقرب ما يكون، قاب قوسين أو أدنى دنواً واقتراباً من العلي الأعلى، وليس من مشى برجليه كمن أسري به نحو السماء.

وبذلك كان رسول الله عليه السلام هو نحيي الله على الإطلاق، وبحسب إطلاق هذه الصفة على غيره من الأنبياء إلى فضل قرينة ومؤونة مجاز لأنه في الحقيقة نداء وليس مناجاة، وليس من ناداه كمن نجاه، إذ لا تكون النجوى الحقيقية، إلا إذا كانت حيث لا يبلغه أحد وقرباً لم يقربه أحد، ولم يكلم موسى عليه السلام إلا بعد أربعين ليلة، ومحمد عليه السلام كان نائماً في بيت أم هاني فرج به نحو السماء في ليلة وكلمه الله في تلك الليلة بلا وعد مسبق، بينما كانت مناجاة موسى عليه السلام بعد موعدة، قال تعالى: وواعدنا موسى...^(١).

ولذا ورد أن النبي عليه السلام لما عرج به وانتهى حيث أراد الله عليه السلام نجاهه الله، فلما هبط إلى السماء الرابعة ناداه الله...^(٢) كدليل آخر على اعتبار

(١) مناقب آل أبي طالب: ١٩٠:١.

(٢) الجواهر السنية: ٢٣٥.

الخلوة والقرب في تحقق النجوى.

والذي يدل على أنه ﷺ نجيه على الإطلاق ما ورد من أن النبي آدم عليه السلام لما حشرت له ذريته نظر إلى طائفة من ذريته يتلأأ نورهم يسعى، قال آدم: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الأنبياء من ذريتك... قال: فما بال نور هذا الأخير ساطعاً على نورهم جميعاً؟ قال: هذا محمد... نجبي^(١).

والقول الفصل أن رسول الله ﷺ قام خطيباً وقال: «أيها الناس أنا عبد الله، أنا نبي الله، أنا حجة الله، أنا صفي الله، أنا نجي الله، أنا حبيب الله، أنا المحجة إلى الله، من خاني فقد خان الله»^(٢).

٩٤١ . التنذير

الإنذار هو إعلام على وجه التخويف، والتحذير من مخوف يتسع زمانه للاحتراز والتحذّر، وهو بهذا المعنى واضح للجميع ولا إجمال سوى في المنذر به فقد جاء نفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ فسأله أعلمهم: لأي شيء سميت محمداً وأحمد وبشيراً ونذيراً؟ فقال: «أما محمد، فأني محمود في الأرض، وأما أحمد فأني محمود في السماء، وأما البشير فأبشّر من أطاع الله بالجنة، وأما النذير فأنذر من عصى الله بالنار»^(٣) وفي نقل آخر: «فأني أنذر بالنار من عصاني»^(٤).

ولو أردنا التوغل في معنى التنذير وبيان المراد الحقيقي منه فقد نتعرفه مما روي عن النبي ﷺ من قوله: «أنا النذير والموت المعير» حيث

(١) سعد السعود: ٣٦، ٣٤، البحار: ١١: ١٥١.

(٢) نهج الإيمان لابن جرير: ٤١٥.

(٣) تفسير القمي: ٢: ٣٦٥.

(٤) علل الشرائع: ١: ١٢٧، أمالي الصدوق: ٢٥٦.

شبه الموت الذي يطلع الثنايا ويطلب البرايا بالجيش المغير الذي يهجم هجوم السيل، ويغرق طروق الليل، وشبه نفسه **الظن** بالندير المتقدم أمامه يحذر الناس من فجنه، ليعدوا العتاد ويتزودوا الأزواد تصديقاً لقول الله سبحانه فيه ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ على حد تعبير الشريف الرضي رضوان الله عليه^(١).

ولا شك أن أول ما يخوف به الأنبياء أممهم هو المخاوف الموجودة في الأذهان، والمرتكزة في طبع البشر، كالخوف من الموت وما وراء الموت، والصاعقة والسيل والزلزلة مما عرفوه واحتملوا تحققه في كل حين وزمان ومازالوا يتخوفون منه باستمرار.

وفي المرحلة الثانية إيجاد المخاوف الحقيقية أو تعريف المخاوف التي غفل عنها الناس كعذاب القبر والحشر ودخول النار التي سعتها جبارها بغضبه، وكذا المضار المترتبة في هذه الدنيا على فعل بعض المحرمات من أنواع الأمراض والأعراض والهلاك وغيره، فالرسول بين أن ينذر قومه بصيغة ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾^(٢) وبين أن ينذرهم بصيغة ﴿أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ﴾^(٣).

ثم يبين أن الإنذار هو وظيفته الأون أو المنحصرة حينما يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ كي لا تطلب منه خوارق العادات والأعمال العجيبة التي لا تصب في مصلحة العباد، ولأجل أن لا تدعى له الربوبية إذا شاهدوا عليه آثار التسديد والتأييد من رب السماء.

(١) المجازات النبوية: ١٥٨، والآية في سورة سبأ: ٤٦.

(٢) الليل: ١٤.

(٣) فصلت: ١٣.

ومن ثم جاء التأكيد على كلمة النذير ومشتقاتها في القرآن الكريم والتذكير على الدوام بأن الرسول ﷺ هو البشير النذير ليس أكثر، ومنها الآية التي صدرنا بها كتب الموسوعة: ﴿بِأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(١).

٩٤٢. نذير أمته

قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «أنا نذير أمتي وأنت هاديها»^(٢).

٩٤٣. النذير العريان

أنا النذير العريان من أمثال العرب يقوله المنذر لقومه بما فجأهم من الخطر والذي علم به وتأكد منه وهم في غفلة عنه.

وذلك أن أصل هذا الكلام وأوله رجل وجده العدو المغير فأخذه وسلبوا ثيابه، ولكنه أفلت منهم وجاء إلى قومه يحذرهم ويقول: أنا النذير العريان، يريد أنه شاهد العدو المغير ونبتت مخالبهم في بدنه، فجاء قومه يحذرهم وهو عار مسلوب الثياب وعليه آثار الدهشة والاضطراب وغيرها من دلائل صدقه وعلامات خطورة الموقف بحيث لا تدع مجالاً للترديد والشك.

وقيل: إن قائل ذلك المقال هو أبرهة الخبيشي عندما وصل اليمن هارباً من حجارة الأبايل وقد تساقط خم بدنه، فأخبرهم الخبر وقال: أنا النذير العريان.

(١) الأحزاب: ٤٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ٢٠٦.

ولأهل اللغة تفسير آخر غير ذلك، وبيان وجه القول أن الرجل إذا رأى الغارة قد فجنتهم وأراد إنذار قومه تجرد من ثيابه وأشار بها ليعلم أن قد فجنتهم الغارة، ثم صار مثلاً لكل شيء تخاف مفاجأته.

وعلى أساس جميع ذلك يلزم توفر ثلاثة شروط حتى يقول القائل أنا النذير العريان، وهي معاينة الغارة والخطر، وشدته، وأن يكون قاصداً لتحويل القوم وإيجاد الرهبة والخوف الذي يدفعهم إلى المبادرة في الوقت المناسب بدون تأخير، وأن يكون عليه آثار الصدق والدهشة.

فإذا قال الرسول المصطفى ﷺ: أنا النذير العريان، يأتي السؤال عن ماهية ذلك الخطر الشديد الذي علمه وأحاط به خُبراً بحيث بلغ حد المعاينة والنظر، يليه السؤال عن كيفية إيجاده الرعب وما هي الحال التي ظهر عليها بحيث دلت على صحة الخبر وخطورة الموقف.

ولا يكون ذلك التحذير والإنذار هو التحذير من الموت الذي يعلم به الجميع ويعاينه كل الناس، وإنما هو أمر آخر لا يعلمه الناس حينها، أو تناسوه وغفلوا عنه، وهو دخول النار واستحقاق عذاب الله سبحانه وتعالى الذي شاهده الرسول ﷺ وعاينه حينما عرج إلى السماء أو جزم به بواسطة الوحي وخطاب الله سبحانه وتعالى إياه، وهي نار سمرها جبارها بغضبه ليعذب بها من جحد وأشرك به وعصاه.

فيكون تحويل الرسول ﷺ ودفع الناس للمبادرة في الوقت المناسب ببيان أوصاف تلك النار بمزيد من الشدة والخطر، بحيث يتجاوز خيال البشرية مهما توسع وتعاضم.

فيقول ﷺ: إن هذه النار هي نار عظيمة سمرها جبارها بغضبه لها شهيق وزفير تدعو من أدبر وتولى ويظل فيها يهوى ثم تؤصد عليهم فتستحوذ على قلوبهم، ويرهقهم العطش فلا يسقون فيها إلا من حميم، وإذا جاعوا فليس لهم طعام سوى الضريع ثمرة شجرة الزقوم وإن عليها

لشوباً من حميم، طلعتها كأنه رؤوس الشياطين.

وهم فيها ماكثون تنزع جلود رؤسهم نزاعة للشوى كلما نضجت جلودهم استبدلوا بجلود هي الأخرى لتحترق وتنضج ويتكرر ذلك على الدوام والاستمرار.

وما أن رآها الرسول ﷺ وعلم بها حتى ترك الأكل وشد حجر الجماع وظهرت عليه آثار الوجع والخوف والرغبة بحيث لم يستطع النوم وصار يقوم الليل ويتوسل ويدعو الله سبحانه وتعالى في تحليصه منها على الدوام، وما زالت دموعه تجري ويسكب عبرته وهو محزون يسقط على الأرض مرة وينحني أخرى ويقف على أطراف أصابعه حتى ورمت قدماءه، ونحل بدنه كلها شواهد صدق على صحة خبره وواقعية نبئه.

ثم قال: «إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال: يا قوم إنني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان، فالنجلاء النجلاء، فأطاعه طائفة من قومه فأولجوا فانطلقوا على مهلتهم، وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني وأتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق»^(١).

٩٤٤ . نذير من النذر الأولى

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى﴾^(٢) والذي يتبادر إلى ذهن القارئ من هذه الآية أنه ﷺ واحد من الأنبياء السابقين، فيصده الإشكال بأنه كيف يكون ﷺ من النذر الأولى وهو آخر الأنبياء وخاتمهم،

(١) أمثال الحديث: ١٠٨، الأمثال النبوية للغروي: ١، ١٨١، وانظر صحيح البخاري

١٨٦:٧، وصحيح مسلم: ٦٣:٧.

(٢) النجم: ٥٦.

فلا بد من إرادة أنه من جنس المنذرين الأولين أي لا يختلف أول الأنبياء وآخرهم في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وإذا اختلف الأنبياء الأوائل مع الأواخر، فهو من جنس الأوائل.

وإنما تحيء تلك التفاسير بعد عدم تعقل أن النبي ﷺ هو أول النذر وأول من أنذر الناس، فيضطر المفسرون إلى تفسيره بأنه من جنس النذر الأوائل.

بينما يتحدث أهل البيت عليهم السلام عن أطوار متقدمة للخلق يكون قد اجتمع فيها جميع البشر أولهم وآخرهم تسميه عالم الذر أو عالم الأظلة، عندها كان الرسول ﷺ من النذر الأولى، بل أول النذر.

فقد روى معمر أنه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾ قال: يعني به محمداً ﷺ حيث دعاهم إلى الإقرار بالله في الذر الأول^(١).

وزاده تفصيلاً خبر معمر الآخر حيث يقول أبو عبد الله عليه السلام فيه إجابة على ذلك السؤال: «إن الله تبارك وتعالى لما ذرأ الخلق في الذر الأول فأقامهم صفوفاً قدامه، بعث الله محمداً ﷺ فأمن به قوم، وأنكره قوم، فقال الله: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾ يعني به محمداً ﷺ حيث دعاهم إلى الله عز وجل في الذر الأول^(٢).

ولعل الحديث عن الإنذار في الذر الأول يختلف عن الإنذار في عالم الأظلة، وقد يكون هو طور آخر للوجود، حيث إن الذر قد يعني نهاية الصغر، بينما الأظلة تدل على عالم الأشباح الذي يشبه أن يكون فيه وجود

(١) بصائر الدرجات: ١٠٤.

(٢) تفسير القمي ٢: ٣٤.

الإنسان إذا قيس إلى وجوده الفعلي هو ظل كظل الجسم إذا قيس بالنسبة إلى نفس الجسم، فهو وإن كان عدماً غير أنه شيء يشار إليه ويتميز عن العدم المطلق.

والذي يشير إلى هذا المعنى ويدل حصول الإنذار في هذه المرحلة رواية الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذُرِ الْأُولَى﴾ قال: «خلق الله عز وجل الخلق وهم أظلة، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليهم، فمنهم من آمن به، ومنهم من كفر به، ثم بعثه في الخلق الآخر، فأمن به من كان آمن به في الأظلة، وجحد به من جحد به يومئذ، فقال: عز وجل: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾»^(١).

فهو حديث عن معان لا يدركها الذهن البشري بسهولة وقد لا يدركها ولا يتوصل إليها أبداً، غير أنها تتحدث عن حدث بالغ الأهمية ومراحل لوجود الإنسان يكون قد تقرر فيها مصيره من الإيمان بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وعدمه.

ولكن يبقى السؤال عن تغاير عالم الذر وعالم الأظلة واتحادهما باقياً بعد وحدة الواقعة، أعني إنذار النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتصديق البعض دون البعض الآخر، فهو مما يعسر الجواب عليه في هذا التحقيق.

٩٤٥ . النذير للعالمين

المتبادر إلى الذهن البشري عند سماع كلمة النذير وما يرادفها هو المنذر للبشر الذي يسمع ويحذر خاصة، من دون الالتفات إلى موجودات عاقلة أخرى يشملها ذلك التحذير والإنذار. إما لعدم العلم بوجودها أو عدم العلم بتكليفها فقد جاء التأكيد على كلمة العالمين التي تعني عالمي

(١) تفسير العياشي ٢: ١٢٦، والآية في سورة الأعراف: ١٠١.

الجن والإنس وغيرهما من القوى العاقلة التي يشملها التكليف والاختبار والعذاب والعقوبة.

فلا يبعد أن يكون الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد أشار إلى هذا المعنى العام حينما قال: «إن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وآله نذيراً للعالمين»^(١).

٩٤٦ . نعم الشفيح

إنما تقول للرجل نعم الشفيح إذا عرفت منزلته ومقامه لدى المشفوع عنده وعلمت بأنه سيففع لك ويحاول إنجاز المهمة التي كلفتها به ويبدل قصارى جهوده، مع تزايد احتمال قبول شفاعته، وبطريق أولى إذا حصل القبول وأنجز العمل، عندها تقول: هذا نعم الشفيح، إذ يتحلى بالمؤهلات للشفاعة ولا يقصّر في بذل الجهد وماء الوجه.

فإذا رأيت من له صلة وقرابة بمن كانت لك عنده حاجة وهو يدخل عليه ويخرج أو كان من مقربيه ويكنّ له ذلك المكين غاية الاحترام والتقدير، وأنت تعرف منه ومن حاله إذا طلب منه الشفاعة والتوسط فإنه سيففع لك وتحتل احتمالاً قريباً أن حاجتك تقضى بذلك قلت نعم الشفيح هذا.

وإذا وصل الكلام إلى الشفيح عند الله فإن الموازين ستتفاوت بحسب الظاهر وإن توافقت في الجوهر؛ لأن الله سبحانه وتعالى ليس له قرابة ولا من يدخل عليه ويخرج، ويختلف سنخ المؤهلات التي يلزم تواجدها في الشفيح والعلامم والدلائل على أهليته للشفاعة بحيث إذا رأته قلت نعم الشفيح.

(١) نهج البلاغة: ١: ٧٤.

فالسبيل إلى ذلك هو أن تجد الرجل يديم ذكر الله سبحانه وتعالى ويواظب على طاعته وترك معصيته فهي الصلة بالله سبحانه وتعالى، بينما القرب منه يكون بالتقوى والعمل الصالح والحرص على نشر دينه الحق وهداية خلقه إليه وقضاء حوائجهم وإيصال النفع إليهم.

ويتم ذلك القرب بالمقام الذي يمنحه الله إياه، بأن ينصبه إماماً للناس أو يرسله إلى خلقه برسالاته وكتبه أو حتى من يجعل إليه حوائج الخلق فيقوم بها أحسن القيام؛ أو يكون مرجعاً وكهفياً للمؤمنين، قد خبرت الأيام إخلاصه وصدق نيته، وإذا كان الإنسان كذلك كساه الله من نوره وظهر عليه سيماء هيته وأظهر للناس إخلاصه وبان تخلصه، فإذا رأته قلت: نعم الشفيع.

فقد روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه كان جالساً في الحرم في مقام إبراهيم عليه السلام فجاء رجل شيخ كبير قد فنى عمره في المعصية، فنظر إلى الصادق عليه السلام فقال: نعم الشفيع إلى الله للمذنبين، فأخذ بأستار الكعبة وأنشأ يقول:

بحق جده هذا وليي	بحق الهاشمي الأبطحي
بحق الذكر إذ يوحى إليه	بحق وصيه البطل الكمي
بحق الطاهرين ابني علي	وأمهما ابنة البر الزكي
بحق أئمة سلفوا جميعاً	على منهاج جدهم النبي
بحق القائم المهدي إلا	غفرت خطيئة العبد المسي ^(١)

ويبقى تحقق الشفاعة وقضاء الحاجة فيعلم ذلك بتحقيق ما أراده إذا كان المطلوب من حوائج الدنيا والمطالب العاجلة، وأما إذا كان مثل قبول التوبة من الذنب وغفران السيئة والشفاعة في دخول الجنة، فهو يعلم يوم

القيامة ويتحقق في ذلك اليوم، ويناط العلم به في هذه الدنيا بمقدار الاعتقاد بالشافع والعلم بمقامه وكرامته على الله سبحانه وتعالى ومقدار الذنب وكيفية التوسل بالشافع والاستشفاع به وصدق النية، بحيث قد يحصل العلم بقضاء الحاجة وإنجاز المهمة.

ولا شك أن الشفيح الأول ونعم الشفيح هو الرسول المصطفى ﷺ لمن آمن به وبكرامته على الله سبحانه، بيد أنه أفضل النبيين وأكرم الناس عليه سبحانه خصوصاً إذا كان الاستشفاع بالكلام المأثور والوارد عن أئمة الهدى في كيفية ذلك بأن تقول: يا محمد يا رسول الله بأبي أنت وأمّي يا نبي الله، يا سيد خلق الله، إني أتوجه بك إلى الله ربك وربّي ليغفر لي ذنوبي، ويتقبل مني عملي، ويقضي لي حوائجي، فكن لي شفيعاً عند ربك وربّي، فتعم المسئول ربي، ونعم الشفيح أنت يا محمد، عليك وعلى أهل بيتك السلام^(١).

٩٤٧ . النعمة

ذكر ابن شهر آشوب أن أحد أسماء النبي ﷺ هو النعمة مستدلاً بقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾^(٢)، وسيأتي الكلام في نعمة الله.

٩٤٨ . النعمة الظاهرة

جاء في الخبر عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ قال: «النعمة الظاهرة النبي ﷺ وما جاء به من معرفته وتوحيده، وأما النعمة الباطنة فولایتنا أهل البيت وعقد مودتنا»^(٣).

(١) إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس ٣: ١٢٧.

(٢) المناقب ١: ١٣١.

(٣) البحار ٢٤: ٥٤ ح ١٦، والآية في سورة لقمان: ٢٠.

فهي تتحدث عن كل ما يقرب إلى الجنة ورضوان الله سبحانه وتعالى من السبل والوسائل التي أولها النبي ﷺ لما في الاعتقاد به وحبه والإيمان بما جاء به من الرسالة من المنافع الصافية في الآخرة وحتى في هذه الدنيا. فإذا كان مجرد حب شخص ومتابعة أفعاله وأقواله في قلائل أيام هذه الدنيا يؤدي إلى الخلود في النعيم المقيم وجنة عرضها السماوات والأرض، فهذا أكبر نعمة، وأعظم غنيمة يغتنمها الإنسان.

٩٤٩ . نعمة الله

نرى من الواجب والضروري إلقاء الضوء على ما أصاب الأمم السابقة من أنواع العذاب المعنون هذه الأيام بعنوان الكوارث الطبيعية التي يعبر عنها في القرآن واللغة الدينية عامة بالعذاب الإلهي.

ولقد أصرَّ القرآن على التعابير المشينة والكلمات التي يلوح منها الاستخفاف والتنقيص والتشفي والانتقام ممن أصابه شيء من ذلك البلاء العام، فتجده عندما يذكر كيف تفعل الكارثة الطبيعية بمن تصيبهم كالزلزلة والسيول حينما تسقط المباني وتتراكم الأنقاض أو يخسف بها الأرض أو يأخذها السيل فيكون عاليها سافلها، يقول: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ ثم يتبعه بالقول: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾.

ونحن نجد بكل وضوح في القرآن وغير القرآن من الكتب السماوية فرض خطوط حمراء عرفها البشر وصارت عندهم بديهية، قد تكون مرتكزة غائرة في أعماق وجودهم وسالم فطرتهم وقد بعث الله سبحانه لتأكيد ما عشرات الآلاف من الأنبياء الذين تحملوا المشاق التي لا تطاق في سبيل تأديتها وتبليغها وإيصالها إلى الناس كافة. منها الإيمان بالله الواحد

والخالق المدبر الذي لا يعذر الناس بالغفلة عنه أو جحده وإنكاره، أو القول بوجود شريك له في ملكه، ومنها مبعوضة سفك الدماء وإشاعة الفساد في الأرض والفحشاء.

وإذا أنكر البشر شيئاً من ذلك والتجأ إلى الإخلال وسفك الدماء وإشاعة الفساد والفحشاء والسرف في تخريب الطبيعة؛ وتجاوز تلك الخطوط الحمراء، فإنهم سيعاقبون بعد تماديهم وإطباقهم على الجحود والعصيان، وسيباغتون بالعقوبة الصارمة والانتقام الإلهي الشامل. وهكذا كلما جاءهم رسول بما لا تشتهي أنفسهم كذبوه فحق عليهم العذاب الأليم الذي يستحقونه بإبلاغ ذلك الرسول وإتمامه الحجة والإعذار والإنذار وآخرها الدعاء عليهم.

ولا يشترط في نزول العقاب أن يكون الذنب كبيراً بحسب الظاهر، فقد عوقب قوم هود بقتل ناقة، لا لأنه قتل ناقة، بل لأنه كاشف عما في ضمائرهم من الجحود والضلال الذي يعلمه الله سبحانه وتعالى ليكون قتل الناقة علامة عليه، ونوعاً من التكذيب وعدم قبول إنذار المنذرين.

وبحسب الحسابات الطبيعية وملاحظة وحدة القوانين التكوينية، يجب أن يكون ذلك شاملاً لجميع الأمم وأهل الديانات المختلفة حتى المسلمين وحتى ما بعد بعثة خاتم النبيين، خصوصاً مع وجود الأسباب التي تكون هي العلة لنزول العذاب وتحقيق الانتقام بشكل أكد وأشد في هذه الأمة، بيد أن قتل الناقة، لا يمكن أن يقاس بمثل قتل أمير المؤمنين عليه السلام والحسين بن علي عليه السلام، ولا يكشف قتل الناقة من سوء السرائر بمقدار ما يكشفه قتلها عليهما السلام من الارتداد عن الدين والجحود لما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من حقائق الشرع المبين.

وليس جنوح البشر إلى الفساد في الأرض في زمن من الأزمنة بمقدار ما جنحت إليه البشرية اليوم وقبل اليوم من الفساد في الأرض بشقيه

المادي والمعنوي.

ومع كل ذلك الوصف لم ينزل العذاب الشامل ولم يؤخذ أهل الأرض بسيئات ما يفعلون وأباطيل ما يعتقدون به حتى نسوا الله سبحانه وتعالى أشد النسيان، وابتعدوا عن الصراط الحق وما نزل عليهم العقاب، وليست علة عدم نزول العقاب مما يعلمها البشر بسهولة ولا يسنح لأحد التفكير في ذلك خصوصاً مع عدم وجود الاعتقاد بأساس ذلك.

ولم نجد لذلك تفسيراً سوى ما أخبر به القرآن ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١) أي نعمة عليهم، قال ابن عباس: رحمة للبر والفاجر والمؤمن والكافر، فهو رحمة للمؤمن في الدنيا والآخرة ورحمة للكافر بأن عوفي مما أصاب الأمم من الحسف والمسخ^(٢).

وروي أن النبي ﷺ قال لجبرئيل لما نزلت هذه الآية: هل أصابك من هذه الرحمة شيء؟

قال: نعم، إني كنت أخشى عاقبة الأمر فأمنت بك لما أتني عليّ بقوله ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾^(٣).

وفي خصوص هذه الأمة يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(٤).

ولكن هذه الأمة وخصوصاً قريش لم تشكر هذه النعمة، فقد روى

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) البحار: ١٦: ٣٠٦.

(٣) البحار: ١٦: ٣٠٦، والآية في سورة التكويد: ٢٠.

(٤) الأنفال: ٣٣.

السيوطي عن عطاء بن يسار قال: نزلت هذه الآية في الذين قتلوا من قريش يوم بدر ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً قال: هم قريش ومحمد النعمة^(١)، وفي رواية عن الصادق عليه السلام يقول في هذه الآية: إن الله خاطب نبيه فقال: إني فضلت قريشاً على العرب وأنعمت عليهم نعمتي، وبعثت إليهم رسولاً فبدلوا نعمتي وكذبوا رسولي^(٢).

وفي تفسير ابن كثير عن ابن عباس قال: يعني بنعمة الله محمداً عليه السلام ولهذا ندب الله المؤمنين إلى الاعتراف بهذه النعمة ومقابلتها بذكره وشكره^(٣).

وهناك روايات كثيرة ترتفع عن ذلك المعنى لتقول: إن محمداً نعمة الله لأنه الوسيلة لحصول النعم؛ لأن حبه وحب أهل بيته يدخل الجنة، فقد ورد في تفسير هذه الآية قولهم: إن نعمة الله محمد وأهل بيته حبهم إيمان يدخل الجنة، وبغضهم كفر ونفاق يدخل النار^(٤).

وعلى الإطلاق ما يرويه الكليني عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول: نحن النعمة التي أنعم الله بها على عباده وبنا يفوز من فاز يوم القيامة^(٥).

٩٥٠ . النقي

تطلق كلمة النقي على الثوب إذا خلا من الدرن والوسخ وكل ما يعلق به من الأقدار، وعلى الماء إذا خلص من الشوائب وصفاً من الكدر،

(١) الدر المنثور ٤ : ٨٥ .

(٢) تفسير العياشي ٢ : ٢٢٩ ، البحار ٩ : ٢١٨ .

(٣) تفسير ابن كثير ١ : ٢٠١ .

(٤) الصحيفة السجادية : ٦٢٢ .

(٥) الكافي ١ : ٢١٧ ح ١ .

وعلى السيف إذا كان صقيلاً لامعاً، وعلى الدقيق إذا نخل وأخذت قشوره، وعلى الصدر إذا استخرج خبثه فطهر، وعلى القلب إذا كانت له وقاية من الميل إلى المعصية والآفات، وعلى الإنسان إذا عرف فيه الطيب والعفاف وترك القبائح والخبائث وأحاط به نور بفعل الحسنات والتحلي بكمارم الأخلاق وكان الخير فيه مأمول والشر منه مأمون ولسانه محفوظ، والمهم نقاء الطرفين، أعني اللسان والفرج ولذا ورد أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بخير رجالكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إن من خير رجالكم التقي النقي السمح الكفين النقي الطرفين»^(١) أي الفرج عن الحرام والشبهة، واللسان عن الكذب والخنى والافتراء والفحش والغيبة وسائر المعاصي، وما لا يفيد من الكلام.

والأهم من ذلك نقاء القلب، لأن المروي أن الله سبحانه وتعالى ناجى موسى فكان فيما قال له: طوبى لك يا موسى كهف الخاطئين وجليس المضطرين ومستغفر للمذنبين، إنك مني بالمكان الرضي، فادعني بالقلب النقي واللسان الصادق^(٢).

وقد عُرف الرسول ﷺ بالنقاء قبل بعثته واشتهر بعذريته وتعففه التي ذكرها المؤرخون وأكدوها في صباه ووصفوه بكامل الرجولة والأخلاق الحميدة المصاحبة لتلك الطلعة البهية والخلقة المكملة وقد زوده الله سبحانه وتعالى مواهب الرجل المستقيم حتى كان نظيف الطوية مخلصاً خالياً من كل فكرة شريرة، لذلك عرف بين الناس بالأمين.

وكان الكاهن سطيح يتنبأ بظهور النبي ﷺ ويصفه بأنه حلو الكلام طلق اللسان نقي زاهد، وذلك قبل بعثته^(٣).

(١) الكافي ٢: ٥٧٧ ح ٧.

(٢) الكافي ٨: ٤٨.

(٣) البحار ١٥: ٣٠٧.

٩٥١ . نكاح النساء

الملاحظ لقوانين الخلقة الإلهية وما أودعه الله سبحانه وتعالى من الغرائز والقوى الجنسية في عموم النامي من الأجناس يجزم بتمامية إرادة الله لبقاء الأنواع، فنجد أن وردة كالدهان مصبوغة بأبداع الألوان تفتتح من أجل جذب الحشرات وغيرها لتتم عملية اللقاح وتتكون ثمرة تحمل بذوراً تبقى على النوع وتديم النسل.

وأعطى الطاووس بداعة الخلقة وزاهي الألوان كي تميل إليه الأنثى ويحصل التزاوج والتبيض والتفريخ، وهكذا فأكثر بدائع الخلقة وظرائفها تصب في هذا المصّب.

وما خلق الله سبحانه وتعالى النساء بتلك النعومة والجمال الساحر وعباً في الإنسان طاقة جنسية عظيمة إلا وهو دليل على ضرورة بقاء النوع وتمحّض إرادة الله سبحانه في استدامة النسل واستمراره.

ولو تتبعنا فعل هذه اليد الحكيمة المدبرة لوجدنا أن الحكمة الإلهية تقضي باختلاف طرق التحفظ على بقاء النوع في المخلوقات الحية، فواحد بالانقسام وآخر بتلقيح نفسه، وثالث خلق منه أنثى وذكر يحصل تكاثره بالاجتماع والتزاوج، ورابع بتوسط الحشرات أو الرياح أو الماء على اختلاف أبحاثه، وقد تقضي الحكمة هذه بأن يكون للذكر الواحد أنثى متعددة كما هو الملاحظ في الدواجن حيث يكون للذكور الواحد عدة أنثى، وذلك لما في علم الله سبحانه وتعالى من أن الدواجن وبيضها ستكون غذاءً للبشر، بحيث لو كان لكل أنثى ديكاً مثلاً لانقرض نسل الدواجن وما بقي منها شيء، وكذلك الحال في الأغنام فلولا أن ذكراً واحداً يكفي لقطع من الشية لانقرضت.

ولما كان طيور السماء أقل احتكاكاً بالبشر وأبعد عن مصانده كفى في بقاء النسل اختيار كل عصفور لعصفورة واحدة مثلاً، وكذا السباع والوحوش.

وفي جميع ذلك وأمثاله تعلمنا الطبيعة لزوم التحفظ على عدم اختلاط المياه والتحفظ على الأنساب فإن ذكّر الأغنام مثلاً لا يقرب الشاة الحامل ولو لساعة، ولا يُنقل من اختيار الأنثى لعدة ذكور سوى ما شد وندر في بعض مسوخ الحيوانات.

وكذا الإنسان الذي هو أشرف المخلوقات، ذاك الذي خلقت الدنيا من أجله ولا يزال الحفاظ على بقائه من أول الضرورات، مع ما في علم الله سبحانه وتعالى من أن الرجال في معرض التلف بيد أن عملهم في الغالب يكون خارج الدار محفوفاً بالمخاطر، وعلم سبحانه بوقوع التحارب والقتال وهو في الغالب بين الرجال.

فمن أجل الحفاظ على الوجود البشري وتزايد شئناً فشيئاً أبعد النساء عن سوح القتال بمقتضى ضعفهن وتعلق الأولاد بهن وما جاء في تعاليم الرسل واكتنز في مكنون الفطرة من تحنّيهن القتال حتى عند من لم يكن له دين سماوي، فإن العرب قبل الإسلام كانوا يحتشمون النساء ولا يجردون سيوفهم عليهن مهما كلف الأمر، وهو عندهم من العار والشنار بمكان، بينما جعل للرجل الحق في اختيار أكثر من زوجة واحدة حتى يحصل التوازن بذلك، ويحفظ النسل، فإنه سبحانه وتعالى علم بعدم بقاء هذا النوع وانتشاره إلا بسن قانون التعدد وتمكن الرجل من اختيار أكثر من زوجة، ولم يسن ذلك للمرأة لأجل عدم تحقق ذلك الهدف باختيارها عدة أزواج لأن المرأة تحمل مرة واحدة في المدة المحدودة وتلد طفلاً واحداً أو طفلين سواء كان لها زوج واحد أو أزواج، بينما يتحقق ذلك الهدف إذا تعددت النساء للرجل الواحد وسيكثر العدد ويزداد الإنجاب ويحفظ النوع البشري.

ولولا نظام تعدد الزوجات على مر العصور مع وجود التخلف العلمي وتفشي الأمراض وضعف المناعة في الرجال وقتل بعضهم البعض

وكثرة الكوارث الطبيعية وميل الرجال للتبتل وعدم تحمل مسؤولية العوائل لم يبق للإنسان عين ولا أثر.

ولقد استلهم الأنبياء هذه الحقيقة فاختاروا الأزواج المتعددة حتى كان للنبي داود عليه السلام مائة امرأة، ولسليمان ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية، ولإبراهيم زوجتان، وليعقوب كذلك، وكذا فإن اختيار الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله لعدة زوجات جاء تأكيداً لهذه الحقيقة كما قام بالتأكيد على الزواج وتكثير النسل، ورغب فيه أشد الترغيب حتى قال: «الزواج سنتي، فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(١) وما زال يحث على ذلك ويكرره ويسعى في الجمع بين الرؤوس من أجل تلافي نقص الرجال وقلة تعداد السكان الناتج من كثرة الحروب والحوادث.

ولما كان المقدّر هو ظهور الدين الإسلامي على باقي الأديان، وهو الدين الكامل الباقي الذي ليس لانتهاه أمد دون قيام الساعة على خلاف سائر الأديان المرحلية المحدودة بزمان معين أو نسل معين، فمن التدبير الحكيم أن لا يختار النبي عيسى عليه السلام زوجة لوجود مصالح عديدة كامنة في هذا التصميم واحد منها إبطال مفعول الدعوة اليهودية التي انتهت أمدتها ببعثة النبي عيسى عليه السلام حيث كانت تحث على الالتفات إلى الدنيا بعد ما زهدتهم رسلهم وساهمت الأحداث في تحقّقه مثل سقوط فرعون والتهيه والعجل وانتكاسة قارون فزهد بنو إسرائيل فيها أشد الزهد حتى قيل إنه كان في بيت المقدس سبعون ألف عابداً ربطوا أنفسهم بالسلاسل من أجل أن لا يسأموا فيتركوا العبادة، ولكن الديانة اليهودية لما دعت الناس إلى الالتفات إلى الدنيا وحثت على ذلك حصل بالتدريج الميل إلى الدنيا حتى أنه لو ترك ذلك الحث ولم يبعث النبي عيسى عليه السلام بالرهبانية لانقطع

(١) جامع الأخبار: ١٠١، البحار: ١٠٠: ٢٢٠ ح ٢٣.

الناس إلى الدنيا وجمع الأموال وكنزها كما هو دأب اليهود اليوم.

فقد جاء عيسى عليه السلام بالرهبانية والتبتل وترك ملاذ الدنيا للحد من ذلك المد اليهودي الدنيوي الجارف، فلم يختر زوجة ولم يبن بيتاً ولا جمع مالا، كي يرغب الناس في متابعتة ويكونون على التوسط المطلوب على الدوام.

والمصلحة الثانية تكمن في التمهيد للرسالة الخاتمة الأكمل التي ستخلف النبي عيسى عليه السلام بستمائة سنة أو أقل من ذلك، ويتيح الفرصة لانتشارها وتوسعها.

ولو كان النبي عيسى عليه السلام قد اختار الزواج أو تعدد الزوجات لاكتضت الأرض بالمسيحيين ولا يكون للإسلام الفرصة في انتشاره وتوسعه كما هو عليه اليوم.

فليست الحقيقة المطلقة هي ترغيب الناس في الالتفات إلى الدنيا ولا ترغيبهم في الإعراض عنها، وإنما الحق هو ما جاء به الإسلام من التوسط والسعي في المجالين الدنيوي والأخروي، وليقول الإنسان على الدوام: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾^(١).

ولما كانت النتيجة المطلوبة هي انتشار الدين الإسلامي وشموله لجميع أقطار العالم وظهوره على باقي الأديان اختار الرسول عليه السلام الزوجات المتعددة وأمر بذلك إلى أربعة زوجات لعلمه بكفاية ذلك في حصول التوسع والانتشار المطلوب.

بيد أن انتشار الإسلام واستيلاءه على العالم لا يتحقق باعتناق أبناء الديانات الأخرى للإسلام وحده، بل لا بد من تزايد عدد المسلمين فهو

سبيل آخر للانتشار والتوسع المطلوب، وإذا لم يؤد اختيار الرسول ﷺ ذلك إلى كثرة أولاده فقد أدى إلى ترغيب المسلمين في التزواج والإنجاب.

ومن ناحية ثانية فقد بينا مراراً أن الله سبحانه وتعالى بعث الأنبياء ليقتدى بهم وبفعالهم وكلفهم بأكثر من المطلوب من عامة الناس حتى إذا تابعهم الناس اقتربوا من الحد المطلوب لعيهم عن المتابعة الكاملة، فقد كلف الرسول ﷺ باختيار الزهد على أشد مرحلة منه حتى إذا اقتدى الناس به اقتربوا من الحد المطلوب الوسط، ولو اختار هو الحد المطلوب لما اختاروه وما اقتربوا إليه وصاروا إلى الدنيا أميل.

وكذا الزواج، فإنه اختار زوجات متعددة قد تبلغ خمس عشرة زوجة حتى إذا اقتدى به المسلمون بلغوا الحد المطلوب وهو عدم ترك الزواج بلمرة واختيار زوجة واحدة على الأقل إلى أربع زوجات.

والملاحظ أنه وعلى الرغم من اختيار النبي ﷺ للزوجات المتعددة ورغم متابعة الناس له في إحياء سنته لم يختار المسلمون في الغالب أكثر من زوجة واحدة، ولو كان قد اختار النبي ﷺ واحدة ولم يحث على الزواج لترك الناس الزواج بلمرة ومالوا إلى الراحة والتفلة من مسؤولية العائلة والإنجاب، وبقي الدين محدوداً بحدود الجزيرة.

والمؤيد لأن الداعي من اختيار النبي ﷺ ذلك هو التحفظ على النسل وانتشار الإسلام هو أن نفس هذا النبي ﷺ الذي تزوج وأكد على الزواج ورغب فيه عندما علم بالمصاعب التي سيواجهها المسلمون آخر الأمر نتيجة لتزايد السكان المفترض في آخر الزمان وحصول المشاكل والمصاعب التي لا تطاق على أثر ذلك التزايد، فإن نفس النبي ﷺ قال على ما يروى: «خير أولادكم بعد أربع وخمسين ومائة البنات، وخير

نسائكم بعد ستين ومائة العواقر»^(١) مع الالتفات إلى أن هذه الأرقام لبيان التأخر وطول المدة وغاية ما تحتمله عقول القوم منه آنذاك وإلا فالمراد هو آخر الزمان.

على أن جميع ما ذكرناه يعدّ حكمة واحدة من حكم اختيار الرسول ﷺ للزوجات المتعددة وهناك حكم أخرى تظهر من مطالعة كيفية زواج الرسول ﷺ بكل واحدة من أزواجه ودراسة العوامل والظروف التي سببت ذلك، والمنافع الكامنة فيه، فهو مقولة أخرى، تقدمت الإشارة إلى بعضها.

وبالإجمال فقد تزوج النبي ﷺ بخديجة المثلثة ليقوم الدين بأموالها وتكون للنبي ﷺ كهفاً بوافر عقلها وتلد له خيرة نساء الدنيا أعني فاطمة الزهراء سلام الله عليها، ولم يتزوج عليها، ولم يتزوج عليها في حياتها ليسن في الأكفاء الوفاء.

ثم تزوج بعد وفاة خديجة بسنة، سودة بنت زمعة وكانت عند السكران بن عمرو من مهاجري الحبشة فتنصّر ومات بها، ليلغي سنة متابعة النساء للأزواج في المعتقد، بتمجيد وقوفها على دينها الحق بعد تنصّر الزوج.

ثم ضمّ إليها عائشة بنت أبي بكر ليقندي بالنبي نوح والنبي لوط ويصيه الأجر في تحمل المرأة المشاكسة كما أشار إلى ذلك القرآن في سورة التحريم، وإعطاء المثل في تحمل أمثالها، ومن أجل أن لا يلغي أبوها دين صهره بعدما يستولي على الخلافة بغير حق، وقد كانت بكرأ ليس من نسائه بكر سواها وسوى خديجة ﷺ على أصح الأقوال.

وتزوج بالمدينة بنت عمته أم سلمة وكانت عند أبي سلمة، تلك

(١) الفتن لابن حماد: ٤٢٢، كشف الخفاء: ١: ٣٨٦.

الزوجة المؤمنة التي بقيت على العهد وحفظت وصاياه في الخلافة بعد ما ارتد الكثير من الناس بعد رسول الله ﷺ، كما حفظت ما أشهدتها من عملية الدخول تحت الكساء مع أهل بيته ونزول جبرئيل مخبراً عن الله سبحانه وتعالى بأن أهل البيت الذين أذهب عنهم الرجس هم من تحت الكساء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين الذين لولاهم لما خلق سماءاً مبنية ولا أرضاً مدحية.

ثم تزوج حفصة بنت عمر للحكمة التي تزوج بها عائشة، وكانت قد تزوجت قبله مرتين آخرهما كانت تحت خنيس السهمي.

ولعل أكثر ما يقع فيه الكلام هو زواج النبي ﷺ بزَيْنَب بنت جحش الأسديّة، وهي ابنة عمته التي كانت تحظى بجمال وافر وقد خطبها الكثير إلا أنها جعلت أمرها إلى النبي ﷺ طمعاً في أن يتزوجها، لكنه زوجها من مولاه زيد، فسخطت هي وأخوها وقالوا: إنما أردنا رسول الله ﷺ فزوجنا عبده، فنزل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾^(١) فقد أدى بذلك الزواج إلى رحمة وابنة عمته حقها بعدما لحقها بعض العار بتزويجها بعبده، كما رفع بذلك الزواج منها كثيراً من التحريم والتضييق الذي كان يعتمه العرب في أمر الزواج، وليكون عملاً ناطقاً بأحكام الله سبحانه وتعالى الحقّة.

وتزوج جويرية التي كانت أمة اشتراها فأعتقها وتزوجها ليقنتي به المسلمون في شراء الإماء والزواج بهن، بعد كراهة العرب لذلك، فيكون خطوة من خطواته نحو محو الرقبة.

(١) الأحزاب: ٣٧.

وبعدھا أم حبيبة بنت أبي سفيان زعيم بني أمية لينتزع من قلوبهم شحنات عداوتهم للإسلام في حياته وللحد من تماديهم في البطش بأهل بيته عند تسللهم إلى كرسي الحكم بعد وفاته.

وصفية بنت حبي بن أخطب يهودية سبيت من خير فاعتقها وتزوجها، من أجل تمهيد السبيل لإسلام اليهود وتشويقهم إلى ذلك، وبناء أساس التعايش السلمي حتى أن عائشة وحفصة كانتا تؤذيانهما وتشتمانها وتقولان لها: يا بنت اليهودية، فشكت ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال لها: ألا تحبينهما؟ فقالت: بماذا يا رسول الله؟ قال، قولي: إن أبي هارون نبي الله، وعمي موسى كليم الله، وزوجي محمد رسول الله، فما تنكران مني؟! فقالت لهما، فقالتا: هذا علمك رسول الله، فأنزل الله في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرَكُمُ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾^(١).

وأم شريك التي وهبت نفسها للنبي ﷺ فقال لها خيراً ودعا لها ثم قال: يا أخت الأنصار جزاكم الله عن رسول الله خيراً، فقد نصرني رجالكم، ورغبت في نساؤكم، فقالت لها حفصة: ما أقل حيائك وأجراك وأنهمك للرجال، فقال رسول الله ﷺ: كفي عنها يا حفصة فإنها خير منك، رغبت في رسول الله فلمتيها وعييتيها، ثم قل للمرأة: انصري رحمك الله، سيأتي أمري إن شاء الله، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

(١) تفسير القمي: ٦٤، والآية في سورة الحجرات: ١١.

(٢) الكافي ٥: ٥٦٨ ح ٥٣، البحار ٢٢: ٢١١، مسند محمد بن قيس البجلي: ١٣٩،

والآية في سورة الأحزاب: ٥٠.

ويضاف إلى تلك النساء ميمونة بنت الحارث الهلالية خالة ابن عباس بعد زواجها مرتين وزينب بنت عميس، وزينب بنت خزيمة أم المساكين وهناك تقديم وتأخير في النقل واختلافات في بعض الأسماء، يضاف إلى ذلك بعض الإماء والسرايا التي بينها مارية القبطية أم إبراهيم التي أهداها المقوقس ملك مصر للرسول ﷺ.

على أن أغلب زواج النبي ﷺ كان بعد بعثته وهجرته بعدما جاوز الخمسين من عمره لا يكون ذلك لشهوة طاغية ولا نزوة حيوانية، بل هي من أجل توغل الإسلام في مختلف القبائل والأمم ونفوذه إلى قلوبهم شيئاً فشيئاً بعد اتصال الرسول ﷺ بهم وإن كان سببياً.

كما أن هناك عللاً وأسباباً أخرى قد يستوفيهما من يعمل دراسة في نكاح النبي ﷺ وما دار حوله من الأحداث والأسباب التي منها التعرف على من أطلق هذا الوصف على النبي ﷺ، فقد روي أن هذا الوصف جاء في كلام الله سبحانه وتعالى لعيسى بن مريم لما بشره بظهوره فقال له في صفته: واستوص بصاحب الجمل الأحمر والوجه الأقرن نكاح النساء^(١)، لكي لا يشكل على النصارى الأمر ويمنعهم من قبول الإسلام بعد ترك عيسى ﷺ الزواج.

٩٥٢ . النور

ليس شيء في الوجود حصل دفعة بكامل صفاته وخصائصه، بل مضت سنة الله سبحانه وتعالى في خلقه بتحقيق الأشياء عبر مراحل متعددة كثيرة أو قليلة، مثل الشجرة المثمرة التي تمر بمراحل كثيرة وعصيبة حتى تتكامل وتكون شجرة بجميع صفاتها التي نعرفها ثم يكون لها ثمر. فهي في

(١) تفسير الصافي: ١٦٩: ٥، إكمال الدين: ٩٥، أمالي الصدوق: ٣٢٦، وانظر

المرحلة الأولى بذرة ثم نبتة، ثم تكون عشباً ثم تنمو وتقوم على ساق وتكبر حتى تكون شجرة كاملة.

وكذلك الإنسان، فهو في المرحلة الأولى حيمن وبويضة ثم يكون علقه ثم مضغه ثم عظاماً ثم يكسو العظام لحم.

وهكذا كل شيء في الوجود يمر بمراحل حتى مثل النبوة والإمامة ليستا مما يحصلان دفعة من دون طي مراحل فهما في المرحلة الأولى نور على ما يستفاد من الأخبار التي منها الرواية المروية عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في حديث: «إن محمداً وعلياً كانا نوراً بين يدي الله عز وجل قبل خلق الخلق بألفي عام، وإن الملائكة لما رأت ذلك النور رأت له أصلاً قد تشعب منه شعاع لامع، فقالت: إلهنا وسيدنا ما هذا النور، فأوحى الله تبارك وتعالى إليهم: هذا نور من نوري أصله نبوة وفرعه إمامة، أما النبوة فلمحمد عبدي ورسولي، وأما الإمامة فلعلي حجتي ووليي، ولولاهما ما خلقت خلقي»^(١).

ولا يعني أن النبوة التي هي نور في المرحلة الأولى ستفقد هذه الحقيقة، بل ستتكمّل وينضم إليها حقائق أخرى ليكون هو الكشف والانكشاف والظهور والإظهار الذي هو حقيقة نورية أيضاً، بيد أن النور يكشف عن وجود المحسوسات بعد ما ينكشف بنفسه، وذلك أن النور المحسوس كاشف ولكن ليس بمقدوره وحده أن يكشف عن المعقولات

(١) علل الشرائع ١: ١٧٤. وفي رواية أخرى في العيون ٢: ٢٧٣ يقول لعلي عليه السلام إن أول ما خلق الله عز وجل أرواحنا فأنطقها بتوحيده وتمجيده، ثم خلق الملائكة، فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظمت أمرنا، فسبحنا لتعلم الملائكة أنا خلق مخلوقون، وإنه منزّه عن صفاتنا، فسبحت الملائكة بتسيبنا ونزهته عن صفاتنا.

كحدوث العالم مثلاً بل لا بد من أن ينضم إليه العلم والبرهان الذي يجلي المعقولات كما يجلي النور عن المحسوسات، والتوحيد ومثله من الغيبات التي تتقوم بملاحظة المحسوسات والمعقولات تحتاج إلى نور آخر ولا يكون ذلك النور الكاشف عن مثل التوحيد من الغيبات وما وراء الطبيعة سوى الأنبياء ﷺ، فهم في الحقيقة نور كاشف ومنكشف وظاهر ومظهر، ويهتدي بهم الناس كما يهتدون بشعاع الشمس ونور القمر، وبالعلم والبراهين العلمية.

فقد كشف وجود الرسول ﷺ عن حقيقة التوحيد وبطلان الشرك بالمرحلة الأولى، وكشف عن حقيقة الرسالة والسفارة الإلهية بصورة عامة وعن نبوته وسفارته بصورة خاصة ليكون هو انكشافه وظهوره في الحقيقة، كما كشف في مرحلة المعتقد عن حقيقة العدل والإمامة وأبان وجود المعاد والحساب يوم القيامة ومن بعده العذاب أو النعيم الدائم، ثم عطف إلى تجلية ما فيه مصالح للبشر وما فيه مفساد وضرر من عامة الأفعال والمثل الإنسانية، وغير ذلك من تعاليم الدين الإسلامي، ولو كانت نوريته وكاشفيته هي أحد صفاته فهي الغالبة التي يصح أن تطلق عليه.

ولذا قال أكثر المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ يعني بالنور محمداً ﷺ لأنه يهتدي به الخلق، كما يهتدون بالنور، وتبين به الأشياء^(١).

وفي الرواية عن ابن عباس والحسن وزيد بن أسلم في قوله تعالى:

(١) مجمع البيان ٣: ٣٠١، جوامع الجامع ١: ٤٨٥، تفسير الصافي ٢: ٢٣، جامع البيان للطبري ٦: ٢١٩، معاني القرآن للنحاس ٢: ٢٨٤، زاد المسير لابن الجوزي ٢: ٢٥٤، تفسير الجلالين للسيوطي ١٣٩، تفسير الثعالبي ٢: ٣٦٥، سبل الهدى والرشاد ١: ٥٣٠.

﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ أنه عنى بالنور محمداً ﷺ وأضافه إلى نفسه تشريفاً له، ولكن في المروي عن فضيل بن يسار قال قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: ﴿اللَّهُ نُورٌ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال: كذلك الله عز وجل قال، قلت: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ قال لي: «محمد»^(١) جعل النبي ﷺ مثل النور وليس نفس النور، ولكن لما كان مثل النور يعني مصداقه، فهو نور في الحقيقة.

٩٥٣ . نور الأنوار

تتحدث الأخبار عن كيفية نشوء الكون وعن أول مخلوق خلقه الله عز وجل وعن مراحل الخلق التي يصعب على البشر دركها ومعرفتها بالتجربة والدراسة، حيث تجعل شروع كل شيء في الوجود هو كلمة تكلم بها الله سبحانه وتعالى حيث لم يكن معه شيء ولم يخلق شيئاً، لتكون الكلمة التي هي أول مراحل الوجود، ويكون أول موجود من حقيقة الكلام وسنخه ولكنها أمواج من الشدة والعظمة بما لا يوصف ولا يدرك، ولعلها أول طاقة تحررت بما يسمى بالانفجار الكبير أو الأكبر مما يتصوره علماء الفلك والنجوم، فهي كلمة لا ككلام البشر، بل هي الوجود بأسره.

ثم إن هذه الكلمة صارت نوراً ولعله كهرومغناطيسياً أو شيئاً آخر، خلق منه نور محمد ﷺ وآل محمد ﷺ ثم تكلم بكلمة ثانية فصارت روحاً أسكنها في ذلك الخلق النوري، وخلق منها محمداً وعلياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

ثم خلق من نور محمد ﷺ وتور أهل بيته العرش والسموات والأرضين وعمامة المخلوقات التي منها أنوار الأنبياء عليهم السلام، فكان رسول الله ﷺ

(١) توحيد الصدوق: ١٥٧، معاني الأخبار: ١٥، البحار: ٤: ١٥.

نور الأنوار ومنشأ تلك الأنوار، كما يدل عليه الخبر الذي يرويه الكليني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان، وخلق نور الأنوار الذي نورت منه الأنوار وأجرى فيه من نوره الذي نورت منه الأنوار، وهو النور الذي خلق منه محمداً وعلياً»^(١).

فأراد من نور الأنوار هو الوجود النوري للنبي عليه السلام وهو النور الذي نورت منه الأنوار التي هي أنوار الأنبياء والأوصياء، فهو نور فوق كل تلك الأنوار وهو نورها ومنشؤها، كما أن الشمس تفوق أنوار الأعمار ويكون نور القمر من نورها.

ويدل على الكلمتين وحديث المزج روايات متعددة منها المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالى أحد واحد تفرد في وحدانيته، ثم تكلم بكلمة فصارت نوراً ثم خلق من ذلك النور محمداً عليه السلام وخلقني وذريتي، ثم تكلم بكلمة فصارت روحاً فأسكنه الله في ذلك النور وأسكنه في أبداننا، فنحن روح الله وكلماته، فبنا احتج على خلقه فما زلنا في ظلة خضراء حيث لا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار ولا عين تطرف، نعبده ونقدسُه ونسبحه وذلك قبل أن يخلق الخلق...»^(٢).

ولعلك تسأل أليس النبي عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام خلقوا من الماء الذي خلق منه جميع البشر، بل جميع الأحياء كما سأل هذا السؤال رجل من أشراف العرب جاء إلى النبي عليه السلام فقال له: يا رسول الله بأي شيء فضلتم علينا وأنت ونحن من ماء واحد، فقال: «يا أبا العرب إن الماء لما أحب الله جل ذكره عند خلقنا تكلم بكلمة صار نوراً وتكلم أخرى صار روحاً، فخلقني وخلق علياً وخلق فاطمة وخلق الحسن وخلق الحسين، فخلق من

(١) الكافي ١: ٤٤٣.

(٢) مختصر بصائر الدرجات: ٣٢.

نوري العرش وأنا أجل من العرش»^(١).

ومع ذلك الوصف إذا شئنا أن يكتب على الشمس اسماً للنبي أو صفة من صفاته كان المناسب أن يكتب عليها اسم نور الأنوار، لأنها مشتقة من نوره وكان نورها بتلك الشدة فكيف ذلك النور الذي اشتقت منه فلا شك أنه نور الأنوار ويذهب نور الشمس عنده باطلاً كما هو الحق، ولذلك لما ذكر ابن شهر آشوب أسماء النبي المكتوبة على كل شيء فقال: وعلى الكرسي نبي الله، وعلى طوبى صفي الله، وعلى لواء الحمد صفوة الله، وعلى باب الجنة خيرة الله، وعلى القمر قمر الأقطار، وعلى الشمس نور الأنوار^(٢).

٩٥٤ . النور الأول

يحتمل قوياً إرادة ذلك النور الذي تكلمنا عنه في العنوان السابق المشتق من الكلمة الأولى التي تكلم بها الله سبحانه فصارت نوراً فخلق منه نور محمد ﷺ، فهو أول نور بهذا المعنى.

ولما كان هذا النور هو الأصل الذي تفرع عليه نور علي ﷺ كما هو مستفاد من الرواية المارة في عنوان النور، صار يتطابق مع الدعاء المروي عن الصادق ﷺ حيث يقول: «أعددت لكل عظمة لا إله إلا الله، ولكل هم وغم لا حول ولا قوة إلا بالله، محمد النور الأول، وعلي النور الثاني، والأئمة الأبرار عدة للقاء الله...»^(٣).

وهناك احتمال آخر يتلخص في إرادة النور الأول من الأنوار المهددة

(١) نوادر المعجزات للطبري: ٨٢.

(٢) مناقب آل طالب: ١٣٢.

(٣) البحار: ٩١: ٣١٢.

بعرش الله سبحانه وتعالى، فيكون بمعنى الأقرب والأشد نوراً والأول رتبة ووجوداً والمعروف منها أربعة عشر نوراً هي أنوار كل واحد من المعصومين التي أنبأنا عنها الإمام الهادي عليه السلام في الزيارة الجامعة حيث يقول فيها: «خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرضه محدقين، ثم من علينا بكم وجعلكم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه»^(١).

٩٥٥ . نور الدنيا والآخرة

صار معنى نورية النبي صلى الله عليه وآله في الدنيا هو هداية الناس إلى سواء السبيل وصراط الله المستقيم بعد ما لم يكونوا يبصرونه وانحرفوا عنه شرقاً وغرباً، فلما طلع هذا النور الذي هو نور الفطرة وضيء الشريعة رجع الناس إليه وعرفوا الطريق الموصل وميزوه عن غيره.

فيبقى الكلام في نوريته الآخروية التي توحى إلى وجود ضلال وانحراف وزيف وظلمات في الآخرة أيضاً كما هو الحال في الدنيا أو أشد حالاً.

ولا ريب أن في الآخرة حيرة ووقوفاً وظلمات يبدو أنها حسية لا معقولة أو غيبية، بل هي متاحة وجهل بالطريق المؤدي إلى الجنة، بحيث لا يعرفه إلا من استنار بالنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته وعرف الطريق بشعاعه إذ هو صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام كالشمس والقمر لأهل الآخرة يستنير بهما من استنار بهما في الدنيا، ولا ينتفع بهما من لا ينتفع بهما في هذه الدنيا، ويكون حاله حال الأعمى الذي لا ينتفع بنور الشمس والقمر، فمن كان في هذه أعمى ولم ينتفع بنور النبي صلى الله عليه وآله وهدايته، فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً لا ينتفع

(١) من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٠٧؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٣٠٧، تهذيب الأحكام

بنوره في الآخرة، ويظل يتخبط تخبط الأعمى حتى يهوى في نار جهنم.
ولما كانت نورية النبي ﷺ في الآخرة مما لا يعرفها إلا من عرف
الآخرة وما فيها من التيه والضلال والتعقيد مثل الملك جبرائيل نجده
حينما هبط ليسلم على النبي ﷺ قال: السلام عليك يا نور الدنيا
والآخرة^(١).

٩٥٦ . النور الساطع

تذكر مرضعة النبي ﷺ حليلة السعدية ذهابها إلى مكة في المرة التي
أخذت فيها الرسول ﷺ لترضعه فتقول: كان الناس في زمان رسول الله ﷺ
في جهد شديد، وكنا أهل بيت مجدين، وكنت امرأة طوافة، فكنت في
طريقي أسمع العجائب من كل ناحية، لا أمر بشيء إلا استطلت إلي فرحاً،
وقال لي: طوبى لشديك يا حليلة، انطلقني فإنك ستأتين بالنور الساطع^(٢).
ولعل هذا إلهام روعي كالذي حدث لأم موسى عليها السلام حينما خطر في
بالها أن تضعه في تابوت وتلقيه في اليم.

فقد يحصل الالتفات إلى مثل ذلك بعد حدوث الحدث ووقوعه حين
يستعرض الشخص ما جرى ويتأمل في التوفيق الحاصل فيه، فيجده معجزة
وإلهاماً أو حتى وحياً من الله سبحانه المدبر لحال البشر، وليس ذلك الإلهام
شيئاً تراه بعينها أو تسمعه بأذنها تستطيع أن تتحدث عنه وتخبر الناس به
قبل نجاة موسى وظهوره أو ظهور نبينا ﷺ وشيوع المعجزات له.

(١) الفضائل لشاذان القمي: ٣٣.

(٢) تاريخ الطبري ١: ٥٧٥، المنتقى في مولد المصطفى ﷺ ب ٧٣ من القسم الثاني،
البحار ١٥: ٣٨٧، والمرأة الطوافة هي المرأة التي لا تثبت في بيتها وتدور في
بيوت جاراتها.

والذي يخصّ البحث والعنوان هو القول الذي استلهمته حليلة السعدية أو حتى سمعته والتبشير الذي بشرتها به الأشياء من أنها ستأتي بالنور الساطع، فهو قول الناظر من بعيد، بحيث يرى ذلك النور واضحاً، فلا يسعه التعبير عن نور يراه عن ذلك البعد والمسافة بوضوح إلا ويقول: هو نور ساطع.

ولما كان في معتقدنا أن حقيقة جميع الأشياء نورية مشتقة من نور النبي ﷺ فيكون السطوع بمعنى قوة الوجود، بيد أن القائل من جماد أو نبات أو غيره مما شاهده حليلة في طريقها فاستطل وأخبرها، إذا قاس وجود الرسول ﷺ إلى وجوده ونورية الرسول إلى نوريته رآه ساطعاً ووجوداً قوياً لامعاً ومشعاً بإشعاع لا يخفى، فيتطلع في الحقيقة إليه ويكون فيه دلالة عليه بعد ما كان مشتقاً منه ومشيراً إليه، فيكون ضعفه دلالة على وجود النور الساطع القوي، الذي اقتبس منه وأخذ عنه.

٩٥٧ . نور في الحرمين

يراد بزوجه ومحل سطوعه عند ما كانت ولادته وبعثته بمكة ومهاجرة إلى المدينة، فكان بعد البعثة ثلاث عشرة سنة بمكة يدعو إلى الله سبحانه وتعالى الدعوة السرية، وأعقبها عشر سنوات في المدينة هي الدعوة العلنية.

ومتى ما تصورت النبي ﷺ ولاح نوره في ذهنك فستجده ساطعاً في الحرمين مكة والمدينة لا ينفك تصويره عن تصورهما ولا وهجه في شيء من بقاع الدنيا يبلغ وهجه فيهما إذ كانتا مولده ومحل بعثته ومدرسته ومسكنه ومعتزكه.

ولذا قال ابن شهر آشوب في مجال ذكر أسمائه وصفاته: محمد خير البشر، المختار للرسالة، الموضح للدلالة، المصطفى للوحي والنبوة،

المرتضى للعلم والفتوة والمعجزات والأدلة، نور في الحرمين، شمس بين القمرين، شفيح من في الدارين^(١).

٩٥٨ . نور الله

المراد بنور الله هو كل ما يستدل به على الله سبحانه وتعالى ويعرف به كما تعرف الذرات بنور الشمس، وليس نور الله سبحانه في آفاق النفوس أقل من نور الشمس في آفاق السماء.

والنبي ﷺ هو نور الله الأشد والأجلى، ولنوره في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار، فهو ينور قلوب المؤمنين، ويحجب الله نوره عمّن يشاء فتظلم قلوبهم.

والدليل على أن الرسول ﷺ حقيقة نورية باقية هو تأثير إشعاعاته بعد موته أكثر منها قبل موته، والذين اهتموا به بعد موته أكثر ممن اهتموا به في حياته، وإذا كان ضوءه محدوداً بمحدود الجزيرة في حياته، فقد صار له سطوعاً بعد موته بحيث بلغ أطراف الكرة الأرضية ولا يكون له ليل متى ما أضاء في قلب مؤمن ولا كسوف ولا أفول.

قال جابر بن عبد الله الأنصاري: رأيت في لوح مكتوب عند فاطمة عليها السلام:
بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز العليم محمد نوره وسفيره وحجابه ودليله^(٢).

٩٥٩ . نور الله في عبادته

إذا كان المراد بالعباد عامة البشر كما قد تطلق كلمة العباد ويراد بها

(١) مناقب آل أبي طالب: ١، ١٣٣.

(٢) إكمال الدين: ١٧٩، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٥.

ذلك فلا يكون بينه وبين عنوان نور الله فرق، وإذا كان المراد هو الخلق المطيع أو الراغب في الطاعة والمعتزف بالعبودية والقيام بالخدمة، فهو أخص من سابقه ويدل على هداية الرسول ﷺ مجرد الراغبين في الطاعة وامتنثال أوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيه، لكنهم في تحبط وعشوائية من دون دليل يدلهم على كيفية العبادة الصحيحة المحبوبة لله سبحانه وما هي مراداته وأوامره ونواهيه وزواجره، فإن النبي ﷺ هو النور الذي يهتدون به إلى معرفة سبل الطاعة والمبين لما يريد وما ينهى عنه، بيد أنه نور الله في عباده وهاديهم إلى صراطه المستقيم بحسب المقام الذي جعل له وندب إليه حينما عرج به إلى السماء نودي: يا محمد، فقال: ليبيك: وسعديك تباركت وتعاليت، ثم نودي: يا محمد أنت عبدي وأنا ربك وعلي فتوكل، فإنك نوري في عبادي^(١).

٩٦٠ . نور الله الذي لا يطفى

لا زال نور الرسول ﷺ يتوهج ويزداد توهجاً يوماً بعد يوم وهو في طريقه إلى التوهج النهائي الذي سيلفت انتباه العالم ويهتدي بهديه الجميع حتى لا يكون شرعة ولا دين سوى الإسلام الحق.

فمن اليوم الأول وحينما كان الدين الإسلامي غضاً طرياً تضطرب أعواده بعواصف التهكم والتحامل القرشي والعربي، والتحليل اليهودي المستمر، والتعرض المسيحي الحدودي قال كلمته التي برهن مرور القرون صدقها وإعجازها ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٢) ليدل على أن أخطر ما تواجهه النبعة

(١) إكمال الدين: ٢٥٦، عيون الأخبار: ٢٣٨، علل الشرائع: ١.

(٢) التوبة: ٣٢.

الإسلامية الفتية من الأخطار هو الإعلام الهادف الذي عبّر عنه بالأفواه رغم وجود مخاطر أخرى كثيرة تحيط بالإسلام والرسول ﷺ منها السيوف المسلحة لمواجهة أبنائه ومنتحليه والمعارك الضارية لاستئصاله وقمعه، والطعن من الخلف بأيدي المنافقين كل ذلك لا يسجل خطراً بمقدار الدعاية المغرضة والمحاولات الجادة لإيجاد الشكوك والأوهام الهادفة لنقضه وتفنيده بالكلام والتمويه عليه بالإعلام.

ولعل استمرار توهجه وعدم التمكن من إطفائه أوضح معجزة بعد القرآن، خصوصاً بعد دراسة المحاولات التي دبرها أعداؤه من أجل تحجيمه ومحو معالمه وصرف أنظار الناس عنه بكل ما يمتلكه العدو من وسائل الخداع والتمويه ووسائل الدعاية والإعلام، فهو باق بقوته ونافذ بدعوته ومستمر على أشدها إلى يومنا هذا، ويمكن الإشارة إلى بعض ما حصل وما هو حاصل بالنقاط التالية.

١ - اتهام الرسول ﷺ بأنواع التهم كالجنون والسحر والشعر والشعوذة والكهانة والعقد النفسية.

٢ - تطميعة بالمال والنساء والرئاسة وغيرها من ملاذ الدنيا التي يرغب فيها كل شاب حتى قال لو وضعوا....

٣ - إلحاق أنواع الأذى به وبأتباعه وأهل بيته والتضييق عليهم حتى قتلوا مثل ياسر وسمية.

٤ - الاستهزاء والتسخير به وبأتباعه وبدينه إلى نهاية الحدود.

٥ - استعمال الضرب والشتم وإلقاء القاذورات عليه ورميه بالحجارة ودفع الأطفال إلى مثل ذلك.

٦ - التهديد المستمر بالقتل والاعتقال والتحريك المستمر لوجدان

السبيل عليه.

٧ - المحاصرة الاقتصادية الشاملة ومقاطعة عامة بني هاشم وحصرهم في شعب أبي طالب والحظر من مزاجتهم ومعاملتهم والاتصال بهم من قبل جميع أفخاذ قريش.

٨ - المحاولة الجادة لقتله وتضييع دمه حتى اتفق جميع أفخاذ قريش على تبييته فخرج مهاجراً إلى المدينة.

٩ - محاولات اليهود والكهنة الجادة لاغتيال أجداده وأبيه وأمه بعد ما عرفوا منبته ومحل ظهوره وأصله ونسبه من كتبهم وأخبارهم.

١٠ - تجييش الجيوش الضخمة لقتاله بعد ما هاجر إلى المدينة، وإعداد العدد القوية التي لا تتناسب مع ما يمتلكه المسلمون من العصي وقلة عددهم.

١٢ - تحريض قبائل العرب المختلفة وجمعهم لقتاله والتواطؤ مع يهود المدينة في معركة الأحزاب.

١٣ - الخيانة من الداخل والغدر الذي تعمده ضعيفو الإيمان من المسلمين وأججه المنافقون حينما نادوا بأن الرسول ﷺ قد قتل في معركة أحد فانهزموا وتركوا الرسول ﷺ في وسط المعركة، بالإضافة إلى سعي المنافقين الدائب ي هدم ما بناه والتدبير لقتله كالذي حدث ليلة العقبة، وتسريبهم الأخبار إلى العدو، ودوام تأمرهم على حرف الحركة الدينية باتجاه مطامعهم الشخصية.

١٤ - تسلل المنافقين إلى الصف الأول وتمكنهم من الإمساك بزمام الأمور بعد وفاته وإقصاء وصيه وحامل دينه الحق مما أدى إلى ارتداد الناس بعد رسول الله ﷺ حتى لم يبق على العهد سوى نفر اليسير.

١٥ - استيلاء بني أمية على الحكم وهم أشد أعدائه وأكثر المتضررين ببعثته فصيروها ملكاً عضواً.

١٦ - قتل أهل بيته وتشريدهم في البلاد وملاحقتهم وكذا الخلل من أصحابه حتى قتلوا أولاده بين النواويس وكربلاء وساقوا بناته سبايا.

١٧ - عداء من كان في بيته من أزواجه له ولدينه الحق، وقد ظهر ذلك يوم تجملت لقتال وصيه وخليفته الحق.

١٨ - استغلال اسم الخلافة الإسلامية والتستر به لفعل أشنع الصنائع من قبل الحكام العباسيين وغيرهم.

١٩ - الحروب الصليبية الهادفة إلى تنصير المسلمين.

٢٠ - احتلال الدول الإسلامية من قبل الغازين الهمج والمستعمرين وزرع العملاء فيها للتسلط عليها مادياً ومعنوياً وفي النهاية تضعيف الإسلام.

٢١ - إيجاد المواجهة المستمرة بين الدينين اليهودي والإسلامي من قبل الدول الاستعمارية لأجل انشغال بعضهم ببعض وتخريب وجهة الدينين حتى لا يعبر الدين الإسلامي الحدود إلى بلاد المسيحيين بحقانيته.

٢٢ - استعمال الملوك والرؤساء العملاء في عامة البلاد الإسلامية وسعيهم في نزع الروح الدينية بالترهيب والترغيب والقتل والسجن والتعذيب لتحل محله الروح الحزبية والمذاهب الوضعية التافهة كالفكرة البعثية والشيوعية.

٢٣ - إعطاء انطباع حسن وصورة خلاية عن الحياة الخالية من الدين كالحياة الغربية واستعمال الجنس والأجسام العارية كوسيلة لتميع الشباب المسلم وإغراءهم بالملاذ الدنيوية.

هذه خطوط كلية لبعض ما دبره أعداء الإسلام لإطفاء ذلك النور في الماضي، وأما في الوقت الحاضر فهناك علة محاولات جديدة أكثر تعقيداً وحنكة.

منها: التبليغ المكثف المستهدف لأصول الإسلام ومقوماته الأساسية،

ذلك بطرح العناوين الميطنة وكلمات حق يراد بها باطل، كحقوق الإنسان لمقاومة حدود الإسلام وشعار مقاومة الإرهاب لسلب الشرعية من الجهاد الإسلامي ودفاعه الحق، وكذا شعار الحداثة والتمدن وما شاكل ذلك.

ومنها: دفع المتشددين الإسلاميين لفعل الفضائح وتحييئهم لإعطاء صورة بشعة عن الإسلام، ومنها: تأسيس دول إسلامية خسنة التعامل سالبة للحريات وفاقة للرأفة الإسلامية كدولة الطالبان في أفغانستان.

ومنها: تسليط بعض الظلمة المسلمين على رقاب الناس وتشويقهم في التعدي وإعمال الغلظة والقسوة على المسلمين، ثم دخولهم بجيوشهم كمحررين ومنقذين كما اتفق للعراق، ثم عمل سياسة لإيجاد النفرة من الإسلام.

ومنها: استخدام التقنية الحديثة وتوجيهها باتجاه زرع الفتنة بين فرق المسلمين والمحاولة لتميع الشباب المسلم وسلب الروح الدينية منه بما يسمى بالغزو الثقافي بواسطة الإنترنت والفضائيات وما شابهها.

ومنها: اتخاذ جميع الإجراءات اللازمة تحسباً لظهور المنتقد الموعود به والتدبير المعقد لمواجهة القوى السماوية الداعمة له.

فلولا التأييد الإلهي لهذا النبي ﷺ تعود كل واحدة من هذه النقاط والمحاولات الشيطانية المستهدفة لدعوته كافية لنقضها وإبطالها، ولكن بطلان كل تلك المحاولات وإعمال المقايسة بين ما قصده أولئك المحاولين وبين النتيجة المخوفة بنفع الرسول ﷺ ودعوته، وتوسع الإسلام شيئاً فشيئاً، واستحكامه أكثر فأكثر يخلق فكرة دعم اليد السماوية ويوجب الجزم بأن هذا النور هو نور الله الذي لا يطفى، كما جاء في كتاب شعيا: يظهر في الأمم عبد لي لا يسمع صوته في الأسواق، يفتح العيون العور، ويسمع الأذان الصم، هو نور الله الذي لا يطفى، حتى تثبت في الأرض حجتي^(١).

(١) الخرائج والجرائح ١: ٧٥، الصراط المستقيم ١: ٥٦، البحار ١٥: ٢٠٩.

٩٦١ . نور الله الذي يستضاء به

أي بذلك النور، وإطلاق النور عليه لأنه في الحقيقة نور إلهي وإن وقع التشابه بينه وبين غيره في الصورة الظاهرة، أو لأنه الظاهر في نفسه المظهر لغيره والمزيل للحجاب الحسي والعقلي والغيبي، وهو الظلمة والجهل وسوء المعتقد، إزالة فعلية متحققة في الخارج.

ولما تكرر الكلام في نورية النبي ﷺ رأينا أن نعطف الكلام على موارد استعماله التي لا تخلو من أسرار وحقائق خافية.

منها لما أهتمم أبو بكر بضعة الرسول ﷺ فاطمة الزهراء صلوات الله عليها واغتصب منها فدكاً وما نحلها رسول الله ﷺ في حياته التفتت إلى قبر أبيها وتمثلت:

قد كان بعدك أنباء وهنبة	لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إننا فقدناك فقد الأرض وابلها	واجتث أهلك مذ غيبت واغتصبوا
أبدت رجال لنا فحوى صدورهم	لما نأيت وحالت دونك الكشب
تهضمتنا رجال واستخف بنا	دهر فقد أدركوا فينا الذي طلبوا
قد كنت للخلق نوراً يستضاء به	عليك تنزل من ذي العزة الكتب
وكان جبريل بالآيات يؤنسنا	فغاب عنا فكل الخير محتجب ^(١)

فهي تتحدث عن الظلمة التي أصابت الإسلام بغياب ذلك النور وحصول الفتنة واحتجاب الخير، وكذا ظهور ظلمات صدور المنافقين وبغضائهم التي غطاها ذلك النور فما أن غاب وغيبت شمسها إلا وظهرت تلك الظلم وظهر ذلك النفاق المستبطن في الصف الأول للمسلمين وبادروا للانتقام من ابنته وصهره والاستخفاف بهم.

كما أن غياب ذلك النور والغفلة عن امتداده عتم على الكثير من

(١) دلائل الإمامة: ١١٥، أمالي الشيخ المفيد: ٤١.

أبناء هذه الأمة فلم يلتفتوا إلى هذه الكلمات الصادرة عن لسان طاهر وقلب مطهر من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فتصوروا أن الأمر يهون والحق ما يحبون، كلا ثم كلا.

وإذا أردنا أن نرجع إلى الوصف الذي نتحدث عنه والتأكيد على أنه من الأوصاف البينة التي يعرفها كل من خالط الرسول ﷺ وعرفه وله أدنى التفاتة فإنه يرى في الرسول ﷺ نوراً حقيقياً لا بشراً وبدناً، وقد حصلت هذه الالتفاتة لكعب بن زهير الشاعر فقال:

إن الرسول لنور يستضاء به	مهند من سيوف الله مسلول
في عصبة من قريش قال قائلهم	ببطن مكة لما أسلموا زولوا
شم العرائن أبطل لبوسهم	من نسج داود في الهيجا سراويل ^(١)

ونظراً لأهمية هذا الوصف كواحد من الأوصاف المهمة جاء في زيارته الواردة عن الأئمة الهداة عليهم السلام : منها أن يقول الزائر: السلام عليك يا مبشر، السلام عليك يا نذير، السلام عليك يا منذر، السلام عليك يا نور الله الذي يستضاء به، السلام عليك وعلى أهل بيتك الطيبين الطاهرين^(٢).

٩٦٢ . النور الممدود

لدينا وقفة وتأمل في كيفية امتداد ذلك النور وعدم خفوته مع غياب الرسول ﷺ وما هي حقيقة دوامه واستمراره وبقائه المسلّم، فهي حقيقة أخرى غير أصل نورية الرسول ﷺ وابتدائه وإشعاعه واهتداء الناس به، ويختلف عما تحدثنا عنه في العناوين السابقة خلا عنوان نور الله الذي لا يطفى.

(١) البحار ٢٢: ٢٥٢.

(٢) إقبال الأعمال ٣: ١٢٣، المزار للشهيد الأول: ١١.

ولعلك إذا طالعت المروي عن علي عليه السلام قد تجدس بسر بقاء ذلك النور وامتداده فقد قال، قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما خلق الله عز وجل أرواحنا، فأنطقها بتوحيده وتمجيده ثم خلق الملائكة، فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظمت أمرنا فنبحنا لتعلم الملائكة أنا خلق مخلوقون، وأنه منزه عن صفاتنا، فسبحت الملائكة بتسييحنا ونزهته عن صفاتنا»^(١).

فالنبي ﷺ والأئمة من أهل بيته بل كل المعصومين الأربع عشرة هم نور واحد يستمر ببقائهم ويمتد بامتدادهم، وليس الإسلام والنور الذي أنزل هو دين الخلفاء والحكام الظالمين الذين يحسبهم المسلم نوراً حتى إذا جاءه لم يجده، وإنما النور الذي أنزل هم الأئمة من آل محمد ﷺ.

فقد روينا عن أبي خالد الكابلي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿فَأَمْسُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾^(٢) فقال: «يا أبا خالد النور والله الأئمة من آل محمد ﷺ إلى يوم القيامة، وهم والله نور الله الذي أنزل، وهم والله نور الله في السماوات وفي الأرض، والله يا أبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار، وهم والله ينورون قلوب المؤمنين، ويحجب الله نورهم عن من يشاء فتظلم قلوبهم»^(٣).

ولا يغرنك عشو قلوب القرشيين عن هذا النور ولقد عشت عن نور رسول الله ﷺ ولم تره حتى أرادوا قتله فما أبصرته إلا تحت ظل السيف، وإذا أجبرت على قبول النور الأول فعليها أن تختار النور الثاني - أعني نور الولاية - بطوعها واختيارها كي يقدر لها النجاح في الامتحان

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٧٣.

(٢) التغابن: ٨.

(٣) الكافي ١: ١٩٤ ح ١.

وينسب لها حسن الاختيار وسلوك طريق الحق بعد التخيير، وإلا فلا فخر في قبول الإسلام تحت ظل السيوف ومتابعة ذوي الشوكة من الحكام والخلفاء، فهذا ما يفعله كل شعوب العالم.

وإذا رأيت قريشاً والعرب لا يتهيئون لظهور المهدي المنتظر (عج) آخر تلك الأنوار فلأنهم لم يستقبلوا ذلك النور الأول ولم يتابعوا النور الثاني، أعني الموصى له بالخلافة علي بن أبي طالب عليه السلام.

ومهما يكن من ذلك فقد روي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «سمعت آبائي يحدثون كانت لقريش كاهنة يقال لها: جرهمانية... فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وآله جاءت إليها تابعتها وقالت لها: جرهمانية حيل بيني وبينك، جاء النور الممدود الذي من دخل في نوره نجاء، ومن تخلف عن نوره هلك»^(١).

٩٦٢ . النهج القويم

النهج في اللغة هو الطريق الواسع الواضح والقويم هو المستقيم، فيكون المعنى هو أن الرسول صلى الله عليه وآله هو الطريق الواضح المستقيم، ولكن يأتي السؤال عن حقيقة تلك الطريقية وكيف كان الرسول صلى الله عليه وآله هو الطريق والحال أنه بشر، جسد وفعل.

والجواب على ذلك هو أن حقيقة الطريق ليس هو تراه وحصاه ولا تعبيده وتعليمه، وإنما هو عبارة عن معرفة مجموع ما يوجب القرب من الهدف والمقصد ومعرفة ما يوجب البعد عنه.

فإذا قيل لك: هذا هو الطريق إلى مكة، فكل ما تراه من آثار المشي

(١) العدد القوية لعلي بن يوسف الخلي: ١٢٥.

والسلوك والتراب المسحوق والحجر والتعبيد فهي تعرفك ما يوجب القرب إلى مكة، وهو السير على تلك الآثار ومتابعة تلك العلامات. وإنما قلنا إن الطريق هو المعرفة فلأجل أن الطريق لا ينحصر بالأرض المسلوكة فهناك طرق جوية ليس إلا معرفة ما يوجب القرب من نقاط الطول والعرض وليس هناك تراب ولا حجر، وكذا الطرق البحرية فليس هي سوى معرفة ما يوجب القرب من المقصد عن طريق الشمس والنجوم والبوصلة مثلاً.

وإذا قلنا إن الطريق هو معرفة ما يوجب البعد أيضاً، فلأن الطريق إذا أراننا ما يؤدي إلى المقصد والمدينة التي نقصدها، فسيعرفنا أن سلوك ذلك الطريق بالاتجاه المعاكس أو أي اتجاه آخر يبعدك عن المقصد أيضاً.

وإذا قيل إن الرسول ﷺ هو الطريق أو النهج فباعتبار أنه يعرفك مجموع ما يوجب القرب من الرب سبحانه وتعالى والعمل بما يتعلق به الأمر، ويعرفك مجموع ما يوجب البعد عنه وترك العمل بما يتعلق به النهي، وهو طريق الجنة الذي من سلكه كان لا محالة غايته رضوان الله ودخول الجنة، ومن تابع خطاه وصل إليها.

وهو السبيل الواضح الواسع الذي ليس في سلوكه مصاعب لأنه جاء بالشرعية السامحة وأقرب الطرق إلى الله سبحانه، فلا يكون إلا المستقيم لأن الخط المستقيم هو أقرب مسافة بين نقطتين.

قال رسول الله ﷺ: «أول ما خلق الله نوري، ابتدعه من نوره، واشتقه من جلال عظمته إلى أن قال: فتحن الأولون... ونحن النهج القويم»^(١)، عنى هو وأهل بيته ﷺ.

٩٦٤ . نون

لازالت الحروف المقطعة في أول سور القرآن مثاراً للبحث والجدل ومحل تراكم الأقوال، منها قوله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(١) وقد تعددت فيها الأقوال بين قائل هي الحوت التي يستخرج منها الزيت الذي يصنع منه الجوهر الذي يكتب به، وبين قائل بأنه اللوح المحفوظ، وقيل هو نهر في الجنة صار مداداً، وقيل هو رسول الله ﷺ.

وإذا أردنا الجمع بين هذه الأقوال فهي تتأرجح بين معنيين أحدهما الجوهر الذي يكتب به، والواسطة في وصول العلم وأوامر الله ونواهيه من اللوح المحفوظ أو الرسول ﷺ.

وهناك تفاصيل في كيفية انتقال العلم وبلوغه إلى الناس يرويها سفيان الثوري قال قلت لجعفر بن محمد عليه السلام: يا ابن رسول الله ما معنى قول الله عز وجل ألم...ون، فكان فيما قال: «وأما نون فهو نهر في الجنة، قال الله عز وجل له احمد، فحمد فصار مداداً ثم قال عز وجل للقلم: اكتب، فسطر القلم في اللوح المحفوظ ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، فالمداد من نور، والقلم من نور، واللوح لوح من نور».

قال سفيان: فقلت له: يا ابن رسول الله بين لي أمر اللوح والقلم والمداد فضل بيان وعلمي مما علمك الله، فقال: «يا ابن سعيد لولا أنك أهل للجواب ما أجبتك، فنون منك يؤدي إلى القلم وهو ملك، والقلم يؤدي إلى اللوح وهو ملك، واللوح يؤدي إلى إسرافيل، وإسرافيل يؤدي إلى ميكائيل، وميكائيل يؤدي إلى جبرئيل، وجبرئيل يؤدي إلى الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم» قال ثم قل لي: «قم يا سفيان فلا آمن عليك»^(٢).

(١) القلم: ١.

(٢) معاني الأخبار: ٢٣.

وغاية ما نستفيد من هذا الخبر هو وجود وسائط ومراحل لانتقال العلم إلى البشر من تلك المراحل هي نون ومنها القلم ومنها اللوح والملائكة.

وإذا ضممننا الرواية الأخرى التي يرويها محمد بن الفضيل عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته عن قول الله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ قال: «ن: اسم لرسول الله ﷺ، والقلم اسم لأمير المؤمنين عليه السلام»^(١).

فسنخرج بهذه النتيجة، وهي أن الملك الذي سمي نوناً، إنما سمي بذلك باعتبار أنه ناقل للعلم والمؤدي إلى القلم وباعتبار أنه أول من يتلقاه وينقله إلى القلم، وكذلك النبي عليه السلام إذا سمي نوناً فهو باعتبار أنه أول ناقل للعلم من جنس البشر والمؤدي إلى القلم، أعني علي بن أبي طالب عليه السلام لما روي أن رسول الله ﷺ كان يتلقى الوحي ويملي على علي عليه السلام ليكتبه بالقلم^(٢)، فكان محمد هو النون وعلي هو القلم لأنه هو الكاتب أو لأنه القلم أو الكاتب به.

(١) البرهان: ٤، ٣٦٥، البحار: ١٦٥، ٣٦.

(٢) الخصال: ٥٥٦، الاختصاص للشيخ المفيد: ٣٧٥.

حرف الهاء

الأسماء المصدرية بحرف الهاء

٩٦٥ . الهادي

على الرغم من وضوح هذه الكلمة والنصفة غير أنها تتضمن شيئاً من التعقيد لتعدد الطرق التي كان الرسول ﷺ يسلكها في مجال هداية الناس ولا يتيسر لأحد الاتصاف بهذه الصفة بل لا يكون ذلك لبشر إلا أن يؤدبه الله سبحانه وتعالى ويؤتیه من مخزون علمه وحكمته ويعطيه مهارة كاملة يتمكن معها من هدايتهم بشكل فردي وجماعي، ولا يتم ذلك إلا للأنبياء والرسل وأوصيائهم.

ولكن مع كل ذلك التعقيد واختلاف الطرق والأحاء التي يعتمدها الرسل في مجال هداية الناس إلا أنها تصب في مصب واحد ويكون المهدي إليه معلوماً، وهو الهداية إلى الدين القويم والصراط المستقيم وإيجاد الميل عن صراط الضالين المضلين، ونهاية ما يوفق إليه الهادي في الحقيقة هو بيان الفارق بين الحق والباطل حتى لا يقع الاشتباه بينهما كما لا يقع الاشتباه بين ضوء النهار وظلمة الليل.

ومهما كان التعقيد الموجود في عمل الهداة فلا يمنع من الإشارة إلى بعض الخطوط الكلية فيه بعد بيان أن الخطوط العريضة للهداية تتراوح بين أن تكون عملاً يجلب انتباه المهدي أو كلمة يقذفها في قلبه يجمع الله بها أمره.

ولابد أن تكون فاعلية ذلك الفعل أو الكلمة بالدرجة الأولى هي إيجاد الشرح في صدر السامع وتطبيب روحه إلى حدّ التمكن من معرفة

المعروف إذا سمع به وإنكار المنكر إذا صادفه، وبالتالي يقوم بعمل أو يلتقي إليه كلاماً يفتح بصيرته ويولد فيه الرغبة لتحري الحقيقة وطلب الحكمة ورعاية المصلحة.

ثم إن عمل الهادي الذي تكلمنا عنه أولاً قد يختلف ويتردد بين النفاض أو المتضادات بأن يكرم شخصاً وينفق عليه فيهديه وبين أن يمنع آخر ويحرمه فيهديه وبين أن يتواضع لشخص ويريه جانب اللين فيهديه وبين أن يتعاطم لشخص ويريه عظمة الإسلام فيهديه، وكذا بين أن يريه الصبر والاستقامة أو يريه الصرامة والشدة وهكذا.

ولكن في الساحة العلمية تعتمد هداية الأنبياء على ثلاثة عوامل كلية أحدها: اكتشاف أسس الأشخاص ومرتكزاتهم الموروثة ومكتسباتهم المألوفة والإنطلاق منها إلى غيرها ليتدخل الحدس القوي والعلم بالغيب في هذا العامل.

والثاني: الاعتماد الكلي على المعجزة والمدد الإلهي وإفادات الأنظار إلى التوفيقات الحاصلة مع إعطاء صبغة التأييد الإلهي فيها والاعتماد على تكررها وتكرار ذكرها من أجل الترسخ في الأذهان وحصول التصديق.

والثالث: ولعله العمدة في عامة عمل الأنبياء وهو الاعتماد على دفع الناس بعضهم ببعض وتحييئهم لدفع عجلة التغيير بإيجاد الفورة الجماعية ووقوع الصيحة بين الناس بالتأييد والتوفيق وإيجاد التسابق ومنح الأفضلية للسابق حتى يتحقق مثل ذلك الذي يصفه القرآن ويقول: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾^(١)

ولعل استيعاب تلك الدقائق أو حتى إحصائها يحتاج إلى فضاء أوسع

ودراسة متكاملة لست بصدها، ولا يهمننا في هذه المرحلة سوى تحري استعمال هذه الصفة وإطلاقها على النبي ﷺ، فلعل أوائل ذلك يعود إلى ما جاء في وصية أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول: «وأوصيكم بالنصيحة للرسول الهادي محمد ﷺ، ومن النصيحة أن تؤدوا إليه أجره...»^(١).

وقبله المروي عن جابر قل: سئل رسول الله ﷺ أين كنت وآدم في الجنة؟ قل: «كنت في صلبه، وهبط بي إلى الأرض في صلبه، وركبت السفينة في صلب أبي نوح، وقذف بي في النار في صلب إبراهيم، لم يلتق لي أبوان على سفاح قط، لم يزل الله عز وجل ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة هادياً مهدياً حتى أخذ الله بالنبوة عهدي وبالإسلام ميثاقي...»^(٢).

ويبقى هنا أمران مهمّان أحدهما أهمية هداية الناس الاستفادة من قول أمير المؤمنين عليه السلام: «بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن وقال لي: يا علي لا تقاتلن أحداً حتى تدعوه، وأيم الله لأن يهدي الله على يديك رجلاً خيراً لك مما طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤه يا علي»^(٣).

والثاني: كثرة التأكيد على أن الهداية من الله سبحانه وتعالى؛ وخصوصاً المروي عن الإمام الصادق عليه السلام بأنحاء مختلفة منها قوله عليه السلام: إن الله عز وجل إن أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة من نور وفتح مسامع قلبه ووكل به ملكاً يسده، وإذا أراد بعبد سوءاً نكت في قلبه نكتة سوداء وسد مسامع قلبه، ووكل به شيطاناً يضله ثم تلا هذه الآية ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾^(٤).

(١) دعائم الإسلام ٢: ٣٥٠.

(٢) معاني الأخبار: ٥٥.

(٣) الكافي ٥: ٢٨ ح ٤.

(٤) الكافي ١: ١٦٦ ح ٢، والآية في سورة الأنعام: ١٢٥.

وآية كل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(١).

ومن نافل القول التذكير هنا بأن هذه الهداية بمعنى التوفيق الإلهي والإسناد الرباني الذي لا ينافي أصل الاختيار وحرية الانتخاب إذ أن القدم الأولى يرفعها الإنسان فيأتيه المدد الإلهي والعون الرباني فينكت في قلبه نكتة من نور يشرح بها صدره وتتعاقب الأنوار فيتقرب إلى الله، ومثل ذلك من يختار طريق الشر ويصر عليه فإن الله سبحانه يكله إلى نفسه ويجعل صدره ضيقاً حرجاً لا تؤثر فيه المواعظ ولا يبصر النور.

٩٦٦ . الهادي إلى الرشاد

الرشاد هو إصابة وجه الأمر والطريق، بمعنى الهداية التي تقابل الضلال، فلا تزل بعد تلك الهداية والدلالة أقدام بصيرته، ولا يضل بعد هذه الهداية أنظار فكرته.

قال سطيح بعد ما طلب نساء بني هاشم ليعرف الحامل بالنبي ﷺ فلما جاؤوا بهن ورآهن قال: لقد تركتم من نسائكم اثنتين، الواحدة منهن الحامل بالمولود الهادي إلى الرشاد محمد ﷺ^(٢).

٩٦٧ . الهاشمي

راحت قبيلة قريش لتلقي أوزارها بمكة ويقر لها قراراً بعدما نازعتها القبائل الأخرى وأخرجتها عنها عدة مرات عند ما جمع قصي رابع أجداد النبي ﷺ قريش التي تفرقت في الشعاب والجبال المحيطة بها، لتبلغ أوج

(١) القصص: ٥٦.

(٢) البحار: ١٥: ٣١١.

استقرارها في عهد حفيده هاشم بن عبد مناف بن قصي الذي وقع عليه الاختيار من بين إخوته وغيرهم لصفات توفرت فيه.

فقد خرج هاشم من بطن أمه عاتكة بنت مرة وله صغيرتان كضفيري إسماعيل ووجهه كدارة القمر يتشعشع نوراً فعجب أهل مكة من ذلك، وجاؤا لرؤيته من كل جانب.

وأخذ يترعرع ويكبر محتفظاً بنوره وسؤدده وهو محفوف بالاحترام والتكريم إلى أن حضرت عبد مناف الوفاة فأخذ أبوه عليه العهد الموروث من أجدادهم أن يجتنبوا الفحشاء ولا ينكحوا إلا النساء الزكية ويحفظوا ودائعهم وأحسابهم فكان هذا بمثابة استنابته واستخلافه ليحل محل والده في عشيرته وإدارة قومه، فقبل هاشم العهد وألزمه نفسه.

فسار دائباً في حيازة المفاخر والمكارم وهو يكرم القاصد ويكسو العريان ويطعم الجائع ويفرج عن المعسر ويوفي عن المديون وكان بابه لا يغلق عن صادر ولا وارد، وإذا أولم وليمة أو اصطنع طعاماً لأحد وفضل منه شيء ولم يجد فيه راغب أمر أن يلقي إلى الوحش والطيور حتى تحدثوا بجوده في الأفاق وسوّده أهل مكة بأجمعهم وشرفوه وعظموه وسلموا إليه مفاتيح الكعبة والسقاية والحجاجة والرفادة ومصادر أمور الناس ومواردها.

وفي مراسم تقليدية ومن أجل إعطاء الرسمية والشرعية لزعامته سلموا إليه لواء نزار وقوس إسماعيل وقميص إبراهيم ونعل شيث وخاتم نوح.

فلما احتوى ذلك كله ظهر فخره ومجده وشاع في الأرجاء كرمه وطهارته، فجعلت الملوك ورؤساء القبائل تعرض عليه مصاهرتهم وهو يأبى ذلك.

ولما نهض بأعباء الزعامة قام فيها بأحسن القيام وأخذ يتولى أمور الحجاج ويرعاهم بأفضل ما يمكن، وصار يتخذ بعض التدابير اللازمة لذلك فكان إذا أهلّ هلال ذي الحجة يأمر الناس بالاجتماع في الكعبة، فإذا اجتمعوا قام خطيباً ويقول: معاشر الناس إنكم جيران الله وجيران بيته، وإنه سيأتيكم في هذا الموسم زوار بيت الله وهم أضياف الله، والأضياف هم أولى بالكرامة، وقد خصكم الله تعالى بهم وأكرمكم، وإنهم سيأتونكم شعناً غبراً من كل فج عميق، ويقصدونكم من كل مكان سحيق، فاقروهم واحموهم وأكرمهم يكرمكم الله تعالى.

فكانت قريش على أثر ذلك تخرج المال الكثير للحجاج، وكان هاشم ينصب أحواض الأديم ويجعل فيها ماء زمزم ويملي باقي الحياض من سائر الآبار حتى يشرب الحجاج.

وكان من عاداته إطعام الحاج قبل التروية بيوم يحمل لهم الطعام إلى منى وعرفة بما فيه اللحم والسمن والتمر ويستقيهم اللبن حتى يصدر الناس من منى^(١).

وأفضل ما يذكر من مكارمه وهي التي عرف بها عندما أصاب أهل مكة ضيق وجذب وغلاء ولم يكن عندهم ما يزودون به الحاج، بعث هاشم عيراً إلى الشام وحملها كعكاً، أي الخبز اليابس ونحر جزوراً وطبخها وأطعم الناس الشريد، فعرف به: هاشم الشريد، وليس هو أول من صنع الشريد بل يعزى ذلك إلى النبي إبراهيم عليه السلام فإنه أول من ثرد الشريد، ولكن هاشم أول من هشم الشريد أي كسره، لعدم توفر شيء سوى الخبز اليابس الذي جلبه من الشام، فعرف بهاشم، لأنه هشم الشريد لقومه وللحجاج في العام الجذب، فقال الشاعر:

(١) انظر البحار ١٥: ٣٧.

عمرو العلاء هشم الشريد لقومه
سنت إليه الرحلتين كليهما
ورجال مكة مستنون عجاف^(١)
عند الشتاء ورحلة الأضياف

ففي المجال الاقتصادي قام هاشم بتأسيس رحلتي الشتاء والصيف
التجارييتين، رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام، وذلك
لشراء المؤن وأنواع البضائع حتى صارت مكة مركزاً تجارياً أدى إلى ثراء
قبيلة قريش وغناها.

وكان هو الآخر نشطاً في هذا السبيل يقضي أكثر أيامه في التجارة
حتى توفي في الشام بعد ما تزوج بسلمى بنت عمرو المدنية على أثر رؤيا
رآها وحملت بعبد المطلب فسافر عنها وهي حامل، ولكن الأجل وافاه ولم
ير ولد منها، ذاك الذي أخلفه وقام مقامه بمجدارة كاملة.

ومهما يكن من ذلك فإن شهرة هاشم ومفاخره بمثابة لم يأت بعده
سوى بني هاشم مهما عظمت شوكة أحدهم وبلغ خطرهم، فهو ابن هاشم
ويعرف بهاشم ومن بني هاشم أو هاشمي.

حتى أن الرسول الأعظم ﷺ الذي لا يقاس به واحد من البشر ولا
عامه الخلائق لا يأبى أن ينسب إلى هاشم وأن يكون واحداً من بني هاشم
بل لا يزال يفتخر أنه ابن هاشم ويكرر الانتساب إليه في كلامه وكتبه بل
كانت أكثر كتبه تبدأ بقوله: هذا كتاب من محمد رسول الله العربي
الهاشمي المكي المدني الأبطحي الأمي...^(٢) غير أنه هاشمي لا يوازي كما قال
الإمام الصادق عليه السلام^(٣).

ووجد رجل من أصحاب النبي ﷺ صحيفة أتى بها رسول الله ﷺ

(١) تاريخ الطبري ٢: ١٢، البداية والنهاية ٢: ٣١١، والشعر لابن الزبير.

(٢) انظر مكاتيب الرسول ٣: ٧٤٦، ومكارم الأخلاق: ٤٠٩.

(٣) الكافي ١: ٤٤٤.

فنادى الصلاة جامعة فما تخلف أحد لا ذكر ولا أنثى، فرقى المنبر فقرأها، فإذا هي كتاب يوشع بن نون وصي موسى ﷺ فإذا فيها: بسم الله الرحمن الرحيم... ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله على محمد وأهل بيته النبي العربي الهاشمي^(١).

ومن أجل وجود الاحتمال في انتساب الرسول ﷺ إلى عامة بني هاشم فلا محيص عن التعريف بهم ولا أفضل مما وصفهم به الجاحظ حيث يقول: هم ملح الأرض وزينة الدنيا وحلي العالم، والسنام الأضخم، والكاهل الأعظم، ولباب كل جوهر كريم، وشرف كل عنصر شريف، والطينة البيضاء، والمغرس المبارك، والنصاب الوثيق، ومعدن الفهم، وينبوع العلم ونحن نسلم ذلك في بعضهم كالأئمة من آل البيت ﷺ، بل هم فوق ذلك.

وإذا ابتغيينا الدقة في الوصف نلتجئ إلى سيد البلغاء علي بن أبي طالب ﷺ على ما يروى من أنه سئل عن قريش فقال: «أما بنو مخزوم فريحانة قريش نحب حديث رجالهم والنكاح في نسائهم، وأما بنو عبد شمس فأبعدها رأياً وأمنعها لما وراء ظهورها، وأما نحن فأبذل لنا في أيدينا وأسمح عند الموت بنفوسنا، وهم أكثر وأمكر وأنكر، ونحن أفصح وأنصح وأصبح»^(٢)، هذا وقد تقدم الكلام عن هاشم في عناوين مختلفة مثل ابن هاشم وصاحب الأبناء الأخير.

٩٦٨ . الهدى

جاء الرسول المصطفى ﷺ بالآيات والقرآن والمعجزات والحجج والبراهين والدليل الواضح وهو على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه فأخذ

(١) مهج الدعوات: ٣٧٩.

(٢) نهج البلاغة: ٤: ٢٨.

بأيدي الناس إلى طريق الحق المؤدي إلى السعادة وحصول التطهير من الكفر والذنوب ودعاهم إلى ما يصيرون به أذكاء وسلك بهم طريق الجنة، وكفهم عن المعاصي والقبائح التي تؤدي بهم إلى الخسران والعذاب في هذه الدنيا وحادهم عن سلوك سبيل النار.

وأخذ يعلمهم الكتاب والحكمة وما فيه خيرهم وصلاحهم وقرأ عليهم كتب السابقين ويحثهم على تعلم الكتابة والقراءة وطلب العلم وحذّرهم من أفعال الجاهلية المتمثلة في القسوة والاضطهاد وقتل بعضهم البعض، كما ميز لهم الطيبات فأحلها لهم وبين لهم الخبائث الضارة وحرّمها عليهم.

وبعبارة أَمَسَّ بالحال أنه ﷺ بين لهم وجود مسلكين أحدهما مسلك الجاهلية المسبوك من العصبية والقسوة المتمثلة بواد البنات وقتل بعضهم البعض وغارة القبائل بعضها على بعض والسرقة والشرك بالله والعكوف على الحجارة والخشب وتقديم القرابين لها والغلظة على النساء وسلب حقوق الأولاد والعبيد وشيوع الجهل والامية والوساخة والقذارة والفحش والفجور والتشدد والغلظة.

والآخر مسلك الإسلام المركب من الإيمان بالله وبرسوله وملائكته وأوليائه واليوم الآخر والصلاة والصوم والزكاة والصدقة والتعطف على الضعفاء وإيجاد التحابب والإخاء والرفق بالنساء والأولاد والإحسان إلى الآباء والجيران وعامة المؤمنين ورعاية حقوق الآخرين والتعايش السلمي والحياة المترقية المعتمدة على الطهارة والنزاهة والنظافة والتكريم.

حتى بانّ للناس ووضح لهم أشد الوضوح أن الطريق الأول هو ظلمة لا غير، ولا يجر إلا إلى التمزق والضعف وتكالب الأمم عليهم واستعبادهم وفقدان الأمان والراحة واستحقاق العذاب الذي أصاب الأمم في هذه الدنيا والخزي يوم القيامة.

وأن الطريق الثاني هو طريق السعادة المؤدي إلى إيجاد أمة متماسكة وحضارة زاخرة وأمجاد باقية تنتهي بالفوز بخيرات هذه الدنيا وطيبها ورفاهها والخلود في الجنة والنعيم الواسع.

فإذا جاء النبي ﷺ بذلك التمييز بين الحق والباطل والنور والظلمة والكرامة والهوان لا يسعنا إلا أن نقول جاء الهدى.

فلم يبق سوى السؤال عن المانع الذي منع الناس عن اختيار الطريق الثاني واتباع ذلك النور الذي يسلك بهم إلى الرضوان كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾^(١) المفسر بالرسول^(٢) وعلى أساسه جعل ابن شهر آشوب أحد أسماء الرسول ﷺ هو الهدى^(٣).

والجواب على ذلك يحتاج إلى محل آخر وتحقيق أوسع لتوضيح الأسباب التي دعت الأمة إلى المشي مشي الغراب الذي نسي مشيه وما تعلم مشية العصفور.

٩٦٩ . الهلال البدري

يروى أن مرضعة النبي ﷺ حليلة السعدية قالت: كان الناس في زمان رسول الله ﷺ في جهد شديد، وكنا أهل بيت مجدين، وكنت امرأة طوافة، فكنت في طريقي أسمع العجائب من كل ناحية، لا أمر بشيء إلا استطلت إليّ فرحاً وقال لي: طوبى لنديك يا حليلة، انطلقني فإنك ستأتين

(١) الإسراء: ٩٤.

(٢) البحار: ١٦: ١٠٢.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣١.

بالنور الساطع، والهلل البدرى^(١).

والمشاهد أن الإنسان إذا كان له إحساس جيد وكان متفائلاً فإنه سيجد كل شيء في الوجود ضاحكاً مبشراً له محبوباً لديه بخلاف ما إذا كان آيساً محزوناً فإنه سيجد كل شيء في الوجود مغبراً كدرأً ومعزياً، وتظلم الدنيا في عينه فكانها تتكلم معه وتخزنه.

فلعل كلام الأشياء مع حليلة كان بهذا النحو الذي يسمى لسان الحال ويكون التعبير من حليلة كواحدة من بني سعد المعروفين بالفصاحة وجزالة اللفظ.

ولكن بعد ما كان المعروف أن الهلال ما لا يستتم كماله ولم يكتمل نموه فكيف يكون بدرأً والبدر هو ما استتم كماله وكمل نموه؟

وجوابه يظهر بالتأمل في هذه الصفة فإن فيها من الدقة والظرافة أبلغها، حيث إن الهلال يأتي في الغالب كناية عن قصر العمر وقصر الظهور والبزوغ لأن النبي ﷺ لم يكن ظهوره سوى سنوات ويدخل جميع ما سبق تلك الفترة في الحاق والتستر.

وصفة البدرى للدلالة على تمامية نوره من اليوم الأول، فهي صفة للهلال ولا تريد حليلة القول هو هلال وبدر، بل تريد القول هو هلال بصفة البدر.

(١) تاريخ الطبري ١: ٥٧٥، المنتقى في مولد المصطفى ب ٣ القسم الثاني.

حرف الواو

الأسماء المصدرة بحرف الواو

٩٧٠ . وارث علم آدم

هذا يعني أن كل ما احتمله آدم عليه السلام من العلم قد وصل إلى نبينا ليدل على وجود ذلك السلك المتصل الحافظ للعلم السماوي والناقل له عبر تارات الزمان وبرهات العصور المتمادية.

والخصوصية في علم النبي آدم عليه السلام هو أن علمه علم العالم الأرقى الذي انتقل منه إلى الأرض، ويكون قد صحبه معه حين هبط إلى الأرض الفاقدة للرقى، وهو علم يتناسب مع تطور ذلك العالم وتقدمه ويتلائم مع إمكاناته ودراية أهله، ذلك العالم الذي يعبر عنه بالجنة.

ولا شك أن علمه ذاك أوسع من ظرفية هذه الأرض وإمكاناتها بل يختلف عنها نسخاً وكماً وكيفاً، وحاله حال من يعلم بمستلزمات الحياة في المدن الحديثة وكيفية الاستفادة الصحيحة من مؤسساتها ومنشأتها وكل الوسائل المتطورة فيها ويعرف قوانينها ومقرراتها إذا انتقل إلى قرية صغيرة منقطعة عن العمران وبعيدة عن الصنعة والتمدن وليس فيها شارع ولا مصنع ولا دوائر دولة ولا وسائل نقل أو اتصالات حديثة فترى أين يكون علمه ذاك الذي تعلمه وكيف يتلقاه أهل تلك القرية، وهل يحقق في أذهانهم سوى خيالات وتوهمات ليس أكثر.

ولذلك كان كلام آدم عليه السلام وسائر الأنبياء على الدوام عن أمور لا يعيها البشر ولا يسعهم استيعابها وفهمها بالشكل الصحيح ولا يتولد

عندهم سوى الخيالات والمبهمات، كالذي يتخيله الناس عن الجنة والنار والقيامة والحشر حال القروي الذي يسمع عن السينما والمصنع والطائرات وغيرها ولم ير منها شيئاً ولا ما يشابهها، ولذا تجد الأنبياء بعد التبليغ المستمر والتعليم الدائب يقولون: اللهم اغفر لقومنا فإنهم لا يعلمون.

وبذلك وأمثاله تتجلى الأهمية في وصف النبي ﷺ بأنه وارث علم آدم عليه السلام بعد أن علمنا أن علم آدم عليه السلام عن حس ومعينة ولأنه لس كل شيء عن قرب.

وإذا كان هناك زيادة وامتياز في علم النبي ﷺ على علم آدم عليه السلام فهي متأتية من عروج النبي ﷺ إلى السماء ورؤيته ما رأى من آيات ربه الكبرى والجنة والنار الحقيقيتين وكذا معيخته ملكوت السماوات فتعلم جميع ما علمه آدم وزاد عليه باقترابه ووصوله إلى ما لم يصل إليه عليه السلام بالإضافة إلى العلم المكتسب بالتجارب على مر الأزمنة ونزول الوحي المتكرر وهبوط الملائكة وعروجهم بشتى العلوم التي تكاملت بمرور الأيام حتى كان علم النبي ﷺ أكثر من علوم جميع الأنبياء.

على أن هذا الوصف جاء في كلام أبي ذر الغفاري بعد ما بايع الناس أبا بكر فدخل المسجد وقال: أيها الناس إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم - إلى أن قال - فأهل بيت نبيكم هم الآل من إبراهيم... فمحمد ﷺ وصي آدم ووارث علمه^(١).

وفي رواية أخرى: محمد وارث علم آدم وما فضل به النبيون^(٢).

(١) تفسير فرات: ٢٦.

(٢) تاريخ يعقوبي: ٢: ١٧١.

٩٧١ . وارث النبيين

مواريث الأنبياء هي علومهم بالدرجة الأولى وما تركوه من معداتهم كعصا موسى وخاتم سليمان وتابوت داود ومكايل شعيب وقوس إسماعيل وقميص يوسف ونعل شيث وغيرها.

ونهاية ما يسعنا دركه حول علوم الأنبياء هو معرفة الدرجة والمقياس لعلومهم حتى نعلم مقدار علم كل نبي إذا قيس إلى علم النبي الآخر أو عامة الأنبياء.

والأخبار قد وضعت مقياساً ودرجة لطلق العلم وسمت كل درجة منه حرفاً، وعرفت المقياس بأنه ما يشتمل على ثلاثة وسبعين حرفاً، ثم ذكرت مقدار ما كان يمتلكه كل نبي.

فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام: «أن عيسى بن مريم أعطي حرفين وكان يعمل بهما وأعطي موسى بن عمران أربعة أحرف، وأعطي إبراهيم ثمانية أحرف، وأعطي نوح خمسة عشر حرفاً، وأعطي آدم خمسة وعشرين حرفاً، وإنه جمع الله ذلك ل محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته وإن اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً أعطى الله محمداً صلى الله عليه وآله اثنين وسبعين حرفاً وحجب عنه حرفاً واحداً»^(١).

فهي تفرض خصوصية لعلم آدم عليه السلام وبلوغه خمسة وعشرين حرفاً بينما علم النبي عيسى لا يتجاوز حرفين مع أنه كان يحيي الموتى ويبرئ الأبرص والأكمه والأعمى ويمشي على الماء.

ولو فتحنا باب الحديث في هذا الباب لانفتح منه ألف باب للسؤال والجواب، منها السؤال عن وراثته كل نبي لسابقه وعدمها، وكيفية وصول ذلك العلم إلى النبي اللاحق وانتقاله إليه من السابق مع تمادي الفترة

(١) بصائر الدرجات: ٢٢٨، ٢٠٣، ومثله في الكافي: ١، ٢٣٠، ح ٣.

وطول المدة، وهل يرث كل نبي جميع علوم سابقه وهل يلزم أن تكون علومه هي نفس علوم السابق أو أنها تختلف عنه بالمرّة وتتناسب مع فترته واحتياجات عصره، والسؤال عن حقيقة هذه الحروف ومدى القدرة الحاصلة منها بعد أن علمنا أن العلم يساوق القدرة.

كما يأتي السؤال عن تناقص العلم أو تزايد العلة في ذلك والسبب في ذكر بعض الأنبياء وأين علم من سواهم، ثم ما الفائدة في امتلاك الأنبياء لكل تلك العلوم وتلك القدرة إذا لم ينتفعوا بها ولم يظهر منها شيء، وإذا ظهر فماذا ظهر منهم، كل ذلك وغيره تساؤلات تطرح نفسها لا نرى الحاجة في الخوض فيها بعد ما كانت غايتنا هي بيان أصل وراثته الرسول المصطفى ﷺ لعلوم الأنبياء، ولا بأس بالإشارة إلى آثار تلك الحروف وما يترتب عليها من القدرة، حيث يروى أن آصف بن برخيا وصي سليمان عليه السلام كان عنده من تلك الحروف واحد فتكلم به فحسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس ثم تناول السرير بيده ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين^(١)، فهو مرتبة عالية من العلم لا يمكن تخيلها ولا يقاس بها كل التقدم الموجود في العالم، وكذا عيسى بن مريم الذي أُعطي منها حرفين كان يجيب بهما الموتى ويبرئ بهما الأكمه والأبرص، فهو دليل آخر على عظم ذلك وعدم قياسه بشيء من علم الأرضيين مهما تقدم وتكامل.

ومهما يكن من ذلك فإن الروايات تؤكد على أن النبي ﷺ ورث علوم جميع الأنبياء والمستفاد من مجموعها اختلاف نسخ الحروف التي كانت عند الأنبياء فيما بينها، وأن بعض الحروف التي عند بعض الأنبياء قد تتغاير عن البعض الذي عند النبي الآخر.

(١) الكافي ١: ٢٣٠: ٢، بصائر الدرجات: ٢٢٨: ١.

فقد روي عن أبي الحسن الأول عليه السلام وقد سئل عن النبي هل ورث النبيين كلهم؟ فقال: «نعم» فقيل: من لدن آدم عليه السلام حتى انتهى إلى نفسه؟ فقال: «ما بعث الله نبياً إلا ومحمد عليه السلام أعلم منه» فقيل: إن عيسى بن مريم كان يحمي الموتى بإذن الله، قال: «صدقت وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير، وكان رسول الله عليه السلام يقدر على هذه المنازل».

وقال: «إن سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده وشك في أمره فقال: مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين حين فقده، فغضب عليه فقال: لا عذبه عذاباً شديداً، أو لأذبحنه، أو ليأتيني بسلطان مبین، وإنما غضب لأنه كان يدله على الماء، فهذا هو طائر قد أعطي ما لم يعط سليمان وقد كانت الريح والنمل والجن والإنس والشياطين والمرقة له طائعين، ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء، وكان الطير يعرفه، وإن الله يقول في كتابه: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتُ﴾ ونحن نعرف الماء تحت الهواء وإن في كتاب الله لآيات ما يراد بها إلا أن يأذن الله به»^(١).

ويسبق السؤال عن كيفية انتقال ذلك العلم كله إلى النبي عليه السلام فهو في حالة من الإبهام بعد تسليم أصل علم الرسول عليه السلام بما كان يعلمه الأنبياء السابقون، ولكن هل انتقل إليه كما تنتقل الأموال في الإرث وكما هو جارٍ في العلوم اليوم بحيث يتنقلها التلميذ من أستاذه والقارئ من الكاتب وهي في تزايد مستمر؟

لا أظن أنه بذلك النحو، ولا يمكن إحراز نوع السلك الذي وصل عبره العلم إلى النبي عليه السلام وهل هو مادي يرتبط بهذا العالم، أو سلك سماوي يرتبط بالعالم ما وراء المادة أو شيء آخر، فهو بحاجة إلى دراسة متكاملة.

(١) الكافي ١: ٢٢٦، البحار ١٤: ١١٢، والآية في سورة الرعد: ٣١.

وأما الحديث عن معدات الأنبياء فنكتفي بالإشارة إلى كثرة النقل وتوافر الأخبار عن احتفاظ الأنبياء والأوصياء ببعض تلك المعدات ووصولها يداً بيد أو بالدفن، فقد تقدم في عنوان الهاشمي الحديث عن وصولها إلى هاشم جد النبي ﷺ واحتفاظه بها، بينما تؤكد الأخبار على وصولها إلى النبي ﷺ وأوصيائه لتجتمع جميعها عند المهدي من آل محمد ﷺ.

فقد روي أن الصادق ﷺ قال: «كل نبي ورث علماً أو غيره فقد انتهى إلى آل محمد»^(١).

وفي رواية عن أبي جعفر ﷺ أنه قال: «كانت عصا موسى لآدم ﷺ فصارت إلى شعيب ثم صارت إلى موسى بن عمران، وإنها لعندنا، وإن عهدي بها أنفاً وهي خضراء كهيتها حين انتزعت من شجرتها وإنها لتنطق إذا استنطقت أعدت لقائنا ﷺ يصنع بها ما كان يصنع منها...»^(٢).

٩٧٢ . واسع الجبين

روي أن الحسن بن علي ﷺ قال: «سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله ﷺ وكان وصافاً للنبي ﷺ فكان فيما قال: كان رسول الله ﷺ ... أزهر اللون واسع الجبين»^(٣) وقد تقدم الكلام عن ذلك في عنوان أوسع الناس جبهة وصاحب الجبين الأزهر وصلت الجبين بما فيه الكفاية.

والجبين هو الجبهة أو ناحية منها وقد يجيء التعبير بالجبينين للدلالة على طرفي الجبهة الأيمن والأيسر، وهنا أريد الجنس أي عامة الجبهة.

(١) الكافي ١: ٢٣٢ ح ٥.

(٢) الكافي ١: ٢٣١.

(٣) عيون أخبار الرضا ﷺ: ١٧٦، ١٧٨، البحار ١٦: ١٤٩.

٩٧٣ . واضح الخدين

يروى أن عبد الله بن سليمان الذي كان قارئاً للكتب قال: قرأت في الإنجيل: يا عيسى جدّ في أمرى... صدقوا النبي الأمي العربي صاحب الجمل والتاج والمدرعة والتعلين والهراوة، الأنجل العينين، الصلت الجبين، الواضح الخدين....^(١)

٩٧٤ . واضع الإصر والأغلال

تمتاز الشريعة الإسلامية على سائر الشرائع بميزة مهمة، وهي أنها تعطي الفرد المسلم حرية أكثر للانفعال بمتطلبات الحياة والمشى في مناكب الأرض والتنوع في طلب الرزق وفتح الآفاق وتسخيرها لخدمة الإنسان.

فهي وإن تقسم الناس إلى مؤمن متمسك بدينه وآخر كافر أو فاسق لا يكثر بأمر الدين غير أنك تستطيع أن تجد المؤمن الأفضل في السوق والمصنع والمزرعة والملعب والمنتزه والمصيف وفجاج البحار وداخل المعدن وغير البلاد الإسلامية من بلدان العالم يمارس شتى أنواع العمل عدا المحظورات.

ولا يلزم أن يكون المؤمن الملتزم بدينه هو من تجده في المسجد على الدوام كعباد بني إسرائيل أو المنعزل في قمم الجبال كالرهبان النصارى، أو التارك للدنيا بتمام معنى الكلمة الزاهد فيها اللابس لرتب الثياب، بل قد تجده في أفخر الملابس وأنضر وجه وأحسن حالة لكن لا يوازيه أحد في دينه وإيمانه وقربه من رب العالمين.

وحتى قد تجد ذلك المؤمن بين من عرف بارتكاب الذنوب والمعاصي

(١) إكمال الدين: ١٥٩، أمالي الصدوق: ١٦٣، البحار: ١٤٤، ١٦، تاريخ مدينة

دمشق: ٣٩٨، البداية والنهاية لا بن كثير: ٢: ٩٣.

ولا يظهر العبادة والاعتقاد، ولكن له أعمال تنبئ عن عميق إيمانه لا يطلع عليها أحد أو لا يراها الناس كذلك.

كل ذلك بفضل وضع النبي ﷺ للأصار والأغلال كما أنبأ عنه الكتاب العزيز: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾^(١).

ولما كانت الآية ترتبط بأهل الكتاب نوعاً ما ذهب أكثر المتعرضين لهذه الآية وهذا الوصف إلى أن المراد هو رفع التكاليف الثقيلة التي كانت مفروضة في الأمم السابقة مثل فرض الغسل والوضوء بالماء وعدم كفاية التيمم في أشد الأحوال، ولم يحل لهم الصلاة إلا في البيع والكنائس والمغاريب، وكان الرجل إذا أذنب جرح نفسه جرحاً متيناً، أو خرج نفسه منتناً، فيعلم أنه أذنب، وإذا أصاب أحدهم شيء من البول قرضوه بالمقاريض، وإذا أذنب أحدهم بعضو من الأعضاء قطعه، وإذا أصابوا غنيمة أحرقوها، ويحرم عليهم العروق في اللحم والصيد يوم السبت، وإذا قاموا للصلاة لبسوا المسوح وغلوا أيديهم إلى أعناقهم، وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها إلى السارية يحبس نفسه على العبادة، وفي مجال الجنائيات ثبت عليهم القصاص في الخطأ، وكذا اشتراط صحة التوبة بقتل النفس وغير ذلك، فرجع ذلك رسول الله ﷺ عن متبعيه^(٢) ووسع عليهم ما بين السماء والأرض.

(١) الأعراف: ١٥٧.

(٢) انظر تفسير القمي ١: ٢٤٢.

وقيل: المراد بالأحبار هي الذنوب التي اقترفوها في حال الكفر والضلال فأخبر الله سبحانه وتعالى أن يضعها عنهم^(١)، وقيل: هي العقوبة.

وقيل: هي العهود المؤكدة الصريحة التي كانت في ذمهم والتي تشبط ناقضها عن الثواب والخيرات، أو التي تجر إلى العذاب الإلهي في هذه الدنيا.

وإنما نشأت هذه الأقوال من تكثر معاني كلمة الإصر في اللغة تلك التي منها الثقل ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾^(٢) أي لا تحمل علينا أمراً شاقاً وثقيلاً.

ومنها: العهد أو العهد الثقيل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْتُ عَلَىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِي﴾^(٣) أي عهدي.

ومنها: الذنب أو الذنب العظيم.

ومنها: الخابس الذي يأصر حامله أي يحبسه في مكان.

ومنها: ما قالوا من أن الإصر الحبس، وهو أن يجبسوا أمواتهم بأفئنتهم فلا يرعونها لأنهم لا يجدون مرعى، وكذلك الإصر يأصرونها ولا

(١) روي في قوله تعالى: ﴿يَسْخَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ﴾ هي الذنوب التي كانوا

فيها قبل معرفتهم فضل الإمام، والأغلال ما كانوا يقولون مما لم يكونوا أمروا به من ترك فضل الإمام فلما عرفوا فضل الإمام وضع عنهم إصرهم، الكافي

٤٢٩:١ ح ٨٣.

(٢) البقرة: ٢٨٦.

(٣) آل عمران: ٨١.

يسرحونها، وهذا لشدة الزمان، وكل شيء عطفته على شيء فهو أصر من عهد أو رحم فقد أصرت عليه وأصرته، ويقال: ليس بيني وبينه أصرة رحم تأصرني عليه، وما بأصرني عليه حق أي يعظفني.

والذي نفهمه من جميع الكلام الدائر حول الإصر والأغلال هو أن الإصر ما يربط الإنسان في موضع ويجبسه ويمنعه عن التحرك بالمرة، والأغلال هي القيود المعيقة عن الحركة المستلزمة لبطء السير والتقدم.

وبالالتفات إلى نسبة وضع الإصر والأغلال إلى النبي ﷺ دون أصل الشريعة والأحكام الإلهية الثابتة، فلا محيص عن تحري ما يصح نسبته إلى النبي ﷺ من المصاديق والتطبيقات للأصار والأغلال الموضوعه.

ولعل من تلك الأصار هو طلب الرسول ﷺ من ربه تقليل الصلوات المفروضة إلى خمس صلوات ولو تركت كما هي مطلوبة ابتداءً أعني خمسين صلاة أو مائة صلاة لأدت إلى ربط المسلم الملتزم وحبسه في مكانه لأدائها، بحيث لا يتمكن من ممارسة أي نشاط آخر.

ومن تلك الأصار الموضوعه هي الذنوب العظيمة أو الكثيرة المغفورة بشفاعه الرسول ﷺ والتي يؤدي عدم اغتفارها إلى اليأس والقنوط المثبط للإنسان عن فعل الخيرات وعن الوصول إلى مدارج الثواب أو تؤدي إلى العذاب الإلهي في هذه الدنيا لولا وجود الرسول ﷺ المضمون له عدم العذاب مادام فيهم وماداموا يستغفرون، فكل ذلك مما يربط الإنسان ويمنعه إما عن مزاوله أعماله اليومية أو تحصيل الخير والنفع الأخرى.

وأما الأغلال فهي كل التكاليف الثقيلة كالإلزام بالوضوء من دون إباحة التيمم، والصلوة في المسجد دون سائر الأرض، وعدم حلية الغنائم والمؤاخذه على الخطأ والنسيان التي كان رفعها ووضعها من مختصات هذا الرسول وأمة الرسول المستفاد من مثل قوله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطها

أحد قبلي: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، ونصرت بالرعب، وأحلّ لي المغنم، وأعطيت جوامع الكلم، وأعطيت الشفاعة»^(١) ومثل قوله ﷺ: «وضع عن أمتي تسعة أشياء الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه وما لا يعلمون وما لا يطيقون والطيرة والحسد والتفكر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق الإنسان بشفة»^(٢) المعروف بحديث الرفع.

فإن تلك الأمور التي ذكرناها تعيق الإنسان عن الحركة والمسير في مناكب الأرض وابتغاء الرزق وتؤدي إلى بقاء تقدمه في المجالين الدنيوي والأخروي، بيد أن صعوبة الدين وعدم وجود المرونة فيه سيؤدي إلى تركه بالمرّة كما هو الحال في الديانة المسيحية التي تركها أغلب المسيحيين ورفضوها بالمرّة فعزلوا الدين وأهله عن الدنيا وأهلها.

ولعل المرونة التي يتحلّى بها الدين الإسلامي والسماحة التي اعتمدها هي من شخصاته الأساسية وصفات الرسول الرئيسية والتي يعبر عنها بوضع الأصار وعن الرسول ﷺ بوضع الإصر والأغلال كما فعل ذلك ابن شهر آشوب^(٣) وهو مستفاد من الآية المارة.

ويرى البعض أن الأصار والأغلال التي في الشرائع السابقة هي نتيجة ما ابتدعه الرهبان والحاخامات والملل أنفسهم كالرهبانية التي ابتدعوها وما كتبت عليهم، ومثل مقاومتهم لأي تقدم علمي واكتشاف جديد فشكّلوا محاكم لتفتيش العقائد وقاموا بحرق الكتب وسجن وقتل العلماء، بينما الدين الإسلامي يرفض كل تلك التشددات والأصار ويعطي الحرية للإنسان بل ويدفعه لطلب العلم والاكتشاف والتقدم.

(١) الخصال: ١٠٢، أمالي الصدوق: ٢٨٥، البحار: ١٦: ٣٢٣.

(٢) الفقيه ١: ٣٦ ح ١٣٢.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٣.

٩٧٥ . الواعي لوحي الله

كان رسول الله ﷺ يقول: «فصم عني الوحي وقد وعيت ما قال»، ليدل على أن مرتبة الوعي لما يوحى إليه غير أصل الوحي، ويشعر بأن الوعي فيه نوع من الكلفة والصعوبة، مما يشهد به العنوان المبحوث والحال التي يكون عليها الرسول ﷺ عند نزول الوحي من الاكتئاب والتثاقل كما سيأتي جميعه في عنوان الوحي.

ولما كنا لا نعرف حقيقة الوحي فإن من الصعب معرفة سبب الغموض فيه والحاجة إلى صرف الطاقة لوعيه ودركه، وغاية ما نعيه احتمالان:

الأول: هو وجود الصعوبة في أصل تلقي الوحي لعدم وضوح القول أو الإشارة التي يتلقاها الوحي إليه شأنه شأن من يتلقى الكلام من متكلم بعيد فهو بحاجة إلى الإصغاء الجيد والإمعان وملاحظة الإشارات والقرائن، أو مثل كلام المتخفي بكلامه عن الآخرين يتكلم بصوت خافت، فإن وعي كلامه بحاجة إلى ملاحظة حركة الشفاه والإشارات.

وبصورة كلية يحتاج درك الوحي بحقيقته إلى بذل جهد ونباهة عالية تحصل من حالة خاصة كالتي كانت عليها أم موسى عليه السلام حينما أوحى إليها أن تلقيه في اليم فهي فارقة تتشحد ذهنها لوجدان المخلص بحيث يكفيها أقل إشارة وتنبه لمعرفة السبيل.

والذي يقوي هذا الاحتمال ما روي من أن النبي ﷺ كان عند نزول الوحي يحرك لسانه وشفتيه ويعالج من ذلك شدة كما يأتي.

الثاني: هو أن نرفض وجود أي صعوبة في أصل تلقي الوحي والالتزام بوضوح الكلام الصادر من الملك، ولكن نعزو ذلك الغموض إلى اختصار الكلام وسعة المعاني المرادة بحيث يحتاج فتحه ومعرفة دقائقه

إلى وعي ودرك لا يتوفر إلا عند النبي ﷺ، بحيث كان هو الآخر بحاجة إلى بذل الجهد واستعمال قدراته العقلية وملاحظة القرائن والشواهد الأخرى، كما هو الحال في القرآن، فإنه حمالة ذو وجوه يحتاج درك باطنه ودقائق أحكامه إلى مرتبة عالية من الوعي والرسوخ في العلم.

ولعلك مثلي تقول: لا هذا ولا ذاك ولا يأتي هذان الاحتمالان بشيء سوى تقريب فكرة، ولم نحز أي تقدم سوى ترسيخ فكرة فصل الوعي عن الوحي، وهو الأمر الذي لا يعرفه سوى أقرب المقربين من النبي ﷺ أعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه قال في بعض خطبه: «اللهم اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق... واعياً لوحيك»^(١).

٩٧٦ . وافر السبلة

قال بعض من وصف رسول الله ﷺ: رأيت وافر السبلة^(٢)، غير أنني في شك من هذا الوصف بعد عدم نهوض روايته وتزوم تفسيره بما على الشارب من الشعر، وهو الأمر بإعفاء اللحي وحلق الشارب، ولكن فسره بعض اللغويين بالشعرات التي تحت اللحي الأسفل وقال: إن السبلة عند العرب مقدم اللحية وما أسبل منها على الصدر؛ ويقال للرجل إذا كان كذلك رجل أسبل، ومسبل إذا كان طويل اللحية^(٣)، وبذلك تتوجه الأخبار بوصف جماعة من الصحابة النبي ﷺ بأنه وافر السبلة^(٤).

(١) نهج البلاغة ١: ١٣٠، البحار ١٦: ٣٧٨.

(٢) الفائق في غريب الحديث للزمخشري ٣: ٢٥١.

(٣) انظر النهاية لابن الأثير ٢: ٣٣٩، ولسان العرب ١١: ٣٣٢.

(٤) انظر مناقب آل أبي طالب ١: ١٠٧، والبحار ١٦: ١٨٠، ج ٢٠.

٩٧٧ . الوالد

رسول الله ﷺ والد بمعنيين وكل منهما محتمل للإرادة في هذا العنوان، فالمعنى الأول هو الولادة الحقيقية بالمعنى المعروف بين الناس والمأنوس في الأذهان، ويمقتضى ولادته لفاطمة الزهراء عليها السلام والأئمة المعصومين من أبنائها الذرية الطاهرة، فقد روي في خبر طويل في قوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَكَّدَ﴾ قال: «أما الوالد فرسول الله ﷺ، وما ولد يعني هؤلاء الأوصياء»^(١) على أن القسم بالوالد والمولود دليل على تمجيد الله سبحانه وتعالى لهذا الجانب وهذه الصفة للرسول ﷺ أي صفة كونه والداً لذرية طاهرة عظيمة النفع والمنزلة، كما أن القسم بالمولود دليل آخر على ارتفاع مجدهم على جميع ما يراه الأمة لهم من الفضل والمجد.

والمعنى الثاني: هو الاعتباري والاستنباطي لكلمة الأب والوالد، حيث كل من يكون سبباً في إيجاد شيء وإصلاحه أو ظهوره فهو أب، ولذلك سمي النبي ﷺ أبو المؤمنين أو أبو الأمة كما مر.

وذلك لأن الرسول ﷺ هو السبب في وجود الأمة الإسلامية بما هي أمة إسلامية، وهو السبب في وجود المسلم بما هو مسلم، وقد يكون هو السبب في صلاح الإنسان وإن لم يكن مسلماً، وهناك معنى آخر أشرنا إليه في عنوان أبو الأمة.

ومهما يكن من ذلك فقد وردت الأخبار في ذلك منها المروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أنا أحد الوالدين وعليّ الآخر» وحينما سئل

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ٢٤٤، وفي رواية أخرى يذكر فيها الأئمة ثم يقول: وهم

الذين أقسم الله بهم فقال: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَكَّدَ﴾ أما الوالد فرسول الله ﷺ وما

ولد يعني هؤلاء الأوصياء «بصائر الدرجات: ٣٩٢، والآية في سورة البلد: ٣.

عن موضع ذلك في كتاب الله فقال: «قوله: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾»^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام وذكر هذه الآية ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ فقال: «رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد الوالدين» فقليل: ومن الآخر؟ قال: «علي»^(٢).

٩٧٨ . الوالي

المراد بكلمة الوالي هو الأمير والحاكم الذي يحكم البلاد وتطعيه الرعية وله وظائف معينة يرى نفسه ملزماً برعايتها.

والمروي أنه لا بد للناس من أمير بر أو فاجر، يكفأ بعض الرعية عن بعض، وينتظم به شمل الناس، حتى لا يتكالب الأشرار ويعدو بعضهم على بعض وتعم الفوضى ويطول التشاجر.

وباعتقادي أن هذه اللابدية ليست تشريعية بمعنى وجوب أن يكون للناس أمير أو وجوب أن ينصب الناس عليهم أميراً، ولو تركوه فعلوا محرماً، والمراد بتلك اللابدية بمعنى القهرية والتحقق العفوي، خصوصاً مع وجود حس التفوق عند كثير من الناس مع امتلاكهم لوسائله ومقوماته التي تختلف من زمان إلى زمان، ومن مكان إلى مكان، فقد تكون إحدى المقومات هي القدرة البدنية التي يهابه معها الآخرون ويخضعون له ويسعون في التقرب منه ويتمهد له الخاشية والأتباع ويتعاضمون حتى يكون له شوكة وقدرة يستطيع معها من بسط نفوذه على العموم ويصبح

(١) تفسير فرات: ٣٥ والآية في سورة النساء: ٣٦.

(٢) الكافي ٥: ٤٢٠ ح ٢، والآية في سورة العنكبوت: ٨.

والياً على مدينة أو قرية أو مصر، والغالب في إطلاق كلمة الوالي على حاكم مصر.

وقد يكون السبب هو تمويل الشخص وامتلاكه للعقار والجنان التي تأخذ بعيون الآخرين فيسعون في التقرب منه والتزلف إليه طمعاً بما في يده.

وقد يكون هو حنكته وذكاؤه أو حتى شدة مكره بعد ما يكون طالباً للترؤس فيستفيد من عوامل كثيرة كإيقاع الفتنة والاستعانة بالوعد والوعيد، وتشكيل الأحزاب وإثارة الفتن وإيجاد الدواعي المحفزة للمطالبة بالتغيير والتحول وحصول الأمل عند الناس باتباع المتحمس لذلك الشخص والسير على خطاه من أجل الوصول إلى التغيير المطلوب.

ولكن الغالب في الحكومة هو الوراثة، وجلوس الابن أو الأخ في مجلس أبيه أو أخيه الراحل أو المخلوع، وحتى مثل حكومة الأحزاب قد يدخل في إطار الوراثة ولكن ليست وراثة الابن والأخ وإنما هي وراثة الرفيق الحزبي لرفيقه الآخر.

وهكذا كلما تقدم الزمان تتعقد هذه المقومات وتأخذ طابعاً منسجماً بحسب الظاهر ويخفى فيه ما لا يحصى من العوامل والمقومات، وكلما يزداد عدد الناس يتعدد الحكم الحقيقيون وإن كان الحاكم الأول واحداً بحسب الظاهر.

ويستفاد من بعض الأخبار أن هذا الحال متحقق بين كل جماعة وإن قلّوا وحتى لو اجتمع اثنان يكون أحدهما هو المسير للآخر بامتيازات ذاتية أو عرضية.

ولكن النظرية الإسلامية ترفض جميع تلك المقومات مهما اشتركت مع النظريات الأخرى في أصل لزوم الأمير، وتعديل إلى موازين مغايرة،

أهمها هو اختيار الله سبحانه وتعالى لذلك الوالي وتعيينه من قبله.
فالوالي هو الذي ولّاه الله سبحانه وتعالى وجعله والياً على الناس
أو الرسول ﷺ أو الإمام المنصوب من قبل الله سبحانه وتعالى.

فقد كان رسول الله ﷺ والي المسلمين المنصوب من قبل الله سبحانه
وتعالى، ثم كان الوالي الشرعي للمسلمين من بعده علي بن أبي طالب عليه السلام،
وكذا كل من نصبه الرسول ﷺ أو أمير المؤمنين عليه السلام والياً على بعض
الأمصار، وكل من تولى أمور المسلمين من غير ذلك السبيل فهو والٍ غير
شرعي.

ولذلك روي أن رسول الله ﷺ قال: «أول ما خلق الله نوري ابتدعه
من جلال عظمته... فنحن الأولون... ونحن الولاية»^(١).

وهذا لا يعني أن الدين الإسلامي لم يتعرض للصفات المعتمدة في
الوالي فإن المنصوب من الله سبحانه وتعالى يحتاج إلى نصب ولاة على
الأمصار يعرف صلاحيتهم، ولكن تجده ملزماً بأن يبين الوجه في صلاحيته
حتى لا يختار الناس سواه ويقع التضاد بين اختيار الوالي المنصوب
والرعية، وحتى إذا ترك الاختيار للناس في اختيار الوالي يلاحظون تلك
الصفات فيختارون الأقرب إليها.

فأول تلك الصفات علمه بل أعلميته من جميع الرعية فما من قوم
ولوا عليهم إمرأاً وفيهم من هو أعلم منه إلا وكان أمرهم إلى سفال كما
جاء في الأخبار^(٢).

وأما سائر الصفات فهي أن لا يكون بخيلاً فيكون منهوماً في جمع

(١) البحار ٢٥: ١٣٣.

(٢) السرائر ٣: ٦٣٥، اغناس ١: ٩٣ ح ٤٩، وانظر شرح الأخبار ١: ١٩٦.

أموال الرعية وادخارها، وأن لا يكون جافياً غليظاً فيقطعهم بجفائه ولا الحائف الذي يتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة، كما جاء في بعض خطب أمير المؤمنين عليه السلام.

٩٧٩ . وجه الله

ليس لله وجه كالوجوه ولا هو جسم محدود بمكان أو زمان حتى يقال في هذا المكان وجهه وفي ذلك المكان قفاه بل من وصف الله بشيء من ذلك فقد كفر، فما معنى وجه الله إذن؟

والجواب هو أن المراد بوجهه أنبيأؤه ورسله والأئمة المعصومون عليهم السلام، بيد أن الوجه لكل شيء هو ما يواجهك به ويستقبلك به ويكلمك منه، ووجه الله سبحانه وتعالى إلى عبده والجهة التي أمر أن يتوجه إليها ويسمع الكلام منها ويستقبل الناس منها هم أنبيأؤه وحججه، ولذا من جاء من غير وجهه رفضه، ومن جاءه من غير طريق الأنبياء بأن آمن به ولم يؤمن بالأنبياء ولم يتبعهم فهو آتٍ من غير الوجه فهو مرفوض مثل قصة عابد بني إسرائيل الذي عبد الله حتى صار مثل الخلال، فأوحى الله إلى نبي من أنبيائه في زمانه قل له: وعزتي وجلالي وجبروتي لو أنك عبدتني حتى تذوب كما تذوب الإلية في القدر ما قبلت منك حتى تأتيني من الباب الذي أمرتك^(١).

أي من طريق ولاية أنبياء الله وأوصيائهم ومتابعتهم^(٢).

(١) المحاسن ١: ٩٧ ح ٥٩ ..

(٢) وفي رواية أخرى أن موسى عليه السلام مر برجل وهو رافع يده إلى السماء يدعو الله فانطلق موسى في حاجته فبات سبعة أيام ثم رجع إليه وهو رافع يده إلى السماء فقال: يا رب هذا عبدك رافع يديه إليك يسألك حاجته ويسألك المغفرة منذ

ويمكننا أن نستلهم هذه المعاني من جواب الإمام الرضا عليه السلام حينما جاء أبو الصلت الهروي يسأله وقال: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فما معنى الخبر الذي رووه أن ثواب لا إله إلا الله النظر إلى وجهه الله؟ فقال عليه السلام: «يا أبا الصلت فمن وصف الله بوجهه كالوجه فقد كفر، ولكن وجه الله أنبيأؤه ورسله وحججه عليهم صلوات الله هم الذين يتوجه بهم إلى الله عز وجل وإلى دينه ومعرفته، فقال الله عز وجل ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾. وقال الله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فالنظر إلى أنبياء الله ورسله وحججه عليهم السلام في درجاتهم ثواب عظيم للمؤمنين، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: من أبغض أهل بيتي وعترتي لم أره يوم القيامة، وقال: إن فيكم من لا يراني بعد أن يفارقني، يا أبا الصلت: إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان، ولا يدرك بالأبصار والأوهام»^(١).

ويعلم من هذا الكلام المعنى في مثل قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَشَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾^(٢) وأمثاله وهو بين أن نفسه بالله بمعنى القدرة والتدبير، أينما تولوا فشم الله قوته وتدبيره لا بمعنى الخلول، أو نفسه بأن المراد أينما تولوا بأمره والجهة التي أمركم بالاتجاه إليها فشم وجه الله، وإلا فالصنم لا يكون وجه الله.

سبعة أيام لا تستجيب له، قال: فأوحى الله إليه: يا موسى لو دعاني حتى يسقط يده أو ينقطع لسانه ما استجبت له حتى يأتيني من الباب الذي أمرته.
الحاسن ١: ٣٢٤ ح ١٤٠.

- (١) الاحتجاج ٢: ١٩٠، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٠٥، والآيتان في سورة الرحمن: ٢٦، وسورة القصص: ٨٩.
(٢) البقرة: ١١٥.

ولما ألح المشركون وأهل الكتاب وحتى بعض المسلمين في مسألة تغيير القبلة ذكر الرسول ﷺ لهم أمثلة منها الأمر بلبس الثياب في الشتاء والأمر بنزعها بالصيف، قال: «فكذلكم الله تعبدكم في وقتٍ لصلاح يعلمه بشيء ثم تعبدكم في وقتٍ آخر لصلاح يعلمه بشيءٍ آخر، فإذا أطعتم الله في الحالتين استحققتن ثوابه فأنزل الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَشَءَ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عِلْمَهُ﴾ يعني إذا توجهتم بأمره فثم وجه الله»^(١).

ومهما يكن من ذلك فقد روي أن رسول الله ﷺ قال: «أول ما خلق الله نوري - إلى أن قال - فنحن الأولون... ونحن وجه الله»^(٢).

وروي أن الإمام الصادق عليه السلام قال: «نحن وجه الله الذي لا يهلك»^(٣). وما زال من الأنبياء والحجج من يتوجه به إلى الله في المطالب ما دام في الأرض داعٍ يدعو ويتوجه إلى الله.

وأنشد البعض:

وإنك وجهه الباقي وعين له ترعى الخلائق أجمعينا^(٤)

ويرتفع البعض في بيان معنى الوجه حيث يجعل الرسول هو الواجهة البارزة التي تحكي صفات الله سبحانه، وأن ملاحظة صفات الرسول ﷺ وخلقه هي الطريق لتوهم قيساً من صفاته التي لا يمكن تصورها ولا الإحاطة بشيء منها بيد أنك إذا أردت أن تعرف عن شخص نظرت إلى وجهه الذي تتجسد فيه أكثر الصفات كالسماحة والجلود والرحمة وغيرها.

(١) الاحتجاج ١: ٤٥.

(٢) البحار ٢٥: ٢٢.

(٣) التوحيد للشيخ الصدوق ١٥٠.

(٤) مناقب آل أبي طالب ٣: ٦٤.

فيكون الرسول هو التجسد الممكن للقدس الإلهي والحلم الرحماني والقدرة الإلهية وهو الوجه المعبر عما يرضيه ويسخطه.

٩٨٠ . وجه الله في عباده

روى عن خثيمة قال: سألت أبا عبد الله عن قوله الله عز وجل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ قل: «دينه، وكان رسول الله ﷺ وأمر المؤمنين ﷺ دين الله ووجهه وعينه في عباده ولسانه الذي ينطق به، وبه على خلقه، ونحن وجه الله الذي يؤتى منه لن نزال في عباده مادامت لله فيهم رؤية، قلت: وما الرؤية؟ قال: الحاجة، فإذا لم يكن لله فيهم حاجة رفعنا إليه وصنع بنا ما أحب»^(١).

ولما كان الأمر الذي يجعل من الرسول رسولاً هو اعتقاده الحق وتصديقه بالله والدين الذي جاء به فحقيقته اعتقاده ودينه وليس يده ورجله ولا حتى روحه، ودينه هو الباقي بعده لا غير فكان رسول الله هو دين الله، ووجهه لأن وجهه هو دينه من أجل أن وجه الله تعالى بالنسبة إلى عبده الذي أمره بشيء وأراده منه هو رضاه عن فعله وامتناله، فإن الأمر يستقبل المأمور أولاً بالأمر فإذا امتثل استقبله بالرضا عنه، فمرضاة الله عن العبد المكلف بتكليف هو وجهه إليه وابتغاء مرضاة الله إرادة وجهه، وما ابتغاء مرضاته إلا بالتوجه إلى دينه وتطبيقه والعمل به.

٩٨١ . الوحي

خلد دعاء المقدس إبراهيم الخليل ﷺ ومطالبته من الله أن يبعث نبياً

(١) التوحيد: ١٤٠، البحار: ٧، تفسير نور البراهين: ٣٨٤، تفسير الصافي

في الجزيرة العربية منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويظهرهم، وظلت تلك الدعوة تشغل أفكار البعض منهم، حتى حملت آمنة بنت وهب برسول الله ﷺ فرأت في المنام أن الذي في بطنها نور حتى أضاءت له مشارق الأرض ومغاربها، فامتزج هذان الحدثنان وغيرهما في ذهن رسول الله ﷺ مما جعله يترقب تحقق تلك الدعوة وفعليتها بعدما اطلع على أنه هو المقصود بها.

حتى إذا ترك الخروج إلى الشام للتجارة وقد بلغ عمره سبعة وثلاثين عاماً صار يرى في نومه آتياً يأتيه فيقول: يا رسول الله، وهو ينكر ذلك، وتتطاول بعده المدة إلى أن رأى شخصاً حينما كان يرعى غنماً لأبي طالب بين الجبال يقول له: يا رسول الله، فقال له: من أنت؟ قال: أنا جبرئيل.

أثرت هذه الوقائع على مسيرته في الحياة وصار يرغب للاعتزال في غار حراء في جبل النور يصعده وينظر من قمته إلى آثار رحمة الله وأنواع عجائب رحمته وبدائع حكمته وينظر إلى أكناف السماء وأقطار الأرض والمفاوز والفيافي فيعتبر بتلك الآثار ويتذكر بتلك الآيات ويعبد الله حق عبادته.

فلما استكمل أربعين سنة نظر الله إليه وإلى قلبه فوجده أفضل القلوب وأجلها وأطوعها وأخشعها وأخضعها لله سبحانه وتعالى فتفجرت أمامه أشعة الأنوار وفتحت له أبواب السماوات فصار ينظر إلى القوى الخيرة المحركة للوجود وتغمره الرحمة.

ونظر إلى جبرئيل الأمين والناموس الأكبر المطوق بهالة من النور كأنه طاووس تلك الأنوار فهبط إليه فأخذ بضعه وهزه وقال: يا محمد اقرأ قال: وما أقرأ؟ قال: يا محمد ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(١).

ثم أوحى إليه ما أوحى إليه ربه عز وجل وارتفع عنه، فنزل محمد وقد انفتحت أمامه جميع الآفاق التي يتصور ترتبها على ذلك الحدث، وهو يتحسس من ارتفاعه على جميع الموجودات بذلك الإكرام الذي أكرمه الله به بحيث صارت الجبال والصخور والمدر وكلما مر به يناديه: السلام عليك يا رسول الله، أبشر فإن الله عز وجل قد فضلك وأكرمك فوق الخلائق أجمعين، فلا يضيق صدرك من تكذيب قريش وعتاة العرب.

ووجد التأميل بأن الله سبحانه وتعالى سيبلغه أقصى منتهى الكرامات ويرفعه إلى أرفع الدرجات، بعد ما فكر فيمن سيصدق وصار عنده من المتيقن والمسلم تصديق مثل علي بن أبي طالب وخديجة وذريته، ثم ينتشر دينه في البلاد ويكون له لواء سماه لواء الحمد، وهكذا أخذته الأفكار وهو ينزل من جبل النور وفي طريقه إلى بيت خديجة البالغ ثلاثة فراسخ مع كل ذلك العبء وتلك الأفكار التي تخالجت، فجاء وأخبر خديجة بما رأى فاستقبلته وصدقته وسانده.

هذا هو الكلام عن أول ما أوحى إلى النبي ﷺ والخال أن العنوان المبحوث عنه هو الوحي بالصيغة المشبهة الدالة على دوام ذلك العمل واستمراره.

فإن الرسول ﷺ وجد اللذة العظيمة من كلام الوحي فعاود بعدها إلى الغار، ورآه وسمع كلامه، ثم صار يأتيه باستمرار وعلى الدوام يستأنس الرسول ﷺ بسماع كلامه ويستوحش من كلام غيره وتظلم الدنيا بعينه إذا احتبس عنه أو أبطأ عليه، فغاية ما روي من انقطاع الوحي عنه ثلاثون يوماً حينما ثار عليه أزواجه اللواتي تزوج بهن بعد خديجة وصرن يطلبن الدنيا وزينتها، وأنف الله عز وجل لرسوله فأنزل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ...﴾ (١).

وأما كيفية الوحي فقد سأله البعض وقال: كيف يأتيك الوحي؟ فقال: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول»^(١).

وإذا جاءه الوحي وهو بين أصحابه كرب لذلك وتربّد وجهه ونكس أصحابه رؤوسهم منه، وكان يجد منه في بعض الأحوال ألماً شديداً ويتصدع رأسه ويجد ثقلاً خصوصاً إذا كلمه الله بلا واسطة ملك فقد كانت تصيبه الغشية ﴿إِنَّا سَخَلَمِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾^(٢).

وقال ابن عباس: كان النبي إذا نزل عليه القرآن تلقاه بلسانه وشفتيه كان يعالج من ذلك شدة فنزل ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾^(٣).

هذا هو المشهود من عملية الوحي وما يمكن ملاحظته، بينما يتحرى الرسول الطرف الآخر منه فيسأل جبرئيل ويقول: هل رأيت ربك، فقال: إن ربي لا يرى، فقال رسول الله ﷺ: فمن أين تأخذ الوحي؟ فقال: أخذه من إسرافيل، فقال: ومن أين يأخذه إسرافيل؟ قال: يأخذه من ملك فوقه من الروحانيين قال: فمن أين يأخذه ذلك الملك؟ قال: يقذف في قلبه قذفاً، قال علي عليه السلام: فهذا وحي، وهو كلام الله عزوجل، وكلام الله ليس بنحو واحد، منه ما كلم الله به الرسل، ومنه ما قذفه في قلوبهم، ومنها رؤيا يريها الرسل، ومنه وحي وتنزيل يتلى ويقرأ، فهو كلام الله، فإن معنى كلام الله ليس بنحو واحد فإن منه ما يبلغ به رسل السماء رسل الأرض^(٤).

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ٤١.

(٢) المزمّل: ٥.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ٤١، والآية في سورة القيامة: ١٦.

(٤) التوحيد للشيخ الصدوق: ٢٦٤.

ومهما يكن من ذلك فما عساک تقول فيمن نزل عليه الوحي ستين ألف مرة على ما يحكى، وهل تتریب في تسمية ابن شهر آشوب له بالوحي^(١) بمعنى الذي يوحى إليه باستمرار حتى انقطع يوم وفاته وهو يوم الاثنين ثمانية وعشرين من صفر، على أنه آخر وحي السماء ليس بعده وحي ولا نبوة.

٩٨٢ . الوسيلة إلى الله

الهدف كل الهدف هو القرب إلى الله سبحانه وتعالى بإطاعة أوامره والتحلي بما يحبه ويريده وترك كل ما يبغضه ولايرضى بفعله، فإذا فعل العبد ذلك بقصد القرب منه تعالى بعد الإقرار بوحدانيته وصل إلى رضا الله سبحانه وتقرب إليه.

ولكن القرب إلى الله سبحانه وتعالى لا يتحقق لوحده ويحتاج إلى وسيلة وهو المقرب الذي يعرفك الطريق إلى رضوانه ويرشدك إلى ما يرضيه ويسخطه، وإذا كان للعبد ذنوب فهو بحاجة إلى وسيلة للتوصل إلى عفو الله أولاً بأن يستفيد من وجهة ذلك المتوسل به ومن قربه إلى الله في حطها عنه.

والجامع لذلك هو توسط من يقدر على ما لا يقدر عليه المتوسل بنفسه، كمن يريد الذهاب إلى مكان بعيد يتوسل بمن له واسطة نقلية لتوصله إليه.

والوسائل إلى رضوان الله متعددة منها أسماءه تعالى حيث خلقها وسيلة بينه وبين خلقه يتضرعون بها إليه ويعبدونه وهي ذكره^(٢)، فإذا

(١) مناقب آل أبي طالب: ١: ١٣٠.

(٢) انظر الكافي: ١: ١١٦.

طمع الإنسان في رحمة الله قال: يا رحمن ويا رحيم، وإذا خاف الأقدار قال: يا حافظ، وهكذا.

ومنها القرآن، فهو الوسيلة إلى أشرف منازل الكرامة وسلّم يعرج فيه إلى السعادة^(١).

ومنها: حجج الله وأنبيأؤه فإن التوسل بهم يوصل العبد إلى ما يريد^(٢)، وخصوصاً الرسول المصطفى ﷺ فهو الوسيلة التي لا بد منها لجميع من تقدم وتأخر، والكل محتاج إلى شفاعته كما تقدم في بحوث الشفاعة.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾^(٣) فالذنب إذا أراد التخلص من تبعه ذنبه يمكنه التوصل إلى غفران ذنوبه باستغفار الرسول له واستشفاعه في حط ذنوبه.

وقبل ذلك فهو الذي عرفنا بما يرضي الله سبحانه وما يسخطه، وأرانا الطريق إلى رضوانه وهو أقرب المقربين إلى الله سبحانه وأكرم خلقه عليه، فلا أقرب وسيلة من محمد صلوات الله عليه، وهو إمام الخير وقائده والداعي إليه والبركة على جميع العباد والبلاد ورحمة للعالمين.

ومن أراد أن يشرب من رحيق محبة الله المقربة إليه تمسك بعروة المتابعة للنبي ﷺ لأنه الوسيلة إليه ومبين لما يجوز ويمتنع عليه.

ولعل هذا التوسل به مرتكز في أذهان الناس، ولذلك عندما بعث

(١) الصحيفة السجادية: ٢٠٠.

(٢) تهذيب الأحكام: ٣: ١٣.

(٣) القيامة: ١٦.

النبي جاء أحد اليمينين واسمه سواد بن قارب نجبي^(١) فأخبره بحجر النبي ﷺ وظهوره بمكة، الأمر الذي دعاه إلى قصد مكة والوفود على الرسول ﷺ.

يقول: دخلت عليه فرأيت النور في وجهه ساطعاً نور في نور، ثم درت خلفه فإذا أنا بخاتم النبوة معجون على كتفه الأيمن، ثم قمت بين يديه وأنشأت أقول:

أتاني نجبي بعد هذه ورقدة	ولم يك فيما قد تلوت بكاذب
ثلاث ليل قوله كل ليلة	أتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمرت عن ذيلي الإزار ووسطت	بي الذعلب الوجناء بين السباب
فمرنا بما بأتيك يا خير قادر	وإن كان فيما جاء شيب الذوائب
وأشهد أن الله لا شيء غيره	وأنت مأسون على كل غائب
وأنت أدنى المرسلين وسيلة	إلى الله يا ابن الأكرمين الأطياب
وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة	إلى الله يغني عن سواد بن قارب

قال: فرحت والله مؤمناً به ﷺ. ثم خرج إلى صفين فاستشهد مع أمير المؤمنين عليه السلام^(٢).

ولعل الوسيلة الحقيقية هي ذل العبودية الذي يتحقق بالعلم والعمل، والعبد الحقيقي هو الرسول فهو العامل الذي لم يعص الله طرفه عين، والعالم بما يريد ويرضيه، ويبقى كل من يتوسل به فلأجل قربه من النبي ﷺ ولذلك كان الخليفة الثاني عمر إذا أقحط أهل المدينة استسقى بالعباس، وكان سبب ذلك أن الأرض أجذبت إجداباً شديداً على عهد عمر سنة سبع عشرة، فقال كعب: إن بني إسرائيل كانوا إذا أقحطوا وأصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الأنبياء، فقال عمر: هذا عم النبي ﷺ.

(١) لعل النجبي هو التابع من الجن.

(٢) البحار ٨: ١٠٠.

وصنو أبيه وسيد بني هاشم، فمضى إليه عمر فشكى إليه ما فيه الناس ثم صعد المنبر ومعه العباس فقال: اللهم إنا قد توجهنا إليك بعم نبينا وصنو أبيه فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ثم قال: يا أبا الفضل قم فادع الله، فقام العباس فقال بعد حمد الله الثناء وعليه: اللهم إن عندك سبحانه، وعندك ماء، فانشر السحاب... إلى آخر الدعاء، فأرخت السماء عزالها وأخصبت الأرض، فقال عمر: هذه والله الوسيلة إلى الله والمكان منه^(١).

فلا يبقى أي وجه لإنكار التوسل بالنبي ﷺ وأهل بيته والاستشفاع بهم، ولا وجه للاعتراض على ذلك بأن هذا مثل عمل الجاهلية وتقربهم إلى الله سبحانه بالأصنام بعد ما لم يكن للأصنام قرب ولا أي وجهة، وخصوصاً إذا صاحب ذلك الاعتقاد بأنها في الوجود فهو نهاية الجهل والشرك العظيم الذي لا يغفر، وهو توسل بما ليس بوسيلة وتقرب بما هو مبعد.

قال رسول الله ﷺ: «أول ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره واشتقته من جلال عظمته... فنحن الأولون... ونحن الوسيلة إلى الله»^(٢) والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾^(٣) فليس معناها عندنا هو القرب، بل هو المقرب؛ إذ يقول الرسول ﷺ: نحن الوسيلة، وقد أورد القمي في تفسير الآية أنه قال: تقربوا إليه بالإمام^(٤)، والرسول ﷺ هو إمام الأئمة، وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ قال: «أنا وسيلته»^(٥) ولا تخفى إرادة الانطباق على المصداق.

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ٣: ٩٨.

(٢) البحار ٢٥: ٢٣.

(٣) المائدة: ٣٥.

(٤) تفسير القمي ١: ١٦٨، والآية في سورة المائدة: ٣٥.

(٥) المناقب ٢: ٢٧٣.

٩٨٣ . الوصلة إلى رضوان الله

والوصلة هي ما يوصل بين الشيء والشيء وما يبلغك إليه، وليس المراد سوى التوصل المعنوي والرابط الذي يربط بين العبد وربّه بإيجاد المحبة والدلالة على العمل المؤدي إلى رضوانه فيقول الرسول ﷺ: «نحن الوصلة إلى رضوان الله»^(١).

٩٨٤ . وصي آدم

ينبغي للموصي أن يوصي أفضل أولاده وأتمهم عقلاً وإذا اختار من غيرهم فإنه يوصي أفضل من يتمكن من إيصائه والأقدر على تنفيذ وصيته والعمل بما أوصاه به.

ولما كانت الوصية تختلف بحسب المفاد منها مادية يريد الموصي مباشرة الموصى العمل بها بعد وفاته وتتحقق مصاديقها آنذاك فلا يوصي إلا إلى الموجود في زمانه.

ومنها معنوية يريد لها لعموم أبنائه على مر العصور والدهور وتعاقب الأجيال، فلا يلزم أن يوصي الموجود في زمانه إذا كان غير الموجود ممن سيولد له أقدر على تنفيذها، ولا يقبح الوصية له ويكون من المستحسن بل المتعين إذا علم عجز غيره عنها وعدم توفر الظروف للآخرين.

فإذا ثبت أن وصي آدم عليه السلام هو الرسول المصطفى ﷺ يتعين إحراز آدم عليه السلام لما ذكرناه، أعني قدرته وقيامه بذلك العمل على أساس ما علمه واستوثق منه، ويبقى الكلام في مفاد تلك الوصية التي لا تتحقق إلا على يد النبي الأمي العربي، ولعل منها ما لم يتحقق إلا في زمانه كعدم عبادة

الشیطان ویأسه أو إنهاء الشرك الوثني، أو التدبیر لحكومة الصالحین فی الأرض وغيرها.

وهناك احتمال آخر يتمحّض فی إرادة وصي الوصي من كلمة وصي آدم أعني آخر الأوصياء عندما أوصى إلى ابنه شيث الذي يعنى بالسريانية هبة الله وأمره أن يوصي إلى من بعده وهكذا حتى يبلغ النبي محمداً ﷺ. ومعه يكون الرسول ﷺ وصياً كباقي الأوصياء ويقوم بتنفيذها كما قام بتنفيذها كل واحد منهم في زمانه.

ولعل هذا الأخير هو الذي يحيط به علم أبي ذر الذي ذكره في كلام له عندما بايع الناس لأبي بكر وقال: أيها الناس إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم، فأهل بيت نبيكم هم الآل من إبراهيم.... فمحمّد وصي آدم ﷺ^(١).

ولكن لما كانت الخطبة حول ولاية آل محمد ﷺ لا تبعد إرادة المعنى الأول لأنه الأمر الذي لم يكن لآدم ﷺ فيه عزم يوم خلقه الله سبحانه، وهناك ما يؤيده من الأخبار، منها المروي عن زيد الشحام قال: سألت أبا عبد الله ﷺ هل كان رسول الله ﷺ يعرف الأئمة ﷺ؟ قال: «قد كان نوح ﷺ يعرفهم، الشاهد على ذلك قول الله عز وجل: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ قال: شرع لكم من الدين يا معشر الشيعة ما وصى به نوحاً»^(٢).

هذا وقد يتم المعنيان إذا أضيف إلى ما روي من أن آدم ﷺ لما انقضت نبوته واستكمل أيامه أوحى الله تبارك وتعالى إليه أن يا آدم إنه قد

(١) تفسير فرات بن إبراهيم: ٢٦.

(٢) كتاب الغيبة للنعمانى: ١١٣، والآية في سورة الشورى: ١٣.

انقضت نبوتك واستكملت أيامك فاجعل العلم الذي عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار النبوة في العقب من ذريتك عند ابنك هبة الله، فإني لم أقطع العلم والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار النبوة من العقب من ذريتك إلى يوم القيامة، ولن أدع الأرض إلا وفيها عالم يعرف به ديني وتعرف به طاعتي، فيكون نجاة لمن يولد فيما بينك وبين نوح، وذكر آدم نوحاً....^(١).

٩٨٥ . وصية الله

يروى أن رسول الله ﷺ قام خطيباً فقال: «أيها الناس إن الله تبارك وتعالى خلقني وأهل بيتي... ثم قال: نحن وصية الله في الأولين والآخرين».^(٢)

وذلك ابتداءً من آدم عليه السلام حينما خلقه الله وسمع في ظهره نسيشاً كنشيش الطير وتسبيحاً وتقديساً فقال آدم: يا رب وما هذا؟ فقال: يا آدم هذا تسبيح محمد العربي، سيد الأولين والآخرين، فالسعادة لمن تبعه وأطاعه، والشقاء لمن خالفه، فخذ يا آدم بعهدي ولا تدعه إلا الأصلاب الطاهرة من الرجال والأرحام المظهرة من النساء الطاهرات الطيبات العفيفات.

وكان آدم إذا أراد أن يغشى حواء أمرها أن تتطيب وتتظهر ويقول لها: الله يرزقك هذا النور ويخصك به فهو ودیعة الله وميثاقه، فلم يزل نور رسول الله ﷺ في غرة آدم عليه السلام حتى حملت حواء بشيث، وكانت الملائكة يأتون حواء ويهنئونها، فلما وضعته نظرت بين عينيه إلى نور رسول الله ﷺ.

فلما علم آدم عليه السلام أن ولده شيث بلغ مبالغ الرجال قال له: يا بني

(١) البحار ١١: ٤٤.

(٢) تفسير فرات: ١١٠.

إنني مفارقتك عن قريب فادنُ مني حتى آخذ عليك العهد والميثاق كما آخذ الله تعالى علي من قبلك، فأخذ عليه العهد والميثاق بحضور جبرئيل وميكائيل والملائكة أجمعين.

وهكذا يوصي الله سبحانه وتعالى شيث بنور النبي ﷺ حتى انتقل منه إلى ولده أنوش وأخذ شيث عليه العهد كما أخذ عليه، وكذلك عهد بذلك أنوش إلى ولده قينان، وهكذا يأخذ السابق من اللاحق العهد والميثاق حتى بلغ نوح النبي ﷺ^(١) فيخبرنا القرآن عن وصية نوح، ويقول: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾^(٢) وأول ما شرع لنا من الدين والاعتقاد هو الاعتقاد بالنبي ﷺ والإيمان به وبرسالته، فهذا ما أوصي به نوح والنبيون.

وروي أن رسول الله ﷺ قال: «أوحى الله لي ليلة الإسراء أن أسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا على ما بعثتهم؟ فسألتهم فقالوا: على نبوتك وولاية علي بن أبي طالب والأئمة منكما...»^(٣).

٩٨٦ . الوفي

كانت العهود والمواثيق في الجزيرة العربية تحظى ببالغ الأهمية في حياتهم البدوية القبائلية وتنظم على أساسها الروابط بين كل قبيلة وأخرى، مجاورة أو نائية، ويختلف التعامل بين القبائل على أساسها، لخضوعه إلى ما توافقوا وتصادقوا عليه فيما بينهم ولا يخضع لنظام واحد مدون.

(١) انظر البحار ٣٤، ١٥: ٣٣.

(٢) الشورى: ١٣.

(٣) الصراط المستقيم ٢: ٢٤٠.

وكان عرب الجزيرة يستحسنون فعل الموفي بعهده ويعظمون عمل الموفي بوعدده ويستقبحون فعل الغادر الذي ينتقض العهد ولا يحظى المخلف لوعده بالتعظيم.

وهذا لا يعني عدم وجود الغدر وعدم الوفاء بل يغدر في الساحة العملية حتى أهم القبائل، مثل قبيلة قريش التي نقضت صلح الحديبية، وما أن تجد قبيلة السبيل على قبيلة أخرى حتى تغير عليها ناقضة لجميع العهود والمواثيق المبرمة، وذلك وفاء للقدرة والمصالح، بينما يبقى العهد بقوته مادامت الموازنة حاصلة واقتضت المصلحة كالتخوف من عدو مشترك أقوى.

ومهما غدر الغادرون منهم يظل هذا العمل قبيحاً خصوصاً إذا انجر إلى الفشل والانكسار، عندها يذم الجميع الغادر ويرون في ذلك الانكسار جزاءً لعمله وغدره.

وعُرف اليهود القاطنون في الجزيرة بالغدر خصوصاً يهود المدينة من بني قريظة والنضير، إذ لم يراعوا عهودهم التي يضاف إليها جوارهم، حيث كانت رعاية الجوار مقولة أخرى غير الوفاء بالعهد.

ولما كان الوفاء بالعهد أو الوعد داخلاً في الصدق والأمانة بنحو من الأنحاء، حيث إن الموفي بما عاهد ووعد يكون صادقاً بما وعد وعاهد وأميناً حافظاً لعهدده ولم يكن مضيعاً وخائناً، نتعرف على أهمية عنوان الصادق الأمين الذي عرف به الرسول ﷺ في الجاهلية بأن المراد به ليس صدق أخباره وأدائه الأمانة فقط بل المراد بها حتى مثل الوفاء بالوعد والالتزام بالعهد وحفظ السر، إذ لا يكون صادقاً أميناً من يغدر وينقض عهدده ويخلف وعده، أي يخلف فعله ما قال.

ولا ضير أن هذا التركيب يراد به معاني كثيرة جداً لأنه لا يصلح أن يقال جاء الصادق الأمين الوفي العفيف...، ويكون قولهم جاء الصادق

الأمين علامة على الجميع، واختصاراً لتلك المعاني.

ومهما يكن من ذلك فقد عرف الرسول ﷺ بالوفاء منذ صباه وقبل بيعته وعلمت مراعاته الدقة في الوفاء بالوعد إلى أبعد الحدود، حتى قيل: إنه كان في صباه يخرج بغنم لهم إلى الصحراء، فقال له بعض الرعاة: يا محمد إني وجدت في موضع كذا مرعى خصيباً، فقال: نخرج غداً إليه، فبكر من بيته إلى ذلك الموضع وأبطأ الرجل في الوصول، فرأى رسول الله ﷺ وقد منع غنمه أن ترعى في ذلك الموضع حتى يصل ذلك الرجل^(١).

وإنما منع غنمه لأنه واعدته على الرعي معاً في ذلك المكان فخاف أن يكون تقدّمه السير مخالفة لما توافقا عليه وإن كان لا يُعدّ خلفاً بحسب المتفاهم حينها.

كما يذكر عبد الله بن أبي الحساء قال: كان بيني وبين محمد قبل أن يبعث تجارة، فبقيت لي بقية فوعدته أن آتية في مكانه، فنسيت يومي والغد، فأتيته في اليوم الثالث، وكان محمد في مكانه ينتظرني، فقلت له في ذلك فقال: أنا ههنا منذ وعدتك أنتظر^(٢).

حتى إذا بعث النبي ﷺ وأعلن الدعوة وصار له أنصار وخطر بين القبائل والمدن المناوئة، وأخذ يعقد الأحلاف والعهود كان يراعي تلك العهود بغاية الدقة ومهما كانت مرة وغير مستساغة.

كالتّي تعاهد عليها يوم الحديبية وكان من جملة ما كتبه أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، ومن جاءنا ممن معك لم نرده عليك، فبيننا هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين.

(١) البحار ١٧ : ٢٥١.

(٢) البحار ١٧ : ٢٥١.

فقال المشركون: هذا أول ما نقاضيك عليه أن ترده... فقال أبو جندل: معاشر المسلمين أورد إلى المشركين وقد جئت مسلماً، ألا ترون ما لقيت؟! وقد كان عذب عذاباً شديداً.

فقال رسول الله ﷺ: يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، وأعطيناهم على ذلك وأعطينا عهد الله، وإنا لا نغدر.

واغتنم بعض المنافقين الموقف وصار يعترض ويقول: أنعطي الدنية في ديننا؟ ثم جعل يطوف في عسكر رسول الله ﷺ يشككهم ويحرضهم ويقول: أنعطي الدنية في ديننا؟ فقال رسول الله ﷺ: افرجوا عني، أتريدون أن أغدر بدمتي؟! ولأفي لهم بما كتبت لهم، خذ يا سهيل - رجل من المشركين - بيد أبي جندل، فأخذه فشده وثاقاً في الحديد، ثم جعل الله عاقبة أمر رسول الله ﷺ إلى الخير والرشد والهدى^(١).

ونجد الرسول ﷺ يقف ذلك الموقف وفاء للعهد رغم حرصه الشديد على إسلام الناس حتى إسلام رجل واحد، إذ كان يعطي غنماً بين جبلين لرجل من أجل أن يسلم.

ولا يتفاوت عند الرسول ﷺ كبير العهود وصغيرها، ومهما صنع المعاهد ما لم ينقض العهد الذي هو عليه، حتى أن يهودياً كان له على رسول الله ﷺ دنائير فتقاضاه، فقال له: يا يهودي ما عندي ما أعطيك، فقال: فإنني لا أفارقك يا محمد حتى تقضييني، فقال: إذن أجلس معك، فجلس معه حتى صلى في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يهتدون ويتواعدونه، فنظر رسول الله ﷺ إليهم فقال: ما الذي تصنعون به؟ فقالوا: يا رسول الله

(١) كتاب سليم بن قيس: ٢٣٩.

يهودي يحبسك؟ فقال ﷺ: لم يعثني ربي عز وجل بأن أظلم معاهداً ولا غيره، فلما علا النهار قال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وشطر مالي في سبيل الله، أما والله ما فعلت به الذي فعلت إلا لأنظر إلى نعتك في التوراة، فإني قرأت نعتك في التوراة: محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره بطيبة وليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا متزين بالفحش ولا قول الخناء^(١).

وقد يضاف إلى ذلك ما يحكى من أن اسمه في التوراة هو الوفي وماد^(٢).

على أنه لم ينس الرسول ﷺ رعاية الدقة في الوفاء بعد ما تعاضم خطره وتعمدت مشاغله وكوارثه حتى يروى أنه ﷺ واعد رجلاً إلى الصخرة، فقال: أنا لك هنا حتى تأتي، فاشتدت الشمس عليه، فقال أصحابه: يا رسول الله لو أنك تحوّلت إلى الظل، قال: «وعدته ههنا، وإن لم يجئ كان منه الحشر»^(٣) أي يظل ينتظره في ذلك الموضع إلى يوم يحشر.

هذا مع تأكيده الشديد على الوفاء بالعهد والوعد واستمرار ذلك له حتى بعد مماته، إذ وفى للمسلمين ما عاهدهم ووعدهم من فتح بلاد فارس وغيرها، إذ لم يفته الموت قدرة ولم ينقص له عند ذي العرش منزلة وإنما فتحوها بدعائه وقدرته الباقية بالمعنى الظريف.

على أنني أعتقد في عنوان الوفي معنى أعقد من ذلك الذي سطرناه ويتلخص بإزادة الاستيفاء والزيادة على ما وعد وعاهد وأكثر مما ويستحق المقابل، واستمراره على ذلك ودوامه فطرة بدون تكلف وكذا ثباته على

(١) الأمالي للشيخ الصدوق: ٥٥١، البحار: ١٦: ٢١٦.

(٢) الهداية الكبرى للخصيبي: ٣٨.

(٣) مكارم الأخلاق: ٢٤.

ما عاهد الله سبحانه حتى لو انهزم جميع المسلمين ووجد العذر فهو كالوفاء بالكيل أي الزيادة.

٩٨٧ . الولي

المعضلة كل المعضلة والأمر الذي يتوقف عليه صلاح الأرض وأهلها، واستقامة أمور الدنيا هو هذا المعنى المغفول عنه، وهو السر الخفي والحكمة الداعية إلى تدهور أمور العالم والتراجع إلى الوراء شيئاً فشيئاً والسبب الأول في تشتت البشرية وتقابلهم وتنازعهم، واستعباد القوي للضعيف ونهب ثرواته وثمراته وتزايد الحرمان وشيوع الطبقية والفساد والفحشاء والتجبر والقسوة والظلم والتعدي بأبشع أنواعه، سواء ما نبصره ونعرفه من أنواع ذلك الظلم وما لا نبصره لاعتياده وعدم ملاحظة العدل لتمييزه بالمقايسة والترجيح.

وهذا المعنى هو الولاية التي هي أعلى المناصب والمقامات الإلهية، وهي خلافة الله في الأرض، والسيادة الاعتبارية بمعنى الحق، والحقيقية بمعنى القدرة والعلية والمدارية.

فهي بمعناها الاعتباري تعني حق التصرف في الأموال والأنفس بما تنطوي عليه هاتان الكلمتان من المعاني التي يدخل في أوها - أعني ولاية الأموال - أكثر أحكام الشريعة الإسلامية المرتبطة بكل ما تتبناه إدارة الدولة والسلطة السياسية في مجال الأموال ونقلها وانتقالها، والتقسيم العادل للثروات والأنفال.

وأما حق التصرف بالأنفس فهو بمعناه الواسع الشامل لإدارة الحروب الدفاعية والجهادية التي تصب في مسير السلام ومعاملة الحربيين والأسرى، وكذا تنفيذ الحدود الشرعية وقصاص الجناة وكل ما تحتاجه إقامة النظم ونشر العدل وتوفير الأمن، وحماية الدين من العنف.

فنحن نشترك مع القائلين بالحكومة الدينية التي تعتمد على التعيين الإلهي وإن خطأناهم في المصداق. وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(١) يعني علي بن أبي طالب عليه السلام وباقي أوصياء رسول الله الاثني عشر.

ونرفض بدورنا إضفاء الشرعية على كل من عداهم حتى ما يسمى بخلافة رسول الله ﷺ .

وفينا من يتعدى حدود الاحتياط ويقول بثبوت الولاية للمنصوب العام يعني الفقيه والعالم، والنائب العام للإمام عليه السلام، وفينا من يرفض حتى تلك الولاية وله رأي متساو في جميع من حكم ويحكم من الملوك والرؤساء والسلاطين، بمعنى التعامل الاضطراري المرحلي الخايد.

ولا أرغب في خوض غمار الاستدلال في هذا المختصر بعد وضوح الأمر وفشل جميع الحكومات والأنظمة في تأمين العدل ورعاية الحقوق العامة والخاصة، وعجزها عن توفير الأمن والحد من الفساد في الأرض.

فما يعزل ظالم إلا ويخلفه ظالم آخر، وما ينتخب طامع إلا ويخلفه أطمع وأشره.

حتى بات من المقطوع به عدم القدرة على إقامة العدل بموازينه المطلوبة ودقائقه وظرائفه إلا من قبل المنصوب من قبل الله سبحانه والمخفور لإقامة الأمت والعوج من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ومن لم يذهب الله عنه الرجس فلا يخلو من رجس، بمعنى نفي الإمكان الوقوعي.

وأما الولاية الحقيقية فهي القدرة على التصرف في جميع شئون هذا

العالم والتحكم فيه بما منحه الله سبحانه من القدرة والقوة وروح القدس التي يتمكن معها من أن ينال ما دون العرش، بل الأمر أكثر من ذلك، حيث يبلغ المحورية والقبطية لعالم الإمكان فيدور عليهم وجوده وكل شيء منه، ولولاهم لساخت الأرض بأهلها.

٩٨٨. ولي الله المفضل

روي أن علي بن الحسين عليه السلام قال: وأشهد أن محمداً نبيه المرسل ووليه المفضل^(١).

٩٨٩. ولي ولد فاطمة

روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إن لكل بني آدم عصابة ينتمون إليها إلا ولد فاطمة، فأنا وليهم وعصبتهم»^(٢). والولي هو الذي يتولى أمور فرد أو جماعة كنيكاحهم واحتياجاتهم ورعايتهم وتأديبهم وصياغتهم وحفظهم وصيانتهم ويقوم بجميع شؤونهم، فهي ولاية خاصة تفوق الولاية العامة على المؤمنين، فإذا كان النبي صلى الله عليه وآله أولى بالمؤمنين من أنفسهم تكون ولايته الخاصة على ولد فاطمة أكثر وأكثر ولعلها تمتاز بالعناية الخاصة في هذه الدنيا وضمان طهارتهم وحتى عصمتهم وبالاستمرارية إلى يوم المحشر.

(١) الصحيفة السجادية: ٤٣٨.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٣: ٤٤.

حرف الياء

الأسماء المصدرة بحرف الياء

٩٩٠ . اليتيم

ولعل أول آلام الرسول ﷺ وما يشكّل ثقلاً على نبعه الناهض غبار اليتيم، وفقدانه لأبيه حينما كان في بطن أمه، وما أعتبه من فقدان أمه آمنة بنت وهب وهو صغير السن، ناعم الأظافر وقد يظهر تأله ذاك من قوله لأبي طالب لما أراد أن يخرج إلى الشام بعير قريش وقد تشبث بالزمام: يا عم علي من تخلفني، لا على أم ولا على أب، وقد كانت أمه قد توفيت فرق له أبو طالب ورحمه وأخرجه معه^(١).

ولما كانت جميع أفعال الله سبحانه وتعالى غير خالية عن الحكمة والمصلحة، فلا يخلو فقدان النبي ﷺ لأبويه من تلكم الحكمة، والمروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إن الله عزوجل أيتّم نبيه ﷺ لئلا يكون عليه طاعة»^(٢) حيث يعلم من حال النبي ﷺ شدة توقيره لأبويه إذا كانا في الحياة، مما قد يتنافى مع لزوم طاعتهما له، فتتضاد الطاعتان فيما بينهما وتتحجم دائرة أعمال النبي ﷺ.

ثم إن الله سبحانه وتعالى أعاضه بمن يأويه ويكفله كفالة الأب وأشد منها، وهي كفالة جده عبد المطلب وحنوّه عليه، ثم كفالة عمه أبي طالب بأحمد ما يكون من دون أن تتوجب عليه طاعته ولا يكون له

(١) كمال الدين: ١٨٧ ح ٣٥، البحار: ١٥: ٢٠٠ ح ١٧.

(٢) معاني الأخبار الرضا عليه السلام: ٢٤: ٤٦ ح ١٦٩.

مقام الأب وحقوقه.

ولذلك لما سئل علي بن الحسين عليه السلام: «لم أوتم النبي ﷺ من أبويه؟ قال: «لئلا يجب عليه حق لمخلوق»^(١) ولا أستطيع أن أفدّر الخزازة في وجوب حق مخلوق عليه بدقة، ولا الأشكال في أن يكون لغيره عليه طاعة، غير إحساس وجود التضاد بين الطاعتين، وإن كان الأمر أبلغ من ذلك وأكثر تعقيداً في واقع الحال.

ومع ذلك فإن بعض الأخبار تترقى في تفسير معنى اليتيم إلى مقولة أخرى غير الذي عرفناه، وتجعله بمعنى المنقطع القرين، والمعدوم النظر، كالدر اليتيم الذي لا مثيل له في قدره.

فقد روي عن ابن عباس أنه قال لما سئل عن قول الله عز وجل: ﴿الْمُ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى﴾ إنما سمي يتيماً لأنه لم يكن له نظير على وجه الأرض من الأولين والآخرين، فقال الله عز وجل ممتناً عليه بنعمة: ألم يجدك يتيماً، أي وحيداً لا نظير لك فآوى إليك الناس وعرفهم فضلك حتى عرفوك^(٢).

فجعل الامتنان من الله سبحانه وتعالى في جعله يتيماً منقطع النظر، بينما الأخبار الأولى تجعل الامتنان في الإيواء والكفالة، وهو المفهوم من الآية والمستفاد من ظاهرها، وهو المروي عن ابن عباس أيضاً فإنه قال: في قوله ﴿الْمُ يَجِدْكَ يَتِيماً﴾ عند أبي طالب ﴿فَآوَى﴾ إلى أبي طالب يحفظك ويريبك...^(٣).

كما يمكن قبول كلا المعنيين من عنوان اليتيم.

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١ : ٥٠.

(٢) معاني الأخبار: ٥٣: ح ٤، علل الشرائع: ١: ٣٠٠: ح ١، والآية في سورة الضحى: ٦.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ٢: ٢٩٥.

٩٩١ . اليتربي

ليس الرسول ﷺ بما هو رسول نعرفه اليوم مكياً أبداً، إذ لم يتمكن من وضع أسس الرسالة فيها، ولم يظهر للعالم كرسول ولا مصلح، بل غاية ما انتشر عنها هو وجود صابئ أو ساحر أو كاهن لا أكثر.

بل هو يثربي، معروف له ذلك قبل بعثته وبعد الهجرة، منها انتشر خبره وذاع في البلاد ظهور رسول يدعو إلى شهادة لا إله إلا الله، ويدعو إلى مكارم الأخلاق.

ولا يمكن الجزم بنجاح الدعوة لو لم يسانده أهل المدينة ويؤمنوا به ويجيبوا دعوته ذلك النجاح الذي عرفناه.

وكان ابتداء ذلك على ما يحكى أنه قدم أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس في موسم من مواسم العرب وهما من الخزرج يطلبون من يصلح بينهم وبين قبيلة الأوس ويعقد الحلف لهم بعد معارك دامية دامت بينهم، وكان أسعد بن زرارة صديقاً لعتبة بن ربيعة فنزل عليه وقال له: إنه كان بيننا وبين قومنا حرب وقد جئناك نطلب الحلف عليهم، فاعتذر عتبة لأجل البعد وحصول ما يشغل بالهم فقال أسعد: وما شغلكم وأنتم في حرمكم وأمنكم؟! قال عتبة: خرج فينا رجل يدعي أنه رسول الله، سفّه أحلامنا وسب أهلتنا.

فأنت تلاحظ أن خبر الرسول ﷺ لم يبلغ المدينة أقرب المدن إلى مكة، ولهذا السبب سلبنا صفة المكي عن الرسول بما هو رسول.

وكان أسعد وذكوان وجميع الأوس والخزرج يسمعون من اليهود الذين كانوا بينهم أن هذا أوان نبي يخرج بمكة يكون مهاجرة بالمدينة لنقتلنكم به يا معشر العرب، فلما سمع أسعد كلام عتبة وقع في قلبه ما كان سمع من اليهود، فقال: أين هو؟ قال: جالس في الحجر فلا تسمع منه

ولا تكلمه فإنه ساحر يسحرك بكلامه، فقال له أسعد: فكيف أصنع وأنا معتمر لا بد لي أن أطوف بالبيت؟ قال: ضع في أذنيك القطن، فحشا أذنيه قطناً وطاف بالبيت ورسول الله جالس في الحجر، فنظر إليه نظرة فجازته، فلما كان في الشوط الثاني قال في نفسه: ما أجد أجهل مني، أيكون مثل هذا الحديث بمكة فلا أتعرفه حتى أرجع إلى قومي فأخبرهم، ثم أخذ القطن ورمى به ليتبني مهمة المراسل الذي ينقل الأخبار فقال لرسول الله: أنعم صباحاً، فرفع رسول الله رأسه وقال: قد أبدلنا الله به ما هو أحسن من هذا تحية أهل الجنة «السلام عليكم» فكان أول ما سمعه أسعد الذي جاء طالباً للسلام في المدينة من النبي هو كلمة السلام، فقال له أسعد: إن عهدك بهذا لقريب، إلى ما تدعو يا محمد؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأدعوكم إلى أن لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقهم وإياكم، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله..

فوقع جميع ما تلاه عليه الرسول ﷺ في قلبه لأنه وجده مطابقاً للفقرة وموافقاً للعقل والسييل الوحيد إلى ما جاء من أجله، أعني الحد من إراقة الدماء والقتل، وتحريم ذلك على الناس، فقال له: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنا من أهل يثرب من الخزرج وبيننا وبين إخوتنا من الأوس حبال مقطوعة، فإن وصلها الله بك، ولا أجد أعز منك، ولقد كنا نسمع من اليهود خبرك وأرجو أن يكون دارنا دار هجرتك فقد أعلمنا اليهود ذلك، فالحمد لله الذي ساقني إليك، والله ما جئت إلا لأطلب الخلف على قومنا، ولقد آتانا الله بأفضل مما آتيت له.

فقد وجد أسعد - الذي جاء بمهمة السلام - السبيل إلى ما يريد بعد ما كاد أن يستولي عليه اليأس، كما وجد الرسول ﷺ المخرج من المازق

الذي هو فيه من محاربة قريش له وإطباقها على إحباط دعوته واتفاقهم على قتله.

ثم جاء بصاحبه ذكوان بعد أن كلمه في شأن النبي ﷺ ليسلم هو الآخر، وطلبوا من رسول الله أن يبعث معهم رجلاً يعلمهم القرآن ويدعو الناس إلى أمره، فبعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير معهم، وكان قد تعلم من القرآن كثيراً، فقدموا المدينة وأخبروهم بأمر رسول الله وخبره فأجاب من كل بطن الرجل والرجلان، ثم كانت الانعطافة حينما أسلم سعد بن معاذ خال أسعد بن زرارة وهو من رؤساء الأوس، وكان رجلاً عاقلاً مطاعاً في بني عمرو بن عوف فقال لمصعب أظهر أمرك، ونادى سعد بني عمرو جميعاً وقال: كيف حالي عندكم؟ قالوا: أنت سيدنا والمطاع فينا ولا نرد لك أمراً، فمرنا بما شئت، فقال: كلام رجالكم ونسائكم وصبيانكم عليّ حرام حتى تشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فأسلم الكثير منهم ليكون أول إسلام جماعي، فشاع الإسلام في المدينة، ثم جاء وفدهم رسول الله ﷺ بمكة وتعاقدوا معه على الخروج من مكة إلى يثرب^(١).

وبذلك ترى أن رسول الله ﷺ كان يثربياً، ولم يكن مكياً، ولو مكث مكياً ما انتشر خبره كل ذلك الانتشار ولا يعلم أين كانت دعوته، ولذلك لما ذكر ابن شهر آشوب نسب النبي ﷺ قال: اليثربي المكي^(٢)، ونعم ما صنع من تقديم اليثربي على المكي، لأن النبي ﷺ ليس مكياً إلا من جهة الميلاد بمعنييه، والمهم النشأة، فهو يثربي النشأة.

وكذلك لما ارتجز علي بن الحسين عليه السلام في كربلاء قال:

(١) البحار ١٩: ٨.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٤.

أنا علي بن الحسين بن علي
أطعنكم بالرمح طعناً صيبياً
ضرب غلام هاشمي عربي
نحن وحق الله أولى بالسني
أضربكم بالسيف أحمي عن أبي
من آل بيت الهاشمي الثرربي^(١)

٩٩٢ . يد الله

نحن نعتقد أن الله سبحانه وتعالى لا يقاس بنظير وليس مثله شيء وأنه بان عن مخلوقاته وتنزه عن مجانستها وتعالى الله عن كل ما في الوجود علواً كبيراً.

غير أننا نحاول تقريب فكرة والإشارة من السحيق إذ نسلط الضوء على اليد ونتعرف على حقيقتها وحقائق عملها أولاً، فنجدها من مملوكات الإنسان المتصلة به وتتحرك بإرادته، يرسل الدماغ إليها الإيعازات والإشارات فتتحرك كما أوعز إليها وأراد منها، فهو يستعملها في الأخذ والعطاء ويعمل بها بأن يحث الأرض ويضع البذر ويسقي الأرض، أو يصنع الآلات والوسائل، أو يحمل بها السيف ويدفع بها العدو ويجذب الصديق، ويمسح رأس اليتيم والضعيف ويرعاه، ويعمل بها الأعمال الأخرى الكثيرة.

وليس لله سبحانه وتعالى يد كيد البشر إذ لم يكن جسماً، وجعل أسباباً وعللاً لتحقق الأشياء مجانسة لها ومن سنخها، إذ جعل ما يقطع الرأس هو السيف وما يدفع العدو هو الجيش وما يهدي العبيد هو النصيح وما يقربهم إليه الدعوة والقبول وغيرها.

ومن ذلك وأمثاله يتضح أن الرسول ﷺ هو يد الله، إذ كان مملوكاً لله سبحانه وتعالى بآتم أنواع الملكية، وهي الملكية الحقيقية، ومتصلاً به

(١) نور العين للاسفرائيلي: ٤٤.

بالحبة والاعتقاد، ويحركه بإرادته، فإذا كانت اليد تستلم الإيعازات بإرادة من الدماغ بإرادة القلب وعبر الأعصاب، فالرسول ﷺ يتلقى الوحي عبر الملائكة ويتحرك مثل ما أوعز الله سبحانه وأوحى إليه، الأمر الذي يجعله يد الله دون غيره، لأن غيره قد يخالف إرادته تعالى وقد استعمل الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ في الأخذ والعطاء بأن يأخذ من الغني ويعطي الفقير، واستعمله كما يستعمل الإنسان يده، بأن زرع بذر الرسالة الإلهية وسقاها بالعلم والمعرفة وأنواع الحكمة وأصلح به الأرض بالمعنيين المادي والمعنوي، وصار يصنع الرجال المسلمين الأقوياء بإيمانهم يستعملهم في نشر دين الله الحق، ويضرب الله به أعداءه من المشركين ويقصصهم، واجتذب به أصدقائه وأحباءه ومسح به على رأس اليتيم وعامة الضعفاء.

ولأجل ذلك قال أبو عبد الله عليه السلام على ما يروى «كان رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام دين الله ووجهه وعينه في عباده ويده على خلقه»^(١) ولما وقعت بيعة الرضوان وغيرها وكان المسلمون يبايعون النبي ﷺ يضعون أيديهم تحت يده قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٢).

٩٩٣ . يس

قال الله تعالى: ﴿يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾^(٣) فقال العلماء: يس اسم من أسماء النبي ﷺ^(٤) والقريظة على ذلك قوله ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾

(١) التوحيد: ١٤٠، البحار: ٧.

(٢) الفتح: ١٠.

(٣) يس: ١.

(٤) دعائم الإسلام: ٣١: ١، تفسير الصافي: ٤: ٢٨١، الخدائق الناضرة: ٨: ١٠٤.

ووردت بذلك الأخبار الكثيرة المطلقة والعاطفة على ذلك إرادة آل الرسول ﷺ من قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾ كما جاء في بعض القراءات^(١).

فقد روى الزرنندي الحنفي والطبراني والقرطبي والسيوطي عن ابن عباس في قوله ﴿سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾ قال. عنى آل محمد ﷺ وروى ابن كثير عن ابن مسعود ﴿سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾ يعني آل محمد ﷺ^(٢). وفي فتح القدير للشوكاني: يس اسم من أسماء محمد ﷺ دليله إنك لمن المرسلين، ومنه قول السعد الحميري:

يا نفس لا تمحضي له بالنصح جاهدة على المودة إلا آل ياسين

ومنه قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾ أي على آل محمد إلى أن قال، قال ابن عباس والمفسرون يريد يا إنسان يعني محمداً ﷺ^(٣).

اجتمع في ويروى أن الإمام الرضا علي بن موسى حضر عند المأمون بمرور وقد مجلسه جماعة من علماء العراق وخراسان، فقال الرضا عليه السلام: أخبروني عن قول الله تعالى: ﴿يَسُّ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ من عنى بقوله: يس، فقالت العلماء: يس محمد لم يشك فيه أحد، قال أبو الحسن: «الله تعالى أعطى محمداً وآل محمد من ذلك فضلاً لا يبلغ أحد كنه وصفه إلا من عقله، وذلك أن الله تعالى لم يسلم على أحد إلا الأنبياء فقال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ وقال: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ وقال: ﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ ولم يقل سلام على آل نوح، ولم يقل سلام على آل إبراهيم، ولم يقل: سلام على آل موسى

(١) الصفات: ١٣٠.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤: ٢٢.

(٣) فتح القدير للشوكاني: ٤: ٣٥٩.

وهرون، وقال ﴿سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾ بمعنى آل محمد^(١).
وقد تقدم في كلام الشوكاني عن ابن عباس أن معنى يس هو يا إنسان،
وروى الصدوق من مشايخنا عن الصادق عليه السلام قوله في حديث: «وأما يس فاسم
من أسماء النبي صلى الله عليه وآله معناه: يا أيها السامع للوحي»^(٢).

٩٩٤ . يمين الله

وإذ كان لزيد أعمال كثيرة ومتنوعة، فلزيد اليمين أعمالها الخاصة بها
في الغالب، كالمصافحة والصفق في العقود وإطعام الطعام وغيرها.

وبعد التأمل في حقيقة المصافحة نجدها هي الاتصال بين اثنين يحصل
به التأليف بينهما والتصالح والمحبة، وليس لله سبحانه وتعالى يمين جسمانية
يصافح بها خلقه ويصافحه الخلق وتوجد الألفة والمحبة وتوقع الصلح بين
الآبقين وبين سيدهم رب العالمين سوى رسله وأوليائه، وخصوصاً الرسول
المصطفى صلى الله عليه وآله والأئمة الهداة من أهل بيته عليهم السلام المملوكون له المؤمنون بما
يأمرهم والمنتهون عما ينهاهم، وهم طوع وإرادته.

وكذلك فإن الله سبحانه وتعالى صفق برسوله صلى الله عليه وآله مع خلقه العقود، وأوثق
العهد على أن لا يعصوه ويشري أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، ويمن هذا
الرسول رزق الوري، وأطعمهم من جوع بعدما كانوا يقتاتون القوت.

وليس ذلك مختصاً بالرسول، فقد ورد في أخبار كثيرة أن الحجر
الأسود يمين الله فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «طوفوا بالبيت
واستلموا الركن، فإنه يمين الله في أرضه يصافح بها خلقه»^(٣).

(١) سعد السعود: ٢٧٣، والآيات في سورة الصافات: ٧٩، ١٠٩، ١٢٠، ١٣٠.

(٢) معاني الأخبار: ٢٢.

(٣) علل الشرائع: ٤٢٤ ح ٣، الوسائل ١٣: ٣٣٩.

ومهما يكن من ذلك فقد جاء هذا الوصف في رواية أكثرنا نقل المقاطع الصغيرة منها متفرقاً في هذا الكتاب، لم نسردها بشكل كامل، لا بأس بنقلها كاملة في هذا الموضع.

وهي الرواية التي يرويها جابر بن عبد الله في تفسير قوله تعالى: ﴿كَانَتْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١) قال، قال رسول الله ﷺ: «أول ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره، واشتقه من جلال عظمته، فأقبل يطوف بالقدرة حتى وصل إلى جلال العظمة في ثمانين ألف سنة، ثم سجد لله تعظيماً، ففتق منه نور علي عليه السلام فكان نوري محيطاً بالعظمة ونور علي محيطاً بالقدرة، ثم خلق العرش واللوح والشمس وضوء النهار ونور الأبصار والعقل والمعرفة وأبصار العباد وأسماعهم وقلوبهم من نوري، ونوري مشتق من نوره، فنحن الأولون، ونحن الآخرون، ونحن السابقون، ونحن المسبحون، ونحن الشافعون، ونحن كلمة الله، ونحن خاصة الله، ونحن أحبه الله، ونحن وجه الله، ونحن جنب الله، ونحن يمين الله، ونحن أمنه الله، ونحن خزنة الله وسدنة غيب الله، ونحن معدن التنزيل ومعنى التأويل، وفي آياتنا هبط جبرئيل ونحن محال قدس الله، ونحن مصابيح الحكمة، ونحن مفاتيح الرحمة، ونحن ينابيع النعمة، ونحن شرف الأمة، ونحن سادة الأئمة، ونحن نواميس العصر وأحبار الدهر، ونحن سادة العباد، ونحن ساسة البلاد، ونحن الكفاة والولاة والحماة السقاة والرعاة وطريق النجاة ونحن السبيل والسلسبيل ونحن النهج القويم، والطريق المستقيم»^(٢).

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) البحار: ٢٥: ٢٢.

المستدرك

المستدرک

هناك بعض الأسماء التي غفلنا عنها ولم نتعرض لها في محالها أحببنا استدراكها لعظم أهميتها ورعاية لأصل الاستقصاء الذي اعتمدها وهي ما يلي:

٩٩٥. الأبيض

قال عمرو بن خارجة: وردت إلى الأبطح وقد أجذبت الأنواء وأخلفت العواء، وإذا قريش حلق قد ارتفع لهم ضوضاء، فقائل يقول: استجبروا باللات والعزى، وقائل يقول: بل استجبروا بمناة الثالثة الأخرى.

فقام رجل من جملتهم يقال له ورقة بن نوفل عم خديجة بنت خويلد فقال: إني نوفلي وفيكم بقية إبراهيم وسلالة إسماعيل، فقالوا: كأنك عنيت أبا طالب؟ قال: هو ذاك.

فقاموا بأجمعهم وقمت معهم فأتينا أبا طالب، فخرج إلينا من دار نسائه في حلة صفراء وكان رأسه يقطر من دهانه، فقاموا إليه بأجمعهم، وقمت معهم، فقالوا: يا أبا طالب قد أقحط الواد، وأجذبت العباد، فقم واستسق لنا.

فقال: رويدكم دلوك الشمس، وهبوط الريح.

فلما زاغت الشمس أو كادت، وإذا أبو طالب قد خرج وحوله

أغيلمة من بني عبد المطلب، وفي وسطهم غلام أيفع^(١) منهم كأنه شمس ضحى تجلت عن غمامة قتماء^(٢)، فجاء حتى أسند ظهره إلى الكعبة فاستجار بها ولاذ بإصبعه، وبصبت الأغيلمة حوله، وما في السماء قزعة، فأقبل السحاب من ههنا وههنا حتى لث ولف وأسحم وأقتم وأرعد وأودق وانفجر به الوادي، وافعوم^(٣).

وبذلك قال أبو طالب ﷺ يمدح النبي ﷺ:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه	ثم اليتامى عصمة للأرامل
تطوف به الهلاك من آل هاشم	فهم عنده في نعمة وفواضل
وميزان صدق لا يخس شعيرة	ووازن حق وزنه غير عائل ^(٤)

فما هذا البياض الذي يتكلم عنه أبو طالب ﷺ؟ هل هو بياض لون الوجه فحسب؟ كلا ثم كلا، لأن بياض الوجه وحده لا يكفي في ذلك.

بل هو بياض حقيقة الروح، ونصاعة الباطن، ونورانية الضمير، وصفاء القلب، وطهارة النبي الخلقية التي تسخر الرياح فتثير سحاباً وتسوقه إلى الأرض الجزر والقلوب الملحدة فتخضر الأرض وتورق أشجارها، وتعمر القلوب بالإيمان.

(١) أيفع الغلام: راهق العشرين، وقيل: ترعرع وناهز البلوغ. أقرب الموارد: ٢٤٩٩.

(٢) يعني أن وجه الغلام كان يشبه الشمس التي خرجت من وراء الغمامة السوداء وقت الضحى، فإنها تكون في هذا الحال أشد ما يكون بياضاً وأسطع نوراً.

(٣) لث: أقام، وأسحم: صب ماءه، وأودق: أمطر، وافعوم: امتلأ وقاض.

(٤) شرح البخاري للقسطلاني ٢: ٢٢٧، المواهب اللدنية ١: ٤٨، الخصائص

الكبرى ١: ٨٦، ١٢٤، السيرة الحلبية ١: ١٢٥، الملل والنحل ٣: ٢٢٥، عمدة

القاري ٣: ٤٣٥، أسنى المطالب: ٥، إيمان أبي طالب لابن معد: ٣٥٥.

ولا يصدر هذا القول إلا من ناظر إلى حقيقة النبي الكريم، مبهتجاً بنوره المنبسط في الأفق، ومتعجباً من كرمه ومجده السامي، وقد بهره علوه وارتفاعه الشاهق، وعرف بينه وبركته العامة، بحيث لم يتردد في استجلاب الخير بوجهه، وطلب الكرامة بشفاعته، ولم يشك في اتصاله بالقدرة الأزلية، والقوة السرمدية، والرحمة الإلهية، والمدبر الحقيقي وهو الله الواحد الأحد.

فالوجه الذي يتكلم عنه أبو طالب هو الجهة المتجهة إلى الله، والوجه الناظر إليه، وطرف الاتصال برب العالمين، دون الوجه الظاهر، والطرف المتصل بمخلقه فحسب، ولهذا لم يتردد في استجلاب الخير بوجهه. وليس عرفان من شهد الشهادتين فحسب كعرفان هذا المؤمن الواقعي بحقيقة النبي المكرم، ووقوفه على صفاء باطنه، وعظم شأنه، ومدى قدرته وعظمته، وأنه رسول رب العالمين، والأمين على سره، والمكين لديه.

وما هو إلا كأصحاب الكهف والرقيم الذين أظهروا كفراً، وأضمروا إيماناً وتصديقاً.

٩٩٦. أفصح من نطق بالضاد

يبدو أن أكثر اللغات فاقدة لحرف الضاد ولعله من مختصات اللغة العربية ولا يحسن التلفظ به سوى العرب إذا لم نقل خصوص فصحاءهم بل لا يحسنه بالمعنى الأتم سوى أفصحهم كما يوحي إليه هذا العنوان، فإن المستشعر منه وجود فصحاء ينطقون بالضاد تتفاوت درجاتهم في إخراجها من مخرجها الصحيح، والنبي ﷺ هو الأفصح من بينهم أي الأول في مقام إجادة استعمالها وإخراجها من مخرجها.

وفي ذلك يقول ﷺ: أنا أفصح من نطق بالضاد^(١).

ويمكننا أن نستلهم من هذه العبارة أن عنوان الناطق بالضاد يطلق على العربي عموماً فهو أفصح العرب على الإطلاق.

٩٩٧. الأكبر

ذكر ابن شهر آشوب أن رضوان خازن الجنة يسمي الرسول ﷺ الأكبر^(٢).

٩٩٨. ثمال اليتامى

ما عرفت الإنسانية بشتى انتماءاتها أفضل وأسنى من العناية باليتيم الذي فقد ركن وجوده ومعتمده ورجواه، وكهف سكونه، ومحط أمله، فقعد به البيؤس في دقعاء المصير، وتراب المذلة، مكتنفاً حسرات الوحدة، وآهات الوحشة، ناظراً إلى ظلمة المستقبل ودياجي الأيام القادمة، متلبساً لباس البيؤس والحرمان، يلتفت بمنة ويسرة، وهو يتأمل الأيادي الرحيمة، والأحضان الخنونة، والعواطف المؤمنة.

وليس أجمل في سماء الخلق السامية وعالم الفضائل الحميدة من احتضان اليتيم، وكفكفة دموعه الساخنة، وإطفاء لوعته الصاخبة، وكفالاته وغيائه، والقيام بحاجته، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة هذه هي الظلال يوم لا ظل إلا ظله، قال موسى بن عمران عليه السلام: إلهي ما جزاء من كفل اليتيم؟ قال: أظله يوم القيامة في ظل عرشي^(٣).

(١) تفسير ابن كثير ١: ٣٢.

(٢) المناقب ١: ١٣٢.

(٣) فضائل الأشهر الثلاثة للصدوق: ٨٩.

وقال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة»^(١).

وفي الحديث القدسي: إذا بكى اليتيم اهتز له العرش، فيقول الله تبارك وتعالى: من هذا الذي أبكى عبدي الذي سلبته أبويه في صغره؟ فوعزتي وجلالي وارتفاعي في مكاني لا يسكنه عبد مؤمن إلا أوجبت له الجنة.

كما لم تعرف الإنسانية من حتم على نفسه رعاية الأيتام وكفالتهم، بل أبوتهم والرحمة بهم مثل الرسول المصطفى ﷺ، ومن جاء بعده من أهل بيته عليهم السلام.

فكانت شدة عنايته وحضائنه لهم بحيث نشأوا ولم يعرفوا اليتيم وما معناه، بل وجدوا أباً رحيماً ما أرحمه، وعطوفاً ما أعطفه حتى تمتى غيرهم اليتيم^(٢).

ولم يك ذلك بالذي يخفى على أحد، غير أن حقيقة النبي ﷺ ومدى شدة اهتمامه بالأيتام وشدة عطفه عليهم وميله إليهم فطرة لا تكلفاً لم يعرفها أحد قبل عمه أبي طالب عليه السلام، حيث وصف النبي ﷺ بوصف لم يجر على لسان أحد من الناس، ولا اقترب من وهم شاعر من بينهم فقال:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل^(٣)

فإن كلمة «ثمال اليتامى» من أبداع ما يمكن أن توصف به علاقة الرسول ﷺ باليتامى، ومدى تعاهده لهم، وذلك أن كلمة ثمال تعني الملجأ، وتعني الغيث، وهو جمع غيث، والغيث هو المطر الذي يغاث به الناس،

(١) البحار ٣٥: ١١٧. وقيل: أراد بكافل اليتيم عمه أبو طالب لأنه كفله يتيماً من أبويه ولم يزل شقيقاً عليه.

(٢) قال أبو الطفيل: رأيت علياً عليه السلام يدعو اليتامى فيطعمهم العسل حتى قال بعض أصحابه: لوددت أنني كنت يتيماً. ولا شك أن رسول الله ﷺ كان أولى من ذلك. البحار ٤١: ٢٩.

(٣) إيمان أبي طالب لابن معد: ٣٥٥.

وكله رحمة، كمطر السنين المجدية، والأعوام المقحطة، يكون كله عطاء، وكله رحمة يجود فلا يبقى لنفسه شيئاً، بل لا يبقى منه شيء. والشمال: هو المطعم في الشدة، وفي يوم ذي مسغبة، يتيماً ذا مقربة، أو مسكيناً ذا متربة، وشمال اليتامى الذي يقوم بأمرهم، وشمال اليتامى هو أصلهم الذي يقصدون إليه ويقوم بشئونهم، وشمالمهم: يعني صاحب رحلهم ومجتمعهم^(١).

فإن هذا المدح وهذا الأسلوب من الشعر لا يُمدح به الإنسان العادي والتابع للإنسان ومكفوله الذي لا حول له ولا قوة، بل لا يمدح به إلا من كان له خطر عظيم ومقام مهيب عرفه المادح بيقين.

٩٩٩. خازن المغفرة

ورد في بعض أنحاء الصلاة على النبي ﷺ: اللهم صل على محمد عبدك المصطفى وحبيبك المحتبى نبي الرحمة وخازن المغفرة^(٢)، لاحتفاظه بدعوة مستجابة يشفع بها للمذنبين من أمته، فتكون التوسط في غفران الذنوب مما اخترته واحتفظ به ليوم القيامة!

١٠٠٠. الشاكر

جعل ابن شهر آشوب أحد أسماء النبي الشاكر مستدلاً بقوله تعالى: ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ﴾^(٣). حيث كانت عبادته وطاعته شكراً محضاً لأنه عفي من الخدمة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكان يُسأل عن شدة مواظبته على العبادة مع غفران الله لذنوبه حتى ما تأخر منها

(١) انظر لسان العرب ٢: ١٣٠، والبحار ٣٥: ١٥٣، وج ٤٥: ٧٦.

(٢) البحار ٩٧: ١٧٧.

(٣) المناقب ١: ١٣٢.

فيجيب: «ألا أكون عبداً شكوراً».

وهناك أسماء أخرى نكتفي بالإشارة إليها منها ما ذكره ابن شهر آشوب من الأسماء المستفادة من القرآن والأخبار مثل اسم الأمر لقوله تعالى ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾ والبشر، لقوله تعالى: ﴿بَشِّرْ مَنْ لَكُمْ﴾، والتالي لقوله تعالى: ﴿يَسْتَلُوا عَلَيْهِمْ﴾، والدافع لوروده في بعض الأخبار، وأن الصاحب اسمه ﷺ على الميزان ولقوله تعالى ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ والصدق، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾، والعظيم، لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١).

ونحن نضيف إليه مثل أذن خير، لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ﴾، ومثل أمين الله الرضي، ورسول الله الصفي لقول أمير المؤمنين عليه السلام: وأشهد أن محمداً عبده الرضي وأمينه الرضي^(٢)، ومثل الخالص لما في الصحيفة: وعلى محمد الخالص من صفوتك^(٣) وميزان صدق لما جاء في شعر أبي طالب عليه السلام المتقدم في عنوان الأبيض. وقد يكون هناك أسماء وصفات أخرى مصرح بها نكون قد غفلنا عنها.

(١) انظر مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٠ ١٣٣.

(٢) نهج البلاغة ١: ٣٧٢.

(٣) الصحيفة السجادية: ٥٢٨.

الخاتمة

حاولنا في هذا الكتاب المؤلف من ثلاثة أجزاء إعطاء فكرة موجزة عن عقيدة الشيعة الإمامية بالرسول المصطفى ﷺ وما هو مقامه ومنزلته عندهم، فاعتمدنا في أمهات المباحث والعناوين المطروحة على رواياتهم وأخبارهم من دون الاكتراث بروايات العامة سوى نقل بعض الشواهد والمزيدات الداعمة لما طرحناه، والملزمة في بعض المقابلات والمعارضات ليس أكثر.

فخرج الكتاب بحمد الله ومنه كموسوعة مصغرة تحاول التعبير عن الفكر الشيعي الحق بحسب الإمكان، من دون الالتزام بحدود ذلك، وإنما هو تقريب وفتح مغالِق وشرح كلمات للإشارة إلى زوايا ذلك الوجود غير المتناهي عبر الأسماء، من دون استقصاء كامل ولا تدقيق في سند الأخبار، غير الاعتماد على مقبولية مضامين الأخبار ومعقوليتها وعدم مخالفتها لأصول الطائفة وثوابتها، اعتماداً على قول أئمتنا: قولوا فينا ما شئتم ونزهونا عن الربوبية.

ولما تقرر جمع الأسماء والصفات ثم بيان ما ترمي إليه من المعاني ، ألقنا ذلك إلى تناول زوايا كثيرة خافية وغامضة عن نشوء الرسول ﷺ وسيرته وحياته بل وحقيقته مما لا يتناولها الباحث عادة وبعدها من المجازات والكنيات ولا يجد نفسه ملزماً بفتح مغالِقها والخوض فيها.

فقد تم لأجل ذلك جرد كتاب البحار وغيره من أوله إلى آخره واستخراج ما يربو على خمسة آلاف اسم وصفة للرسول ثم انتقينا من بينها ألف اسم مما

يتطابق مع منهجنا الذي انتخبناه والضوابط التي ارتضيناها، فجاء في حرف الألف ٢٠٦ اسم، وفي حرف الباء ٢٥ اسم، والتاء ٩، والثاء ٢، والجيم ٤، والحاء ٤١، والخاء ٣٩، والذال ٢١، والذال ١٠، والراء ٣٠، والزاء ٥، والسين ٥٥، والشين ٢٣، والصاد ١٢٨، والضاد ٦، والطاء ١٧، والظاء ١، والعين ٥٨، والغين ٥، والفاء ٢٢، القاف ٢٨، والكاف ١٠، واللام ٤، والميم ١٧٣، والنون ٤٨، والهاء ٥، والواو ٢٠، والياء ٥ أسماء.

غير أنني شرعت في أوله شروعاً متيناً مسنداً في الجزء الأول منه، فجاء مصمتاً لا يُمكن من سواء الثغرة، ولما تجاوزته إلى الجزء الثاني والثالث نزحت إلى البسط واستعمل الألفاظ ليزداد ملحاً ويفقد بعض صلابته رعاية لرغبة القراء وأوساطهم.

ولكن صار يجمع الصفتين في آخر المطاف بتوفيق من الله العزيز وعونه، وبركات صاحب الكتاب وأسمائه وصفاته التي عشت معها فترة طويلة وعاشت القصص والحوادث التي دارت حول تلك الصفات والأسماء ولم أصل إلى حقيقة ذلك الوجود المبارك ولا معشار ذلك.

غير أنني والمطالعين لهذا الكتاب نصل إلى أن الرسول ﷺ وجوده اتصف بأسمى الصفات الحسنة الكثيرة التي تحكي كل واحدة منها عن جانب من قدرة عالية وجزء من قوة لهذا الوجود المبارك يحكي تراكمها واجتماعها عن أعظم مخلوق وأكبر قوة وطاقة ممكنة في الوجود، يكمن فيها أسرار هذا الكون وكيفية نشوئه وعلته وجوده وقطبه ورحاه وميدوه ومنتهاه، والغاية من إنشائه والنهية التي ينتهي إليها، على أمل أن تدركني رحمة من رب محمد ﷺ والشفاعة من ذلك الرسول الذي يوكل إليه أمر العباد وبدعائه تحيي القلوب ويطفأ غضب الجبار، ويتوصل إلى رضوان من الله سبحانه وتعالى.

كما أتقدم بالشكر هنا لكل من شوقني وساندني وساعدني في الحجاز

هذا العمل من مدير الموسوعة - حفظه الله - ووالده الكريم السيد أحمد الخاتمي - نغمده الله برحمته - وباقي الإخوة بالأخص فضيلة السيد هاشم الخاتمي والمجد غانم السعداوي.

كما وأهدي ثوابه وثواب مافيه إلى المشوق الأول على الدوام الوالد الماجد الحاج فاضل الحسون (تبريزيان) وإلى الوالدة الفاضلة التي بدعائها حظينا ونحظى باستمرار.

صلى الله عليك يا رسول الله وعلى آلك الطيبين وعترتك الطاهرين وجعلنا ممن ينال شفاعتك يا رحمة للعالمين، وسلام عليك يوم ولدت ويوم بُعثت ويوم تُحشر شفيعاً للمذنبين يا حبيب قلوب المؤمنين.

والحمد لله أولاً وآخراً

عباس تبريزيان

٢٧ رمضان ١٤٢٥ هـ

مشهد المقدسة

الفهرس الموضوعي

ملاحظة :

أشرنا في هذا الفهرس إلى رقم الجزء ورقم الاسم فقط

خلق نور النبي ﷺ وعالم الذر والأظلة وأخذ الميثاق على الأنبياء

آثر الخلق عند الله ١/١، أعرف الأنبياء لله ١٠٤/١، أفضل الأنبياء ١/
١١٤، أفضل خلق الله ١١٩/١، الأول ١٨٧/١، أول الأنبياء خلقاً ١٨٨/١،
أول من ابتدأ من خلق الله ١٩٧/١، روح الحق ٣٨١/٢، السبت ٣٩٧/٢،
الظل ٦١٦/٢، كلمة الله ٧١٦/٣، النور الأول ٨٧٨/٣، أول النبيين ميثاقاً ١/
١٩٩، الحافظ على عهد الله ٢٤٨/١

بعثته في عالم الذر والأظلة

الفاحص عن معرفة الله ٦٨٩/٣

الرسول ﷺ والملائكة

زهرة الملائكة ٣٨٦/٢، سيد أهل السماء والأرض ٤٢٤/٢، مختلف

الملائكة ٨٠٠/٣

٥٣٠..... أسماء الرسول المصطفى ﷺ

تبشير الأنبياء بالرسول ﷺ وتصديقه رسالاتهم في المقابل والتنبؤات ببعثته
آخر الأنبياء ٦/١، بشارة عيسى ٢١٦/١، بشرى عيسى ٢١٧/١، الأبلج ١/
١١، المبشر به ٧٣٥/٣، المصدق ٨٤٤/٣، وصي آدم ٩٨٤/٣

حمد الخلق للنبي ﷺ وحبهم له

أحمد ٤٥/١، أحمد في الأمم المتقدمين ٤٦/١، أحمد في الأولين ٤٧/١،
الأحمد من الأوصاف ٤٨/١، حبيب القلوب ٢٦٢/١، السيد ٤١٨/٢، محمد ٣/
٧٩٦

ذكره وشيوع اسمه

الذكر ٣٤٥/٢، ذكر الله ٣٤٦/٢

أسمائه في الكتب السماوية

بلقيطا ٢٢٤/١، بهائيل ٢٢٥/١، حاط حاط ٢٤٦/١، حمطايبا ٢٨٠/١،
حمياط ٢٨١/١، صانجي ٥٧٩/٢، طاب ٥٩٩/٢، طاب طاب ٦٠٠/٢، طاليثا ٢/
٦٠١، طس ٦٠٧/٢، طسم ١٠٨/٢، طه ٦١٠/٢، الفارقليط ٦٩١/٣، فارقليطا
٦٩٢/٣، قليطا ٧٢٣/٣، مؤذ مؤذ ٧٤٥/٣، مئيد مئيد ٧٥١/٣، مئيد مئيد ٧٥٥/٣،
مباح ٧٥٦/٣، الماحي ٧٥٧/٣، ماذ ماذ ٧٥٨/٣، محيانا ٧٩٧/٣، مرقوف ٨١٧/٣،
مشفح ٨٣٤/٣، منحمننا ٨٨٧/٣، مود مود ٩٠٣/٣، ميد ميد ٩١١/٣، ميد
٩١٢/٣

الأسماء التي تسميه به المخلوقات

عبد الأعلى ٦٢٤/٣، عبد التواب ٦٢٥/٣، عبد الجبار ٦٢٦/٣، عبد
الجليل ٦٢٧/٣، عبد الحق ٢٢٨/٣، عبد الحميد ٦٢٩/٣، عبد الديان ٦٣٠/٣،

عبد الرفيع/٣، ٦٣٢، عبد العزيز/٣، ٦٣٣، عبد السلام/٣، ٦٣٤، عبد العطاء/٣،
٦٣٥، عبد الفتاح/٣، ٦٣٦، عبد القادر/٣، ٦٣٧، عبد الكريم/٣، ٦٣٨، عبد
المؤمن/٣، ٦٤٠، عبد المختار/٣، ٦٤٢، عبد الملك/٣، ٦٤٣، عبد المنان/٣، ٦٤٤،
عبد المنعم/٣، ٦٤٥، عبد المهيمن/٣، ٦٤٦، عبد النجاة/٣، ٦٤٧، عبد الهيبة/٣،
٧٤٨، عبد الواحد/٣، ٦٤٩، عبد الوكيل/٣، ٦٥٠، عبد الوهاب/٣، ٦٥١، قمر
الأقمار/٣، ٧٢٦، كهيعص/٣، ٧٣٩، مهتمت/٣، ٩١٠، نور الأنوار/٣، ٩٥٣

مولده وموطنه وما ينسب إليه من المواطن

الأبطحي/١، ١١٠ البطحاء ووجه التسمية، ابن بطحاء مكة/١، ١٢، الأمي
١، ١٦٧، التهامي/١، ٢٣٦، الحرمي/١، ٢٧١، سيد تهامة/١، ٤٢٨، كريم الميلاد/٣،
٧٦١، المدني/٣، ٧٣٦، المكي/٣، ٨٨١، اليثربي/٣، ٩٩١

البيت الحرام والبيت المعمور

صاحب البيت الحرام/٢، ٤٧٧، صاحب البيت المعمور/٢، ٤٧٨، صاحب
الركن والحطيم/٢، ٥١٩، صاحب الركن والمشعر/٢، ٥٢٠، صاحب الركن والمقام
٥٢١/٢

حسب الرسول ﷺ ونسبه

أشرف الناس حسباً/١، ٨٦٦، صاحب الحسب الأطهر/٢، ٤٩١، العربي
٣، ٦٥٣، القرشي/٣، ٦١٧، ناصع الحسب/٣، ٩٢٤

والد الرسول ﷺ عبد الله

ابن الذبيحين/١، ١٣، ابن عبد الله/١، ١٥

أمهات الرسول ﷺ

ابن العواتك ١٧/١، ابن الفواطم ٢٠/١، صاحب الأمهات الطواهر ٢

٤٧٠/

رضاعة الرسول ﷺ

أعرب العرب ١٠٣/١

أجداد الرسول ﷺ ونسبه

ابن الذبيحين ١٣/١، ابن شيبه الحمد ١٤/١، ابن عبد المطلب ١٦/١،
ابن الفخر والمجد والسناء ١٩/١. صاحب الآباء الأخير ٢/٤٦٧، صاحب
الأصل الطاهر ٢/٤٦٨، صاحب النسب الأشهر ٢/٥٦٤، المطليبي ٣/٨٥١، ابن
هاشم ٢٢/١ زواجه بسلمى المدنية، الهاشمي ٣/٩٦٧، ابن الفتى (النبي
إبراهيم ع): ١٨/١، دعوة إبراهيم ٢/٣٣٥، ابن معد بن عدنان ٢١/١

أبناء الرسول ﷺ وبناته وعترته

أبو إبراهيم ٢٣/١ حياته ووفاته، أبو الدرتين ١/٢٦، أبو الربيعانيتين ١/
٢٧، أبو الطاهر ١/٢٨، أبو القاسم ١/٢٩، أبو النور والإشراق ١/٣٠، ذو
النسل القليل ٢/٣٥٢، صاحب العترة ٢/٥٣٣، عصبية ولد فاطمة ٣/٦٥٩
، قليل الأولاد ٣/٧٢٤، ولي ولد فاطمة ٣/٩٨٩

شجرة النبوة

الأصل المبارك ١/٩٦، الشجرة الطيبة ٢/٤٤٩، شجرة النبوة ٢/٤٥١،

شجرة الزيتون ٢/٤٥٠

الرسول المصطفى ﷺ وعلي

أبوالقاسم ٢٩/١، أخو الفتى ٥٤/١، المنصور بعلي ٨٩٢/٣

أهل البيت عليهم السلام

البرزخ ٢١١/١، خير الناس بيتاً ٣١٥/١، يس ٩٩٣/٣

عناية الله ﷻ بالرسول ﷺ وحفظه له

الحافظ ٢٤٧/١، حرم الله الأكبر ٢٧٠/١، المظلل بالغمام ٨٥٤/٣،
المغفور ٨٦٥/٣، المكفي ٨٧٩/٣، المنصور بالرعب ٨٩١/٣، المنعم عليه ٣/
٨٩٣، نور الله الذي لا يطفى ٩٦٠/٣، وصية الله ٩٨٥/٣

عصمته وتسديده

المعصوم ٨٦٢/٣، المهدي ٩٠٨/٣، المهدي ٩٠٠/٣

آلامه ومعاناته

أبو إبراهيم ٢٣/١، الصابر ٤٦٥/٢، صاحب البدن الصابر ٤٧٢/٢،
متواصل الأحزان ٧٨٠/٣، مواصل الأحزان ٩٠١/٣، اليتيم ٩٩٠/٣

صفاته البدنية

جماله وحسنه وملاحته

أحسن الناس خلقاً ٤٢/١، أحسن الناس وجهاً ٤٤/١، أشبه الناس
بآدم ٧٩/١، حسن الوجه ٢٧٥/١، لطيف الخلق ٧٤٢/٣، المليح ٨٨٣/٣

صفة جبهته

أوسع الناس جبهة ١/١٨٥، داني الجبهة ٢/٣٣٣، صاحب الجبين
الأزهر ٢/٤٨٤، صلت الجبين ٢/٥٩٢، عريض الجبهة ٣/٦٥٣، واسع الجبين ٣/
٩٧٢

صفة هامته ووجهه

سهل الخدين ٢/٤١٦، صاحب الخد الأقرم ٢/٥٠١، عظيم الهامة ٣/
٦٥٦، مدور الهامة ٣/٨٠٦، مشرب حمرة ٣/٨٣١، واضح الخدين ٣/٩٧٣

صفة شعره وحواجبه ولحيته

أخضر الشمط ١/٥٢، أرجل الناس حمة ١/٧٠، دقيق المسربة ٢/٣٣٦،
ذو وفرة ٢/٣، رجل الشعر ٢/٣٦٠، سبط الشعر ٢/٣٩٨، قشط الشعر ٣/
٧٠٠

حواجبه

أزج الحواجب ١/٧٣، مقرون الحاجبين ٣/٨٧٥

لحيته

كث اللحية ٣/٧٣٢، وافر السبلة ٣/٩٧٦

صفة عيونه

محل العينين ١/١٧٩، أهدب الأشفار ١/١٨٢، الأحور الطرف ١/٤٩،
أحور المقلتين ١/٥٠، أدعج العين ١/٥٥، أسود الحدقة ١/٧٨، أشكل العينين
١/٨٩

أنفه

أقنى الأنف/١، ١٣٥، أقنى العرنين/١، ١٣٦

أسنانه وفمه

الأشنب/١، ٩٠، أفلج الأسنان/١، ١٢٩، ضليع الفم/٢، ٥٩٨، عقيقي
الشفيتين/٣، ٦٦٥، قصير الحنك/٣، ٧٢١، مفلج الأسنان/٣، ٨٧٠، مفلج الثنايا
٨٧١/

اعتدال خلقته وطوله وتماسك بدنه

أشعر الذراعين والمنكبين/١، ٨٧، أقصر من المشذب/١، ١٣٤، بادن
متماسك/١، ٢٠٧، بعيد ما بين المنكبين/١، ٢٢٢، جليل الكتد/١، ٢٤١، حسن
القامة/١، ٢٧٣، رشيح القامة/٢، ٣٣٧، سواء البطن والصدر/٢، ٤١٤، ضخم
الكراديس/٢، ٥٩٧، طويل العنق/٢، ٦١٤، عريض الصدر/٣، ٦٥٦، فعم
الأوصال/٣، ٧٠١، مخطوط المتنتين/٣، ٨٠٢، معتدل الخلق/٣، ٨٥٧، معتدل
القامة/٣، ٨٥٨، مفاض البطن/٣، ٨٦٦

صفة رجله ويديه ومشيته

خصان الأخصين/٢، ٣٠٠، رحب الراحة/٢، ٣٦١، سائل الأطراف/٢
٣٨٩، سبط القصب/٢، ٣٣٩، ذريع المشية/٢، ٣٤٤، شبح الذراعين/٢، ٤٤٦،
شثن الكعبين/٢، ٤٤٧، شثن الكفين والقدمين/٢، ٤٤٨، طويل الزندين/٢
٦١٢، مسيح القدمين/٣، ٨٣٠، منهوس العقب/٣، ٨٩٨

خاتم النبوة

بين كتفيه علامة/١، ٢٢٧، صاحب الخاتم/٢، ٥٠٠

صوته

أحسن الناس صوتاً بالقرآن ٤٣/١

طيبه وعطره وأريج صفاته

أعرف الأنبياء لله ١٠٤/١، طيب الريح ٦١٥/٢، المطيب ٨٥٣/٣

بياضه وإشراقه ونور وجهه ونوريته وتجليه في الأذهان

الأبلج ١١/١، أبو النور والإشراق ٣٠/٢، الأبيض ٩٩٥/٣، أزهر اللون ٧٥/١، أتمر اللون ٧٧/١، أنور المتجرد ١٨١/١، البدر ٢٠٩/١، بين عينيه غرة ٢٢٦/١، السراج ٤٠٥/٢، سراج الأصفياء ٤٠٦/٢، السراج المنير ٤٠٧/٢، الشمس ٤٥٩/٢، شمس بين القمرين ٤٦٠/٢، شمس الدنيا ٤٦١/٢، شمس القيامة ٤٦٢/٢، صاحب الجبين الأزهر ٤٨٤/٢، صاحب الخد الأقرم ٥٠١/٢، صاحب الضياء والنور ٥٣٢/٢، صاحب الغرة الحجلاء ٥٣٦/٢، صاحب النور الساطع ٥٦٦/٢، صاحب النور المضيء ٥٦٧/٢، صاحب النور والضيء ٥٦٨/٢، صاحب الوجه الأقرم ٥٧٢/٢، صاحب الوجه الأنور ٥٧٣/٢، الفجر ٦٩٥/٣، قمر الآخرة ٧٢٥/٣، قمر الأقمار ٧٢٦/٣، القمر المستنير ٧٢٧/٣، المتوج بالأنوار ٧٨٢/٣، المشرق ٨٣٢/٣، المشرق بالنور ٨٣٣/٣، المصباح ٨٤٠/٣، مصباح الدين ٨٤٢/٣، نور ٩٥٢/٣، نور الأنوار ٩٥٣/٣، نور الأول ٩٥٤/٣، نور الدنيا والآخرة ٩٥٥/٣، نور الساطع ٩٥٦/٣، نور في الحرمين ٩٥٧/٣، نور الله ٩٥٨/٣، نور الله في عبادته ٩٥٩/٣، نور الله الذي لا يطفى ٩٦٠/٣، نور الله الذي يستضاء به ٩٦١/٣، نور الممدود ٩٦٢/٣، الهلال البدر ٩٦٩/٣

أمية الرسول ﷺ

الأمي ١٦٧/١

اعتقاد النبي ﷺ ودينه ووجهه لله سبحانه

صاحب المحبة والعرفان ٥٥٦/٢، مصباح الدين ٨٤٢/٣

إطاعة النبي ﷺ لله

الآخذ بأمر الله ٢/١، الآخذ بحجزة الله ٣/١، الآخذ بدين الله ٤/١،
أرجح الأنبياء سلماً ٦٣/١، السابق إلى طاعة رب العالمين ٣٩١/٢، صاحب
الدين والطاعة ٥١٥/٢، الصديق ٥٨٣/٢، الظل ٦١٦/٢

تقوى الرسول ﷺ وورعه

أتقى ولد آدم ٣١/١، أرجح الأنبياء ورعاً ٦٨/١، إمام الأتقياء ١٥٩/١،
إمام المتقين ١٦٣/١، كلمة التقوى ٧٣٧/٣، المتقي ٧٧٧/٣

عبادة الرسول ﷺ وخشوعه

أرجح الأنبياء خشوعاً ٦٢/١، أرجح الأنبياء عبادة ٦٥/١، إسرائيل/١
٧٦، الساجد ٣٩٣/٢، سيد العباد ٤٣٢/٢، صاحب الخشوع والدعاء ٥٠٢/٢،
صاحب اللسان المذاكر ٥٥٣/٢، صاحب اللسان المذكور ٥٥٤/٢، صاحب
الخوف والرجاء ٥٠٦/٢، العابد ٦١٨/٣، عبد الله ٦٣٩/٣، القانت ٧١٢/٣

صلاة الرسول ﷺ وصومه

أخف الناس صلاة في تمام ٥٣١/٢، صاحب الصلاة والصيام ٥٣١/٢،
المصلي ٨٤٩/٣، الموقف ٩٠٧/٣

قبلته

صاحب القبلة اليمانية ٥٤٣/٢

حجه وزيارته

صاحب الحج والزيارة ٤٨٩/٢

استغفار الرسول ﷺ وتوبته

رسول التوبة ٣٦٨/٢، صاحب الإنابة والصفاء ٢٨٦/٢، المغفور ٣/
٨٦٥، المنيب ٨٩٩/٣

تأديبه وصياغته

أديب الله ٥٦/١، المهذب ٩٠٩/٣

خُلُق الرسول ﷺ

الجامع ٢٤٠/١، صاحب الخلق الجلي ٥٠٤/٢، صاحب الخلق العظيم ٢/
٥٠٥، صاحب الهيبة والوقار ٥٧٠/٢، عظيم الخلق ٦٥٥/٣، القثم ٧١٥/٣،
معتدل الأمر ٨٥٦/٣، المهذب ٩٠٩/٣

صمته

طويل الصمت ٦١٣/٢، كثير السكوت ٧٣٤/٣

حياؤه وزهده

الحبي ٢٨٣/١، خافض الطرف ٢٩٤/٢، الدمث ٣٣٩/٢

رأفته

أحسن الناس خلقاً ٤١/١، أرفأف الناس بالناس ٦٠/١، الرؤوف ٢/
٣٥٣، ركن المتواضعين ٣٨٠/٢، قابل الهداية ٧٠٧/٣

برّ الرسول ﷺ

أرجح الأنبياء برّاً ٦٠/١، البرّ ٢١٠/١

حلم الرسول ﷺ

أرجح الأنبياء حلماً ٦١/١، الحلم ٢٧٩/١

عفاف الرسول ﷺ

أرجح الأنبياء عفافاً ٦٦/١

صفاء باطنه

أصفى الأنبياء سريرة ٩٤/١، أصفى الناس سريرة ٩٥/١، الأبلج ١١/١،
 السريء من الفساد ٢١٣/١، البريء من كل عيب ٢١٤/١، صاحب الإنابة
 والصفاء ٤٧١/٢، الصالح ٥٧٨/٢، الصفوة ٥٨٥/٢، صفوة رب العالمين ٢/
 ٥٨٦، صفوة الله ٥٨٧/٢، الصفي ٥٨٩/٢، الصفي المقرب ٥٩١/٢

طهارة الرسول ﷺ وطيب سيرته

الأطهر ٩٧/١، أطهر الخلائق ٩٨/١، أظهر المطهرين شيمة ٩٩/١،
 الأطيب ١٠٠/١، أطيب المرسلين ٢٤١/١، أول مبرور ٣٤٠/١، البريء من
 الفساد ٢١٣/١، البريء من كل عيب ٢١٤/١، الزكي ٣٨٥/٢، الطاهر ٦٠٢/٢،
 الطاهر القلب ٦٠٣/٢، طاهر الميلاد ٦٠٤/٢، الطهر ٦١١/٢، المزكى ٣/
 ٨١٨، المطيب ٨٥٣/٣، المطهر ٨٥٢/٣، النقي ٩٥٠/٣

إنسانية الرسول ﷺ

الإنسان ١٨٠/١

٥٤٠ أسماء الرسول المصطفى ﷺ

إحسان الرسول ﷺ وفضله

صاحب الفضل والإحسان ٥٣٥/٢، صاحب الفضل والعطاء ٥٤٠/٢

بذل الرسول ﷺ وجوده وعطاؤه

أجود المستمطرين ديمة ٣٣/١، أجود الناس ٣٤/١، أجود الناس كفاً /
٣٥، سخي الطبع ٤٠٤/٢، صاحب الجود والسخاء ٤٨٨/٢، صاحب الفضل
والعطاء ٥٤٠/٢، صاحب الكرم والامتنان ٥٥٢/٢، الغيث ٦٦٣/٣، القشم /
٧١٥، الكريم ٧٣٥/٣

ضيافته

صاحب الفناء الرحيب ٥٤١/٢

أمانته

الأمين ١٦٨/١، الأمين على التنزيل ١٧٠/١، أمين الله على رسالته /
١٧١، أمين الله على رسله ١٧٢/١، أمين الله على عزائم أمره ١٧٣/١، أمين
الله على وحيه ١٧٤/١، الأمين على وحي الله ١٧٥/١، أمين الله في أرضه /
١٧٦، المأمون ٧٤٩/٣

رعاية الرسول ﷺ للأرامل والأيتام

أبو الأرامل ٢٤/١، ثمال اليتامى ٩٩٨/٣

معاملته مع اليهود وغيرهم

أرأف الناس بالناس ٥٧/١

عطف الرسول ﷺ على الأمة

أبو الأمة ٢٥/١

أحيداً ٥١/١ يحيد عن أمته نار جهنم

رحابة صدره

أرحب الناس صدرأً ٧١/١

وفاؤه بالمهد

أوفى الناس ذمة ١٨٦/١، الوفي ١٠٠/٣

شجاعة الرسول ﷺ وجرأته وثباته

أجرأ الناس صدرأً ٣٢/١، أشجع الناس ٨٠/١، ثابت القدم ٢٣٨/١،

صاحب الكر والشجاعة ٥٥١/٢

فتوته

الفتى ٦٧٦/٣

غيرة الرسول ﷺ

الغيور ٦٧٩/٣

رحمته وشفقته

أشفق الناس على الناس ٨٨/١، حاسر الحسير ٢٤٤/١، المشفق ٨٣٦/٣

توكله وقناعته

صاحب التوكل والقناعة ٤٨٣/٢، صاحب القلب الشاكر ٥٤٧/٢،
التوكل ٧٨٤/٣

صدق الرسول ﷺ

أرجح الأنبياء صدقاً ٦٤/١، أصدق البرية كلها ٩١/١، أصدق البرية
لهجة ٩٢/١، أصدق الناس لهجة ٩٣/١، الصادق ٥٧٧/٢، الصدوق ٥٨٢/٢،
الصدوق في العرب ٥٨٣/٢، المصدق ٨٤٤/٣

زهد النبي ﷺ

أزهد الأنبياء ٧٤/١، خافض الطرف ٢٩٤/٢، الزاهد ٣٨٣/٢

صبره وتحمله

الجامع ٢٤٠/١، الصابر ٤٦٥/٢، الصابر في ذات الله ٤٦٦/٢، صاحب
البدن الصابر ٤٧٢/٢، صاحب البدن الصبور ٤٧٣/٢، الصبر ٥٨٠/٢

حمده ورضاه

الحامد ٢٥١/١، الراضي ٣٥٥/٢، رسول الحمادين ٣٦٩/٢، صاحب
القلب الشاكر ٥٤٧/٢

رحمته ولين عريكته

اللين الناس عريكة ١٥٥/١، إمام الرحمة ١٦٢/١، الرحيم ٣٦٥/٢،
السلسيل ٤١١/٢، سهل الخلق ٤١٧/٢، القريب ٧١٨/٣، لين الجانب ٧٤٣/٣

معاشرته

أكرم الناس عشرة/١٥٠

بشره

البسام/٢١٥، دائم البشر/٣٢٢، الضحاك/٥٩٤، الضحوك/٥٩٥

سيرته

تارك الإكثار/٣٨٥، تارك ما لا يعنيه/٢٣٢، تارك المراء/٢٣٣

طعام الرسول ﷺ وترجيحه أكل الذراع

أكل الذراع/٨

نكاح الرسول ﷺ ونساؤه

كثير الأزواج/٧٣٣، نكاح النساء/٩٥١

منطقه وخطبه

أقصر الناس خطبة/١٣٣، تارك المراء/٢٣٣، حسن الكلام/٢٧٤،
حلو الكلام/٢٧٨، الخطيب/٢٩٧، طلق اللسان/٦٠٩، المنادي/٨٨٤

فصاحة الرسول ﷺ

أعرب العرب/١٠٣، أفصح العرب/١١٢، أفصح من نطق بالضاد
٩٩٦/٣، فصيح اللسان/٦٩٨

مستودعاته

الحافظ لما استودع/٢٤٩، وارث النبيين/٣٩١

معداته ولوازمه

حامل الهراوة/٢٥٥، راكب الجمل/٣٥٨، صاحب القضيب
العجيب/٢٥٤٥، صاحب القضيب والرداء/٢٥٤٦، صاحب اللواء الأكبر
/٥٥٥، صاحب الناقة العضباء/٢٥٦٣، صاحب النعلين/٢٥٦٥، صاحب التاج/
الهراوة والنعلين/٢٥٦٩، صاحب البغلة الشهباء/٢٤٧٦، صاحب التاج/
٤٧٩، صاحب التاج والمغفر/٢٤٨٠، صاحب التاج والهراوة/٢٤٨١،
صاحب الجمل/٢٤٨٦، صاحب الجمل الأحمر/٢٤٨٧، صاحب الرمح
الطاعن/٢٥٢٢، صاحب القرآن والناقة/٢٥٤٤

العوامل والأمم السابقة

سيد الأولين والآخرين/٢٤٢٦

سبقه وتقدمه

الفائت عن اللحاق/٣٦٨١، الفائز بالسباق/٣٦٨٢، فرط الأمة على
الحوض/٣٦٩٧، قدم صدق/٣٧١٦

مكانته وسيادته

السماء/٢٤١٢، السيد/٢٤١٨، سيد الأئمة/٢٤١٩، السيد الأكبر/٢٤٢٠
سيد الأمة/٢٤٢١، سيد الأنام/٢٤٢٢، سيد الأنبياء/٢٤٢٣، سيد
أهل السماء والأرض/٢٤٢٤، سيد أولي العلم/٢٤٢٥، سيد الأولين
والآخرين/٢٤٢٦، سيد البشر/٢٤٢٨، سيد تهامة/٢٤٢٨، سيد خلق الله/٢٤٢٨
٤٢٩، سيد رسل الله/٢٤٣٠، سيد العالمين/٢٤٣١، سيد العباد/٢٤٣٢،

سيد عباد الله ٤٣٣/٢ ، سيد العرب والعجم ٤٣٤/٢ ، سيد الماضين عند الله ٢/٢
٤٣٥ ، سيد المرسلين ٤٣٦/٢ ، سيد من خلق الله ٤٣٧/٢ ، سيد الناس ٤٣/٢ ،
سيد النبيين ٤٣٩/٢ ، سيد النجباء ٤٤٠/٢ ، سيد النذر ٤٤١/٢ ، سيد ولد آدم
٤٤٢/٢ ، الموجه ٨٣٧/٣

صنفة

السابق ٣٩٠/٢ ، المنعم عليه ٨٩٣/٣

شرفه وكرمه وعزته ونبله

ذو الشرف الأصيل ٣٤٧/٢ ، ذو الشرف الباذخ ٣٤٨/٢ ، ذو الفضل
الشامخ ٣٤٩/٢ ، الشرف الباقي ٤٥٤/٢ ، الشرف في الدنيا والآخرة ٤٥٥/٢ ،
صاحب العز الأبدى ٥٣٤/٢ ، المتكرم ٧٧٨/٣ ، المتوج بتاج الكرامة ٧٨١/٣ ،
الموجه ٩٠٢/٣ ، الموصوف بالكرم والتفضيل ٩٠٤/٣ ، الموصوف بالكرامة ٩٠٥
٩٣٤/٣ ، النبيل ٩٣٤/٣

فضله على الأولياء

تاج الأولياء ٢٣٠/١ ، خير أصحاب اليمين ٣٠٢/٢ ، سيد الأئمة ٤١٩/٢
، سيد أولي العلم ٢٢٥/٢

فضله على الناس

أقرب الناس من الله منزلة ١٣٢/١ ، أكرم الأولين والآخرين ١٣٩/١ ،
أكرم ربعة ومضرا ١٤٣/١ ، أكرم السابقين على الله ١٤٤/١ ، أكرم العبيد ١/
١٤٥ ، أكرم من نشأ ١٤٨/١ ، أكرم الناس ١٤٩/١ ، أكرم الناس على الله ١/
١٥١ ، أكرم ولد آدم ١٥٢/١ ، أكرم ولد آدم على الله ١٥٣/١ ، أحسن من

مشى ٣٩/١، أحسن الناس ٤٠/١، أحسن الناس خلقاً ٤٢/١، أحسن الناس صوتاً ٤٣/١، أحسن الناس وجهاً ٤٤/١، أرف الناس بالناس ٥٧/١، أفضل برية الله ١١٦/١، أفضل برية في دار السلام ١١٧/١، أنجب البرية كهلاً ١٧٨، خير الأنام ٣٠٤/٢، خير الباقيين عند الله ٣٠٧/٢، خير البرية ٣٠٨/٢، خير البشر ٣٠٩/٢، خير السابقين ٣١٤/٢، خير الناس بيتاً ٣١٥/٢، خير الماضين ٣١٦/٢، خير من يمشي على الأرض ٣١٧/٢، خير الوري ٣١٩/٢، سابق ولد آدم ٣٩٢/٢، سيد الأمة ٤٢١/٢، سيد الأنام ٤٢٢/٢، سيد الأولين والآخرين ٤٢٦/٢، سيد البشر ٤٢٧/٢، سيد تهامة ٤٢٨/٢، سيد العالمين ٢٣١، سيد العباد ٤٣٢/٢، سيد عباد الله ٤٣٣/٢، سيد العرب والعجم ٤٣٤، سيد الماضين عند الله ٤٣٥/٢، سيد من خلق الله ٤٣٧/٢، سيد الناس ٤٣٨/٢، سيد ولد آدم ٤٤٢/٢

فضله على الأنبياء

أحب انبياء الله إليه ٣٦/١، أرجح الأنبياء إسلاماً ٥٨/١، أرجح الأنبياء سلماً ٦٣/١، أرجح الأنبياء صدقاً ٦٤/١، أرجح الأنبياء خشوعاً ٦٢/١، أرجح الأنبياء حلماً ٦١/١، أرجح الأنبياء إيماناً ٥٩/١، أرجح الأنبياء عبادة ٦٥/١، أرجح الأنبياء عفافاً ٦٦/١، أرجح الأنبياء علماً ٦٧/١، أرجح الأنبياء ورعاً ٦٨، أرجح الأنبياء يقيناً ٦٩/١، أرفع النبيين درجة ٧٢/١، أزهد الأنبياء ٧/١، أشرف الأنبياء ٨٢/١، أطيب المرسلين ١٠١/١، أعرف الأنبياء لله ١٠٤/١، أعلم الأنبياء ١١١/١، أفضل الأنبياء ١١٤/١، أفضل أنبياء الله ١١٥/١، أفضل النبيين ١٢٦/١، أقرب الأنبياء من الله ١٣٠/١، أكثر الأنبياء تبعاً ١٣٧، أكرم الأنبياء على الله ١٤٧/١، إمام المرسلين ١٦٤/١، أول الأنبياء خلقاً ١٨٨/١، أول النبيين ميثاقاً ١٩٩/١، تمام عدة المرسلين ٢٣٤/١، خير الأنبياء ٣٠٥/٢، خير أنبياء الله ٣٠٦/٢، خير النبيين ٣١٨/٢، سيد الأنبياء ٤٢٣، سيد رسل الله ٤٣٠/٢، سيد المرسلين ٤٣٦/٢، سيد النبيين ٤٣٩/٢،

سيد النذرين ٤٤١/٢، قائد المرسلين ٧٠٥/٣

فضل النبي ﷺ على الخلق

آثر الخلق عند الله ١/١، أحب خلق الله إليه ٣٧/١، أحسن الخلائق ١/٣٨، أفضل الخلائق ١/١١٨، أفضل خلق الله ١/١١٩، الأفضل عند الله من جميع الملائكة ١/٢٣، أفضل من العرش ١/١٢٤، أفضل من الملائكة المقربين ١/١٢٥، أكرم خلق الله عليه ١/١٤٠، أكرم خلق عند الله ١/١٤١، أكرم الخلق على الله ١/١٤٢، خير الخلائق ٢/٣١٠، خير الخلق ٢/٣١١، خير خلق الله ٢/٣١٢، خير خليقة الله ٢/٣١٣، ذو الفضل الشامخ ٢/٣٤٩، السيد الأكبر ٢/٤٢٠، سيد أهل السماء والأرض ٢/٤٢٤، سيد خلق الله ٢/٤٢٩، سيد العالمين ٢/٤٣١، سيد من خلق الله ٢/٤٣٧

فضله على الأمم

أفضل الأمم ٢/١١٣، خير الأمم ٢/٣٠٣، شرف الأمة ٢/٤٥٣، سيد الأمة ٢/٤٢١

درجاته ومقاماته وشرفه

أرفع النبيين درجة ١/٧٢، أشرف الأشراف ١/٨١، أشرف أهل الأرض ١/٨٣، أشرف أهل السماء ١/٨٤، أشرف زينة الجنان ١/٨٥، أعرف الأنبياء ١/١٠٤، أعظم خلق الله منزلة ١/١٠٧، أعظم العالم ١/١٠٨، الأعلى من الملائكة ١/١١٠، أفضل رتبة في دار السلام ١/١٢١، الإكليل المحمود ١/١٥٤، الإمام ١/١٥٧، إمام الأئمة ١/١٥٨، إمام الأتقياء ١/١٥٩، إمام البررة ١/١٦٠، إمام الخلق ١/١٦١، إمام المتقين ١/١٦٣، إمام المرسلين ١/١٦٤، أمين الله على رسالته ١/١٧١، أمين الله على رسله ١/١٧٢، أمين الله على عزائم أمره ١/١٧٣

١٧٣، أمين الله على وحيه ١/١٧٤، الأمين على وحي الله ١/١٧٥، أمين الله في أرضه ١/١٧٦، أمين الله في خلقه ١/١٧٧، أولى بكل مؤمن من نفسه ١/٢٠٠، الأولى بالمؤمنين من أنفسهم ١/٢٠١، حاكم ١/٢٥٠، حبر الدهر ١/٢٥٧، زهرة الملائكة ٢/٣٨٦، زين القيامة ٢/٣٨٧، السابق ٢/٣٩٠، السابق إلى طاعة رب العالمين ٢/٣٩١، سادن غيب الله ٢/٣٩٤، الساقى ٢/٣٩٦، سفير الله ٢/٤٠٨، السفير بين الله وخلقته ٢/٤٠٩، سفير وحي الله ٢/٤١٠، الحبيب ١/٢٦٠، حبيب الله ١/٢٦١، خازن الله في الأرض ٢/٢٩١، خازن الله في السماء ٢/٢٩٢، خاصة الله ٢/٢٩٣، خالصة الله ٢/٢٩٥، خليل الله ٢/٢٩٨، خليفة الله في الأرض ٢/٢٩٩، خيرة الله ٢/٣٢٠، خيرة الله من خلقه ٢/٣٢١، رسول رب العالمين ٢/٣٧١، صاحب المقام المحمود ٢/٥٥٩، العبد ٣/٦٢٣، قائد المرسلين ٣/٧٠٥، مستودع سر الله ٣/٨٢٦، المكين ٣/٨٨٠، ملك الآخرة ٣/٨٨٢، ناموس العصر ٣/٩٢٥، الوالي ٣/٩٧٨، الولي ٣/٩٨٧

نجابة الرسول ﷺ

أنجب البرية كهلاً ١/١٧٨، سيد النجباء ٢/٤٤٠، النجيب ٣/٩٣٧، نجيب الله ٣/٩٣٨

عظمة الرسول ﷺ

الأعظم ١/١٠٦، أعظم خلق الله منزلة ١/١٠٧، أعظم العالم ١/١٠٨، أكرم خلق الله عليه ١/١٤٠، أكرم الخلق عند الله ١/١٤١، أكرم الخلق على الله ١/١٤٢، الأكرم على الله ١/١٤٦، العلم الزاهر ٣/٦٧٠، فخماً مفخماً ٣/٦٩٦

ارتفاع الرسول ﷺ ووضوحه

العلم الزاهر ٣/٦٧٠، قصر مشيد ٣/٧٢٠، المثل الأعلى ٣/٧٨٥،
المرفوع ٣/٨١٦، نجم قريش ٣/٩١٧، النجم ٣/٩٣٥، النجم الثاقب ٣/٩٣٦

كماله

القشم ٣/٧١٥، الكامل ٣/٧٣١

قربه من الله سبحانه

جنب الله ١/٢٤٢، حبيب الله ١/٢٦١، الحبيب ١/٢٦٠

حقيقة الرسول ﷺ والرسالة

البلد الأمين ١/٢٢٣، الحنيف ١/٢٨١، روح الحق ٢/٣٨١، روح القدس
٢/٣٨٢، سيد رسل الله ٢/٤٣٠، سيد المرسلين ٢/٤٣٦، سيد النبيين ٢/٤٣٩،
كلمة الله ٣/٧٣٨، اللبنة ٣/٧٤٠، لسان الله ٣/٧٤١، المرسل ٣/٨١٥،
المصطفى للنبوّة ٣/٨٤٧، النبي ٣/٩٢٧، نبي الله ٣/٩٢٨

تفكر الرسول ﷺ

دائم الفكر ٢/٣٢٣

علمه وعرفانه ووراثته علوم النبيين

أرجح الأنبياء علماً ١/٦٧، أعلم الأنبياء ١/١١١، أفضل الراسخين في
العلم ١/١٢٠، أم القرآن المبين ١/١٥٦، باب العلم ١/٢٠٤، البحر السائغ
للشاربيين ١/٢٠٨، البرهان ١/٢١٢، حامل دين الله ١/٢٥٢، حامل عرش الله
١/٢٥٣، حامل علم الله ١/٢٥٤، خازن علم الله ٢/٢٩٠، الخبير ٢/٢٩٦، سيد

٥٥٠..... أسماء الرسول المصطفى ﷺ

أولي العلم ٤٢٥/٢، العارف ٦١٩/٣، العالم ٦٢١/٣، العالم إذا سئل ٦٢٢/٣،
الفاحص عن معرفة الله ٦٨٩/٣، مدينة العلم ٨٠٨/٣، معدن العلم ٨٦٠/٣،
ميزاب العلم ٩١٣/٣، ميزان العلم ٩١٤/٣، نون ٩٦٤/٣، وارث علم آدم ٣/
٩٧٠، وارث النبيين ٩٧١/٣

علمه بالغيب وفراسته

المتوسم ٧٨٣/٣، مستودع سر الله ٨٢٦/٣

حكمة الرسول ﷺ

دار الحكمة ٣٢٤/٢، الداعي إلى الحكمة ٣٢٩/٢، صاحب الحكمة
والفرقان ٤٩٥/٢، مدينة الحكمة ٨٠٧/٣، مصباح الحكمة ٨٤١/٣

إصابة رأيه

صاحب الرأي المصيب ٥١٧/٢

قوة الرسول ﷺ

ذو القوة ٣٥٠/٢، ذو مرة ٣٥١/٢، القوي ٧٢٨/٣، المكين ٨٨٠/٣، يد
الله ٩٩٢/٣، يمين الله ٩٩٤/٣

النبي ﷺ هو رحمة الله ونعمته

رسول رحمة الله ٣٧٢/٢، فضل الله ٧٠٠/٣، مفتاح الرحمة ٨٦٨/٣، نبي
الرحمة ٩٢٩/٣، نبي الرحمة ٩٣٠/٣، النعمة الظاهرة ٩٤٨/٣، نعمة الله ٩٤٩/٣

الولاية والإمامة

الإمام/١، ١٥٧/١، الأولى بالمؤمنين من أنفسهم/١، ٢٠١/١، سيد الأئمة/٢
٤١٩، الوالي/٣، ٩٧٨/٣، الوالي/٣، ٩٨٧/٣

النبي ﷺ باب الله

باب الله/١، ٢٠٥

الرسول ﷺ حجة الله

الحجة العظمى/١، ٢٦٤، حجة الله على الأولين والآخرين/١، ٢٦٥،
حجة الله في بريته/١، ٢٦٦، الحجة من الله على خلقه/١، ٢٦٧

وجه الله وعينه وحجابه ولسانه ويده وكلمته

حجاب الله/١، ٢٦٣، عين الله في عبادته/٣، ٦٧٤، كلمة الله/٣، ٧٣٨، لسان
الله/٣، ٧٤١، وجه الله/٣، ٩٧٩، وجه الله في عبادته/٣، ٩٨٠، يد الله/٣، ٩٩٢، يمين
الله/٣، ٩٩٤

النبي ﷺ أبو الأمة

أفضل والذي الأمة/١، ١٢٧، أبو الأمة/١، ٢٥، الوالد/٣، ٩٧٧

حقانيته

الحق/١، ٢٧٧، صاحب الحق الزاهر/٢، ٤٩٢، صاحب الحق والصواب/٢،
٤٩٣، صاحب الحق والبيان/٢، ٤٩٤، صاحب الدين الرضي/٢، ٥١٠،
صاحب الدين القيوم/٢، ٥١٣

بعثة النبي ﷺ

حال العرب عند البعثة

الداعي ٣٢٥/٢، العربي ٦٥٣/٣

اختيار الله له وانتخابه وأسباب ذلك

الصفوة ٥٨٥/٢، صفوة رب العالمين ٥٨٦/٢، صفوة الله ٥٨٧/٢، صفوة
الله من خلقه ٥٨٨/٢، صفي الله ٥٩٠/٢، المجتبي ٧٨٧/٣، المختار ٧٩٨/٣،
المختار للرسالة ٧٩٩/٣، المرتضى ٨١٢/٣، المصطفى ٨٤٥/٣، المصطفى في
الظلال ٨٤٦/٣، المصطفى للنبوّة ٨٤٧/٣، المنتجب ٨٨٥/٣

الوحي والتنزيل والتأويل

معدن التنزيل ٨٥٩/٣، معدن الوحي ٨٦١/٣، معنى التأويل ٨٦٣/٣،
النجي ٩٣٩/٣، نون ٩٦٤/٣، الواعي لوحي الله ٩٧٥/٣، الوحي ٩٨١/٣،
يس ٩٩٣/٣

بعثة الرسول ﷺ وتحمله الرسالة

المدثر ٨٠٤/٣، المزمّل ٨٢٠/٣

ما بعث به

بعث الله بالحق: ٢٢١/١، المبعوث في آخر الزمان ٧٧٠/٣

المرسل للرسول ﷺ

رسول الملك الجبار ٣٧٥/٢، رسول الملك الجليل ٣٧٦/٢

نجواه وكلام الله

النجي ٩٣٩/٣، نجي الله ٩٤٠/٣

دعوة الرسول ﷺ وتبليغه

الداعي ٣٢٥/٢، الداعي إلى الحق ٣٢٦/٢، الداعي إلى كل حق ٣٢٧/٢،
 داعي الله ٣٢٨/٢، الداعي إلى الحكمة ٣٢٩/٢، صاحب الدعوة ٥٠٧/٢،
 صاحب الدعوة والجواب ٥٠٨/٢، لسان الله ٧٤١/٣، المؤذن ٧٤٦/٣، المبشر ٣/
 ٧٦٢، المبشر بالجنة ٧٦٣/٣، المنادي ٨٨٤/٣

شريعة الرسول ﷺ

رسول الراحة ٣٧٠/٢، صاحب الخل والحرام ٤٩٦/٢، صاحب الشريعة
 المرضية ٥٢٨/٢، صاحب العزم والشريعة ٥٣٥/٢، واضع الإصر والأغلال ٣/
 ٩٧٤

النبي ﷺ وإبراهيم والحنيفية

أولى الناس بإبراهيم ٢٠١/١، أولى الناس بعيسى بن مريم ٢٠٣/١،
 دعوة إبراهيم ٣٣٥/٢، صاحب الأصل الظاهر ٤٦٨/٢، صاحب الملة الحنيفية ٢/
 ٥٦٠

إنقاذ النبي ﷺ الناس ونجاتهم به

حبيل الله ٢٥٨/١، الحبل المتين ٢٥٩/١، الحريص ٢٧٢/١، الخيار ٣٠١/٢،
 الضال ٥٩٣/٢، طريق النجاة ٦٠٦/٢، العائل ٦١٧/٣، المنقذ ٨٩٤/٣

هداية الناس

باب الهدى ١/٢٠٦، البرهان ١/٢٠٢، البشير ١/٢١٨، بصر من اهتدى
١/٢١٩، بصيرة من اهتدى ١/٢٢٠، البينة ١/٢٢٨، جاعل السنة ١/٢٣٩،
الحجة العظمى ١/٢٦٤، الحجيج ١/٢٦٨، الدليل إلى الله ٢/٣٣٧، دليل الله ٢/
٣٣٨، الرسول ٢/٣٦٦، السبيل ٢/٤٠٠، السبيل الأقوم ٢/٤٠١، سبيل
الهدى ٢/٤٠٣، السراج ٢/٤٠٥، سراج الأصفياء ٢/٤٠٦، السراج المنير ٢/
٤١٧، صاحب الأمة المهديّة ٢/٤٦٥، الصراط المستقيم ٢/٥٨٤، الطريق
المستقيم ٢/٦٠٥، المصلح ٣/٨٤٨، نبي الهدى ٣/٩٣٣، النهج القويم ٣/٩٦٣،
الهادي ٣/٩٦٥، الهادي إلى الرشاد ٣/٩٦٦، الهدى ٣/٩٦٨

وسائل الهداية

الراعي ٢/٣٥٦، صاحب البرهان ٢/٤٧٥، صاحب الخطبة والمنبر ٢/
٥٠٣، المبشر ٣/٧٦٢

احتجاج الرسول ﷺ

صاحب البرهان ٢/٤٧٥، صاحب الحجة والبرهان ٢/٤٩٠، صاحب
الرمح الطاعن ٢/٥٢٢

إنذاره وتحذيره

المنذر ٣/٨٢٨، النذير ٣/٨٦٧، النذير العربيان ٣/٨٦٨، نذير من النذر
الأولى ٣/٨٦٩، النذير للعالمين ٣/٨٧٠، المين ٣/٧٧٤

العذاب والبلايا

مواظفه وبكاؤه

صاحب التذكرة والبكاء ٤٨٢/٢

دفاع الرسول ﷺ وجهاده

دافع جيشات الأباطيل ٣٣٠/٢، دافع صولات الأضاليل ٣٣١/٢، دافع
هيشات الأضاليل ٣٣٢/٢، الديان ٣٤٠/٢، السبت ٣٩٧/٢، المجاهد ٧٨٦/٣،
المعلن الحق بالحق ٨٦٤/٣، نبي الملحمة ٩٣٢/٣

شدته على الكفار

الحاد ٢٤٣/١، الديان ٣٤٠/٢، رسول الملاحم ٣٧٤/٢، شديد البأس ٢/
٤٥٢، صاحب السيف القاطع ٥٢٧/٢، صاحب الملحمة ٥٦١/٢، قاهر أعداء
الله ٧١٣/٣، القتال ٧١٤/٣

أعمال الرسول ﷺ ومهاراته

الراتق ٣٥٤/٢، الراعي ٣٥٦/٢، راعي شمس الله ٣٥٧/٢، الرسول ٢/
٣٦٦، سفير الله ٤٠٨/٢، السفير بين الله وخلقه ٤٠٩/٢، سفير وحي الله ٢/
٤١٠، صاحب الرجفة ٥١٨/٢، الصادع ٥٧٥/٢، الصادع بأمر الله ٥٧٦/٢،
العينان ٦٧٣/٣، الفاحص عن معرفة الله ٦٨٩/٣، الفارق ٦٩٠/٣، القاسم ٣/
٧٠٩، قاصم الأوثان ٧١٠/٣، الكافي ٧٣٠/٣، المؤذن ٧٤٦/٣، ماح ٧٥٦/٣،
الماضي على نفاذ أمر الله ٧٦٠/٣، المبشر ٧٦٢/٣، المبشر بالجنة ٧٦٣/٣، مبيد
كل وثن وصنم ٧٧٣/٣، المذكر ٨٠٩/٣، مثل الكهان ٨١٠/٣، المزكي ٨١٩/٣،
مظهر الإسلام ٨٥٥/٣، مقيم السنة ٨٧٨/٣، المنقذ ٨٩٤/٣، الموضح
للدلالة ٩٠٦/٣، الموقف ٩٠٧/٣، واضع الإصر والأغلال ٩٧٤/٣، يد الله ٣/
٩٩٢، يمين الله ٩٩٤/٣

شهادة الرسول ﷺ على الخلق وإشرافه

الرقيب على الخلق ٣٧٨/٢، روح القدس ٣٨٢/٢، الشاهد ٤٤٤/٢،
الشاهد على الخلق ٤٤٥/٢، الشهيد ٤٦٣/٢، شهيد الله يوم الدين ٤٦٤/٢،
العينان ٦٧٣/٣، عين الله في عباده ٦٧٤/٣

قيام الدين به

ركن الدين ٣٧٩/٢، القائم بأمر الله ٧٠٦/٣، المستوفز في مرضاة الله ٣/

٨٢٧

ضماناته

الزعيم ٣٨٤/٢، فئة المسلمين ٦٨٠/٣

سياسة الرسول ﷺ

السائس ٣٨٨/٢

تدييره لحفظ الإسلام

الحامي ٢٥٦/١، دعامة الإسلام ٣٣٤/٢، صاحب قول لا إله إلا الله ٢/
٥٤٨، صاحب قول محمد رسول الله ٥٤٩/٢

تميز المؤمن

السور ٤١٥/٢

عزم الرسول ﷺ وتصميمه

صاحب العزم والشريعة ٥٣٥/٢

مقومات نصره

صاحب السكينة ٥٢٥/٢، المنصور بالرعب ٨٩١/٣، المنصور بعلي ٣/

٨٩٢

نصر الرسول ﷺ وغلبته

الغالب ٦٧٦/٣، الفاتح ٦٨٣/٣، المنصور ٨٩٠/٣، المنصور بالرعب ٣/

٨٩١، المنصور بعلي ٣/٨٩٢

فتحه المغالق

الفاتح ٦٨٣/٣، فاتح الخير ٦٨٤/٣، الفاتح لما استقبل ٦٨٥/٣، الفاتح

لما انغلق ٦٨٦/٣

الكهانة

مذل الكهان ٣/٨١٠

الأصنام

قاصم الأوثان ٣/٧١٠، مييد كل وثن وصنم ٣/٧٧٣

حلاله وحرامه

محرم الحباث ٣/٧٩٣، محرم الميتة ٣/٧٩٤، محلل الطيبات ٣/٧٩٥

المرسل إليهم

رسول الله إلى خلقه ٢/٣٧٣

الجن

سيد الناس ٤٣٨/٢، المبعوث إلى الجن ٧٦٧/٣

طاعة الخلق للرسول ﷺ

صاحب الدين والطاعة ٥١٥/٢، المطاع ٨٥٠/٣

الاعتداء بالرسول ﷺ

المثل الأعلى ٧٨٥/٣، المقتدى ٨٧٢/٣

الرسول ﷺ والقرآن

تأويل القرآن العظيم ٢٢٩/١، صاحب الذكر الحكيم ٥١٦/٢، صاحب الفرقان والخطاب ٥٣٧/٢، صاحب القرآن والناقة ٥٤٤/٢، صاحب الكتاب البهي ٥٥٠/٢، صاحب المنشور والكتاب ٥٦٢/٢

معاجز الرسول ﷺ ودلالاته

الأظهر معجزة ١٠٢/١، صاحب الدلالات ٥٠٩/٢، قاصم الأوثان ٧١٠/٣

البراق والمعراج

أحب خلق الله إليه ٣٧/١، راكب البراق ٣٥٨/٢

آثاره وبركته

أهل بيت الرحمة ١٨٣/١، التين ٢٣٧/١، الحرز للأمين ٢٦٩/١، الحسنى ٢٧٦/١، رحمة العالمين ٣٦٢/٢، رحمة للعالمين ٣٦٣/٢، الرحمة المهداة ٢/٢، رسول البلاء ٣٦٧/٢، صاحب البركة والخبور ٤٧٤/٢، صاحب اليمن

الفهرس الموضوعي ٥٥٩

والسرور ٥٧٤/٢، قائد الخير ٧٠٣/٣، القيم ٧٢٩/٣، المبارك ٧٦١/٣، محل
قدس الله ٧٩٢/٣، الميمون ٩١٦/٣

حقيقة الخير

فاتح الخير ٦٨٤/٣

استقامة الرسول ﷺ

المستقيم ٨٢٥/٣

أمته وأتباعه

أكثر الأنبياء تبعاً ١٣٧/١، أكثر النبيين أمة ١٣٨/١، أمته أفضل الأمم
١٦٥/١، أمته أكثر الأمم ١٦٦/١

أصحابه

قابل الهدية ٧٠٧/٣، المظلل بالغمام ٨٥٤/٣

المنافقون

السور ٤١٥/٢

تأييده

العبد المؤيد ٦٤١/٣، المؤيد ٧٥٢/٣، المؤيد بالقرآن ٧٥٣/٣

المرأة

ابن الفواطم ٢٠/١٣٨

خاتمة النبي ﷺ

الأخر ٥/١، آخر الأنبياء ٦/١، تمام عدة المرسلين ٢٣٤/١، تمام النبوة ١/١
٢٣٥، الخاتم ٢٨٤/٢، خاتم الأنبياء ٢٨٥/٢، خاتم الرسل ٢٨٦/٢، الخاتم لما
سبق ٢٨٧/٢، خاتم النبوة ٢٨٨/٢، خاتم النبيين ٢٨٩/٢، العاقب ٦٢٠/٣،
المقفي ٨٧٧/٣

قرب بعثته من قيام الساعة

الأزفة ٧/١، الحاشر ٢٤٥/١، الساعة الموعد ٣٩٥/٢، علم الساعة ٣/٣

٦٧١

قصة الذراع المسموم

آكل الذراع ٨/١

قبره

صاحب القبر ٤٤٢/٢

يوم القيامة

الآخذ بأمر الله ٢/١، الآخذ بحجزة الله ٣/١، أعلى الخلائق يوم القيامة
ذكراً ١٠٩/١، أفضل رتبة في دار السلام ١٢١/١، أول قارع لباب الجنة ١/١
١٩١، أول محبور ١٩٤/١، أول محشور ١٩٥/١، أول منشور ١٩٦/١، أول من
يدعى من القبور ١٩٨/١، الساقى ٣٩٦/٢، صاحب الجمع ٤٨٦/٢، صاحب
الحوض الشريف ٤٩٧/٢، صاحب الحوض المورود ٤٩٨/٢، صاحب الحوض
والكوثر ٤٩٩/٢، صاحب المنشور والكتاب ٥٦٢/٢، صاحب الوسيلة ٥٧١/٢
، صخرة الميزان ٥٨١/٢، فرط الأمة على الحوض ٦٩٧/٣، قائد الغر

الفهرس الموضوعي ٥٦١

المجلدين ٧٠٤/٣، القريب يوم التلاق ٧١٩/٣، المؤمل للنجاة ٧٤٧/٣، ملك
الآخرة ٨٨٢/٣، الموقف ٩٠٧/٣، ميزان العلم ٩١٤/٣، ميزان القسط ٩١٥/٣

حقيقة الحشر

أول من يدعى من القبور ١٩٨/١

التمسك بالرسول ﷺ

العروة الوثقى ٦٥٤/٣

شفاعته

أوجب الناس عند الله شفاعته ١٨٤/١، أول شافع ١٨٩/١، الشافع ٢/
٤٤٣، الشفيح ٤٥٦/٢، شفيح من في الدارين ٤٥٧/٢، شفيح المذنبين ٤٥٨/٢،
صاحب الشفاعته ٥٢٨/٢، صاحب الشفاعته الكبرى ٥٣٠/٢، المؤمل للنجاة
٧٤٧/٣، المرتجى للشفاعة ٨١١/٣، المشفع ٨٣٥/٣، مفتاح الجنة ٨٦٧/٣، نعم
الشفيح ٩٤٦/٣، الوسيلة إلى الله ٩٨٢/٣، الوصلة إلى رضوان الله ٩٨٣/٣

الحوض

صاحب الحوض الشريف ٤٩٧/٢، صاحب الحوض المورود ٤٩٨/٢،
صاحب الحوض والكوثر ٤٩٩/٢

استمرار دعوته وظهور دينه

السنة ٤١٣/٢، صاحب الأمة المهدية ٥١١/٢، صاحب الدين الأظهر ٢/
٥١١، صاحب الدين الظاهر ٥١٢/٢، صاحب الزمان ٥٢٣/٢، صاحب
الزمان الباهر ٥٢٤/٢، صاحب السهم النافذ ٥٢٦/٢، صاحب العز الأبدي ٢

٥٦٢ أسماء الرسول المصطفى ﷺ

٥٣٤/، صاحب المنشور والكتاب ٥٦٢/٢، الضحى ٥٩٦/٢، مظهر الإسلام ٣

٨٠٠/، نور الله الذي لا يطفى ٩٦٠/٣، النور الممدود ٩٦٢/٣

تركة الرسول ﷺ

مخلف الثقلين ٨٠٣/٣

فهرس الكتاب

الاسماء المصدرة بعرف العين

٧	العائل	٦١٧
٩	العابد	٦١٨
١١	العارف	٦١٩
١٢	العاقب	٦٢٠
١٢	العالم	٦٢١
١٤	العالم إذا سئل	٦٢٢
١٤	العبد	٦٢٣
١٦	عبد الأعلى	٦٢٤
١٨	عبد التواب	٦٢٥
١٩	عبد الجبار	٦٢٦
٢٠	عبد الجليل	٦٢٧
٢٠	عبد الحق	٦٢٨
٢٠	عبد الحميد	٦٢٩
٢١	عبد الديان	٦٣٠
٢١	عبد الرحيم	٦٣١
٢٢	عبد الرفيع	٦٣٢
٢٣	عبد العزيز	٦٣٣
٢٤	عبد السلام	٦٣٤

٥٦٤ أسماء الرسول المصطفى ﷺ

- ٢٤ عبد العطاء - ٦٣٥
٢٥ عبد الفتاح - ٦٣٦
٢٦ عبد القادر - ٦٣٧
٢٦ عبد الكريم - ٦٣٨
٢٧ عبد الله - ٦٣٩
٢٨ عبد المؤمن - ٦٤٠
٢٩ العبد المؤيد - ٦٤١
٢٩ عبد المختار - ٦٤٢
٣٠ عبد الملك - ٦٤٣
٣٠ عبد المنان - ٦٤٤
٣١ عبد المنعم - ٦٤٥
٣١ عبد المهيمن - ٦٤٦
٣٢ عبد النجاة - ٦٤٧
٣٢ عبد الهيبة - ٦٤٨
٣٣ عبد الواحد - ٦٤٩
٣٤ عبد الوكيل - ٦٥٠
٣٤ عبد الوهاب - ٦٥١
٣٥ العدل - ٦٥٢
٣٥ العربي - ٦٥٣
٣٨ العروة الوثقى - ٦٥٤
٣٩ عريض الجبهة - ٦٥٥
٣٩ عريض الصدر - ٦٥٦
٣٩ العزيز - ٦٥٧
٤٠ العزيز على الله - ٦٥٨

٥٦٥ فهرس الكتاب
٤٠ ٦٥٩ - عصبة ولد فاطمة
٤٠ ٦٦٠ - عصمة الأرامل
٤١ ٦٦١ - عظيم الخلق
٤٤ ٦٦٢ - عظيم الهامة
٤٤ ٦٦٣ - العقبة
٤٥ ٦٦٤ - العقل الأول
٤٥ ٦٦٥ - عقيقي الشفتين
٤٦ ٦٦٦ - على رأسه عمامة
٤٦ ٦٦٧ - علم الإحسان
٤٧ ٦٦٨ - علم الأتقياء
٤٧ ٦٦٩ - علم الحق
٤٨ ٦٧٠ - العلم الزاهر
٤٨ ٦٧١ - علم الساعة
٤٩ ٦٧٢ - علم الصدق
٤٩ ٦٧٣ - العينان
٥٠ ٦٧٤ - عين الله في عباده

الاسماء المصدرة بحرف الفين

٥٥ ٦٧٥ - الغائص
٥٥ ٦٧٦ - الغالب
٥٦ ٦٧٧ - غاية الغاية
٥٦ ٦٧٨ - الغيث
٥٨ ٦٧٩ - الغيور

الأسماء المصدرة بحرف الفاء

- ٦٨٠ - فئة المسلمين..... ٦٣
- ٦٨١ - الفائت عن اللحاق..... ٦٣
- ٦٨٢ - الفائز بالسباق..... ٦٤
- ٦٨٣ - الفاتح..... ٦٥
- ٦٨٤ - فاتح الخير..... ٦٦
- ٦٨٥ - الفاتح لما استقبل..... ٦٨
- ٦٨٦ - الفاتح لما انغلق..... ٦٩
- ٦٨٧ - الفاتق..... ٦٩
- ٦٨٨ - فاتق كل رتق..... ٦٩
- ٦٨٩ - الفاحص عن معرفة الله..... ٧٠
- ٦٩٠ - الفارق..... ٧١
- ٦٩١ - الفارقليط..... ٧١
- ٦٩٢ - فارق ليطا..... ٧٢
- ٦٩٣ - الفاروق..... ٧٣
- ٦٩٤ - الفتى..... ٧٣
- ٦٩٥ - الفجر..... ٧٤
- ٦٩٦ - فخمأ مفخمأ..... ٧٤
- ٦٩٧ - فرط الأمة على الحوض..... ٧٥
- ٦٩٨ - فصيح اللسان..... ٧٦
- ٦٩٩ - الفضل..... ٧٦
- ٧٠٠ - فضل الله..... ٧٦
- ٧٠١ - فعم الأوصال..... ٧٧

الأسماء المصدرة بحرف القاف

- ٧٠٢ - القائد ٨١
- ٧٠٣ - قائد الخير ٨١
- ٧٠٤ - قائد الغر المحجلين ٨٢
- ٧٠٥ - قائد المسلمين ٨٢
- ٧٠٦ - القائم بأمر الله ٨٣
- ٧٠٧ - قابل الهدية ٨٤
- ٧٠٨ - القارئ ٨٦
- ٧٠٩ - القاسم ٨٦
- ٧١٠ - قاصم الأوثان ٨٨
- ٧١١ - القاضي ٩٠
- ٧١٢ - القانت ٩٠
- ٧١٣ - قاهر الأعداء ٩١
- ٧١٤ - القتال ٩٢
- ٧١٥ - القثم ٩٤
- ٧١٦ - قدم صدق ٩٥
- ٧١٧ - القرشي ٩٦
- ٧١٨ - القريب ٩٩
- ٧١٩ - القريب يوم التلاق ١٠٠
- ٧٢٠ - قصر مشيد ١٠١
- ٧٢١ - قصر الحنك ١٠٢
- ٧٢٢ - قطط الشعر ١٠٢
- ٧٢٣ - قليطا ١٠٣
- ٧٢٤ - قليل الأولاد ١٠٣

٥٦٨ أسماء الرسول المصطفى ﷺ

- ٧٢٥ - قمر الآخرة ١٠٤
٧٢٦ - قمر الأعمار ١٠٥
٧٢٧ - القمر المستنير ١٠٥
٧٢٨ - القوي ١٠٦
٧٢٩ - القيم ١٠٧

الأسماء المصدرة بحرف الكاف

- ٧٣٠ - الكافي ١١١
٧٣١ - الكامل ١١١
٧٣٢ - كت اللحية ١١٣
٧٣٣ - كثير الأزواج ١١٤
٧٣٤ - كثير السكوت ١١٦
٧٣٥ - الكريم ١١٧
٧٣٦ - كريم الميلاد ١١٧
٧٣٧ - كلمة التقوى ١١٨
٧٣٨ - كلمة الله ١١٩
٧٣٩ - كهيعص ١٢٠

الأسماء المصدرة بحرف اللام

- ٧٤٠ - اللينة ١٢٥
٧٤١ - لسان الله ١٢٦
٧٤٢ - لطيف الخلق ١٢٧
٧٤٣ - لين الجانب ١٢٨

الاسماء المصنرة بحرف الميم

- ٧٤٤ - المأخوذ على النبين ميثاقه ١٣٣
- ٧٤٥ - مؤذ مؤذ ١٣٣
- ٧٤٦ - المؤذن ١٣٤
- ٧٤٧ - المؤمل للنجاة ١٣٤
- ٧٤٨ - المؤمن ١٣٥
- ٧٤٩ - المأمون ١٣٦
- ٧٥٠ - المأمون على مكنون سريرة الله ١٣٨
- ٧٥١ - مئيد مئيد ١٣٨
- ٧٥٢ - المؤيد ١٣٨
- ٧٥٣ - المؤيد بالقرآن ١٤١
- ٧٥٤ - المؤيد بالنور المضيء ١٤٢
- ٧٥٥ - مئذ مئذ ١٤٢
- ٧٥٦ - ماح ١٤٢
- ٧٥٧ - الماحي ١٤٣
- ٧٥٨ - ماذ ماذ ١٤٤
- ٧٥٩ - الماسك بحبل الشرف ١٤٤
- ٧٦٠ - الماضي على نفاذ أمر الله ١٤٥
- ٧٦١ - المبارك ١٤٥
- ٧٦٢ - المبشر ١٤٧
- ٧٦٣ - المبشر بالجنة ١٤٨
- ٧٦٤ - المبشر به ١٤٨
- ٧٦٥ - مبطل عبادة الأوثان ١٥٠
- ٧٦٦ - المبعوث ١٥٠

.....	أسماء الرسول المصطفى ﷺ	٥٧٠
١٥١	المبعوث إلى الجن	٧٦٧
١٥١	المبعوث إلى كافة الورى	٧٦٨
١٥١	المبعوث حين الفترة	٧٦٩
١٥٢	المبعوث في آخر الزمان	٧٧٠
١٥٣	المبلغ	٧٧١
١٥٤	المبلغ عن الله	٧٧٢
١٥٤	مبيد كل وثن وصنم	٧٧٣
١٥٥	المبين	٧٧٤
١٥٦	متبع مواضع الغفلة	٧٧٥
١٥٧	متبع مواطن الحيرة	٧٧٦
١٥٧	المتقي	٧٧٧
١٥٧	المتكرم	٧٧٨
١٥٧	المتهجد	٧٧٩
١٥٨	متواصل الأحزان	٧٨٠
١٦١	المتوج بالأنوار	٧٨١
١٦٢	المتوج بتاج الكرامة	٧٨٢
١٦٣	المتوسم	٧٨٣
١٦٥	المتوكل	٧٨٤
١٦٨	المثل الأعلى	٧٨٥
١٦٨	المجاهد	٧٨٦
١٧٠	المجتبى	٧٨٧
١٧١	المجيب في الميثاق	٧٨٨
١٧٢	المحب	٧٨٩
١٧٢	المحبوب	٧٩٠

٥٧١ فهرس الكتاب
١٧٢ ٧٩١ - المحدث
١٧٢ ٧٩٢ - محل قدس الله
١٧٣ ٧٩٣ - محرم الخبائث
١٧٤ ٧٩٤ - محرم الميتة
١٧٥ ٧٩٥ - محلل الطيبات
١٧٦ ٧٩٦ - محمد ﷺ
١٧٧ ٧٩٧ - محياثا
١٧٨ ٧٩٨ - المختار
١٨٠ ٧٩٩ - المختار للرسالة
١٨٠ ٨٠٠ - مختلف الملائكة
١٨١ ٨٠١ - المختون
١٨٢ ٨٠٢ - مخطوط المتنين
١٨٣ ٨٠٣ - مخلف الثقلين
١٨٤ ٨٠٤ - المدثر
١٨٥ ٨٠٥ - المدني
١٨٦ ٨٠٦ - مدور الهامة
١٨٧ ٨٠٧ - مدينة الحكمة
١٨٩ ٨٠٨ - مدينة العلم
١٩٠ ٨٠٩ - المذكر
١٩١ ٨١٠ - مذل الكهان
١٩٦ ٨١١ - المرتجي للشفاعة
١٩٨ ٨١٢ - المرتضى
١٩٩ ٨١٣ - المرتضى للعلم والفتوة
١٩٩ ٨١٤ - المرتضى للمعجزات والأدلة

.....٥٧٢ أسماء الرسول المصطفى ﷺ

- ١٩٩ المرسل - ٨١٥
- ٢٠٢ المرفوع - ٨١٦
- ٢٠٥ مرقوف - ٨١٧
- ٢٠٥ المزكي - ٨١٨
- ٢٠٨ المزكي - ٨١٩
- ٢١٠ المزمل - ٨٢٠
- ٢١٢ المسؤول - ٨٢١
- ٢١٣ المسبح - ٨٢٢
- ٢١٤ المستأنس بمخفق أجنحة الملائكة - ٨٢٣
- ٢١٤ المستغفر - ٨٢٤
- ٢١٥ المستقيم - ٨٢٥
- ٢١٧ مستودع سر الله - ٨٢٦
- ٢١٨ المتسوفز في مرضاة الله - ٨٢٧
- ٢٢٠ المسدد بالأمر الرضي - ٨٢٨
- ٢٢٠ المسدد بالأمر المرضي - ٨٢٩
- ٢٢٠ مسيح القدمين - ٨٣٠
- ٢٢١ مشرب حمرة - ٨٣١
- ٢٢١ المشرق - ٨٣٢
- ٢٢٣ المشرق بالنور - ٨٣٣
- ٢٢٥ مشفح - ٨٣٤
- ٢٢٦ المشفع - ٨٣٥
- ٢٣١ المشفق - ٨٣٦
- ٢٣٣ مشقق - ٨٣٧
- ٢٣٣ مشهور الذكر - ٨٣٨

٥٧٣ فهرس الكتاب
٢٣٣ ٨٣٩ - مشهور السمات
٢٣٣ ٨٤٠ - المصباح
٢٣٦ ٨٤١ - مصباح الحكمة
٢٣٧ ٨٤٢ - مصباح الدين
٢٣٨ ٨٤٣ - المصدق
٢٣٩ ٨٤٤ - المصدق
٢٤٠ ٨٤٥ - المصطفى
٢٤٥ ٨٤٦ - المصطفى في الظلال
٢٤٦ ٨٤٧ - المصطفى للنبوة
٢٤٨ ٨٤٨ - المصلح
٢٤٩ ٨٤٩ - المصلي
٢٥٥ ٨٥٠ - المطاع
٢٥٧ ٨٥١ - المطلي
٢٦٤ ٨٥٢ - المطهر
٢٦٦ ٨٥٣ - المطيب
٢٦٧ ٨٥٤ - المظلل بالغمام
٢٧٣ ٨٥٥ - مظهر الإسلام
٢٧٦ ٨٥٦ - معتدل الأمر
٢٧٧ ٨٥٧ - معتدل الخلق
٢٧٧ ٨٥٨ - معتدل القامة
٢٧٨ ٨٥٩ - معدن التنزيل
٢٧٩ ٨٦٠ - معدن العلم
٢٨٠ ٨٦١ - معدن الوحي
٢٨٤ ٨٦٢ - المعصوم

- ٢٨٨ ٨٦٣ - معنى التأويل
- ٢٩٠ ٨٦٤ - المعلن الحق بالحق
- ٢٩٠ ٨٦٥ - المغفور
- ٢٩٢ ٨٦٦ - مفاض البطن
- ٢٩٣ ٨٦٧ - مفتاح الجنة
- ٢٩٤ ٨٦٨ - مفتاح الرحمة
- ٢٩٥ ٨٦٩ - المفضل
- ٢٩٥ ٨٧٠ - مفلج الأسنان
- ٢٩٦ ٨٧١ - مفلج الثنايا
- ٢٩٦ ٨٧٢ - المقتدى
- ٢٩٨ ٨٧٣ - المقرب
- ٢٩٨ ٨٧٤ - المقرب
- ٢٩٩ ٨٧٥ - مقرون الحاجبين
- ٢٩٩ ٨٧٦ - المقصد
- ٣٠٠ ٨٧٧ - المقفي
- ٣٠١ ٨٧٨ - مقيم السنة
- ٣٠١ ٨٧٩ - المكفي
- ٣٠٣ ٨٨٠ - المكين
- ٣٠٥ ٨٨١ - المكبي
- ٣٠٩ ٨٨٢ - ملك الآخرة
- ٣١١ ٨٨٣ - الملبح
- ٣١٣ ٨٨٤ - المنادي
- ٣١٤ ٨٨٥ - المنتجب
- ٣١٦ ٨٨٦ - المنتجب في الميثاق

٥٧٥ فهرس الكتاب
٣١٦ ٨٨٧ - منحمننا
٣١٧ ٨٨٨ - المنذر
٣٢٠ ٨٨٩ - المنذر بالعقوبة
٣٢٠ ٨٩٠ - المنصور
٣٢٢ ٨٩١ - المنصور بالرعب
٣٢٥ ٨٩٢ - المنصور بعلي
٣٤٢ ٨٩٣ - المنعم عليه
٣٤٤ ٨٩٤ - المنقذ
٣٤٧ ٨٩٥ - منقذ العباد من الضلالة
٣٤٧ ٨٩٦ - منقذ العباد من الهلكة
٣٤٧ ٨٩٧ - منهج دين الإسلام والإيمان
٣٤٧ ٨٩٨ - منهوس العقب
٣٤٨ ٨٩٩ - المنيب
٣٤٩ ٩٠٠ - المهتدي
٣٥٠ ٩٠١ - مواصل الأحران
٣٥٠ ٩٠٢ - الموجه
٣٥١ ٩٠٣ - مود مود
٣٥١ ٩٠٤ - الموصوف بالكرم والتفضيل
٣٥٢ ٩٠٥ - الموصوف بالكرامة
٣٥٤ ٩٠٦ - الموضح للدلالة
٣٥٤ ٩٠٧ - الموقف
٣٥٦ ٩٠٨ - المهدي
٣٥٧ ٩٠٩ - المهذب
٣٦٠ ٩١٠ - مهنت

.....٥٧٦ أسماء الرسول المصطفى ﷺ

٣٦١ ٩١١ - ميد ميد

٣٦١ ٩١٢ - ميد ميد

٣٦١ ٩١٣ - ميزاب العلم

٣٦٣ ٩١٤ - ميزان العلم

٣٦٥ ٩١٥ - ميزان القسط

٣٦٧ ٩١٦ - الميمون

الأسماء المصدرة بحرف النون

٣٧٣ ٩١٧ - ناجم قريش

٣٧٤ ٩١٨ - الناس

٣٧٥ ٩١٩ - الناشر

٣٧٥ ٩٢٠ - الناصح

٣٧٦ ٩٢١ - الناصح لأُمَّته

٣٧٦ ٩٢٢ - الناصح لعباد الله

٣٧٧ ٩٢٣ - الناصح لله

٣٧٧ ٩٢٤ - ناصح الحسب

٣٧٨ ٩٢٥ - ناموس العصر

٣٨٠ ٩٢٦ - الناهي

٣٨٠ ٩٢٧ - النبي

٣٨٣ ٩٢٨ - نبي الله

٣٨٤ ٩٢٩ - نبي الرحمة

٣٨٦ ٩٣٠ - نبي الرحمة

٣٨٨ ٩٣١ - النبي المرسل

٣٨٨ ٩٣٢ - نبي الملحمة

٥٧٧ فهرس الكتاب
٣٩٠ ٩٣٣ - نبي الهدى
٣٩٢ ٩٣٤ - النبيل
٣٩٥ ٩٣٥ - النجم
٣٩٦ ٩٣٦ - النجم الثاقب
٣٧٩ ٩٣٧ - النجيب
٣٩٨ ٩٣٨ - نجيب الله
٣٩٨ ٩٣٩ - النجوي
٤٠٠ ٩٤٠ - نجى الله
٤٠٢ ٩٤١ - النذير
٤٠٤ ٩٤٢ - نذير أمته
٤٠٤ ٩٤٣ - النذير العريان
٤٠٦ ٩٤٤ - نذير من النذر الأولى
٤٠٨ ٩٤٥ - النذير للعالمين
٤٠٩ ٩٤٦ - نعم الشفيع
٤١١ ٩٤٧ - النعمة
٤١١ ٩٤٨ - النعمة الظاهرة
٤١٢ ٩٤٩ - نعمة الله
٤١٥ ٩٥٠ - النقي
٤١٧ ٩٥١ - نكاح النساء
٤٢٥ ٩٥٢ - النور
٤٢٨ ٩٥٣ - نور الأنوار
٤٣٠ ٩٥٤ - النور الأول
٤٣١ ٩٥٥ - نور الدنيا والآخرة
٤٣٢ ٩٥٦ - النور الساطع

٥٧٨ أسماء الرسون المصطفى ﷺ

- ٩٥٧ - نور في الحرمين ٤٣٣
٩٥٨ - نور الله ٤٣٤
٩٥٩ - نور الله في عبادته ٤٣٤
٩٦٠ - نور الله الذي لا يطفى ٤٣٥
٩٦١ - نور الله الذي يستضاء به ٤٤٠
٩٦٢ - النور الممدود ٤٤١
٩٦٣ - النهج القويم ٤٤٣
٩٦٤ - نون ٤٤٥

الأسماء المصدرة بحرف الهاء

- ٩٦٥ - أهادي ٤٤٩
٩٦٦ - أهادي إلى الرشاد ٤٥٢
٩٦٧ - أهاشمي ٤٥٢
٩٦٨ - أهدي ٤٥٦
٩٦٩ - أهلال البدري ٤٥٨

الأسماء المصدرة بحرف الواو

- ٩٧٠ - وارث علم آدم ٤٦٣
٩٧١ - وارث النبيين ٤٦٥
٩٧٢ - واسع الجبين ٤٦٨
٩٧٣ - واضح الخدين ٤٦٩
٩٧٤ - واضع الإصر والأغلال ٤٦٩
٩٧٥ - الواعي لوحي الله ٤٧٤
٩٧٦ - وافر السبلة ٤٧٥
٩٧٧ - الوالد ٤٧٦

٥٧٩ فهرس الكتاب
٤٤٧ ٩٧٨ - الوالي
٤٨٠ ٩٧٩ - وجه الله
٤٨٣ ٩٨٠ - وجه الله في عباده
٤٨٣ ٩٨١ - الوحي
٤٨٧ ٩٨٢ - الوسيلة إلى الله
٤٩١ ٩٨٣ - الوصلة إلى رضوان الله
٤٩١ ٩٨٤ - وصي آدم
٤٩٣ ٩٨٥ - وصية الله
٤٩٤ ٩٨٦ - الوفي
٤٩٩ ٩٨٧ - الولي
٥٠١ ٩٨٨ - ولي الله المفضل
٥٠١ ٩٨٩ - ولي ولد فاطمة

الأسماء المصدرة بحرف الياء

٥٠٥ ٩٩٠ - اليتيم
٥٠٧ ٩٩١ - اليشربي
٥١٠ ٩٩٢ - يد الله
٥١١ ٩٩٣ - يس
٥١٣ ٩٩٤ - يمين الله

المستدرك

٥١٧ ٩٩٥ - الأبيض
٥١٩ ٩٩٦ - أفصح من نطق بالضاد
٥٢٠ ٩٩٧ - الأكبر
٥٢٠ ٩٩٨ - ثمال اليتامى

.....	أسماء الرسول انصطفى ﷺ	٥٨٠
.....	خازن المغفرة	٩٩٩ - ٥٢٢
.....	الشاكر	١٠٠٠ - ٥٢٢
.....	الخاتمة	٥٢٥
.....	الفهرس الموضوعي	٥٢٩
.....	فهرس الكتاب	٥٦٣

مَكْتَبَةُ بَنِي الْبَجَرِ الْأَخِيرِ الْعَرَبِيَّةِ
 مَوْسِسَةُ السُّلَيْمِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ
 السُّرِّيَّةُ
 ١٩٤١ - ١٩٤٢
 قَطْرُ الصَّخْرَةِ - الْبِرَاقِ



Mawsouat Al-rasool

Al-Mostafa

(3)

Address in Lebanon:

P.O.Box 25/138

Al-Ghobairi -Beirut

Address in Iran:

P.O.Box 91375/4436

Mashhad

Fax:(0098-511) 2222483

E.mails: almawsouah@hotmail.com

almawsouah@yahoo.com

Website: www.almawsouah.org

Published in Lebanon by: Dar-Alathar

Shahrur building - Dakkash St. Bir Al-Abed

Beirut - Lebanon

Tel: (00961-1) 270574 , (00961-3) 349237

Published in Iran by: Sonbuleh Publisher

Lower level Mahtab shopping center

Sa'adi St. Mashhad- Iran

Tel: (0098-511) 221 6753

All rights reserved

First print: Beirut 1426-2005

Second Print : Mashhad 1426-2005

MAWSOUAT AL-RASOOL AL-MOSTAFA

**A highly informative encyclopedia of
Prophet Mohammad's life
Administered by: Mohsen Ahmad Al-Khatami**

**NAMES, NICKNAMES AND CHARACTER
TRAITS OF PROPHET MOHAMMAD**

**By: Abbas Tabrizian
Assisted by: Hashem Al-Khatami
(Volume Three)**